38

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب أطروحة «دكتوراه» تقدم بها المؤلِّف إلى قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة، بجامعة بيروت الإسلامية، ونوقشت يوم الخميس ٢١ ربيع الأول ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠١١/٢/٢٤م

وتكونت لجنة المناقشة من:

١ ـ أ.د. عبد الفتاح كبارة رئيساً ومشرفاً

٢ ـ أ.د. صالح معتوق مناقشاً

٣ ـ أ.د. يوسف المرعشلي مناقشاً

وقد أجيزت الأطروحة ونالت تقدير جيد جداً «مرتفع»

الحكمة في التشريع الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٩٦١١/٧٠٢٨٥٧.. فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣..
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

الحكمة في التشريع الإسلامي

« العبادات نموذجًا »

كتاب تخصص فقه وأصول
شهادة ثبت ٤٠٤٥٥
رقم ١٥٢

الحكمة

- الشرعية
- الروحية
- النفسية
- الأخلاقية
- الاجتماعية
- التربوية
- العلمية
- الصحية
- الاقتصادية
- السياسية

تأليف

الدكتور يونس حسين عبد الرزاق

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم
بقلم صاحب السماحة مفتي زحلة والبقاع
فضيلة العلَّامة الشيخ خليل الميس
حفظه الله تعالى

١

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، **أمَّا بعد:**

تقضي الحكمة أن نتحرى عن مظانِّها في الأفعال والأقوال، ومن واجب العقلاء والباحثين الجادِّين العملُ بالحكمة أو النطق بها، لذلك ينبغي أن نميط اللِّثام عنها؛ لأنَّ كَشْفَها بمثابة الظَّفر بكنزٍ لا يُقدَّر، ومن شأن الكنز أن يكون خفيّاً، وينبغي لمن يَعْثر عليه أن يصير غنيّاً، لذلك كانت الكنوز أيّاً كان نوعها بعيدة المنال، لا يعثر عليها إلَّا من جدَّ واجتهد ووفَّقه الله سبحانه وتعالى.

ومن البداهة أنَّ من يَمْلِكْ هو الأَوْلى بملكِهِ، ولكن الكنوز؛ وإن تصبح مِلْكاً لمن يظفر بها، إلَّا أن للأمَّة نصيباً مفروضاً منها، بينما معرفة الحكمة، وإن نُسِبَتْ لمن اكتشفها، فهي لا تبقى مِلْكاً له

وَحْدَهُ، بل تصير مِلْكَ كلِّ قارئٍ لها ومتدبِّرٍ أمرها وعاملٍ بها. وهذا هو الفرق بين كنز المادة وكنز المعنى والمعرفة، فالمادَّة على الرَّغم من قيمتها تنتهي أو تفنى، وعلى العكس من ذلك: الحكمة، والمعرفة، والمعنى، فإنَّ من شأنها أن تُغْنِي وتبقى؛ تُغْنِي الأجيال كلّها، وتَبْقى تُنِيرُ لهم درب الحياة، كالشَّمس ناصعة في ضيائها، وكالنُّجوم في لمعانها.

وإذا علمنا أن الله ﷻ لمَّا خلق الخلق؛ جعل الحياة الدنيا دار محنة يصيرون منها إلى حياة آخرة، حيث دار الجزاء والمثوبة.

وأنه سبحانه وتعالى أَعلَمَ عباده؛ أنَّ في عبادتهم له صلاحهم؛ وهذا يتحقق لهم بتمسُّكهم بشريعته الغرَّاء، التي هي مصالح قد تخفى مقاصدها على بعض العباد، إلَّا أنها تتصل بعواقب الأمور، التي ربَّما تَقْصُرُ عن إدراكها عقول البشر من غير العلماء والحكماء.

وهكذا قررت الشريعة أحكاماً لِتصرُّفات العباد، وُصِفَتْ بأنَّها أحكامٌ تكليفيةٌ، بَيَّنَ العلماءُ أنها تدور بين الوجوب والنَّدب، أو الحرمة والإباحة، وتظل جميع الأحكام لها مَقَاصِد، وإن التَّعرف عليها والعلم بها، يكون باعثاً على التزام العمل بموجبها؛ إمَّا بالفعل أو الترك. وهذه عادة ما تكون في مقدور المكلَّف، إذ لا تكليف بالمستحيل.

وفي المقابل فإن الله ﷻ أعطى المكلَّفين القدرة والحق على استنباط تصرُّفات البشر، عبادة كانت أو معاملات، بإقامة الأدلة، حيثُ يُمَكِّنُ ﷻ بعض المكلَّفين النابهين من الظَّفر بأحكامٍ شرعيَّةٍ

نافعةٍ لهم ولغيرهم من البشر، وكذلك يقفون بعد طول تأمُّل وتفكير على حِكَمِهَا ومَقَاصِدِهَا. حتى أنَّ من يُكرمه الله سبحانه بهذه النِّعمة؛ يكاد يشعر وكأنَّه كَشَفَ كنزاً بما صار يُنْسَبُ إليه من مذهب أو قولٍ أو رأيٍ. وإذا كان مَالِكُ المادَّة قد يَسْتَبَدُّ بها عن غيره؛ فبالنسبة للبحوث والكُشُوفِ العلمية، فإنَّ الأمانة تقتضي أن يُنْسَبَ كُلُّ قولٍ لقائله، وكلُّ رأيٍ لصاحبه؛ وإن كان للنَّاس أن يُشَارِكُوهُ فائدةَ ما كَشَفَ والانتفاع به؛ إلَّا أن من الحق والواجب أن يُشَارَ إلى الباحث ويُعْرَفَ بما هداه إليه عَقْلُهُ وكَشَفَهُ بجهدِهِ وَدَرْسِهِ بتوفيق الله ومنِّه عليه.

وإذا كان من توصَّلَ إلى معرفةٍ، وعلمٍ، وحكمةٍ، صار مالكها؛ إلَّا أنَّنا نراه نائباً عن العباد في الوقوف عليها، وإن شاركوه العلم بها والعمل بموجبها، فهو إذْ أغنى بها الجميع؛ فإنه حقٌّ عليهم أن يذكروه بالخير والتَّقدير لما هَدَاهم إليه وعرَّفَهم عليه.

وفي البحث عن الحِكْمَةِ ومظانِّها في باب العبادات، توجَّهتْ عناية فضيلة الدكتور يونس عبد الرزاق وفقه الله تعالى وسدَّد خطاه إلى البحث والدَّرس، فألزَمَ نَفْسَهُ، وأجْهَدَ عَقْلَهُ، وسَخَّرَ عِلْمَهُ في البحث في مصادر شتى، ومصنفاتٍ عدَّة، حتى وفَّقَهُ الله سبحانه إلى أن يَنْظُمَ دُرَرَ ذلك الكثير في عِقْدِ هذا البحث الذي نال بموجبه درجة «الدكتوراه»، وكأنِّي بمن أُنِيطَ بهم تَقْوِيمَ البحث وتَقْدِيرَ هذا الجهدِ المبارك، قد وَقَفُوا على بعض الحِكَمِ النافعة، والرَّأي السديد، والأفكار الصَّائبةَ. وهكذا فبقدر ما عرفوا من البحث؛ توصلوا إلى

تقديرِ قيمتهِ، فأعطوه ما يستحق، حينما منحوا الباحث الدَّرجة العِلْميَّةَ التي تليقُ به وبما كَشَفَ عنه، وبما توصَّلَ إليه.

وتبقى الحكمة وعلوم الشريعة الإسلامية حقلاً واسعاً، قد يمتلك باحثٌ جزءاً منه، ويكشف فيه كنزاً دَفِيناً، لم يَعْرِفْهُ الباحثون قبله، وهذا ما أَجِدُهُ في هذا الباحث الجادِّ، وما أَعْتَقِدُ أن القرَّاءَ سيجدونه فيه؛ حيث يكتشفون أنه بالفعل كَنْزٌ من مَعادِنِ الأفكارِ النفيسةِ، ويتمنَّى الباحثُ للقارئِ أن يوفَّقَ في الوقوف على المزيد من الحِكمِ؛ وبذلك ينال الباحثُ ما يبتغيه من هذا الجهد مزيداً من اكتشاف الحِكم الشَّرعيَّةِ؛ ليكون ذلك باعثاً لمزيد من الالتزام بالأحكام التكليفية.

والله من وراء القصد

١٧ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ
٨/أيار/٢٠١٢م

مفتي زحلة والبقاع
الشيخ خليل الميس

الإهداء

إلى من غرسني في دروب العلم ثم رحل في: ١ ـ ٩ ـ ١٩٩٦م

قبل أن يرى ثمار غرسه

والدي ـ رحمه الله ـ

إلى المؤمنة الصابرة التي كانت نعم المشجع والمعين

والدتي ـ حفظها الله ـ

إلى من ساندتني في رحلتي العلمية وتحمَّلت بُعدِي عن البيت

من أجل إتمام هذا البحث

زوجتي ـ حماها الله ـ

إلى قرة العين وثمرة الفؤاد أولادِي

حسين، ورهف، وجلال الدين ـ يرعاهم الله ـ

إلى العلماء المنقِّبين والدعاة المخلصين ـ أيَّدهم الله ـ

إلى المرضى الذين لم يجدوا الشفاء في العقاقير الطبية ـ عافاهم الله ـ

أهدي هذه الأطروحة

شكر وتقدير

الحمد لله ولي كل نعمة، وملهم كل حكمة، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فلا يسعني بعد إكمال هذه الأطروحة إلا أن أحمد الله ﷻ وأشكره على عظيم نعمته، وجليل منَّته، وأسأله ﷻ أن يبارك لي فيها وأن يجعلها عوناً لي على طاعته ومحبته ومرضاته.

وإنني أتوجه بخالص شكري، إلى فضيلة شيخي الجليل، وأستاذي القدير، فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح كبارة، المشرف على هذه الأطروحة، الذي أفادني كثيراً من علمه، وآرائه القيمة، وتعليقاته الهادفة، وتوجيهاته الصائبة، رغم انشغاله بمسؤوليات كثيرة. فالله أسأل أن يبارك في علمه، ووقته، وعمره.

كما أشكر سماحة أستاذي وشيخي العلامة الشيخ خليل الميس، الذي غرس فيَّ حبَّ الأصول والمقاصد، وشجعني على مواصلة البحث العلمي، وكان له كبير الفضل عليَّ بعد الله ﷻ. أسأل الله أن يطيل عمره في حسن طاعته.

كما أخص بالشكر الكبير، والامتنان الجزيل، الأب الحاني،

والموجِّه الربَّاني، فضيلة أستاذي الدكتور أنس طبارة؛ الذي طالما أفادني بتوجيهاته المفيدة، وآرائه السديدة، وقد أعطاني من وقته، وتوجيهاته ما كان حافزاً لي على إتمام هذا البحث، وكنت إذا استعجم عليَّ أمرٌ، أو أشكل علي فهمٌ، لا أتردد بالاتصال به، فأجد منه كل ترحيب، وألمس منه كل عطف. فالله أسأل أن يبارك في علمه، ووقته، وعمره.

كما أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة، على قبول قراءة هذا البحث وإبداء الملاحظات والتوجيهات، وكل من شارك وساعد وأعان، على إنهاء هذا البحث بالصورة التي جاء عليها، سواء بإعارة كتاب، أو إهدائه، أو تأمينه، أو إسداء نصيحة، أو معلومة كنت أجهلها[1]، أو أغفل عنها، إذ من لا يشكر الناس يشكر الله.

كما أتقدم بالشكر إلى جامعة بيروت الإسلامية، على ما تبذله من جهدٍ وعطاء لاحتضان البحث العلمي والحفاظ على التعليم الشرعي. فالله أسأل أن يجزي القائمين عليها خير الجزاء.

وختاماً أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل مني هذا العمل، خالصاً لوجهه الكريم، موجباً للفوز بجنانه ورضوانه العظيم، وأن ينفعني به، وينفع كل من قرأه، وأن يجعله في ميزان حسناتي في يومٍ تَعَزُّ فيه الحسنات وتعظم فيه السيئات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) **أخص منهم**: أ.د. أحمد اللدن، د. محمد الجيزاني، د. محمد خير فرج.

المقدمة

وفيها:

- الاستفتاحية.
- الإشكالية التي يطرحها البحث.
- أهميته.
- أسباب اختياره.
- نقد الكتابات السابقة القديمة والحديثة فيه.
- خطة البحث.
- منهجية البحث، وعملي فيه.
- أهم الصعوبات التي واجهتني.

المقدمة

الحمد لله الذي علَّمَ البيان، وألهم التبيان، وطوَّع البنان، ليعبِّر عمَّا يجول في الجنان، وجعل تدبر الحِكمة لأهل العلم عُنْوَان، وخصَّهم بالخير الكثير والإحسان، والصلاة والسلام مدى الأعصارِ والأزمانِ، على عظيم الشان، من مُيِّز بجوامع الكلم والفصاحة والبيان، وأُلهِم فواصل الحِكم وتعليل الأحكام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

والله أسأل أن يجعل لي حظاً من البيان، ورزقاً من التبيان، وإلهاماً من الكلام، وقبساً من حِكمة الأحكام، فهو سبحانه ولي كل نعمة وملهم كل حِكمة.

أما بعد:

فإن رَوْحَ السعادة وبهجتها، وَرُوحَ العبادة ومهجتها، وموجب تلقيها بأيدي القبول والإحسان، ومضاعفة الثواب بها في دار الجنان، إنما يتم بالتفكير في أسرارها ومعانيها، وإجالة الخاطر في حِكمتها ومقصِدها، إذ البحث في أسرار الأحكام الشرعية، والتعرف إلى حِكم الأحكام وأسرار خواص الأعمال، ومقابلتها بما يؤيده العلم المعاصر، وتقديمها للناس دعوة خالصة إلى خالق الأرض والسماوات، هو عبادة جليلة من أرفع العبادات.

الإشكالية

ولما غلبت المادة على منازع التفكير الإنساني: أراد بعضهم استخدامها لمحاربة الدين، وصرف الناس عنه بحجج واهية، لا تسلم من نقض.

فيزعمون أن الحرية في فهم الأديان والعقائد، فيبيحون لأنفسهم أن يضعوها موضع الشك والنقد، ثم لا يؤمنون إلا بما رضيته أهواؤهم، وسلَّم به جدلهم. ويزعمون أن الصلاة رجعية... وأن الزكاة ضريبة يأخذها من لم يتعب بتحصيلها... وأن الصيام تجويع للجسد وتعذيب للروح... وأن الحج وثنية وصنمية إذ يطوف الإنسن حول أحجار...

ولما كان كثير من المسلمين يخفى عليهم ما في التشريعات الدينية من حِكم ومصالح، ليستندوا إليها في الدفاع عن الإسلام.

ولما كان الإسلام يحث على العلم، ويستنير به العقل في فهم ما خفي من أسرار الشريعة ومعانيها، ولا يأمر من التشريع بشيء إلا إذا كانت المصلحة تحتم العمل به أخذاً أو تركاً[1]؛ **وجب علينا** أن نستند إلى العلم المستنير بالشرع المتفق مع العقل الواعي، المطلع على علوم العصر والتشريعات الدينية؛ من أجل إبراز محاسن

---

(١) الأصل في التشريع التعبد والطاعة للخالق، وقد يهتدي العبد للحكمة من الأمر التعبدي وقد لا يهتدي، ولكن عليه الطاعة علم أم لم يعلم، والمصالح متحققة من بعد الفعل علم أم لم يعلم.

التكاليف الشرعية، وملاءمتها للطبيعة البشرية، إذ لا تعارض بين الدين والعلم الصحيح.

أهمية الموضوع

ولما كانت الأحكام العملية، والتكاليف التي شملتها هذه الشريعة، تمتاز على غيرها من الشرائع والقوانين بخصائص متعددة ومصالح متنوعة، جعلها بحق الدين الذي يجب أن يسود ويحكم لما فيه من صلاح الناس جميعاً؛ فقد شهدت الفطر والعقول وأرباب الحِكمة وأهل الأصول، بأن فيما افترضه الله على خلقه من أحكام شرعية، وتكاليف دينية إنما تهدف إلى تحقيق حِكمٍ عظيمة، وغاياتٍ حميدة، وأسرارٍ بديعة، ومعانٍ دقيقة، كلها مرادة لمشرعها الحكيم، فهو سبحانه لا يشرع لعباده ولا يكلفهم إلا ما فيه تحقيق الخير والصلاح لهم في دنياهم وأخراهم، ويدرأ عنهم الشر والفساد والعنت في حاضرهم ومستقبلهم، أو في دنياهم وعقباهم.

فالتشريع الإلٰهي ليس وراءه إلا مصلحة الخلق في العاجل والآجل[1].

---

(١) يقول العز: «التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد، إما تجلب لهم نفعاً أو تدرأ عنهم ضرّاً». ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (٢/ ٦٢)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
ويقول ابن القيم: «وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده، وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وتعطيل المفاسد الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان. =

لكن لما كانت الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها، وتميل قلوبها وأحاسيسها إلى ما وضح طريقه وظهرت منفعته، كان من الواجب على الداعية أن يكشف عن الحِكم والأهداف، والمصالح والغايات، باستمرار؛ ليتم الاقتناع بدين الله، والترغيب في شريعته والتشويق إلى تكاليفه[1]، والدعوة إلى أحكامه، والمطالبة بتطبيقها والتزامها.

فإذا بَيَّنَ لهم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتجلب السكينة والطمأنينة والسعادة للمسلم، سارعوا إلى تنفيذ قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وإذا بَيَّنَ لهم حِكمة الصيام، وفوائده المتعددة، ومزاياه المتنوعة، وأنه وقاية من العلل والأمراض: النفسية، والجسمية،

= وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه دالة عليه، شاهدة له بكمال علمه وحِكمته ولطفه بعباده وإحسانه إليهم.
وهذه الجملة لا ينازع فيها من له ذوق من الشريعة، وارتضاع من ثديها، وورود من صفو حوضها، وكلما كان تضلعه منها أعظم، كان شهوده لمحاسنها ومصالحها أكمل». ابن القيم، محمد «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»: (٢/ ٣٨)، دار الجيل، بيروت، د.ت.

(١) من واجب المسلم أن يلتزم الطاعة والعبادة سواء ظهرت حِكمتها له أم خفيت، وليس معرفة حِكمة الحكم أو العبادة، هي التي تحمل المكلف على التنفيذ، إذ الأصل في المسلم أن يتمثل الأمر ويجتنب النهي تعبداً لله ورقاً، إجلالاً له ﷻ وانقياداً لحكمه، لكن إن لاحت الحِكمة وبان سرها للعبد كبر يقينه، وقوي إيمانه، وازداد قناعة بدين الله ﷻ، وتيقن أن الله ﷻ لا يأمر إلا بما فيه سعادة العباد وصلاحهم في حياتهم وأخراهم.

بادروا إلى الصيام بشوقٍ كبير استجابة لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وإذا بَيَّنَ لهم أن الزكاة شُرعت طاعة لله، ودفعاً لرذيلة البخل، وكفاية لحاجة الفقراء، وتحصيناً لأمن المجتمع واستقراره؛ وأنها سبيل لتنمية المال إذ الحسنة بعشر أمثالها، جادت أنفسهم بإخراجها عن قناعة وطيب خاطر.

وإذا بَيَّنَ لهم أهمية الحج في مغفرة الذنوب، ورفعة الدرجات، ووحدة المسلمين وتوحيدهم، وأنه شرع لتعظيم شعائر الله وتجديد الإيمان... غذّوا السير ميمِّمين بيت الله ﷻ.

وهكذا نجد أهمية كبيرة في معرفة حِكمة التشريع، والوقوف على أسرار العبادات، ولذا رأينا الباري ﷻ: «يعلمنا في كثير من آيات الكتاب المبين أسرار تشريعه وفوائده، شحذاً لأذهاننا أن تفكر وتعمل، وإيماءً إلى أن هذا التشريع الإلٰهي الخالد، لم يَقُمْ إلا على ما يحقق للناس مصلحة، أو يدفع عنهم ضرراً. فالإسلام لا يتنكر للعقل، ولا يخاطب الناس إلا بما يتفق مع التفكير السليم، والمنطق السديد،... وما بَرِحَ الناسُ في كل عصر يرون من فوائد التشريع، ما يتفق مع تفكيرهم ومنطقهم ومصالحهم، وهذا دليل على مصدر الإسلام وأنه من عند الله ﷻ»[(١)].

---

(١) مقتبس من: السباعي، مصطفى «أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسُّنَّة»: (ص٣٨، ٣٩)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.

وإن للطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج من الحِكم الشرعية، والروحية، والنفسية، والأخلاقية، والتربوية، والاجتماعية، والفوائد البدنية، والنفسية، والأسرار الصحية؛ ما يدهش العقول، ويُغْرِي بتتبعها والتنقيب عنها حتى بلوغ المأمول.

أسباب اختيار البحث

ولما كنت قد أنهيت بحث الماجيستر[1] بمنِّ الله وكرمه، أحببت أن تكون أطروحة الدكتوراه في هذا الميدان، تحت عنوان:

«الحِكمة في التشريع الإسلامي [العبادات نموذجاً]»

❐ دوافع الاختيار:

وقد تلخصت دوافع الاختيار فيما يلي:

١ ـ إن معرفة حِكمة التشريع، تساعد في فهم النصوص الشرعية ودفع التعارض بينها، وتفسيرها بشكل صحيح، وبها يعرف المؤمن مشروعية ما يعمل.

٢ ـ إن دراسة حِكمة التشريع تبين للطالب، والقارئ، والمطالِع، الأهداف العالية التي تقصد إليها الشريعة الإسلامية في

---

(١) نوقشت رسالة الماجستير: «المساواة في القصاص والدية والميراث دراسة معمقة مقارنة»، عبد الرزاق، يونس، عام ٢٠٠٦م، في جامعة بيروت الإسلامية، كلية الشريعة، ونالت تقدير ممتاز.

الأحكام، فيزداد إيماناً وقناعةً وثباتاً؛ لأنَّ النفوس أميل إلى قبول الأحكام المطابقة للحِكم والمصالح.

٣ ـ إن البحث في حِكمة التشريع يُبرز كمال الشريعة الإسلامية، وتضمنها لمصالح يعجز عن مراعاة مثلها البشر.

٤ ـ إن التعمق في حِكمة التشريع يقوِّي ملكة الاستنباط، ويوسِّع مجاري الاجتهاد؛ لأنه يوقف الباحث على مقاصد التشريع وأهدافه، مما يسهل الحُكم على المستجدَّات في هذا العصر.

٥ ـ إن في إبراز حِكمة التشريع ردع للمشككين، الذين شككوا في كثير من المسائل الشرعية بأنها مخالفة للعقل، ولا سبيل إلى دفع هذه المفسدة؛ إلا بأن نبين المصالح والحِكم ونؤسس لها القواعد.

٦ ـ أمنيتي في تقديم عمل إلى المكتبة الإسلامية، يجمع بين الأصالة والمعاصَرة، فَيُظْهِرُ ما ينفع لعصرنا مما قرره سلفنا الصالح، وَيُضِيفُ إليها أحدث الاكتشافات العلمية، والأبحاث العصرية، فكان موضوع الحِكمة في التشريع الإسلامي، خير ما تحققت فيه هذه الأمنية.

٧ ـ ثم إن الباحث في مثل هذا الموضوع الذي يتميز بالسعة والشمول، يكون مضطراً إلى النظر في كثير من العلوم المختلفة، التي تمكِّنه من الاطلاع على الفقه وأصوله، وكتب المقاصد، والتفسير، والحديث، وكتب الطب، والمجلات، والدوريات، إلى غير ذلك من الفنون الأخرى.

٨ ـ لم يسبق في حد علمي أن أُفردت العبادات، بكتاب

مستقل يستقصي حكمتها، ويجمع فوائدها ـ خاصة الصحية ـ وينبه على إعجازها، فأردت أن أجمع هذه الحِكم والفوائد في بحث يتصف بصفة الجِدَة والحداثة، وهما صفتان منشودتان في البحوث الجامعية العلمية.

نقد الكتابات السابقة

◻ المؤلفات القديمة:

وقد وجدت أن علماءنا الأجلاء، قد تناولوا هذا الموضوع دون توسع فيه، ودون استقصاء لفوائده وشوارده أحياناً، وبعناوين مختلفة أحياناً أخرى[(١)]، وإنما اكتفى بعضهم بالإشارة إلى حِكمة

---

(١) فـ ـ الترمذي، محمد (ت: ٣٢٠هـ): عنون كتابه بـ: «الصلاة ومقاصدها»، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ١٩٦٥م، والشاشي، محمد بن علي، المعروف بالقفال الكبير (ت: سنة ٣٦٥هـ): عنون كتابه بـ: «محاسن الشريعة»، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، والغزالي، محمد (ت: سنة ٥٠٥هـ): عنون كتابه بـ: «إحياء علوم الدين»، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، والبخاري، محمد بن عبد الرحمٰن (ت: سنة ٥٤٦هـ): عنون كتابه بـ: «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، د.ت. وابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام المعروف بسلطان العلماء (ت: سنة ٦٦٠هـ): عنون كتابه بـ: «مقاصد الصوم»، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٩٥م ـ ١٤١٦هـ، وابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: سنة ٧٥١هـ): عنون كتابه بـ: «أسرار الصلاة»، دار ابن حزم، بيروت ـ =

تشريع بعض الأحكام إشارةً دون تصريح، أو إجمالاً دون تفصيل، حسب ما لاح لهم من أسرار في عصرهم، فيذكرون حِكمة الحُكم دون اعتناء بتصنيفها وتوصيفها، إلى شرعية، وروحية، ونفسية، واجتماعية، وتربوية، وأخلاقية، وثقافية، وسياسية، وصحية، ما يعيق البحث والباحث في النظر في فوائده، والوقوف على غاياته.

◻ المؤلفات الحديثة:

أما المؤلفات الحديثة: مثل كتاب أسرار العبادات في الإسلام[١]، وفلسفة التشريع الإسلامي[٢]، وفلسفة العبادات[٣]،

= لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، والدهلوي أحمد بن عبد الرحيم، المعروف بشاه ولي الله (ت: سنة ١١٧٦هـ): عنون كتابه بـ: «حجة الله البالغة»، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، وأفندي، إبراهيم: عنون كتابه بـ: «أسرار الشريعة الإسلامية وآدابها الباطنية»، مطبعة الواعظ، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ، والجرجاوي، علي أحمد (ت: سنة ١٩٦١م): عنون كتابه بـ: «حِكمة التشريع وفلسفته»، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، والقمي، محمد «علل الشريعة»، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(١) سيد الأهل، عبد العزيز، دار النهضة الحديثة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

(٢) مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية «سلسلة الندوات»، رقم: (١)، د.ت.

(٣) المصطفى، حسين، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

ومقاصد الصلاة التعبدية والصحية[١]، والإسلام[٢]، والصيام معجزة علمية[٣]، وصوموا تصحوا[٤]، والصلاة والرياضة والبدن[٥]، والزكاة وتطبيقاتها المعاصرة[٦]، ودور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية[٧]، العبادة في الإسلام[٨]، معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية[٩]، الاستشفاء بالصلاة[١٠]، مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره[١١]، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع[١٢]، روائع الطب

---

(١) اللبان، فائزة، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٢) حوى، سعيد، دار السلام، القاهرة ـ مصر، ط٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) الصاوي، عبد الجواد، دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) عثمان، محمد، دار النمير، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٥) الطرشة، عدنان، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٦) الطيار، محمد، مكتبة التوبة، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٧) القرضاوي، يوسف، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٨) القرضاوي، يوسف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٢٤، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٩) بوسرويل، د. هبري «معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية»، ترجمة: محمد هاني الشعال، دار أفنان، د.ت.

(١٠) قرامي، زهير «هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة»، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(١١) الفوزان، محمد، دار نداء الإسلام، القصيم ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(١٢) سالم، مختار، مؤسسة المعارف، بيروت ـ لبنان، ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

الإسلامي[١]، وغيرها من أبحاث منشورة في المجلات العلمية، فإنها بالرغم من قيمتها وتناولها للموضوع باستقلالٍ وقصدٍ رئيس، إلا أنها بحوث قليلة ومعدودة، كما أنها جاءت بحوثاً مقتضبة مختصرة، غير مستوعبة للموضوع بأبعاده وحيثياته، وفصوله ومباحثه كلها، واقتصر بعضها على الحديث عن بعض جوانب الموضوع؛ ما يستوجب إفراده ببحثٍ جامعٍ مستقل، وهو ما جاءت هذه الأطروحة لتأديته.

فجاء هذا المؤلَّف ـ «**الحِكمة في التشريع الإسلامي [العبادات نموذجاً]**» ـ: لتغطية جزء من هذا النقص، مُسْتَقْصِيَةً ـ في بحث جوانب الموضوع ومباحِثَهُ ـ استقصاء شاملاً، جامعاً، ومستوعباً، يعتني باستعراض أهم الاكتشافات العلمية للعبادات الشرعية، فيجمع شتات هذا الموضوع، ويلمَّ شوارده، ويؤلف بين ما تناثر من فوائده، ويجمع ما تفرق من روائعه، فيسهل تناوله، والإفادة منه.

منهجية البحث

رغم أهمية هذا الموضوع، فلا أدعي أنني قد أحرزت قصب السبق في الكتابة فيه.

ولكنني أزعم أنني أول من جمع شتات فوائده، ولمِّ شوارده، في عقد منتظم، بحِكمٍ نافعة، وأسرارٍ ماتعة، أثمرت فوائد يانعة، ومعاني جامعة.

---

(١) الدقر، محمد، دار المعاجم، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

وقد انتهجت في مسيرتي لإعداد هذا البحث، المنهج الاستقرائي النظري، حيث قمت بجمع المادة العلمية بكل تتبع ودقة من مظانها ومصادرها، ثم استخدمت المنهج التحليلي الاستنباطي فحللت النصوص، واستنبطت العبر منها، وبنيت النتائج على المقدمات الصحيحة.

عملي في البحث

أولاً: اعتنيت بشرح مفردات العنوان، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية.

ثانياً: اعتنيت بالتمهيد لكل فصل من فصول الموضوع المراد شرحه، بما يعين على تصور المعنى، متوخياً ذكر التعريفات اللغوية والفقهية، مبيناً أهميته، ذاكراً أقوال الفقهاء وأدلتهم مع نسبة هذه الأقوال إلى قائليها، وتوثيق ذلك من كتبهم أو كتب علماء مذاهبهم.

ثالثاً: اعتنيت بالتزام الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائليها وبذل الجهد في نقل قول كل قائلٍ من كتابه ـ إن تمكنت من ذلك ـ وإلا عزوته إلى من نقل عنه.

رابعاً: حرصت على عرض مسائل البحث بأسلوب سهل، مبتعداً عن التطويل الممل، والإيجاز المخل.

خامساً: اعتنيت بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية المستشهد بها، مع تشكيل الآيات وكتابتها بالرسم العثماني، ووضعها بين قوسين على هذا النحو ﴿ ﴾ [اسم السورة: رقم الآية].

سادساً: اعتنيت بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها تخريجاً علمياً، وذلك برجوعي إلى أمَّات مصادر السُّنَّة النبوية الشريفة، من كتب الصحاح والسنن، والمسانيد والمصنفات، وذلك بذكر الكتاب، ثم الباب، ثم رقم الحديث، وإن لم أجد رقماً ذكرت الجزء والصفحة.

سابعاً: اعتنيت بتشكيل الأحاديث بغية ضبط الألفاظ كما جاءت عن ناطقها، وتسهيلاً لتناولها، وصيانة عن الوقوع في اللحن عند قراءتها[1].

ثامناً: إذا وجدت الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالاستدلال به. وإذا خرجته من غير الصحيحين بيَّنت الحكم عليه ـ غالباً، ولا ألتزم ذلك ـ، معتمداً على كتب الحديث المعتبرة.

تاسعاً: اعتنيت بذكر نسبة المؤلف، ووضعها بين قوسين صغيرين على هذا النحو: « »، ثم أذكر اسمه بخط أعرض بغية تمييزه، ثم أذكر اسم الكتاب الذي أنقل عنه كاملاً، مع ذكر دار النشر وتاريخ الطبعة إن وجد عند ذكره أول مرة.

عاشراً: اعتنيت بتعريف الألفاظ والمصطلحات الشرعية، والطبية، التي ترد في ثنايا البحث، وذلك بالرجوع إلى المصادر الفقهية، والأصولية، واللغوية، والطبية. كما اعتنيت بوضع صور توضيحية لبعض المسائل تعين على فهم المراد.

---

(١) وقد أخذ مني هذا العمل «تشكيل الأحاديث» وقتاً طويلاً، وجهداً كبيراً.

حادي عشر: اعتنيت بذكر تراجم الأعيان والأشخاص المذكورين في صلب الموضوع، ما عدا رواة الأحاديث من الصحابة، ولا أعتني بذكر ترجمة العلم الوارد في غير النقل. كما أنني لا ألتزم ترجمة الأعلام الأجنبية، أو غير المشهورة.

ثاني عشر: اعتنيت بربط المعلومات السابقة باللاحقة، وبالعكس، وذلك عن طريق الإحالات الهامشية.

ثالث عشر: اعتنيت باستعمال الهوامش وفق المنهج العلمي، وذلك في توثيق النصوص المقتبسة ونسبتها إلى أصحابها ومصادرها، وترجمة الأعلام، وتوضيح الغرائب وشرحها.

رابع عشر: اعتنيت باستخدام بعض الرموز طلباً للاختصار، وهي:

- هـ: تعني السنة الهجرية.
- م: تعني السنة الميلادية.
- ت: تعني تاريخ الوفاة.
- ط: تعني الطبعة.
- د.ط.: تعني بدون ذكر الدار.
- د.ت.: تعني بدون تاريخ.
- ص: تعني الصفحة.
- / : الخط المائل يعني يذكر الجزء أولاً، ثم رقم الصفحة.
- (...): تعني نصاً متقطعاً.
- م ـ ن: تعني المرجع والمصدر نفسه.

- م ـ س: تعني مصدر سابق.
- اهـ.: تعني انتهى.

خامس عشر: اعتنيت بفهرست الآيات القرآنية، حسب ترتيب السور في القرآن الكريم.

سادس عشرة: اعتنيت بذكر المصادر والمراجع على هذا النحو: أذكر نسبة المؤلف، ثم أذكر اسمه، ثم أذكر اسم الكتاب بخط أعرض، ثم الدار التي طبعته، وتاريخ الطبعة إن وجد، مرتِّباً أسماء المؤلِّفين حسب الترتيب الألفبائي[1].

سابع عشر: اعتنيت بفهارس تسهِّل الرجوع إلى المسائل، مرتِّباً حسب الترتيب الهجائي، وما شرحته أو عرَّفته في الهامش رمزت إليه بحرف «هـ» بعد رقم الصفحة.

ثامن عشر: وفي آخر الدراسة اعتنيت بتسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها.

وبعد هذا فإني لم آلُ جهداً، ولم أدخر وسعاً، في الغوص وراء فوائد هذا البحث واستنباطها، فقد بذلت فيه ما بوسعي، وأمضيت فيه سنين من عمري، محاولاً الوصول إلى المأمول ما استطعت، ولا أدعي الكمال، فقد وقعت في هذ البحث في صفاتٍ لا يخلو منها بشر، وهنَاتٍ لا يخلو منها باحث. ورغم المراجعة المتكررة «**للكتاب**» بقصد التحسين والتهذيب والتنضيج وتلافي الأخطاء، إلَّا أنه في كل مرة تظهر أخطاءٌ وتعديلات.

---

(١) أسقطت من الترتيب: أب، وابن، وابنة، وال التعريف.

وصدق من قال: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابه في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»[(١)].

أهم الصعوبات التي واجهتني

وقد واجهتني في كتابة البحث صعوبات أهمها:

١ ـ تشعب مادة الموضوع واتساعها؛ فكل فصل من فصوله يستحق أن يفرد ببحث مستقل؛ ما جعلني أتعب كثيراً في تحديد إطار البحث والمسائل المراد بحثها.

٢ ـ طبيعة الموضوع تحتم على الباحث النظر في كثير من العلوم المختلفة من الفقه وأصوله، وكتب المقاصد، والتفسير، والحديث، وكتب الطب، والمجلات، والدوريات؛ مما يجعل مهمة الباحث ليست سهلة.

٣ ـ عدم وجود كتابات سابقة متخصصة تُعْنى ببيان حِكمة التشريع في ضوء الأبحاث العلمية العصرية الحديثة، أعاق عملي وصعَّب مهمتي.

---

(١) تنسب هذه المقولة إلى القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني في رسالة أرسل بها إلى عماد الدين الأصفهاني. خليفة، حاجي «كشف الظنون»: (١/ ٤٢)، مطبعة وكالة المعارف، إستنبول، ط ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م.

٤ ـ عدم وجود مراجع طبية متخصصة في مكتبة الأزهر، والمكتبات البقاعية الأخرى، فتعبت كثيراً في الحصول عليها[١].

٥ ـ قلة بضاعتي في علم الطب سبَّب لي صعوبة في الوقوف على الفوائد ـ الصحية ـ المراد استنتاجها وإظهارها، مما دفعني لزيارة الأطباء والمتخصصين وسؤالهم[٢].

---

(١) وقد دفعني هذا إلى السفر إلى المملكة العربية السعودية، وزيارة هيئة الإعجاز العلمي؛ في مركز رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بتاريخ ٢٠/٠٦/٢٠١٠م. وقد وجدت من القائمين عليها ترحيباً قلَّ نظيره، وقدموا لي خدمةً يكافئهم ربي عليها، وقد حصلت على مجموعة مراجع أهمها: «الاستشفاء بالصلاة»، و«الصيام معجزة علمية». كما ذهبت إلى دمشق عدة مرات بقصد الحصول على مراجع.

(٢) **مراجعة الأطباء**: فقد قمت بزيارة إلى دمشق قابلت فيها الدكتور محمد الدقر بعيادته نزلة الطلياني، واستوضحته أموراً طبية تتعلق بالبحث، وهو مؤلف كتاب «روائع الطب الإسلامي»، ثم عدت لزيارته ثانية. ثم زرت الدكتور محمود البرشة في عيادته في الصالحية، واستوضحته أموراً تتعلق بفوائد الصوم «وهو متخصص بالباطنية وله تجارب رائدة في المعالجة بالصوم الطبي»، ثم عدت لزيارته في بيته في يعفور. ثم زرت الدكتور رضا أبو شاهين «المتخصص بالأعصاب» واستوضحته أموراً تتعلق بتأثير الوضوء على الجهاز العصبي، ثم زرت الدكتور عاصم عراجي المتخصص في «أمراض القلب والشرايين والضغط»، واستوضحته أموراً تتعلق بفائدة الصوم في تنشيط عضلة القلب، والدورة الدموية، والوقاية من الجلطة. ثم زرت الدكتور رياض الصيفي وأفدت من مراجعته لفصل الصوم.

خطة البحث

لقد اقتضت طبيعة الموضوع مني جعل البحث في: مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، على الشكل التالي:

أ ـ المقدمة: فقد بيَّنت فيها:

الإشكالية التي يطرحها البحث، وأهميته، وأسباب اختياره، ونقد الكتابات السابقة القديمة والحديثة فيه، وخطة البحث، ومنهجية البحث، وعملي فيه، وأهم الصعوبات التي واجهتني.

ب ـ التمهيد: في تعريف التشريع، والحكم، والخصائص العامة، ومصادر الشريعة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التشريع، والحكم الشرعي، وبيان متعلقات الأحكام.

المبحث الثاني: بيان الخصائص العامة للشريعة.

المبحث الثالث: مصادر الشريعة.

ج ـ الفصل الأول التأصيلي: في إثبات الحِكمة للشريعة، وعلاقة الحِكمة بالأصول، ولمحة تاريخية عن التأليف في حكمة التشريع، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحِكمة.

المبحث الثاني: أدلة ثبوت الحِكمة للشريعة.

المبحث الثالث: المقارنة بين الحِكمة وبين ما له صلة بها.

المبحث الرابع: حِكمة التشريع في صدر الإسلام.

المبحث الخامس: العلماء الذين صنفوا في حِكمة التشريع، وأهم المصنفات.

المبحث السادس: لمحة عامة عما ألف في مقاصد أجزاء الشريعة.

د ـ الفصل الثاني: في حِكمة تشريع الطهارة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الطهارة، وحِكمة تشريعها، وأقسامها.

المبحث الثاني: تعريف الاستنجاء، وحكمه، وحِكمته.

المبحث الثالث: تعريف الوضوء، وما يجب له، وفرائضه.

المبحث الرابع: حِكمة تشريع غسل أعضاء الوضوء.

المبحث الخامس: تعريف الغسل، وما يجب له وفرائضه.

المبحث السادس: حِكمة تشريع الاغتسال من الجنابة، والحيض، والنفاس، والموت.

هـ ـ الفصل الثالث: في حِكمة تشريع الصلاة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصلاة وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام.

المبحث الثاني: حِكمة تشريع الصلاة.

المبحث الثالث: حِكمة تخصيص أوقات الصلوات الخمس.

المبحث الرابع: حركات الصلاة رؤية تحليلية.

المبحث الخامس: حكمة الصلاة في علاج الأمراض.

المبحث السادس: شهادة غير المسلمين بالصلاة.

و ـ الفصل الرابع: في حِكمة تشريع الزكاة، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الزكاة، وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام.

المبحث الثاني: حِكمة تشريع الزكاة.

المبحث الثالث: حِكمة تشريع زكاة الفطر.

المبحث الرابع: سر عناية القرآن بمصارف الزكاة.

المبحث الخامس: شهادة غير المسلمين بالزكاة.

ز ـ الفصل الخامس: في حِكمة تشريع الصوم، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصوم، وأدلته، وشروطه.

المبحث الثاني: أنواع الصوم، وحِكمته.

المبحث الثالث: مكانة الصوم وأهميته في الإسلام.

المبحث الرابع: حِكمة تشريع الصوم.

المبحث الخامس: شهادة غير المسلمين بالصوم.

ح ـ الفصل السادس: في حِكمة تشريع الحج، والعمرة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحج، وأدلته، وشروطه، وأركانه، ومكانته في الإسلام، وأهميته في الإسلام.

المبحث الثاني: حِكمة تشريع الحج.

المبحث الثالث: حِكمة المواقيت، والإحرام، والتلبية، ومحظورات الإحرام، والطواف، والسعي، والتوجه إلى منى يوم التروية، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار، وذبح الهدي، والحلق، والمبيت بمنى، وطواف الوداع، والتفريق بين المناسك.

المبحث الرابع: تعريف العمرة، وفضلها، وحِكمة تشريعها.

المبحث الخامس: حِكمة زيارة المدينة المنورة.

المبحث السادس: شهادة غير المسلمين بالحج.

- **الخاتمة وفيها**: أهم نتائج البحث.

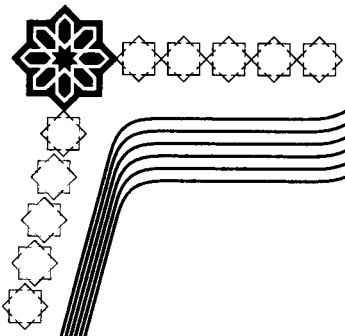

التمهيد
في
تعريف التشريع
والحكم والخصائص العامة للشريعة
و مصادر الشريعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التشريع، والحكم الشرعي، وبيان متعلقات الأحكام.

المبحث الثاني: بيان الخصائص العامة للشريعة.

المبحث الثالث: مصادر الشريعة.

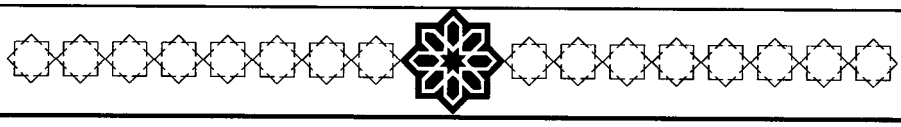

المبحث الأول

تعريف، التشريع، والحكم الشرعي، وبيان متعلقات الأحكام

تعريف التشريع

التشريع: لغةً واصطلاحاً

□ **أولاً: التشريع لغةً:**

مصدر شرَّع بتشديد الراء مضعف شَرَعَ بتخفيفها.

قال الأصفهاني[1]: «الشَّرْعُ نَهْجُ الطَّريقِ الواضِحُ».

يقال: شَرَعْتُ له طرِيقاً، والشرع مصدر ثم جعل اسماً للطريق النهج، فقيل له: شِرْعٌ وشَرْعٌ وشريعَةٌ، واستعير ذلك للطريقة

---

(١) الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، الأصفهاني (أو الأصبهاني) الملقب بالراغب. من كتبه: «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«معجم مفردات ألفاظ القرآن»، (ت: سنة ٥٠٢هـ)، الذهبي، محمد «سير أعلام النبلاء»: (١٣/ ٥٠٦)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الزركلي، خير الدين «الأعلام»: (٢/ ٢٥٥)، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م.

الإلٰهية[١].

ومادة «ش، ر، ع» فعلاً واسماً قد وردت في القرآن خمس مرات:

الأولى: وردت في صورة فعل ماضٍ في قوله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قال القرطبي[٢]: شرع: أي نهج وأوضح وبين المسالك[٣].

---

(١) الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص٢٩٠)، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، السايس، محمد «تاريخ الفقه الإسلامي»: (ص١٣)، دار الفرفور، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح، الأنصاري، الأندلسي، القرطبي، المفسِّر، من شيوخه: ابن رواج ظافر بن علي الأزدي المالكي، وأحمد بن عمر المالكي القرطبي، من مصنفاته: «الجامع لأحكام القرآن»، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، توفي في سنة إحدى وسبعين وستمائة. ابن فرحون «إبراهيم الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»: (ص٤٠٦، ٤٠٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الداوودي، محمد «طبقات المفسرين»: (٢/ ٦٩، ٧٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/ ١٣)، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. قال القرضاوي: «والمراد هنا ما يتعلق بالأصول لا بالفروع، وبالعقائد لا بالأعمال». القرضاوي، يوسف «دراسة في فقه مقاصد الشريعة»: (ص١٧)، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. قال القرطبي: «وهو توحيد الله =

الثانية: قوله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١][(١)].

الثالثة: قوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

الرابعة: قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا...﴾ [الجاثية: ١٨][(٢)].

الخامسة: قوله ﷻ: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الأعراف: ١٦٣].

والتشريع: إيراد الإبل شريعة، لا يحتاج معها إلى نزع بالعلق[(٣)] ولا سقي في الحوض[(٤)]. مأخوذ من الشريعة، وهي في

= وطاعته، والإيمان برسله وكتبه، وبيوم الجزاء، وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً. ولم يُرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها؛ فإنها متفاوتة مختلفة». القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»، م ـ س.

(١) وقد وردت في سياق ذم المشركين؛ حيث أعطوا لأنفسهم حق التشريع في الدين ولم يأذن الله لهم به. القرضاوي، يوسف، م ـ ن.

(٢) قال القرطبي: «أي منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق»، «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/ ١٦٠). يقول القرضاوي: «ويلاحظ أن هذه الكلمة «شريعة» لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضع، من سورة الجاثية، وهي مكية؛ أي: قبل نزول آيات الأحكام والتشريعات وما يتعلق بها. فهذه إنما نزلت في المدينة». القرضاوي، يوسف، م ـ س: (ص١٨).

(٣) **العلق**: اسم جامعٌ لجميع آلات الاستِقاء بالبكرة. ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٠/ ٢٦٦)، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٤) الفيروزآبادي، محمد «القاموس المحيط»: (ص٩٤٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

أصل اللغة تطلق على الطريق الظاهر الذي يوصل منه إلى الماء، وتطلق على مورد الشاربة[١] الذي يشرعه الناس؛ أي: ينحدرون منه ويستقون، والعرب لا تسمي ذلك الموضع شريعة حتى يكون عِدّاً لا انقطاع له. ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرِّشاء.

وشرع إبله وشرَّعها: أوردها شريعة الماء فشربت ولم يستق لها. وفي المثل: أهون السقي التشريع[٢].

◻ ثانياً: التشريع اصطلاحاً:

لفظ التشريع في اصطلاح الشرعيين له معنيان:

الأول: وضع شريعة مبتدأة. يقول ابن كثير[٣]: «الشرعة

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٥٤٣)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) وذلك لأن مُوْرِدَ الإبل إذا وَرَدَ بها الشريعة لم يتعب في إسقاء الماء لها، وهذا أهون السقي وأسهله مقدور عليه لكل أحدٍ، إنما السقي التام أن ترويها. الجوهري، إسماعيل، م ـ ن، العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية»: (ص١٩)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٣) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء، الحافظ والمفسر والمؤرخ، الفقيه الشافعي، ولد سنة (٧٠١هـ) في بصرى، من شيوخه: أبو الحجاج المزي، وابن تيمية، وغيرهم. من مؤلفاته: «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن العظيم». (ت: سنة ٧٧٤هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية بدمشق. ابن حجر، أحمد «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»: (١/ ٢١٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، الداوودي، محمد «طبقات المفسرين»: (١/ ١١١، ١١٢، ١١٣).

والشريعة: ما يبتدأ فيه إلى شيء، ومنه يقال: شرع في كذا؛ أي: ابتدأ فيه»[(١)].

الثاني: استمداد حكم من شريعة قائمة؛ سواء أكان استمداده من نص من نصوصها؛ أم من دليل من دلائلها؛ أم من مبادئها وروحها. والتشريع في كلا المعنيين مصدر.

ولكن إنشاء التشريع في الإسلام بالمعنى الأول لا يملكه حقيقة إلا الله ﷻ. وأما بالمعنى الثاني فهو مجاز لا حقيقة؛ لأن المستنبط يكشف عن حكم موضوع لا إنشاء حكم جديد.

والتشريع بهذا المعنى ـ أي: المعنى الثاني ـ هو سن الأحكام والقوانين يرادف الاجتهاد الذي هو بذل الجهد في طلب الحكم الشرعي من دليل من الأدلة الشرعية[(٢)].

❐ وأما الشريعة في الاصطلاح:

فإنها تطلق على الأحكام التكليفيَّة العملية. ولعل علماءنا الأجلاء أخذوا هذا الإطلاق من قوله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل «تفسير القرآن العظيم»: (٢/ ٦٣)، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) السايس، محمد «تاريخ الفقه الإسلامي»: (ص١٣، ١٤)، العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة»: (ص٢١).

قال قتادة[١]: «الشريعة الأمر والنهي، والحدود والفرائض».

وقال مقاتل[٢]: «البيِّنة؛ لأنها طريق إلى الحق»[٣].

قال ابن الأثير[٤]: «الشرع والشريعة»: هو ما شرع الله

---

(١) قتادة: أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي، البصري، ولد سنة (٦٠هـ)، كان ثقة مأموناً حجة في الحديث. (ت: سنة ١١٧هـ) بواسط. ابن سعد، محمد «الطبقات الكبرى»: (٧/ ١٧١، ١٧٢، ١٧٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) مقاتل: ابن سليمان البَلْخي، أبو الحسن، كبير المفسرين، يروي ـ على ضعفه البيِّن ـ: عن مجاهد، وعطاء، ويروي عنه: ثابت البناني، والضحاك، وخَلْق. قال الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل. (ت: ١٥٠هـ). قال البخاري: مقاتل لا شيء ألبتة. قال الذهبي: أجمعوا على تركه. البخاري، محمد «التاريخ الكبير»: (٨/ ١٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، د ـ ت، الذهبي، محمد «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»: (٦/ ٥٠٥، ٥٠٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) القرطبي، أحمد «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/ ١٦٠).

(٤) ابن الأثير: أبو السعادات، المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد، الشيباني، الموصلي، المعروف بابن الأثير الجزري، الشافعي، الملقب مجد الدين، ولد بجزيرة ابني عمر ـ بلدة فوق الموصل ـ سنة (٥٤٤هـ) ونشأ بها، أخذ عن أئمة منهم: سعيد بن المبارك الدَّهان، وحي بن سعدون القرطبي، من مصنفاته: «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، و«النهاية في غريب الحديث» (ت: سنة ٦٠٦هـ) بالموصل. القفطي، علي «إنباه الرواة على أنباه النحاة»: (٣/ ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩)، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م، ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: (٤/ ١٤١، ١٤٣)، دار الفكر، بيروت، د.ت.

لعباده من الدين؛ أي: سَنَّه لهم وافترضه عليهم. يقال: شرع لهم يشرع شرعاً فهو شارع، وقد شرع الله الدين شرعاً إذا أظهره وبيَّنه[١]. وعرَّفها بعضهم: بأنها عبارة عن الأحكام التي سنَّها الله لعباده ليكونوا مؤمنين عاملين على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة[٢].

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي

إن الشريعة ـ وكما بيَّنّا ـ المقصود بها في اللغة مورد الماء، أو الطريق الذي يوصل إلى الماء. والمقصود بها شرعاً، ما شرع الله لعباده من الدين[٣].

فيظهر أن الجامع المناسب بينهما هو حصول المنفعة في كلٍ.

قال الأصفهاني: قال بعضهم: سُمِّيَتْ هذه الشريعة شريعة تشبيهاً لها بشريعة الماء، من حيث إن من شَرَعَ فيها على الحقيقة المصدوقة رَوِيَ وتَطَهَّر. قال: وأعني بالرِّي ما قال بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى؛ فلما عرفت الله ﷻ رويت بلا شرب. وبالتَّطَهُّر ما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ

(١) ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٢/ ٤١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
(٢) السايس، محمد «تاريخ الفقه الإسلامي»: (ص١٣).
(٣) القرطبي، أحمد «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/ ١٦٠).

أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣][١].

فشريعة الماء سبيل إلى حياة الأبدان، وشريعة الله سبيل إلى حياة النفوس وغذاء العقول[٢].

الفرق بين الشريعة والتشريع

ذكرنا في تعريف التشريع أن له معنيين:

أحدهما: وضع شريعة مبتدأة. وعلى هذا فالتشريع سن الشريعة وبيان الأحكام، وإنشاء القوانين. والتشريع بهذا المعنى لم يكن إلا في حياة رسول الله ﷺ ومنه فقط. إذ لم يجعل الله لأحد غير نبيه سلطة التشريع[٣].

الثاني: استمداد حكم من شريعة قائمة؛ سواء أكان استمداده من نص من نصوصها؛ أم من أي دليل من دلائلها؛ أم من مبادئها وروحها. وعلى هذا فالتشريع بالمعنى الأول يخالف الشريعة. أما بالمعنى الثاني فتكون كلمة التشريع مرادفة ومساوية لكلمة الشريعة[٤].

---

(١) الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص٢٩٠، ٢٩١).
(٢) السايس، محمد «تاريخ الفقه الإسلامي»: (ص١٣).
(٣) السايس، محمد، م ـ ن، العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة»: (ص٢١).
(٤) العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة»: (ص٢١).

كلمة «الشريعة» في إطلاقنا اليوم

يقول الشيخ القرضاوي[١]: نرى في إطلاق العلماء كلمة «الشريعة» أنها تعني أحد مفهومين:

الأول: الدين كله، بعقائده وشعائره، وآدابه، وأخلاقه، وتشريعاته. وهو معنى الفقه عند الأحناف[٢].

ومعناها: أنها تشمل الأصول والفروع، والعقيدة والعمل، والنظر والتطبيق، فهي تشمل جانب الإيمان والعقيدة كلها. كما تشمل غيرها من العبادات والمعاملات والسلوكيات، مما جاءت به رسالة الإسلام، وتضمنه القرآن والسُّنَّة وشرحه علماء العقائد والفقه والسلوك.

يقول التهانوي[٣]: «الشرع ما شرع الله لعباده من الأحكام التي

---

(١) القرضاوي: يوسف بن عبد الله، فقيه معاصر، ولد في مصر بتاريخ ١٩٢٦/٩/٩م، حفظ القرآن وجوَّده وهو دون العاشرة، حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣م من الأزهر، يعمل حالياً مديراً لمركز السيرة التابع لجامعة قطر، له تصانيف منها: «فقه الزكاة»، و«دراسة في فقه مقاصد الشريعة». عبد القادر، خالد «فقه الأقليات المسلمة»: (ص٢٦٩)، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، طرابلس ـ لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) الفقه عند الأحناف: معرفة النفس ما لها وما عليها. التفتازاني، مسعود «التلويح إلى كشف حقائق التنقيح»: (١/ ٣١)، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣) التهانوي: محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي، الحنفي، التهانوي، من أئمة القرن الثاني عشر للهجرة، لغوي مشارك في بعض العلوم، من أهل الهند. =

جاء بها نبي من الأنبياء، سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمى فرعية عملية، ودون لها علم الفقه، أو بكيفية اعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية، ودون لها علم الكلام»[١]. ويقول ابن تيمية[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «. . . اسم الشريعة والشرع والشرعة فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال»[٣].

= والتهانوي: نسبة إلى مسقط رأسه «تهانه بهون» أخذ عن والده الملقب بقطب الزمان. من آثاره: «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم»، و«سبق الغايات في نسق الآيات في علوم القرآن». توفي بعد سنة (١١٥٨هـ). كحالة، عمر «معجم المؤلفين»: (٣/ ٥٣٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، الزركلي، خير الدين «الأعلام»: (٦/ ٩٥).

- http://www.arabency.com/ index.php?module = pnEncyclopediafunc = display_termid = 14735.

(١) التهانوي، محمد «كشاف اصطلاحات الفنون»: (٣/ ٧٥٩)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) ابن تيمية: أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحراني، الدمشقي، الحنبلي، ولد بحران سنة (٦٦١هـ)، تفقه في مذهب الإمام أحمد، من شيوخه: المجد بن عساكر، وابن عبد الدايم، وغيرهم. برع في فنون كثيرة، وأتقن العربية، أوذي في ذات الله اعتقل وسجن. له تصانيف كثيرة منها: «منهاج السُّنَّة النبوية»، و«درء تعارض العقل والنقل»، (ت: سنة ٧٢٨هـ). الذهبي، أحمد «معجم شيوخ الذهبي»: (ص٤١، ٤٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ابن رجب، عبد الرحمٰن «ذيل طبقات الحنابلة»: (٢/ ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) ابن تيمية، أحمد «مجموع فتاوى شيخ الإسلام»: (١٩/ ٣٠٦).

الثاني: الجانب التشريعي العملي في الدين، مثل: العبادات، والمعاملات يشمل: شؤون الصلة بالله ﷻ والتعبد له، كما يشمل شؤون الأسرة وشؤون المجتمع، وشؤون الأمة الكبرى، وشؤون الدولة والحكم وشؤون العلاقات الدولية. وهو المجال الذي يعمل فيه الفقه الإسلامي بكل مذاهبه، وفي شتى أبوابه[1]. ـ وهو ميدان عملي في هذا البحث إن شاء الله ـ.

❁ ❁ ❁

(١) القرضاوي، يوسف «دراسة في فقه مقاصد الشريعة»: (ص١٩، ٢٠).

تعريف الحكم الشرعي

الحكم الشرعي: لغةً واصطلاحاً

سبق وذكرنا أن المراد بالشريعة الأحكام المشروعة[١]، ولما كانت الشريعة بهذا المعنى ناسب أن نبيِّن حقيقة الحكم الشرعي عند الأصوليين، وأقسامه، مع بيان أنواع كل واحد منها باختصار.

□ أولاً: الحكم لغةً:

الحُكْمُ في اللغة: هو المَنْعُ، ومنه قيل للقضاء: حُكْم لأنه يَمْنَعُ مِنْ غَيْرِ المقضي، تقول: حَكَمَهُ كنَصَرهُ وأَحْكَمَهُ كأكرمه، وحكَّمه بالتضعيف بمعنى منعه.

ومن الحُكْمِ بمعنى المنع: حَكَمَة اللِّجام؛ وهي: ما أحاط بحنكي الدابة، سمِّيت بذلك لأنها تمنعها من الجري الشديد، والحَكَمَةُ أيضاً: حديدة في اللِّجام، تكون على أنف الفرس وَحَنَكِهِ، تمنعه من مخالفة راكبه. ويأتي الحُكْمُ بمعنى العِلمِ والفقهِ والقضاءِ بالعدل، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ[٢].

---

(١) انظر: (ص٤٣).

(٢) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٢٥٢)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٢/ ١٤١، ١٤٤)، الزبيدي، محمد «تاج العروس»: =

ومن هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم. وحَكَمَهُ وأَحْكَمَهُ: منعه مما يريد. ويقال: حَكَمْتُ السفيه وأَحْكَمْتُهُ إذا أخذت على يده[١].

◻ ثانياً: الحكم اصطلاحاً:

هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه مثل: زيد قائم، وعمر ليس بقائم. أو إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً[٢].

❁ ❁ ❁

= (١٦/ ١٦١، ١٦٢)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(١) ومنه قول جرير:

بني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

ابن عطية، جرير «ديوان جرير»: (ص٤٦٣)، دار الأرقم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٢٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٠)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم بجدة، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م. وهذا تعريف للحكم في العرف العام اللغوي.

أقسام الحكم

وهذا تعريف لمطلق الحكم، إذ إن الحكم بالاستقراء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **حكم عقلي**، وهو ما يتعرف فيه العقل نسبة أمر لأمر أو نفيه عنه. مثل الكل أكبر من الجزء، والجزء ليس أكبر من الكل.

٢ ـ **حكم عادي**، وهو ما عُرفت فيه النسبة بالعادة. مثل: الماء مروٍ.

٣ ـ **حكم شرعي**، وهو المقصود في هذا المقام.

❐ تعريف الحكم الشرعي:

وحدَّه جماعة من أهل الأصول: بأنه «**خطاب الله المتعلق بالمكلف من حيث إنه مكلف به**»[(١)].

---

(١) الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٠)، السبكي، محمد «تشنيف المسامع بجمع الجوامع»: (١/ ٤٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

أما الحكم عند الفقهاء: فهو مدلول خطاب الشرع؛ أي: أثر خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير. مثل الوجوب للصلاة فهو أثر لخطاب الله ﷻ، وهو قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. ابن النجار، محمد «شرح الكوكب المنير»: (١/ ٣٣٣)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، محمد، =

وفي هذا التعريف ثلاثة قيود:

القيد الأول: «خطاب الله» إذ التشريع والحكم لا يكون إلا بخطاب الله، وكل تشريع من غيره فهو باطل.

قال ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

القيد الثاني: «المتعلق بفعل المكلف» خرج به خمسة أشياء:

١ ـ ما تعلق بذاته سبحانه، نحو قوله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

٢ ـ ما تعلق بصفته سبحانه، نحو قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣ ـ ما تعلق بفعله سبحانه، نحو قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

٤ ـ ما تعلق بذات المكلفين، نحو قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

٥ ـ ما تعلق بالجمادات، نحو قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧].

القيد الثالث: «من حيث إنه مكلف به» خرج بذلك خطاب الله المتعلق بفعل المكلف لا من حيث إنه مكلف به، كقوله ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢]. فهذا خطاب من الله متعلق بفعل

= علي «الحكم الشرعي عند الأصوليين»: (ص٤٨)، ط دار السلام، القاهرة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

المكلف من حيث إن الحفظة يعلمون، وهذا ما يسمى بخطاب التكوين[1].

والخطاب المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف به لا يخلو عن ثلاثة أمور:

الأول: أن يرد فيه اقتضاء وطلب، وهذا يشمل الأقسام الأربعة: الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه.

الثاني: أن يرد فيه التخيير، وهذا هو القسم الخامس لأحكام التكليف: المباح.

الثالث: ألا يرد فيه اقتضاء ولا تخيير، فهذا هو خطاب الوضع، وذلك بأن يرد الخطاب بنصب سبب، أو مانع، أو شرط، أو كون الفعل رخصة، أو عزيمة، وغير ذلك.

ويسمى ما ورد بالاقتضاء أو التخيير خطاب التكليف.

فتبين بذلك أن الحكم الشرعي[2] عند الأصوليين قسمان: حكم تكليفي، وحكم وضعي، ولكل منهما أقسام:

---

(١) **خطاب التكوين:** هو الذي لا يطلب به سبحانه فعلاً من المخاطب. ويخلقه بدون فعل من المخاطب، أو قدرة، أو وجود له. ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (٨/ ١٨٢)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٠، ١١)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص٢٩٢، ٢٩٣)، دار ابن الجوزي، الدمام ـ المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) راجع الحكم عند الفقهاء: (ص٤٨)، هامش (١).

الحكم التكليفي

الحكم التكليفي: لغةً واصطلاحاً

أ ـ الحكم التكليفي لغةً: إلزام الكلفة على المخاطب[١].

ب ـ الحكم التكليفي اصطلاحاً: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير.

أقسام الحكم التكليفي

وأقسامه خمسة عند جمهور الأصوليين:

١ ـ الواجب

أ ـ في اللغة: اللازم والساقط، قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: سقطت جنوبها إلى الأرض. ووجب الميت: إذا سقط ومات، ويقال للقتيل: واجب[٢].

---

(١) الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص٩٠).

(٢) قال الشاعر:

أطاعت بنو عوف أميراً نهاهم عن السلم حتى كان أول واجب

الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١١٢٤)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١/ ٧٩٣، ٧٩٤).

ب ـ في الاصطلاح: ما يذم تاركه شرعاً على بعض الوجوه[١].

❐ أقسام الواجب:

ينقسم الواجب إلى أربعة أقسام:

الأول: باعتبار ذاته:

أ ـ واجب معين: لا يقوم غيره مقامه كالصوم والصلاة.

ب ـ وإلى مبهم في أقسام محصورة: فهو واجب لا بعينه كواحدة من خصال الكفارة في قوله ﷻ: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ

---

(١) **هذا التعريف**: هو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني، وفائدة قوله: على بعض الوجوه: ليدخل في الحد «الواجب المخير»؛ لأنه يلام على تركه إذا تركه مع بدله، و«الواجب الموسع» لأنه يلام على تركه إذا تركه في كل الوقت، و«الواجب على الكفاية»؛ لأنه يلام على تركِه ـ إذا تَرَكَهُ الكُل ـ ولا فرق بين الواجب والفرض عند جمهور أهل الأصول. الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (١/ ٩٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
وأما الحنفية: فخصصوا اسم «الفرض» بما عرف وجوبه بدليل قاطع، و«الواجب» ما عرف وجوبه بدليل مظنون. وقال الإخسيكي: «الواجب: ما ثبت وجوبه بدليل فيه شبهة»، وثمرة الخلاف في الواجب والفرض: من حيث ثبوته لا من حيث مدلوله، فتجب إقامته بالبدن لا علماً باليقين؛ لأن دليله لا يوجب اليقين، ولزوم الاعتقاد مبني على الدليل اليقيني. فلا يكفر جاحد الواجب، ويفسَّق تاركه إذا استخف بأخبار الآحاد؛ بأن لا يرى العمل بأخبار الآحاد واجباً. فرفور، ولي الدين، المذهب في أصول المذهب على المنتخب، للإخسيكي، محمد (١/ ٣٧٠، ٣٧١)، دار الفرفور، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

﴿أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]. فالواجب واحد منها لا بعينه، فأي واحد أتى به الحانث أجزأه.

الثاني: باعتبار وقته:

أ ـ واجب مضيق: وهو ما لا يسع وقته أكثر من فعله كصوم رمضان.

ب ـ واجب موسع: وهو ما يسع وقته أكثر من فعله كالصلوات الخمس.

الثالث: باعتبار فاعله:

أ ـ واجب عيني: وهو ما ينظر فيه الشارع إلى ذات الفاعل كالصلاة والزكاة والصوم؛ لأن كل واحد تلزمه بعينه طاعة الله ﷻ.

ب ـ واجب على الكفاية: وهو ما ينظر فيه الشارع إلى نفس الفعل، بقطع النظر عن فاعله، كدفن الميت، وإنقاذ الغريق ونحو ذلك.

الرابع: باعتبار فعله في وقته:

أ ـ أداء: بأن يوقع الفعل في الوقت المعين له كاملاً مستوفياً لشروطه وأركانه.

ب ـ قضاء: كمن ترك صلاة الظهر حتى فات وقتها فصلاها بعد ذلك، فهذا قضاء[1].

---

(١) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ٧٩ ـ ٨٤)، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، الزركشي، محمد «البحر =

٢ ـ المندوب

أ ـ في اللغة: المدعو إليه، والندب الدعاء إلى الفعل، يقال: ندبه لأمر فانتدب له؛ أي: دعاه له فأجاب[١].

ب ـ في الاصطلاح: الذي يكون فعله راجحاً على تركه في نظر الشرع، ويكون تركه جائزاً.

ويقال له: مُرغَّبٌ فيه، ومستحبٌّ، ونفلٌ، وتطوعٌ، وإحسانٌ، وسُنَّةٌ[٢].

□ أقسام المندوب:

ينقسم المندوب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مندوب فعله على وجه التأكيد:

وهو الفعل الذي لا يستحق تاركه العقاب، ولكن يستحق اللوم والعتاب، مثل: الأفعال المكمِّلة للواجبات الدينية؛ كالأذان، والإقامة، وكذا كل ما واظب عليه الرسول ﷺ من الأمور الدينية، ولم يتركه إلا نادراً. ويسمى هذان النوعان بالسُّنَّة المؤكدة أو سُنَّة

= المحيط في أصول الفقه»: (١/ ١٤٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، الشوكاني، علي «إرشاد الفحول»: (١/ ٧٣)، دار الفضيلة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٣، ١٤، ١٥).

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١٠٣٠)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١/ ٧٥٤).

(٢) الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (١/ ١٠٢ ـ ١٠٤).

الهدى. وحكم هذا القسم: أن فاعله يستحق الثواب، وتاركه لا يستحق العقاب ولكن يستحق اللوم والعتاب. وإذا كان من الشعائر الدينية كالأذان والجماعة واتفق أهل البلدة على تركه؛ وجب قتالهم لاستهانتهم بالسُّنَّة.

الثاني: مندوب مشروع فعله:

وفاعله يثاب، وتاركه لا يستحق عقاباً، ولا عتاباً، ولا لوماً، كالأمور التي لم يواظب عليها الرسول ﷺ وإنما فعلها مرة أو أكثر وتركها، مثل صلاة أربع ركعات قبل صلاة العشاء، ومثل جميع التطوعات، كالتصدق على الفقراء، أو صيام يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع. ويسمى هذا القسم فضلاً أو مستحباً.

الثالث: مندوب زائد:

أي: من الكماليات للمكلف، كالأمور العادية التي فعلها الرسول ﷺ بحسب العادة، كالاقتداء بأكل الرسول وشربه، واتباع طريقته في مشيه ونومه ولبسه ونحو ذلك. ويسمى هذا القسم: سُنَّة زوائد، ومستحباً، وأدباً، وفضيلة[1].

---

(١) وهذا التقسيم عند الحنفية، أما عند غيرهم فلم يفرقوا بين أقسام السُّنَّة. الزحيلي، وهبة «أصول الفقه»: (١/ ٨٤، ٨٥)، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، وانظر: فرفور، ولي الدين «المذهب في أصول المذهب على المنتخب»: (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٩). وعند الجمهور المندوب: سُنَّة، ونافلة، ومستحب، وتطوع، ومَرْغَّب فيه، وإحسان، فهي أسماء مترادفة. الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (١/ ١٠٣، ١٠٤)، الزركشي، محمد «البحر المحيط في أصول الفقه»: (١/ ٢٢٩).

٣ ـ الحرام

أ ـ في اللغة: الممنوع منه. والمنع إما يكون بتسخير إلٰهي، وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل، أو من جهة من يرتسم أمره[١].

ب ـ في الاصطلاح: الذي يذم فاعله شرعاً[٢].

◻ أقسام الحرام:

ينقسم الحرام إلى قسمين:

الأول: حرامٌ لذاته:

وهو ما حكم الشارع بتحريمه ابتداءً ومن أول الأمر، وذلك لما اشتمل عليه من مفسدة راجعةٍ إلى ذاته كالزنا، والسرقة، والصلاة بغير طهارة... فالتحريم واردٌ هنا على الفعل نفسه لا لشيء آخر.

الثاني: حرامٌ لغيره:

وهو ما يكون مشروعاً في الأصلِ واقترن به عارضٌ اقتضى تحريمه، كالصلاة في ثوب مغصوب، والبيع الذي فيه غش، أو البيع وقت النداء لصلاة الجمعة[٣].

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٢٢٧)، الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات القرآن»: (ص١٢٨)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٢/ ١٢٩).

(٢) الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (١/ ١٠١).

(٣) التفتازاني، مسعود «التلويح إلى كشف حقائق التنقيح»: (٢/ ٢٧٥، ٢٧٦)، الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ٨٧، ٨٨).

٤ ـ المكروه

أ ـ في اللغة: المبغض، فكل بغيض إلى النفوس فهو مكروه[١].

ب ـ في الاصطلاح: ما نهى عنه الشارع نهياً غير جازم[٢].

◻ أقسام المكروه:

ينقسم المكروه إلى قسمين:

١ ـ المكروه تحريماً:

وهو ما طلب الشارع تركه على وجه الحتم والإلزام بدليل ظني كأخبار الآحاد، مثل: البيع على بيع الغير، والخِطبة على خِطبة الغير، فكلاهما مكروه تحريماً لقول الرسول ﷺ: «**وَلا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ**»[٣]. وهذا دليل ظني لثبوتهِ بخبر الواحد.

---

(١) ابن منظور، محمد، م ـ س: (١٣/ ٥٣٤، ٥٣٦)، الفيروزآبادي، محمد «القاموس المحيط»: (ص١٦١٦).

(٢) الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٢٥).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب البيوع، باب لا يبع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك: (ح٢١٤٠)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك: (ح٣٤٤١)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

ويتميز المكروه التحريمي عن الحرام: في أن الحرام هو ما طلب الشارع تركه على وجه الحتم والإلزام بدليل قطعي: كالآيات القرآنية، والسنن المتواترة أو المشهورة؛ كالسرقة، والربا، ولبس الحرير والذهب للرجال. والحرام يكفر منكره، أما المكروه التحريمي: فلا يكفر منكره.

٢ ـ المكروه تنزيهاً:

وهو ما طلب الشارع تركه لا على وجه الحتم والإلزام، كأكل لحوم الخيل للحاجة إليها في الحروب، والوضوء من سؤر الهرة، وفي الجملة السنن المؤكدة وغيرها[١].

---

(١) التفتازاني، مسعود «التلويح على كشف حقائق التنقيح»: (٢/ ٢٧٧)، الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ٩١، ٩٢). وهذا التقسيم للمكروه جارٍ على مذهب الحنفية، أما الشافعية: فالمكروه عندهم: لفظ مشترك بين معانٍ ثلاثة:

أحدها: المحظور، فكثيراً ما يقول الشافعي: أكره كذا وهو يريد التحريم.

الثاني: ما نهي عنه نهي تنزيه، وهو الذي أَشْعَرَ بأنَّ تركه خير من فعله ولم يكن عليه عقاب.

الثالث: ترك ما هو الأولى ولم ينه، كترك صلاة الضحى مثلاً، لا لنهي ورد عنه، ولكن لكثرة فضله وثوابه قيل فيه إنه مكروهٌ تركه.

الرابع: ما وقعت الريبة والشبهة في تحريمه، كلحم السبع، وقليل النبيذ. قال الغزالي: وهذا فيه نظر. الغزالي، محمد «المستصفى»: (١/ ١٣٠) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (١/ ١٠٤).

٥ ـ المباح

أ ـ في اللغة: خلاف المحظور وهو ما ليس دونه مانع يمنعه[١].

ب ـ في الاصطلاح: الذي ورد الإذن من الله ﷻ بفعله وتركه، غير مقرون بذم فاعله أو مدحه[٢].

□ أقسام الإباحة:

تنقسم الإباحة إلى قسمين:

الأولى: إباحة شرعية:

أي: عرفت من قبل الشرع، كإباحة الجماع في ليالي رمضان المنصوص عليه بقوله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) ومنه قول الشاعر:

ولقد أبحنا ما حميت ولا مبيح لما حمينا

الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١١٥)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٢/٤١٦)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٢١).

(٢) الغزالي، محمد «المستصفى من علم الأصول»: (١/١٢٩)، وتستفاد الإباحة من: لفظ الإحلال، ورفع الحرج، ونفي الجناح، والإذن، والعفو، والتخيير، وغير ذلك. ابن القيم، محمد «بدائع الفوائد»: (٤/٦)، الزركشي، محمد «البحر المحيط في أصول الفقه»: (١/٢٢٢، ٢٢٣)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص٣١٤).

الثانية: إباحة عقلية:

وتسمّى في الاصطلاح: البراءة الأصلية، والإباحة العقلية، والاستصحاب[١] وذلك لأنَّ طَلَبَ الفعل إن كان جازماً: فهو الإيجاب. وإن كان غير جازم: فهو الندب. وإنَّ طَلَبَ التَّركِ إنْ كان جازماً: فهو التحريم. وإن كان غير جازم: فهو الكراهة، وإنْ خُيِّرَ المكلَّفُ بين الفعل والترك: فهذه هي الإباحة. وبذلك صارت الأقسام خمسة[٢].

قال القرافي[٣]: وسمِّيت هذه الأحكام خطاب تكليف تَوَسُّعَاً

---

(١) **ومن فوائد الفرق بين الإباحتين الشرعية والعقلية:**
أ ـ أن رفع الإباحة الشرعية يسمى نسخاً؛ لأنها حكم شرعي، أما رفع الإباحة العقلية فلا يعد نسخاً لأنها ليست حكماً شرعياً بل هي حكم عقلي.
ب ـ أن العقد والشرط يرفع موجب الاستصحاب ولا يكون ذلك من تغيير ما شرع الله، لكنهما لا يرفعان ما أوجبه كلام الشارع من الإباحة والحل. الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٢١)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص٣١٤).

(٢) القرافي، أحمد «تنقيح الفصول»: (ص٣٣)، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، دار الفكر، الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (١/ ٨٩، ٩٣)، ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ٧٧).

(٣) القرافي: شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمٰن، الصنهاجي، البَهْفَشِيمي، البَهْنَسي، القرافي، المالكي، أخذ كثيراً عن عز الدين بن عبد السلام الشافعي، وعن محمد بن عمران الكَوكي. =

في العبارة؛ فإن التكليف من الكُلْفَةِ والمشَقَّةِ، وذلك إنما يتحقق في الواجب: لِلْكُلْفَةِ في فعله، وما عداهما لا كُلْفَةَ في فعله ولا في تركه؛ لأن الكُلْفَةَ: هي العقوبة الربانية؛ وهي لا توجد في غيرهما، ولذلك قيل: الصبي غير مكلف، وإن كان مندوباً للحج والصلاة على الأصح، فغلب لفظ التكليف على الثلاثة تجوزاً وتوسُّعاً[1].

❁ ❁ ❁

= من مصنفاته: «التنقيح» في الأصول و«الذخيرة» في الفقه و«القواعد» الذي لم يسبق إلى مثله (ت: سنة ٦٨٤هـ)، ودفن بالقرافة في مصر القديمة. ابن فرحون، إبراهيم «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»: (ص١٢٨، ١٢٩).

(١) القرافي، أحمد «تنقيح الفصول»: (ص٣٣).

الحكم الوضعي

الحكم الوضعي: لغةً واصطلاحاً

◻ أ ـ الحكم الوضعي لغةً:

الوضع لغة من وَضَعْتُ الشيءَ من يدي وَضْعَاً ومَوْضُوعاً[١]؛ إذا ألقيته[٢]، وهو: ضِدُّ الرَّفعِ، وضَعَهُ، يَضَعُه، وَضْعاً، ومَوْضُوعاً[٣]. وهو: الإبطالُ، والحَطُّ، والإسقاطُ، والإمهالُ، والكفُّ[٤]، والاتفاقُ والاختلافُ والالتزامُ[٥]. والجمع: أوضاعٌ[٦].

◻ ب ـ الحكم الوضعي اصطلاحاً:

وهو «خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالوضع»[٧].

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١١٤٥).
(٢) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٨/ ٣٩٦).
(٣) ابن منظور، محمد، م ـ ن.
(٤) ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٥/ ١٧٢)، ابن منظور، محمد، م ـ س: (٨/ ٣٩٧).
(٥) ابن الأثير، المبارك، م ـ س.
(٦) ابن منظور، محمد، م ـ س: (٨/ ٣٩٦).
(٧) **معنى خطاب الوضع**: أن الشرع وضع: أي: شرع أموراً سمِّيت أسباباً، =

وأقسامه ثلاثة:

أقسام الحكم الوضعي

١ ـ السبب

أ ـ في اللغة: كل ما يتوصل به إلى غيره، ومنه سمِّي الحبل سبباً، والطريق سبباً؛ لإمكان التوصل بهما إلى المقصود[(١)].

ب ـ في الاصطلاح: كل وصف ظاهر منضبط دل الدليل السمعي على كونه معرِّفاً لحكمٍ شرعي[(٢)].

□ أقسام السبب:

ينقسم السبب من حيث القدرة على فعله إلى قسمين:

الأول: وهو ما كان فعلاً للمكلف مقدوراً له كالقتل العمد، فإنه سبب لوجوب القصاص من القاتل، وعقد البيع، أو الزواج، أو الإجارة، أو غيرها؛ أسباب لأحكامها.

الثاني: وهو ما كان أمراً غير مقدور للمكلف وليس من أفعاله،

= وشروطاً، وموانع، تُعرف عند وجودها أحكام الشرع من إثبات أو نفي. فالأحكام توجد بوجود الأسباب والشروط، وتنتفي لوجود الموانع وانتفاء الأسباب والشروط. ابن بدران، عبد القادر «نزهة الخاطر العاطر»: (١/ ١٢٩)، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

(١) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١/ ٤٥٨).

(٢) الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (١/ ١٧٠)، دار ابن حزم، ط٢٤، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

كدخول الوقت لإيجاب الصلاة، والقرابة للإرث، والصغر لثبوت الولاية على الصغير[١].

٢ ـ الشرط

أ ـ في اللغة: العلامة ـ ومنه أشراط الساعة، ومنه سمي الشُّرَط لأنهم ذوو علامة يعرفون بها[٢].

ب ـ في الاصطلاح: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، وكان خارجاً عن الماهية[٣].

❐ أقسام الشرط:

ينقسم الشرط إلى قسمين[٤]:

---

(١) والسبب لا يكون سبباً إلا إذا توافرت شروطه وانتفت موانعه، وإلا لم يكن سبباً شرعياً. الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ١٠٣).

(٢) ابن منظور، محمد، م ـ س: (٧/ ٣٢٩).

(٣) الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (١/ ٤٥٢).

(٤) **الشرط من حيث هو شرطٌ ثلاثة أقسام:**

الأول: عقلي: كالحياة للعلم فإنها شرطٌ له إذ لا يعقل عالمٌ إلا وهو حي.

الثاني: لغوي: كدخول الدار لوقوع الطلاق المعلق عليه.

الثالث: شرعي: وهو الذي يكون اشتراطه بحكم الشارع وهي: إما شرائط وجوب، وإما شرائط صحة؛ كالشروط التي اشترطها الشارع في العقود والتصرفات، والتي اشترطها للعبادات وإقامة الحدود وغير ذلك. الزركشي، محمد «البحر المحيط في أصول الفقه»: (١/ ٢٤٨)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٥٢)، الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ١٠٥، ١٠٦).

الأول: ما يكون شرطاً للسبب:

وهو كل معنى يكون عدمه مخلاً بمعنى السببية كشرائط المبيع من كونه منتفعاً به وغيره.

الثاني: ما يكون شرطاً للحكم:

وهو كل معنى يكون عدمه مخلّاً بمقصود الحكم مع بقاءٍ لمعنى السببية، كالقبض للملك التام[١].

٣ ـ المانع

أ ـ في اللغة: اسم فاعل من المنع، هو الكف عن الشيء[٢].

ب ـ في الاصطلاح: ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم[٣].

◻ أقسام المانع:

ينقسم المانع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مانعٌ للدوام والابتداء معاً كالرضاع بالنسبة إلى النكاح، فإنه مانع منه ابتداءً ودواماً[٤].

---

(١) الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ١٠٥، ١٠٦).

(٢) الفيومي، أحمد «المصباح المنير»: (ص٨٩٧)، الفيروزآبادي، محمد «القاموس المحيط»: (ص٩٨٨).

(٣) الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (١/ ٤٥٦).

(٤) **معنى منعه ابتداءً:** أنه يمنع من ابتداء عقد النكاح، إذ لا يجوز عقد النكاح ابتداءً على امرأة هي أخته من الرضاعة. =

الثاني: مانعٌ للابتداء فقط دون الدوام كالإحرام بالنسبة إلى النكاح.

الثالث: مانعٌ للدوام دون الابتداء كالطلاق؛ فإنه مانعٌ من الدوام على النكاح الأول ولا يمنع ابتداء نكاحٍ ثانٍ[١].

وبعضهم أضاف قسماً رابعاً هو العلة. وألحق البعض بالحكم الوضعي أقساماً أخرى: كالصحة، والفساد، والقضاء، والأداء، والإعادة، والرخصة، والعزيمة[٢].

❁ ❁ ❁

= **ومعنى منعه على الدوام**: أنه لو تزوج رضيعة ليست بمحرم؛ ثم بعد عقد النكاح أرضعتها أمه أو أخته مثلاً، فإن هذا الرضاع الطارئ على العقد يمنع من الدوام على العقد بل يجب فسخه حالاً. الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٥٣).

(١) الشنقيطي، محمد، م ـ ن.

(٢) ابن قدامة، عبد الله، روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ١٥٧)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص٣٢٠).

الفرق بين الحكم التكليفي والحكم الوضعي

يظهر الفرق من وجوه:

أحدها: أن التكليفي لا يتعلق إلا بفعل المكلف، والوضعي يتعلق بفعل غير المكلف؛ فلو أَتْلَفَتِ الدَّابَّةُ أو الصبيُّ شيئاً ضمن صاحبُ الدَّابة والولي في مال الصبي.

الثاني: أن التكليفي لا يتعلق إلا بالكسب بخلاف الوضعي، ولهذا لو قتل خطأً وجبت الدية على العاقلة وإن لم يكن القتل مكتسباً لهم. فوجوب الدية عليهم ليس من باب التكليف.

الثالث: أن الوضعي خاصٌّ بما رُتِّبَ الحكم فيه على وصفٍ أو حِكمة؛ فلا يجري في الأحكام المرسلة الغير المضافة إلى الأوصاف، ولا في الأحكام التعبدية التي لا يُعْقَلُ معناها.

الرابع: أن خطاب التكليف هو الأصل، وخطاب الوضع على خلافه.

الخامس: أن خطاب الوضع علامته ألا يكون في قدرة المكلف أصلاً؛ كزوال الشمس والنقاء من الحيض، أو يكون في قدرته ولا يؤمر به كالنصاب للزكاة. أما خطاب التكليف فيكون في قدرة المكلف، ويؤمر به فعلاً كالوضوء للصلاة أو تركاً كسائر المنهيات.

سادساً: أن الحكم التكليفي أمر وطلب، كالأمر بالصلاة، بخلاف الحكم الوضعي فإنه إخبار[١].

❁ ❁ ❁

(١) الزركشي، محمد «البحر المحيط في أصول الفقه»: (١/ ٩٩ ـ ١٠٢)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٤٨، ٤٩)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص٣٢٠، ٣٢١).

متعلقات الأحكام

عرَّفنا الحكم الشرعي بأنه خطاب الله ﷻ المتعلق بأفعال المكلفين.

والكلام في متعلقات الأحكام ينحصر في مسألتين باختصار:

المسألة الأولى: في أنه لا تكليف شرعاً إلا بما يطاق.

المسألة الثانية: في أن الشارع لم يقصد المشقة لذاتها في التكليف.

المسألة الأولى

في أنه لا تكليف شرعاً إلا بما يطاق

فقد ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على الفعل المكلف به، فما لا قدرة عليه لا يصح التكليف به شرعاً، وإن جاز عقلاً[1].

---

(١) **شروط التكليف نوعان:**

النوع الأول: شروط ترجع إلى المكلف.

النوع الثاني: شروط ترجع إلى نفس الفعل المكلف به. ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ١١٣).

فأما النوع الأول: وهو ما يرجع إلى المكلف: فشرطه أن يكون عاقلاً يفهم الخطاب. فلا تكليف على صبي لأنه لا يفهم، ولا على مجنون =

فإذا ظهر من الشارع في بادئ الرأي؛ القصد إلى التكليف بما لَا يدخل تحت قدرة المكلف كقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢][(١)]، وقوله ﷺ: «**كُنْ عَبْدَ اللهِ المَقْتُولَ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللهِ القَاتِلَ**»[(٢)].

= لأنه لا يعقل. ابن بدران، عبد القادر «نزهة الخاطر العاطر»: (١/ ١١٣).

وأما النوع الثاني: وهو ما يرجع إلى نفس الفعل المكلف به. **فشروطه ثلاثة**:

أحدها: أن يكون معلوماً للمأمور به حتى يتصور قصده إليه، وأن يكون معلوماً كونه مأموراً به من جهة الله ﷻ، حتى يتصور فيه قصد الطاعة والامتثال.

الثاني: أن يكون معدوماً؛ كصلاة الظهر قبل الزوال مثلاً. ابن بدران، عبد القادر، م ـ ن.

الثالث: أن يكون ممكناً. فإن كان محالاً كالجمع بين الضدين ونحوه لم يجز الأمر به. ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (١/ ١٢٣، ١٢٤).

(١) وهذا راجع في التحقيق إلى سوابقه أو لواحقه، أو قرائنه. الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (٢/ ٨٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(٢) ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، حديث خباب بن الأرت: (ح٢١١٢١)، دار الفكر، ط ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، أبو يعلى، أحمد «مسند أبي يعلى»، حديث خباب بن الأرت: (٦/ ١٩٠، ١٩١)، (ح٧١٨٠)، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، كلاهما عن رجل من عبد القيس (كان مع الخوارج ثم فارقهم). قال الهيثمي: ولم أعرف الرجل الذي من بني عبد القيس، وبقية رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، علي «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، كتاب الفتن، باب ما يفعل في الفتن: (٧/ ٣٠٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

فليس مطلوب منه إلا ما يدخل تحت القدرة وهو: الإسلام، وترك الظلم، والكف عن القتل، والتسليم لأمر الله، وكذلك سائر ما كان من هذا القبيل. وأيضاً الأوصاف التي طبع عليها الإنسان؛ كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطالب برفعها، ولا بإزالة ما غرز في الجبلة منها، فإنه من التكليف بما لا يطاق. ومثل هذا لا يقصد الشارع طلباً له ولا نهياً عنه.

والذي يظهر من خلال ما تقدم: أن الذي تعلق به الطلب ظاهر من الإنسان على ثلاثة أقسام:

الأول: ما لم يكن داخلاً تحت كسبه قطعاً. وهذا قليل كقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وحكم هذا: أن الطلب به مصروف إلى ما تعلق به مما يدخل تحت قدرة المكلف.

الثاني: ما كان داخلاً تحت كسبه قطعاً. وهذا ما عليه معظم الأفعال المكلف بها والتي لا ريب في دخولها تحت قدرته وكسبه.

الثالث: ما قد يشتبه أمره كالحب والبغض وما في معناهما فحق الناظر في هذا النوع أن ينظر في حقيقته؛ فإذا ثبت له أنه من أحد القسمين حكم عليه بحكم وألحقه به.

فمما تقدم نعلم أن الفعل الذي لا يدخل تحت مقدور المكلف لا يكلفه الله به؛ لأن في ذلك تكليف للنفس بما لا طاقة لها في الإتيان بالفعل المأمور به، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها[١].

---

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (٢/ ٨٣، ٨٤).

المسألة الثانية

في أن الشارع لم يقصد بالتكليف المشقة لذاتها

تقدم فيما سبق: أن الفعل الذي لا يدخل تحت مقدور المكلف لا يكلف به شرعاً. وبقي النظر فيما يدخل تحت مقدوره ولكنه شاق عليه؛ لأنه لا يلزم من قصد الشارع نفي التكليف بما لا يطاق؛ أن نعلم منه نفي التكليف بأنواع المشاق.

□ معنى المشقة:

أولاً: المشقة لغةً:

هي الجَهْد والعناء يقال: هُم بشقٍّ من العيش إذا كانوا في جهد.

ومنه قوله ﷻ: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، والشق هو الاسم من المشقة(١).

ثانياً: المشقة اصطلاحاً:

قال الشاطبي(٢): وهذا المعنى إذا أُخِذَ مطلقاً من غير نظر إلى الوضع العربي اقتضى أربعة أوجه اصطلاحية:

---

(١) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٠/ ١٨٣).

(٢) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد، اللخمي، الغرناطي، المالكي، الأصولي، الشهير بالشاطبي، أخذ عن أئمة منهم: أبو عبد الله البلشي، وأبو القاسم الشريف السبتي. من تلامذته: أبو بكر بن عاصم، وعبد الله البياني. من مصنفاته: «الموافقات في أصول الشريعة» و«الاعتصام» و«الإفادات والإنشاءات» (ت: سنة ٧٩٠هـ). مخلوف، محمد «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»: (١/ ٣٣٢، ٣٣٣)، دار الكتب =

الوجه الأول: أن يكون عامّاً في المقدور عليه وغيره. فتكليف ما لَا يطاق يسمى مشقة؛ كالمُقْعَدِ إذا تكلَّف القيام، والإنسان إذا تكلَّف الطيران في الهواء، وما أشبه ذلك.

الوجه الثاني: أن يكون خاصاً بالمقدور عليه إلا أنه خارج عن المعتاد في الأعمال العادية، بحيث يشوش على النفوس في تصرفها، ويقلقها في القيام بما في تلك المشقة.

وهذا الوجه على ضربين:

أحدهما: أن تكون المشقة مختصة بأعيان الأفعال المكلَّف بها، بحيث لو وقعت مرة واحدة لوجدت فيها المشقة. وهذا النوع هو الذي شُرِعَت لأجله الرخص المشهورة في اصطلاح الفقهاء؛ كالصوم في المرض والسفر، والإتمام في السفر وما أشبه ذلك.

الضرب الثاني: أن لا تكون مختصة، ولكن إذا نظر إلى كليات الأعمال والدوام عليها صارت شاقة، ولحقت المشقة العامل بها. ويوجد هذا في النوافل وحدها إذا تحمل الإنسان منها فوق ما يحتمله على وجهٍ ما؛ إلا أنه في الدوام يتعبه.

وهذا هو الموضع الذي شُرِعَ له الرِّفقُ والأخذُ من العمل بما لا يُحَصِّلُ مللاً، حسبما نبَّه عُليه نهيه ﷺ عن الوِصال، وعن التنطع والتكلف، فقال ﷺ: «**خُذُوا من الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[1].

= العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(١) سبب ورود الحديث ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت: كانت عندي =

وقوله ﷺ: «**وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**»[١].

= امرأة من بني أسد؛ فدخل عليَّ رسول الله فقال: من هذه؟ قلت: فلانة، لا تنام من الليل ـ فذُكر من صلاتها ـ فقال: «**مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ من الأَعْمَالِ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة: (ح١١٥١)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك: (ح١٨٣١). وهذا الحديث مشكل: قال ابن حجر بعد أن ساق الحديث: قوله: «**لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**» هو بفتح الميم في الموضعين، والملال استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله ﷻ باتفاق العلماء.
قال الإسماعيلي وجماعة من المحققين: إنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازاً، كما قال ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠]، وأنظاره. قال القرطبي: وجه مجازه: أنه ﷻ لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالاً؛ عبَّر عن ذلك بالملال، من باب تسمية الشيء باسم سببه. وقال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه. ابن حجر، أحمد «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»: (١/ ١٢٦)، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م. وذكر النووي عن المحققين ما معناه: لا يعاملكم معاملة المَالِّ، فيقطع عنكم ثوابه، وجزاءه، وبسط فضله، ورحمته حتى تقطعوا عملكم. النووي، يحيى «المنهاج شرح صحيح مسلم»، الحجاج (٦/ ٣١٢)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل: (ح٦٤٦٣). طرف من حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ**». قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ** =

فهذه مشقة ناشئة عن أمر كلي، وفي الضرب الأول ناشئة عن أمر جزئي.

الوجه الثالث: أن يكون خاصّاً بالمقدور عليه، وليس فيه خروج عن المعتاد في الأعمال العادية.

الوجه الرابع: مخالفة الهوى شاقة على صاحب الهوى مطلقاً. ويلحق الإنسان بسببها تعب وعناء. وذلك معلوم في العادات الجارية في الخلق.

فهذه أربعة أوجه من حيث النظر إلى المشقة نفسها[1].

فأما الوجه الأول: فقد سبق أنه لا تكليف به شرعاً.

وأما الوجه الثاني: وهي المشقة الخارجة عن المعتاد. فإن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنات فيه. **والدليل على ذلك**:

١ ـ النصوص الدالة على ذلك، كقوله ﷻ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

= **بِرَحْمَةٍ. سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ من الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»**. قال ابن حجر: «والقصد القصد» بالنصب على الإغراء؛ أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل. ابن حجر، أحمد «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»: (١١/ ٣٠٣).

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (٢/ ٩١، ٩٢).

٢ ـ ما ثبت من مشروعية الرخص، وهو أمر مقطوع به، ومما علم من دين الأمة ضرورة، كرخص القصر، والفطر والجمع.

٣ ـ الإجماع على عدم وقوعه وجوداً في التكليف، وهو يدل على عدم قصد الشارع إليه.

وأما الوجه الثالث: وهو المشقة المعتادة: فإنه لا ينازَع في أن الشارع قاصد للتكليف بما يلزم فيه كلفة ومشقة ما، ولكن لا تسمى في العادة المستمرة مشقة. كما لا يسمى في العادة مشقةً طلبُ المعاش بالتحرُّف وسائر الصنائع؛ لأنه ممكن معتاد.

❐ بيان الفرق بين المشقة المعتادة وغير المعتادة:

إن كان العمل يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع عنه، أو عن بعضه، وإلى وقوع خلل في صاحبه: في نفسه أو ماله، أو حالٍ من أحواله، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد.

وإن لم يكن فيه شيء من ذلك في الغالب فلا يعد في العادة مشقة، وإن سمِّيت كلفة، فأحوال الإنسان كلها كلفة في هذه الدار: في أكله، وشربه، وسائر تصرفاته.

إذا تقرر هذا، فما تضمن التكليفُ الثابتُ على العباد من المشقة المعتادة أيضاً؛ ليس بمقصود الطلب للشارع من جهة نفس المشقة، بل من جهة ما في ذلك من المصالح العائدة على المكلف[1].

❁ ❁ ❁

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٩٢ ـ ٩٤).

المبحث الثاني

الخصائص العامة للشريعة

للشريعة الإسلامية خصائص عامة تميِّزها عن غيرها من الشرائع السابقة؛ لأنها شريعة الله الكاملة الباقية ما دامت الحياة البشرية قائمة، ومن هذه الخصائص: عمومها بحسب المكلفين، وبحسب الزمان، والمكان، ومنها: جمعها بين الثبات والمرونة، ومنها: شمولها لرعاية مصالح الدين والدنيا، ومصالح الأفراد والجماعة، ومنها: ربطها لأحكام السلوك والتعامل بوازع الإيمان بالله واليوم الآخر، ومنها: حفظ مصادرها من التحريف أو التبديل[1].

❁ ❁ ❁

(١) العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية»: (ص٤٢).

الخاصة الأولى

عمومها بحسب المكلفين

الشريعة بحسب المكلفين كلية عامة، بمعنى أنه لا يختص بالخطاب بحكم من أحكامها الصُّلْبِيَّة بعض دون بعض. ولا يُحَاشى من الدخول تحت أحكامها مكلَّف ألبتة.

□ والدليل على ذلك أمور:

الأمر الأول:

النصوص المتضافرة، كقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله ﷺ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(١).

فهذه النصوص تدل على أن البعثة عامة لا خاصة؛ لأنه لو كان بعض الناس مختصاً بما لم يخص به غيره ـ أي: لم يخاطب به غيره ـ لم يكن مرسَلاً للناس جميعاً.

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب التيمم، باب (١)، (ح٣٣٥).

الأمر الثاني:

أن الأحكام إذا كانت موضوعة لمصالح العباد؛ فالعباد بالنسبة إلى ما تقتضيه من المصالح سواء، فلو وُضِعت على الخصوص لم تكن موضوعة لمصالح العباد بإطلاق[1].

---

(١) يستثنى من هذه القاعدة العامة: ما كان اختصاصاً برسول الله ﷺ، أو ما خص هو به بعض أصحابه كشهادة خزيمة، فإنه راجع إليه عليه الصلاة والسلام؛ فعن عمارة بن خزيمة الأنصاري، أن عمَّه حدَّثه - وهو من أصحاب النبي ﷺ: أن النبيَّ ﷺ ابتاعَ فرساً من أعرابيٍّ فاستَتْبَعَهُ النبيُّ لِيَقضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فأسرَعَ النبيُّ ﷺ المشيَ وأبطأَ الأعرابيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يعترضُونَ الأعرابيَّ فَيُسَاوِمُونَهُ بالفَرَسِ، لا يَشعُرُونَ أنَّ النبيَّ ﷺ ابتاعَهُ، حتى زادَ بعضُهم الأعرابيَّ في السومِ على ثَمَنِ الفرسِ الذي ابتَاعَهُ بِهِ النبيُّ ﷺ، فنادَى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ، فقال: إن كُنتَ مُبتَاعاً هذا الفرسَ فَابتَعهُ، وإلا بِعتُهُ، فقامَ النبيُّ ﷺ حِينَ سمعَ نداءَ الأعرابيِّ، فقال: «**أَوَلَيْسَ قَد ابتَعتُهُ مِنكَ؟**» قالَ الأعرابيُّ: لا والله! ما بِعتُكَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**بَلَى قَد ابتَعتُهُ مِنكَ**». فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُوذُونَ بالنبيِّ ﷺ والأعرَابيِّ، وهُمَا يَتَرَاجعَانِ، فَطَفِقَ الأَعرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيداً يَشهَدُ أَنِّي بَايَعتُكَ. فَمَن جَاءَ من المسلِمِينَ قَالَ لِلأَعرَابِيِّ: وَيلَكَ النبيُّ ﷺ، لم يَكُن لِيَقُولَ إِلَّا حَقّاً. حَتَّى جَاءَ خُزَيمَةُ فاستَمَعَ لِمُرَاجَعَةِ النبيِّ ﷺ ومُرَاجَعَةِ الأَعرَابِيِّ، فَطَفِقَ الأَعرَابِيُّ يَقُولُ: هَلُمَّ شَهِيداً أَنِّي بَايَعتُكَ. قَالَ خُزَيمَةُ: أَنَا أَشهَدُ أَنَّكَ قَد بَايَعتَهُ، فَأَقبَلَ النبيُّ ﷺ على خُزَيمَةَ فَقَالَ: «**بِمَ تَشهَدُ؟**» فَقَالَ: بِتَصدِيقِكَ يَا رسولَ الله! **فَجَعَلَ النبيُّ شَهَادَةَ خُزَيمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَينِ**. أخرجه: ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد» مسند الأنصار، حديث خزيمة بن ثابت: (ح٢١٩٤٢)، والسجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب القضاء، باب إذا علم الحاكم صدق شهادة الواحد، =

الأمر الثالث:

إجماع العلماء من الصحابة، والتابعين ومن بعدهم. ولذلك صيَّروا أفعال رسول الله حجة للجميع في أمثالها، وحاولوا فيما وقع من الأحكام على قضايا معينة وليس لها صيغ عامة؛ أن تجري على

= يجوز له أن يقضي به: (ح٣٦٠٧)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، والنسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب البيوع، باب التسهيل في ترك الإشهاد على البيع: (ح٤٦٥١)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين» مع تضمينات الإمام الذهبي في «التلخيص» و«الميزان»... كتاب معرفة الصحابة، ذِكر مناقِب خُزَيمة بن ثابت الأنصاري ﷺ: (٣/٤٨٨)، (ح٥٦٩٥)، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. قال الذهبي في «التلخيص»: خزيمة بن ثابت الأنصاري، ذو الشهادتين، الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين. الذهبي، محمد، م - ن.

أو غير راجع إليه، كاختصاص أبي بردة بن نيار بالتضحية بالعناق الجذعة، وخصَّهُ بذلك بقوله: «**وَلَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**». فعن أبي جُحَيْفَةَ عَنِ البَرَاءِ قَالَ: ذَبَحَ أَبُو بُرْدَةَ قَبْلَ الصلاةِ فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: «**أَبْدِلْهَا**» قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا جَذَعَةٌ. قالَ شُعْبَةُ: وأَحْسِبُهُ قَالَ: هيَ خَيرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ، قالَ: «**اجْعَلْهَا مَكانَها وَلَنْ تُجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأضاحي، باب قول النبي ﷺ لأبي بردة: «**ضَحِّ بالجَذَعِ من المَعْزِ وَلَنْ تُجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**»: (ح٥٥٥٧).

وكونه عليه الصلاة والسلام خصَّ بعض أصحابه بالنصِّ، فيه دليلٌ وإعلامٌ بأن الأحكام الشرعية خارجة عن قانون الاختصاص. الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/١٨٧).

العموم، إما بالقياس، أو بالرد إلى العموم المعنوي، أو غير ذلك من المحاولات، بحيث لا يكون الحكم على الخصوص في النازلة الأولى مختصاً به. وقد قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فقرر الحكم في مخصوص ليكون عامّاً في الناس[١].

الأمر الرابع:

أنه لو جاز خطاب البعض ببعض الأحكام حتى يخص بالخروج عنه بعض الناس، لجاز مثل ذلك في قواعد الإسلام أن لا يخاطب بها بعض من كملت فيه شروط التكليف بها[٢]. وكذلك في الإيمان الذي هو رأس الأمر. وهذا باطل بإجماع. وعموم أحكام الشريعة لجميع من توفرت فيهم شروط التكليف يستلزم ذلك عمومها باعتبار الزمان والمكان[٣].

❁ ❁ ❁

(١) الشاطبي، إبراهيم، «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ١٨٧).
(٢) انظر: «شروط التكليف»: (ص٦٩)، هامش (١).
(٣) الشاطبي، إبراهيم، م ـ س: (٢/ ١٨٨).

الخاصة الثانية

الثبات والمرونة

جَمعُ الشريعة بين الثبات والمرونة في أحكامها.

لقد جمعت الشريعة في أحكامها بين نوعين:

الأول: ثابت لا يعتريه تغيير ولا تبديل باعتبار الأزمنة أو الأمكنة.

والثاني: يخضع لظروف الزمان والمكان والأحوال وتغيير الأعراف والعادات التي تعتبر المصلحة تابعة لها، مع المحافظة على مبادئ الشرع وقواعده.

يقول ابن القيم[1]: الأحكام نوعان:

«نوع لا يتغيَّر عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة،

---

(١) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الزرعي، الدمشقي، الحنبلي، الفقيه الأصولي، شمس الدين، أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١هـ)، تفقه في مذهب الإمام أحمد، لازم ابن تيمية وأخذ عنه، وسمع من الشهاب النابلسي، وفاطمة بنت جوهر. من تصانيفه: «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، و«مفتاح دار السعادة». (ت: سنة ٧٥١هـ). ابن رجب، عبد الرحمٰن «ذيل طبقات الحنابلة»: (٢/ ٣٢٠، ٣٦٩، ٣٧٠).

ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير، ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيزات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها حسب المصلحة»[1].

◻ بعض معالم خصِّيصة الثبات:

تتجلى خصِّيصة الثبات في الأبواب التالية:

أ ـ باب العقيدة:

إن من أبرز ما يميز الإسلام في مقوماته وأسسه التي تختلف عن الأديان والمبادئ الوضعية كافة هو العقيدة.

فالعقيدة الإسلامية هي أساس الإسلام وأساس حضارته. وتعدُّ العامل الأول في تحرر الإنسان من أنواع الذل والاستعباد في المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، بل والحياتية، والمصدر الأول في تحرير الإنسان، وهي ثابتة ليس فيها مجال للتطور والتغيير؛ لأنها تقوم على حقائق يقينية ثابتة لا تقبل التغيير والنسخ مطلقاً. فالإيمان بالله مثلاً لا يقبل التغيير، وكذلك مبادئ العقيدة كافةً، وقد أجمع عليها أنبياء الله، قال الله ﷻ:

---

(١) ابن القيم، محمد «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»: (ص٣٤٦)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣][(١)].

ب ـ باب العبادة:

إن العبادة ليست أمراً على هامش الحياة، وليست خاضعة للآراء والاجتهادات بل هي مبدأ رباني، يخرج العبد فيه من الخضوع لهواه إلى الانقياد والتسليم لشرع مولاه، يتبع في عباداته الحدود المرسومة له، بالصورة التي شرعها الله، وبالكيفية التي ارتضاها، فإن الله ﷻ رسم للعبادة حدودها، وهيَّأها على صور خاصة، وبيَّن شروطها وأركانها، فالصلاة: عبادة مؤلَّفة من أفعالٍ خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص، والصيام: إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في أزمنة مخصوصة، والحج: مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها... وهي ثابتة ليس في مجال للتطور والتغيير[(٢)].

ج ـ أحكام الحدود:

إن الحدود الشرعية هي موانع وزواجر عن ارتكاب أسبابها، والعقل السليم يقرها ويؤيدها[(٣)]؛ لأن الطباع البشرية، والشهوة

---

(١) القيسي، مروان «معالم الهدى إلى فهم الإسلام»: (ص٣٣ ـ ١٩٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) القيسي، مروان م ـ ن: (ص١٩٢).

(٣) الزحيلي، وهبة، الشرنباصي، رمضان «العقوبات الشرعية وأسبابها»: (ص١٥)، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

النفسية مائلة إلى قضاء الشهوات واقتناص الملاذ، وتحصيل مطلوبها ومحبوبها، من الزنا، والشرب، وأخذ مال الغير... فاقتضت الحِكمة شرع هذه العقوبات حسماً لهذا الفساد أن يستشري، وزجراً عن ارتكابها.

وقد وجبت حقاً لله ﷻ؛ **أي: إنها شرِّعت صيانة للضرورات الخمس، وهي**: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال؛ فلا يجوز إسقاطها ولا العفو فيها.

والحدود المتفق عليها بين الفقهاء ستة، منها ما يتعلق بالدين: فمن ارتد يعتبر معتدياً على أقدس المقدسات وهو الدين الإسلامي الحنيف؛ فكانت الجريمة التي ارتكبها هي الردة. ومنها ما يتعلق بالمصلحة العامة للأفراد والمجتمع، وهي: الحرابة. ومنها ما يتعلق بأموال الناس، وهي: جريمة السرقة. ومنها ما يتعلق بالنسل والعرض: كحد الزنا والقذف. ومنها ما يتعلق بالعقل: وهو شرب الخمر. فهذه الحدود ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا يجوز إسقاطها أو العفو عنها[1].

د ـ أحكام المقدرات:

إن المقادير الشرعية توقيفية شرعها الله ﷻ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، كتقدير الأنصبة في الزكاة، وتحديد عدد الطلقات، وحصص الورثة: بنصف، أو ربع، أو ثلث، أو غير ذلك، فهذه

---

(١) الزحيلي، وهبة، الشرنباصي، رمضان، «العقوبات الشرعية وأسبابها»: (ص١٥).

المقادير غير قابلة للتطوير والتغيير على أساس رعاية المصالح[١].

❐ بعض معالم خصِّيصة المرونة:

أ ـ تعليل الأحكام الشرعية، ولا شك أن تعليل الأحكام الشرعية، ومراعاة حِكمها ومقاصِدها، يعطي الشريعة سَعَة ومرونة يجعلها تجاري كل ما يجد من حوادث ومستجدات، وكل ما يتغير بتقادم الزمان واختلاف المكان[٢]. واختلاف الأحكام عند اختلاف العادات ليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية، والتكليف كذلك، لم يحتج في الشرع إلى مزيد. وإنما معنى الاختلاف أن العوائد إذا اختلفت رجعت كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها؛ كما في البلوغ مثلاً، فإن الخطاب التكليفي مرتفع عن الصبي ما كان قبل البلوغ، فإذا بلغ وقع عليه التكليف.

فسقوط التكليف قبل البلوغ ثم ثبوته بعده ليس باختلاف في الخطاب، وإنما وقع الاختلاف في العادات والشواهد. وكذلك الحكم بعد الدخول بأن القولَ قولُ الزوج في دفع الصداق بناء على العادة، وقد تتغير العادة فيكون القول قول الزوجة[٣].

---

(١) القيسي، مروان «معالم الهدى إلى فهم الإسلام»: (ص١٩٣). فهي تمثل منظومة الأمة الإسلامية السلوكية، فلا مجال للاجتهاد فيها.

(٢) أمامة، عدنان «الإحكام والتقرير لقاعدة المشقة تجلب التيسير»: (ص١٦)، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٢١٧، ٢١٨).

ب ـ النص على قواعد كلية، ومبادئ عامة، وضوابط شرعية[١]، دون التعرض للتفصيلات.

وبهذه الخاصة تستوعب الشريعة الإسلامية كل ما جَدَّ من وقائع، وما تبدَّل من عرف وعادة صالحين، فلا يستطيع أحد أن يصفها بالجمود أو القصور، إلا من جعل الله على بصره وبصيرته غشاوة ـ من جهالة أو زيغ ـ حالت دون إدراكه لمبادئها ومقاصدها[٢].

❁ ❁ ❁

(١) الأشقر، عمر «خصائص الشريعة الإسلامية»: (ص٦١)، دار النفائس، الأردن، د.ت.

(٢) العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية»: (ص٤٥، ٤٦).

الخاصة الثالثة

شمول رعايتها لجميع المصالح

أحكام الشريعة شاملة لجميع المصالح الدنيوية والأخروية والفردية والجماعية. فالشريعة لا تعرف الدنيا بدون الآخرة، ولا الآخرة بدون الدنيا، ولا تعرف الجماعة بدون فرد، ولا الفرد بدون جماعة، فالفرد جزء وعضو، والجماعة كلٌّ وجسد فكل من الفرد والجماعة في حاجة إلى الآخر. فالشريعة تسلك مسلك الموازنة بين مصالحهما.

يقول ابن القيم: «فإن الشريعة مبناها على الحكم ومصالح العباد، في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحِكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل»[١].

ويقول الشاطبي: «التكاليف مشروعة لمصالح العباد، ومصالح

---

(١) ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: (٣/ ٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

العباد: إما دنيوية وإما أخروية»[١].

فالشريعة شاملة لجميع أنواع المصالح الدنيوية والأخروية؛ لأنها وضعت لمصالح العباد، وواضعها خالقهم وربهم الذي هو أعلم بأحوالهم ومصالحهم[٢].

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٤/ ١٤١).

(٢) العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة»: (ص٤٧).

الخاصة الرابعة

ربط أحكام السلوك والتعامل بوازع الدين

فالأحكام التي تحكم سلوك الناس وتعاملهم مربوطة بوازع الإيمان بالله، واليوم الآخر، فالشريعة الإسلامية كغيرها من الشرائع الوضعية، لها جهازها الدنيوي الذي يتولى المراقبة والمعاقبة على المخالفة لأحكامها.

وتمتاز الشريعة برقابة عليا، وهي مراقبة العلي الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي يعلم السر وأخفى.

فمن يتعدَّى حدود الله بمخالفة أحكام الشريعة فقد يفلت من المراقبة الدنيوية وحسابها وعقابها، أما عن مراقبة الله فلن يستطيع أن يفلت منها، وكل شيء يجده محضراً؛ كتاباً يلقاه منشوراً، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[1].

❁ ❁ ❁

(١) العالم، يوسف، «المقاصد العامة للشريعة»: (ص٤٧).

الخاصة الخامسة

حفظ مصدري الشريعة من التحريف أو التبديل

فقد حفظ الله شريعة محمد ﷺ من التحريف أو التبديل، وذلك بحفظه لمصدريها من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، **ويتبين ذلك من وجهين:**

الوجه الأول: الأدلة الدالة على ذلك تصريحاً وتلويحاً، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فأخبر الله ﷻ بأنه يحفظ آياته، ويُحكِمها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغيير ولا التبديل، والسُّنَّة الشريفة وإن لم تذكر فإنها مُبيِّنة للقرآن، ودائرة حوله؛ فهي منه وإليه ترجع في معانيها، فكل واحد من الكتاب والسُّنَّة يعضد بعضه بعضاً، ويستند بعضه إلى بعض. وقد قال الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فالكتاب والسُّنَّة: هما مصدرا الدين وكملت بهما أصول الشريعة وفروعها.

والوجه الثاني: شهادة الواقع من زمن الرسول ﷺ تؤكد ذلك، فقد هيَّأ الله ﷻ للأمة دواعي الدفاع عن الشريعة. والدفاع عنها

جملة وتفصيلاً. أما القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حَفَظَة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر، فضلاً عن القراء الأكابر.

وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة، فقيَّض الله لكل علم رجالاً حَفِظه على أيديهم[١].

❁ ❁ ❁

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٤٤، ٤٥).

المبحث الثالث

مصادر الشريعة

على عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن، ويُبيِّنه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس. ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه ـ تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر.

وأما السُّنَّة: فأجمع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على وجوب العمل بما يصل إلينا منها، قولاً أو فعلاً، بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه.

وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسُّنَّة بهذا الاعتبار، ثم تنزل الإجماع منزلتها؛ لإجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم. ولا يكون ذلك إلا عن مستند؛ لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت؛ مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الإجماع: دليلاً ثابتاً في الشرعيات.

ثم إذا نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسُّنَّة، نجدهم يقيسون الأشباه منها بالأشباه، ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم، وتسليم بعضهم لبعض في ذلك. فإن كثيراً من الواقعات بعده، ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم تندرج في النصوص الثابتة، فقاسوها بما ثبت، وألحقوها بما نص عليه،

بشروط في ذلك الإلحاق، تصحح تلك المساواة بين الشبهين أو المثلين، حتى يغلب على الظن أن حكم الله ﷻ فيهما واحد، وصار ذلك دليلاً شرعياً بإجماعهم عليه، وهو القياس وهو رابع الأدلة. واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي الأدلة[١].

قال الشافعي[٢]: «... وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السُّنَّة، أو الإجماع، أو القياس»[٣].

واتفقوا أيضاً على أن هذه الأدلة الأربعة ترجع إلى أصل واحد، وهو الكتاب والسُّنَّة، إذ هما ملاك الدين وقوام الإسلام[٤].

---

(١) هذا من حيث الجملة. ولا يقدح في هذا الاتفاق مخالفة بعض الشواذ؛ ممن أنكروا الإجماع أو القياس. ابن خلدون، عبد الرحمٰن، «مقدمة ابن خلدون»، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان (ص٤٣٥ ـ ٤٣٦).

(٢) الشافعي: أبو عبد الله، محمد بن إدريس، الشافعي، القرشي، المطلبي، ولد سنة (١٥٠هـ) ـ باليمن ـ وقيل بعسقلان ـ حفظ «الموطأ» وقرأه على مالك، ، أول من تكلم في أصول الفقه، وهو الذي استنبطه، وإليه ينسب المذهب الشافعي، له مصنفات منها: «الرسالة» في الأصول و«الأم» في الفقه (ت: سنة ٢٠٤هـ). الرازي، عبد الرحمٰن، بن أبي حاتم «آداب الشافعي ومناقبه»: (ص١٨ ـ ٢٢، ١٠١، ١٠٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ابن خلكان، أحمد بن محمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: (٤/ ٢١ ـ ٢٤).

(٣) الشافعي، محمد «الرسالة»: (ص٧٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٤) ابن عبد البر، يوسف «جامع بيان العلم وفضله»: (٢/ ١١٠)، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، توزيع مكتبة ابن تيمية، د.ت.، ابن القيم، =

قال الشافعي: «... وأن لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سُنَّة رسوله، وأن ما سواهما تبع لهما»[١].

وهذه الأدلة الأربعة متفقة لا تختلف. إذ يوافق بعضها بعضاً. ويصدق بعضها بعضاً؛ لأن الجميع حق والحق لا يتناقض[٢].

وهي كذلك متلازمة لا تفترق، فجميع هذه الأدلة ترجع إلى الكتاب[٣]، والكتاب قد دل على حجية السُّنَّة، والكتاب والسُّنَّة دلَّا على حجية الإجماع، وهذه الأدلة الثلاثة دلَّت على حجية القياس[٤].

ولذلك صح أن يقال: مصدر هذه الأدلة هو القرآن، باعتبار أنه الأصل وأن ما عداه بيان له وفرع عنه ومستند إليه.

ويصح أيضاً أن يقال: مصدر هذه الأدلة هو الرسول ﷺ؛ لأن الكتاب إنما سُمِع منه تبليغاً، والسُّنَّة تصدر عنه تبييناً، والإجماع والقياس مستندان في إثباتهما إلى الكتاب والسُّنَّة[٥].

وبعد أن عرفنا مصادر الأدلة لا بد من الشروع في تعريف كل دليل على حدة ولنبدأ بـ:

= محمد «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»: (٢/ ٥٢٠)، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

(١) الشافعي، محمد، «الرسالة»: (ص١٠).

(٢) ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين»: (١/ ٣٣).

(٣) الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٢/ ٦).

(٤) ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ١٩٥، ٢٠٠).

(٥) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ١٤٦، ١٤٧)، ابن تيمية، أحمد، م ـ س: (٧٠/ ٤٠).

الفصل الأول

الكتاب

❐ تعريف الكتاب[١]:

الكتاب هو القرآن[٢].

لقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ . . .﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠]. والمسموع واحد.

ويمكن تعريف الكتاب بأنه: كلام الله المنزل على محمد ﷺ،

---

(١) **الكتاب لغة**: اسم لما كتب مجموعاً، والكتاب مصدر، يقال: كَتَبَ الشَّيء يَكْتُبه كَتْبَاً وكِتَابَاً وكِتَابةً. والجمع كُتُبٌ وكُتْبٌ. ثم غلب في العرف على كتاب الله المكتوب في المصاحف وهو القرآن. ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١/ ٦٩٨)، الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ٤٠٤).

(٢) ابن قدامة، عبد الله، «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ١٤٧)، الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (ص٢١٥)، الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٢/ ٧)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٦٤)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٠٦).

المعجِز بنفسه، المتعبَّد بتلاوته[١]، المنقول بالتواتر[٢].

❁ ❁ ❁

(١) الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنبر»: (٢/ ٨٠٧)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٠١).

(٢) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ١٤٨)، الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (١/ ٢١٥)، التفتازي، مسعود «التلويح إلى كشف حقائق التنقيح»: (١/ ٦٥)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٠٦).

المصدر الثاني

السُّنَّة

تعريف السُّنَّة: لغةً واصطلاحاً

◻ أولاً: السُّنَّة لغةً:

الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة[١]. والعادة، والشريعة[٢].

◻ ثانياً: السُّنَّة اصطلاحاً[٣]:

هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن[٤].

---

(١) قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعن من سيرةٍ أنت سرتها فأول راضٍ سنةً من يسيرها

ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٣/ ٢٢٥).

(٢) الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٦١).

(٣) **المراد بالسُّنَّة اصطلاحاً**: أي: في اصطلاح الأصوليين.

(٤) الخطيب البغدادي، أحمد «الفقيه والمتفقه»: (١/ ٨٦)، دار ابن الجوزي، الدمام ـ المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢٦هـ، الفتوحي، محمد، «شرح الكوكب المنير»: (٢/ ١٦٠)، الجيزاني، محمد، «معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة»: (ص١٢٢).

وهذا يشمل قوله ﷺ، وفعله، وتقريره، وكتابته، وإشارته، وهمَّه، وتَرْكَه.

وإن كان يدخل بعض هذه الأنواع في بعض[١].

حجية السُنَّة

أجمع المسلمون على وجوب طاعة النبي ﷺ، ولزوم سُنَّته[٢].

قال ابن تيمية: «وهذه السُّنَّة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها»[٣].

◻ الأدلة على وجوب اتباع السُّنَّة:

وهي كثيرة جداً:

أولاً: من القرآن:

أ ـ الأمر بطاعة الرسول ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢][٤].

---

(١) فيدخل كل من: الكتابة، والإشارة، والهم، والترك؛ في الفعل. الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٢/ ١٦٠ ـ ١٦٦)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٢٢).

(٢) ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٨٢ ـ ٩٢)، ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين»: (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣).

(٣) ابن تيمية، أحمد، م ـ س: (١٩/ ٨٥، ٨٦).

(٤) ابن تيمية، أحمد، م ـ ن: (١٩/ ٨٣)، ابن القيم، محمد، م ـ س: (٢/ ٢٠٧).

ب ـ نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حُكم عن رسول الله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦][(١)].

ج ـ الأمر بالرد إلى الرسول عند النزاع، قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩][(٢)].

وجه الاستدلال من الآية: أنه جعل الرد إلى الرسول عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه، قال ﷻ: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩][(٣)].

ثانياً: من السُّنَّة:

أ ـ قوله ﷺ: «... **فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ...**»[(٤)].

---

(١) الشافعي، محمد «الرسالة»: (ص١١٢)، ابن القيم، محمد، «إعلام الموقعين»: (٢/ ٢٠٦).

(٢) ابن القيم، محمد، م ـ ن: (١/ ٣٩).

(٣) ابن القيم، محمد، م ـ ن: (١/ ٤٠).

(٤) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة: (ح٤٦٠٧). الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة: (ح٢٦٧٦)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، قال أبو عيسى: هذا حديث حَسَنٌ صحيحٌ. ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب السُّنَّة، باب اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين: (ح٤٢)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ: =

ب ـ قوله ﷺ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤَالُهُمْ واخْتِلافُهُمْ عَلى أَنْبِيائِهِمْ، فَإِذا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(١).

ج ـ قوله ﷺ: «ألا إِنِّي أُوتِيتُ الكتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، ألا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيْكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهذَا الْقُرآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيْهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيْهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»(٢).

د ـ قوله ﷺ: «... ألا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»(٣).

وبما تقدم من نصوص ـ وغيرها كثير ـ يُعلم أن الاحتجاج

= (ح١٧١٤٥)، الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين»، كتاب العلم: (١/ ١٩٦)، (ح٣٣٢). وقال: هذا حديث صحيح ليس له علة. ووافقه الذهبي في «التلخيص».

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وقول الله ﷻ: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]: (ح٧٢٨٨).

(٢) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة: (ح٤٦٠٤)، ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معديكرب الكندي أبي كريمة: (ح١٧١٧٤).

(٣) ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه: (ح١٢)، ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، مسند الشاميين، حديث المقدام بن معديكرب: (ح١٧١٩٤).

بالسُّنَّة أصل ثابت من أصول هذا الدين، وقاعدة ضرورية من قواعده.

قال الشافعي: «لم أسمع أحداً ـ نَسَبَهُ الناسُ أو نسبَ نفسَه إلى علمٍ ـ يخالِفُ في أن فرض الله ﷻ اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه. بأن الله ﷻ لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لا يلزم قولٌ بكل حالٍ إلا بكتاب الله أو سُنَّة رسوله، وأن ما سواهما تبع لهما، وأنَّ فَرْضَ الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ ـ: واحدٌ لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ ـ: إلا فرقةٌ، سأصف قولها، إن شاء الله ﷻ[1].

❁ ❁ ❁

(١) الشافعي، محمد «جماع العلم»: (ص٧، ٨، ٩). قال الشيخ الخضري: «لم يُظهر لنا الشافعي شخصية من كان يرى هذا الرأي ولا أبانه لنا التاريخ، إلا أن الشافعي في مناظرته لأصحاب الرأي الآتي «الذين يردون خبر الخاصة» قد صرح بأن صاحب هذا المذهب «من يرد الأخبار كلها» منسوبٌ إلى البصرة، وكانت البصرة مركزاً لحركةٍ علميةٍ كلامية، ومنها نبعت مذاهب المعتزلة، فقد نشأ بها كبارهم وكتابهم، وكانوا معروفين بمخاصمتهم لأهل الحديث، فلعل صاحب هذا القول منهم. وقد تأيد عندي هذا الظن بما رأيته في الكتاب الموسوم بتأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ). فقد ذكر فيه موقف شيوخ المعتزلة من السُّنَّة وتطاولهم على الصحابة وكبار المفتين منهم». الخضري، محمد «تاريخ التشريع الإسلامي»: (ص١٢٣، ١٢٤)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

المصدر الثالث

الإجماع

تعريف الإجماع: لغةً واصطلاحاً

◻ أ ـ الإجماع لغة:

يطلق على معنيين:

المعنى الأول: العزم. ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: ٧١].

المعنى الثاني: الاتفاق. ومنه قولهم: أجمع القوم على كذا؛ أي: اتفقوا عليه(١).

والفرق بينه وبين المعنى الأول، أن الأول يطلق على عزم الواحد، والثاني لا بد فيه من متعدد(٢).

◻ ب ـ الإجماع اصطلاحاً:

هو «اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد ﷺ بعد

---

(١) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٨/ ٥٧).
(٢) الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ٤٦٨).

وفاته على أمر ديني»[١].

والإجماع باعتبار ذاته نوعان:

١ ـ إجماع قولي.

٢ ـ إجماع سكوتي.

فالإجماع القولي وهو الصريح: «أن يتفق قول الجميع على الحكم بأن يقولوا كلهم: هذا حلال أو حرام». ومثله أن يفعل الجميع الشيء، فهذا إن وجد حجة قاطعة بلا نزاع[٢].

والإجماع السكوتي أو الإقراري هو: «أن يشتهر القول أو الفعل من البعض فيسكت الباقون على إنكاره[٣].

ومثله: الإجماع الاستقرائي وهو: «أن تُستقرأ أقوال العلماء في مسألة فلا يُعلم خلاف فيها»[٤].

وقد اختلف العلماء في حجية الإجماع السكوتي، فبعضهم اعتبره

---

(١) ابن اللحام، علي «المختصر في أصول الفقه»: (ص٧٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م. وعرَّفه التفتازاني بنحو هذا التعريف غير أنه لم يذكر ـ بعد وفاته ـ ﷺ. التفتازاني، مسعود «التلويح إلى كشف حقائق التنقيح»: (٢/ ٩٥).

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد «الفقيه والمتفقه»: (١/ ٤٢٩)، ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٦٧، ٢٦٨)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٧٩).

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد، م ـ س، الشنقيطي، محمد، م ـ ن: (ص١٨٧).

(٤) ابن تيمية، أحمد، م ـ س: (١٩/ ٢٦٧).

حجة قاطعة، وبعضهم لم يعتبره حجة أصلاً، وبعضهم جعله حجة ظنية.

وسبب الخلاف: هو أن السكوت يحتمل الرضا وعدمه.

لذلك فإن الإجماع السكوتي لا يمكن إطلاق الحكم عليه، بل لا بد من النظر في القرائن وأحوال الساكتين، وملابسات المقام[١].

حجية الإجماع

اتفق جمهور أهل العلم على أن الإجماع حجة شرعية يجب اتباعها والمصير إليها[٢].

□ الدليل على كون الإجماع حجة:

استدل الجمهور على حجية الإجماع بالكتاب، والسُّنَّة، والمعقول:

أولاً: من الكتاب:

أ ـ قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٦٣).

(٢) خلافاً للشيعة، والخوارج، والنظام من المعتزلة. الشافعي، محمد «جماع العلم»: (ص٥١، ٥٢)، ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ٢٧٦)، الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (١/ ٢٦٦)، الشنقيطي، محمد، «مذكرة في أصول الفقه»: (ص١٧٩).

وجه الاستدلال بهذه الآية: أنه ﷻ توعد على متابعة غير سبيل المؤمنين، ولو لم يكن ذلك محرَّماً لما توعد عليه، فيكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً، إذ ليس هناك قسم ثالث بين اتباع سبيل المؤمنين واتباع غير سبيل المؤمنين[١].

ب ـ قوله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجه الاستدلال بالآية: أنه ﷻ قد وصف هذه الأمة بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك، ولم تنه عن المنكر فيه، فثبت أن إجماع هذه الأمة حق وأنها لا تجتمع على ضلالة[٢].

ج ـ قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. والوسط العدل الخيار.

ووجه الاستدلال بالآية: أنه عدَّلهم وجعلهم حجة على الناس في قبول أقوالهم، كما جعل الرسول حجة علينا في قبول قوله علينا،

---

(١) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (١/ ٢٧٦)، الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (١/ ٢٦٧).

(٢) الآمدي، علي، م ـ ن: (١/ ٢٨٥)، ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ١٧٦، ١٧٧)، الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٢/ ٢١٧).

ولا معنى لكون الإجماع حجة سوى كون أقوالهم حجة على غيرهم[١]

ثانياً: من السُّنَّة:

أ ـ قوله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ»[٢].

قال الشافعي مستدلاً بهذا الحديث: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين، وقد وُجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى؛ لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها. وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتابٍ ولا سُنَّة ولا قياس إن شاء الله[٣].

ب ـ قوله ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ»[٤].

---

(١) الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (١/ ٢٨١).

(٢) الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، أبواب الفتن، باب في لزوم الجماعة: (ح٢٢٥٤). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) الشافعي، محمد «الرسالة»: (ص٤١٢).

(٤) ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم: (ح٣٩٥٠).

يقول الجيزاني[١]: والملاحظ أن هذه النصوص المتقدمة تدل على أصلين عظيمين:

الأصل الأول: وجوب اتباع الجماعة ولزومها، وتحريم مفارقتها ومخالفتها.

والأصل الثاني: عصمة هذه الأمة عن الخطأ والضلالة.

وهذان الأصلان متلازمان: فإن قول الأمة مجتمعة لا يكون إلا حقاً. وكذلك فإن العصمة إنما تكون لقول الكل دون البعض[٢].

ثالثاً: من المعقول:

وأما المعقول فهو أن الخلق الكثير وهم أهل كل عصر، إذا اتفقوا على حكم قضية وجزموا به جزماً قاطعاً، فالعادة تحيل على مثلهم الحكم الجزم بذلك والقطع به؛ وليس له مستند قاطع بحيث لا ينتبه واحد منهم إلى الخطأ في القطع بما ليس بقاطع[٣].

❁ ❁ ❁

(١) الجيزاني: الدكتور محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، من جيزان، نزيل المدينة المنورة ومدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لمادة أصول الفقه.

(٢) الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٦٨، ١٦٩).

(٣) الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (١/٢٩٦).

المصدر الرابع

القياس

تعريف القياس: لغةً واصطلاحاً

◻ أ ـ القياس لغةً:

التقدير، ومنه قولهم: قست الثوب بالذراع إذا قدرته به.

والقياس: المساواة، يقال: فلان لا يقاس بفلان؛ أي: لا يساويه[١].

◻ ب ـ القياس اصطلاحاً:

«حمل فرع على أصل في حكم بجامعٍ بينهما»[٢].

أركان القياس

وبهذا التعريف يتضح أن للقياس أربعة أركان[٣]:

الركن الأول: الأصل وهو المقيس عليه.

---

(١) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٦/ ١٨٧).

(٢) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (٢/ ١٩٦)، الشنقيطي، محمد «مذكرة في أصول الفقه»: (ص٢٩١).

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد «الفقيه والمتفقه»: (١/ ٥١٢)، ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (٢/ ٢٦١)، الشنقيطي، محمد، م ـ س: (ص٣٢٣).

الركن الثاني: الفرع، وهو المراد إلحاقه بالأصل المقيس عليه وحمله عليه.

الركن الثالث: حكم الأصل، وهو الوصف المقصود حمل الفرع عليه.

الركن الرابع: الوصف الجامع، وهو العلة الجامعة بين الأصل والفرع المقتضية للحمل[١].

حجية القياس

اتفق جمهور العلماء على إثبات القياس والاحتجاج به من حيث الجملة[٢].

بل ذكره كثير من علماء أهل السُّنَّة ضمن الأدلة المتفق عليها[٣].

❐ أدلة حجية القياس:

أولاً: حديث معاذ المشهور:

أن الرسول ﷺ لما بعثه إلى اليمن قَالَ: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا**

---

(١) الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٨٦).

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد، «الفقيه والمتفقه»: (١/ ٤٤٧)، ابن عبد البر، يوسف «جامع بيان العلم وفضله»: (٢/ ٧٧)، ابن قدامة، عبد الله، «روضة الناظر وجنة المناظر»: (٢/ ٢٠٢)، ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٣٤١).

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد، م - س: (١/ ٤٩٠)، ابن تيمية، أحمد، م - س: (٢٠/ ٤٠١)، الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٢/ ٥).

عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟». قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ. قَالَ: **«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ؟»**. قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: **«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا فِي كِتَابِ اللهِ؟»**. قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلا آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ»**[1].

قال ابن عبد البر[2] عن هذا الحديث: وهو الحجة في إثبات القياس عند جميع الفقهاء القائلين به[3].

---

(١) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء: (ح٣٥٩٢)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي: (ح١٣٢٧)، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. وقد صحح البغدادي هذا الحديث قائلاً: «على أن أهل العلم قد تقبلوا واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم». الخطيب البغدادي، أحمد «الفقيه والمتفقه»: (١/ ٤٧٢).

(٢) ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، النمري، القرطبي، المالكي، أبو عمر، ولد سنة (٣٦٨هـ) بقرطبة، أخذ عن أبي عمر الباجي، وأبي الوليد الطلمنكي، ولازم أبا الوليد الفرضي، من تصانيفه: كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد»، و«الكافي» في الفقه. توفي بشاطبية سنة (٤٦٣هـ). ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان»، و«أنباء أبناء الزمان»: (٥/ ٤٢٨)، ابن فرحون، إبراهيم «الديباج المذهب»: (ص٤٤٠ ـ ٤٤٢).

(٣) ابن عبد البر، يوسف «جامع بيان العلم وفضله»: (٢/ ٥٥).

ثانياً: إجماع الصحابة ﷺ على الحكم بالقياس في وقائع كثيرة تصل بمجموعها إلى حد التواتر[١]:

فمن ذلك: قياس الزكاة على الصلاة في قتال الممتنع منها بجامع كونهما عبادتين من أركان الإسلام.

ومنها: قياسهم الإمامة العظمى في تقديم أبي بكر للخلافة على تقديمه في الإمامة الصغرى، حيث قدمه النبي في المحراب فصلَّى بهم فقالوا: رَضِيكَ رسولُ الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا[٢]؟

ولم يزل التابعون أيضاً، ومن بعدهم من علماء الأمة، على إجازة القياس وإثبات الأحكام به[٣].

ثالثاً: ما ثبت في الكتاب والسُّنَّة:

من الأمر بالاعتبار والاتعاظ والاستفادة من الأمثال المضروبة وأخذ الأحكام منها، وأن للنظير حكم نظيره، وهذا معلوم أيضاً في فِطَرِ الناس ومُسْتَقِرٌّ في عوائدهم وأحوالهم[٤]. فمن ذلك قوله ﷻ:

---

(١) الخطيب البغدادي، أحمد، «الفقه والمتفقه»: (١/ ٤٩٠)، ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (٢/ ٢٠٤)، ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين»: (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٧).

(٢) ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (٢/ ٢٠٤، ٢٠٥)، ابن بدران، عبد القادر «نزهة الخاطر العاطر»: (٢/ ٢٠٤).

(٣) ابن عبد البر، يوسف «جامع بيان العلم وفضله»: (٢/ ٦٢).

(٤) ابن عبد البر، يوسف، م ـ ن: (٢/ ٦٥)، الخطيب البغدادي، أحمد، م ـ س: (١/ ١٧٨)، ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (٢/ ٢١٠)، ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (١٣/ ٢٣)، ابن القيم، محمد =

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. وحقيقة الاعتبار مقايسة الشيء بغيره[١]. وكذلك لو قال الطبيب للعليل وعنده لحم ضأن: لا تأكل الضأن فإنه يزيد في مادة المرض، لفهم كل عاقلٍ منه أن لحم الإبل والبقر كذلك، ولو أكل منهما لَعُدَّ مخالفاً[٢].

وبهذه الأدلة المتقدمة قال جمهور العلماء بحجية القياس، وأنه مصدر من مصادر التشريع ومدرك من مداركه، وهو أول طريق يلجأ إليه المجتهد لاستنباط الأحكام فيما لا نص فيه، وهو أوضح طرق الاستنباط الأخرى، وهو أخص من الاجتهاد، وقد يسمى اجتهاداً مجازاً من إطلاق السبب على المسبب، وذلك لأن القياس يفتقر إلى الاجتهاد، وهو من مستلزماته وليس الاجتهاد بمفتقر إلى القياس؛ لأن الاجتهاد: هو بذل الجهد في طلب الحق بقياس أو غيره من الوسائل المعتبرة شرعاً في استنباط الأحكام، هذا ما عليه جمهور العلماء[٣].

❁ ❁ ❁

= «إعلام الموقعين»: (١/ ١٨٧)، الفتوحي، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٤/ ٢١٦).

(١) ابن قدامة، عبد الله، «روضة الناظر وجنة المناظر»: (٢/ ٢١٠).

(٢) ابن القيم، محمد، م ـ س: (١/ ٢١٧)، الجيزاني، محمد «معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة»: (ص١٩٨).

(٣) العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية»: (ص٧١).

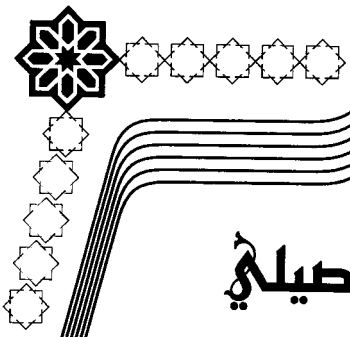

الفصل الأول التأصيلي

في

إثبات الحِكمة للشريعة

وبيان علاقة الحِكمة بالأصول

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحِكمة.

المبحث الثاني: أدلة ثبوت الحِكمة للشريعة.

المبحث الثالث: المقارنة بين الحِكمة وبين ما له صلة بها.

المبحث الرابع: حكمة التشريع في صدر الإسلام.

المبحث الخامس: العلماء الذين صنفوا في حكمة التشريع، وأهم المصنفات.

المبحث السادس: لمحة عما ألف في مقاصد أجزاء الشريعة.

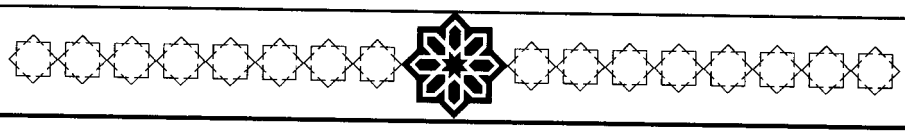

المبحث الأول

تعريف الحِكمة

أولاً: الحِكمة لغةً

الحِكمة: مصدر من حَكَمَ يَحْكُمُ حُكْمَاً وحِكمة، واستعملت العرب الحِكمَة والحكيم وذو الحِكمة في معانٍ متقاربة[١] يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: الحِكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[٢].

ثانياً: الإحكام والإتقان، ومنها: **الحكيم** الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فيقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم. والحكمة إتقان القول والفعل وإحكامهما[٣].

---

(١) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٢/ ١٤٠).

(٢) ابن منظور، محمد، م ـ ن، ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث»: (١/ ٤٠٢).

(٣) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٢٥٢)، التهانوي، محمد «كشاف اصطلاحات الفنون»: (١/ ٥٠٦)، ابن منظور، محمد، م ـ س: (١٢/ ١٤٣).

ثالثاً: العلم والفقه: قال الجوهري[١]: **الحُكْمُ**: الحِكمة مِنَ العِلْمِ. **والحَكِيمُ**: العالِمُ، وصاحِبُ الحِكمة[٢]. **والحُكْمُ**: العِلْمُ والفِقْهُ والقَضاءُ بِالعَدْلِ، وهو مصدر حَكَمَ يَحْكُمُ. وفي الحديث: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكمَة**»[٣]، وهو بمعنى الحُكْم[٤].

رابعاً: العدل والقضاء به، فالحكمة العدل، ورجل حَكِيمٌ: عدل حكيم. والحكيم من أسماء الله ﷻ وهو بمعنى الحاكم وهو القاضي[٥].

خامساً: المنع والرد عن كل ما فيه فساد:

قال الراغب: «حكم أصله منع منعاً لإصلاح»[٦].

---

(١) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، الفارابي، إمام في علم اللغة والأدب. قرأ علم العربية على شيخي زمانه: أبي علي الفارسي، وأبي سعيد الصيرفي. من تصانيفه: كتاب «الصحاح في اللغة»، و«المقدمة في النحو». توفي في نيسابور سنة (٣٩٨هـ). وقيل: في حدود سنة أربعمائة. القفطي، علي «إنباه الرواة على أنباه النحاة»: (١/ ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١)، الحموي، ياقوت «معجم الأدباء»: (٢/ ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣)، مؤسسة المعارف، بيروت، دار ابن حزم، ط ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) الجوهري، إسماعيل، «معجم الصحاح»: (ص٢٥٢).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه: (ح٦١٤٥).

(٤) ابن منظور، محمد، «لسان العرب»: (١٢/ ١٤١).

(٥) ابن منظور، محمد، م ـ ن: (١٢/ ١٤٠، ١٤١ ـ ١٤٣)، ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث»: (١/ ٤٠٢).

(٦) الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات القرآن»: (ص١٤١)، ابن منظور، =

وسمِّيت **الحِكمة حِكمَةً**: لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال. يقال: حَكَمْتُ السفيه وأَحْكَمْتُه، إذا أخذت على يديه[١]. والحِكْمَة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل[٢].

وحَكَمَة اللجام: ما أحاط بحنكي الدابة، سمِّيت بذلك لأنها تمنعها من الجري الشديد[٣].

سادساً: الحِكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو[٤].

سابعاً: وضع الشيء في موضعه[٥].

ثامناً: الحِكمة: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بحسب الطاقة البشرية[٦].

وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حِكمة.

= محمد، «لسان العرب»: (١٢/ ١٤٣). وهذا القيد ـ لإصلاح ـ ذكره أبو عبيد، القاسم «غريب الحديث»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(١) ومنه قول جرير:

بني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

ابن عطية، جرير «ديوان جرير»: (ص٤٦٣)، ابن منظور، محمد، م ـ س: (١٢/ ١٤٤).

(٢) ابن فارس، أحمد «معجم مقاييس اللغة»: (٢/ ٩١)، دار الفكر، بيروت، ط١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٣) ابن منظور، محمد، م ـ س.

(٤) الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٢٤).

(٥) الجرجاني، علي، م ـ ن.

(٦) الجرجاني، علي، م ـ ن.

وقيل الحِكمة: العلم مع العمل.

وقيل: هي ما له عاقبة محمودة.

وقال الدكتور عبد العزيز الربيعة في كتابه «السبب عند الأصوليين» (٢/١٦): إن الحِكمة في اللغة هي: المنع. وأما المعاني التي ذكرها اللغويون للحكمة فهي من لوازم الحِكمة وليست هي الحِكمة ذاتها، فهي من باب المشترك المعنوي.

وناقش الدكتور رائد أبو مؤنس في كتابه: «منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي» هذا القول بأن: «المنع هو أثر معرفة الحِكمة؛ أي: معرفة الحق والحقيقة؛ لأنَّ هذه المعرفة هي التي تمنع الإنسان؛ بل إن هذا المعنى هو الذي يناسب تنوع إضافات الحِكمة.

فَحِكْمَةُ الله؛ أي: الحق الذي أراده الله، وكل أمر لله هو حق. وعلَّة الأمر هي حقيقته؛ ومعرفتها هي التي تمنع الإنسان من الانحراف عن الصواب».

وبالنظر إلى هذه المعاني نلاحظ: أنها متقاربة وتدور حول معنى جامع لها ألا وهو: إصابة الحق بالعلم والفقه ـ سواء أكان ذلك بمعرفة أفضل الأشياء ـ، أم بالعدل ورد الناس ومنعهم عن كل ما فيه فساد، أم بالكلمة ذات المعنى الخالية عن اللغو.

وهذا لا يتأتى إلا بوضع الأشياء في موضعها وبشكل متقن مُحكم، وعن علم بحقائق الأشياء في حدود طاقة البشر التي وهبها الله لعباده وأذن لهم باستعمالها.

وعليه فكل كلام وافق الحق فهو حِكمة[١].

◻ الحِكمة في الكتاب والسُّنَّة والأثر:

* ذكرت الحِكمة في كتاب الله عشرين مرة:

١ ـ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

٢ ـ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١].

٣ ـ ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

٤ ـ ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٥ ـ ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٦ ـ ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٧ ـ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

٨ ـ ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ...﴾ [آل عمران: ٨١].

---

(١) أبو مؤنس، رائد «منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي»: (ص٣٥)، المعهد العالمي، للفكر الإسلامي، هرندن ـ فيرجينيا، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٩ ـ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

١٠ ـ ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

١١ ـ ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

١٢ ـ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

١٣ ـ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ...﴾ [النحل: ١٢٥].

١٤ ـ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ...﴾ [الإسراء: ٣٩].

١٥ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ...﴾ [لقمان: ١٢].

١٦ ـ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

١٧ ـ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

١٨ ـ ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣].

١٩ ـ ﴿حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥].

٢٠ ـ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

*** وكذلك وردت في أحاديث النبي ﷺ:**

قال رسول الله ﷺ: «**لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

❐ معاني الحكمة:

وكان لعلماء التفسير والحديث آراء متنوعة في تفسير معاني الحِكمة حسب موقعها في كتاب الله؛ ووروودها في سُنَّة رسول الله ﷺ، يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: القرآن الكريم والمعرفة بعلومه:

تضافرت آراء علماء التفسير على تفسير الحِكمة بمعنى القرآن(٢). ولا سيما إذا جاءت مفردة دون عطفها على الكتاب

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة: (ح٧٣)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقهٍ أو غيره فعمل بها وعلمها: (ح١٨٩٦).

(٢) يقول ابن الجوزي: وفي المراد (بالحكمة) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، الثاني: الفقه، الثالث: النبوة. ابن الجوزي، عبد الرحمٰن «زاد المسير في علم التفسير»: (٤/ ٣٨٥، ٣٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م. ويقول البيضاوي: الحِكمة: القرآن والشريعة. البيضاوي، عبد الله «تفسير البيضاوي»: (٩/ ١٧٢)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

كما في قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقيل: هي تفسير القرآن وفهمه والفقه فيه، ومعرفة محكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، فهذه هي الحِكمة[١] التي في قوله ﷻ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وجاءت الحِكمة أيضاً بمعنى القرآن في حديث رسول الله ﷺ المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال:

قال رسول الله ﷺ: «**لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: ...، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[٢].

قال ابن حجر[٣]: الحِكمة: المراد بها القرآن وفي رواية ابن عمر: «**رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[٤].

---

(١) ابن جرير، محمد «تفسير الطبري»، المسمى: «جامع البيان في تأويل القرآن»: (٣/ ٨٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ابن الجوزي، عبد الرحمٰن «زاد المسير في علم التفسير»: (١/ ٢٦٦)، القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٣/ ٣٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص١٢٣)، هامش (١).

(٣) ابن حجر، أحمد «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»: (١/ ٢٠١).

(٤) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقهٍ أو غيره فعمل بها وعلمها: (ح١٨٩١).

ثانياً: السُّنَّة المطهرة والعلم بها:

وردت الحِكمة بمعنى السُّنَّة. خاصة إن كانت مقرونة بالكتاب.

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ...﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقوله ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ...﴾ [النساء: ١١٣].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

فالحِكْمَةُ هي العلم بأحكام الله التي لا يُدْرَكُ عِلْمُها إلا ببيان الرسول ﷺ.

وقيل: هي السُّنَّة وبيان الشرائع[(١)].

---

(١) الزمخشري، محمود «الكشاف»: (١/ ٢٧٤ ـ ٤٢٧، ٤/ ٥١٧)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. الرازي، محمد «التفسير الكبير»: (٤/ ٦١)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٢/ ١٣٧)، النسفي، عبد الله «مدارك التنزيل»: (٤/ ٢٥٤).

ثالثاً: الفقه بالدين والعلم بأحكامه:

قال ابن جرير[١]: حدثني يونس[٢] قال: أخبرنا ابن وهب[٣] قال: قلت لمالك[٤]: وما الحِكمة؟ قال: المعرفة بالدين والفقه فيه

---

(١) ابن جرير: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، كان من الأئمة المجتهدين، وكان ثقة في نقله، ولد سنة (٢٢٤هـ)، بآمل طبرستان؛ قرأ القرآن ببيروت على العباس بن الوليد، وسمع بمصر من يونس بن عبد الأعلى، وغيره. له مصنفات منها: «التفسير» و«تاريخ الأمم والملوك»، (ت: سنة ٣١٠هـ) ببغداد. الخطيب البغدادي، أحمد «تاريخ بغداد»: (٢/ ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، الداوودي، محمد «طبقات المفسرين»: (٢/ ١١٠، ١١٢، ١١٧).

(٢) يونس: يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفي، أبو موسى المصري، ولد سنة (١٧١هـ) سمع الشافعي، وابن وهب، وأشهب، وغيرهم. وسمع منه: أبو زرعة، وأبو حاتم، وابن خزيمة، وغيرهم. (ت: سنة ٢٦٤هـ). اليحصبي، القاضي عياض «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»: (١/ ٤٠٩، ٤١٠).

(٣) ابن وهب: عبد الله بن وهب بن مسلم، القرشي مولاهم، المصري، المالكي، فقيه، محدث، ولد بمصر سنة (١٢٤هـ) وقيل: سنة (١٢٥هـ)، روى عن مالك، وابن أبي ذئب، وغيرهم. وقرأ على نافع، وتفقه بمالك، وعبد الملك ابن الماجشون. (ت: سنة ١٩٧هـ). اليحصبي، القاضي عياض «ترتيب المدارك وتقريب المسالك»: (١/ ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٠).

(٤) مالك: بن أنس بن مالك، بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، أحد أئمة المذاهب المتبوعة، وهو من تابعي التابعين، ولد سنة (٩٣هـ) على الأشهر في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان، تفقه على ربيعة، وعبد الرحمٰن بن هرمز، ونافع مولى ابن عمر، والزهري، وغيرهم. من تصانيفه: «الموطأ»، و«رسالة إلى الليث» في إجماع أهل المدينة. (ت: سنة ١٧٩هـ) ودفن في المدينة المنورة. =

والاتباع له[١]. وقال القرطبي: الحِكمة: المعرفة بالدين، والفقه في التأويل. والفهم الذي هو سجية ونور من الله ﷻ[٢]. وقال النسفي[٣]: الحِكمة: بيان الحلال والحرام[٤]. وقال الزمخشري[٥]: الحِكمة الشريعة وبيان الأحكام[٦].

= اليحصبي، القاضي عياض «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»: (١/ ٤٤، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ١٠٩، ١١١، ١٢٩).

(١) ابن جرير، محمد «تفسير الطبري»: (٣/ ٩٠).

(٢) القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٣/ ٣٣١).

(٣) النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، النسفي، الحنفي، فقيهٌ، أصولي، مفسر، له تصانيف مفيدة منها: «الكافي في شرح الوافي»، و«كنز الدقائق»، و«المنار» في أصول الفقه وغيرها. تفقه على شمس الأئمة الكردري، وروى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابي، توفي سنة (٧٠١هـ) ودفن في بلده إيدج. وهي بين خوزستان وأصبهان. ابن حجر، أحمد «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»: (٢/ ١٥١).

(٤) النسفي، عبد الله «مدارك التنزيل»: (١/ ١٥٨).

(٥) الزمخشري: محمود بن عمر، الزمخشري، الخوارزمي، أبو القاسم، الإمام الكبير في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، وعلم البيان، كان رأساً في البلاغة، معتزلي الاعتقاد متظاهراً به. ولد بخوارزم في قرية مجهولة تسمى: «زَمَخْشر»، سنة (٤٦٧هـ) أخذ النحو عن أبي مضر منصور. من تصانيفه: «الكشاف» في تفسير القرآن العزيز، و«أساس البلاغة» في اللغة، وغيرها. قال عنه الذهبي: «صالح، لكنه داعيةٌ إلى الاعتزال، فكن حذراً من كشافه». (ت: سنة ٥٣٨هـ) بجُرْجانية خوارزم، ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: (٥/ ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣)، الذهبي، محمد «سير أعلام النبلاء»: (١٤/ ٥٩٦ ـ ٥٩٨).

(٦) الزمخشري، محمود «الكشاف»: (١/ ١٨٨).

وقيل: الحِكمة: الفقه في الدين[١].

وقد فسرت الحِكمة في قوله ﷺ: «... **وَالإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»[٢] بأنها العلم المشتمل على المعرفة بالله[٣].

رابعاً: الإصابة في القول والعمل:

الحِكمة هي: الإصابة في القول والفعل[٤].

وإنما تكون إصابة الحق: بالعلم والعقل[٥] ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

---

(١) الخفاجي، أحمد «حاشية الشهاب»: (٢/ ٣٩٢)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**» قال أبو عبد الله: سُمِّيَتِ الْيَمَنَ لأَنَّهَا عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ... البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب المناقب، باب قول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣]: (ح٣٤٩٩)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه: (ح١٨٩).

(٣) ابن حجر، أحمد «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»: (٦/ ٦١٥).

(٤) ابن جرير، محمد «تفسير الطبري»: (٣/ ٩٠)، ابن الجوزي، عبد الرحمٰن «زاد المسير»: (١/ ٢٦٦)، الرازي، محمد «التفسير الكبير»: (٤/ ٦١)، القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٣/ ٣٣١)، النسفي، عبد الله «مدارك التنزيل»: (٣/ ٢٨٠).

(٥) الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص١٤٢).

وقيل: هي معرفة الموجودات وفعل الخيرات[١]. فكل صواب من القول أورث صحيحاً من العمل والتزكية والتطهير فهو حِكمة[٢].

فالحِكمة أن يقوم الإنسان بالعمل الأصلح والأصوب لصالح الدنيا والآخرة، وإنما سُمِّي ذلك حِكمة؛ لأن الحِكمة مشتقة من إحكام الأمور وتقويتها وإبعادها عن أسباب الرخاوة والضعف، والاعتقادات الصائبة الصحيحة لا تقبل النسخ والنقض؛ فكانت في غاية الإحكام، وأما الأعمال المطابقة لمصالح الدنيا والآخرة فإنها واجبة الرعاية، ولا تقبل النقض والنسخ، فلهذا السبب سمينا تلك المعارف والأعمال بالحكمة[٣].

وقيل: الحِكمة هي التي تَردُّ عن الجهل والخطأ. وذلك إنما يكون بالإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء في موضعه[٤].

خامساً: اجتماع العلم والعمل:

الحِكمة توفيق العمل بالعلم[٥].

وقيل: تحقيق العلم وإتقان العمل، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما[٦].

---

(١) الأصفهاني، الحسين، «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص١٤٢).

(٢) البيضاوي، عبد الله «تفسير البيضاوي»: (٦/ ٥٧)، الخفاجي، أحمد «حاشية الشهاب»: (٢/ ٣٩٢).

(٣) الرازي، محمد «التفسير الكبير»: (٢٦/ ١٦٣).

(٤) الرازي، محمد، م ـ ن: (٤/ ٦١).

(٥) الرازي، محمد، م ـ ن: (٢٥/ ١٤٥)، الزمخشري، محمود «الكشاف»: (١/ ٣١١).

(٦) والحكيم عند الله: العالم العامل. ابن الجوزي، عبد الرحمٰن «زاد =

ومنه قوله ﷻ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد أوتي الحِكمة[١].

سادساً: الكتب السماوية:

فقد جاء في معنى الحِكمة في قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ﴾ [الزخرف: ٦٣]. بأنها الكتب السماوية: كالإنجيل والزبور، وغيرها من علوم الشرائع السابقة[٢].

سابعاً: النبوة:

فقد فسِّرت الحِكمة في قوله ﷻ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

= المسير»: (١/ ٢٦٦)، الزمخشري، محمود «الكشاف»: (١/ ٣١١)، البيضاوي، عبد الله «تفسير البيضاوي»: (٢/ ٥٩٩، ٨/ ١٣٧)، النسفي، عبد الله «مدارك التنزيل»: (١/ ١٣٥).

(١) الرازي، محمد، «التفسير الكبير»: (٢٥/ ١٢٧).

(٢) الطبري، محمد «تفسير الطبري»: (٥/ ١٢٨)، الزمخشري، محمود م ـ س: (٤/ ٧٧ ـ ٢٥٥)، النسفي، عبد الله م ـ س: (٤/ ١٢٣)، البيضاوي، عبد الله م ـ س: (٨/ ٤٠٤)، رضا، محمد رشيد «مختصر المنار»: (١/ ٢٤٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.

وقوله ﷻ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] بالنبوة(١).

فالحِكمة: ما أُحْكِمَ من قولٍ، أو فعلٍ، أو عملٍ، ولا أشدُ إحكاماً في جميع الأمور من النبوة(٢).

والحِكمة هي: وضع الأمور مواضعها على الصواب والصلاح، وكمال هذا المعنى إنما يحصل بالنبوة(٣).

ثامناً: العلم والعقل والفهم والمعرفة بأسرار الحقيقة:

الحِكمة هي: العلم الصحيح يكون صفة مُحكَمة في النفس، حاكمة على الإرادة توجهها إلى العمل الصالح النافع الذي هو الخير(٤). كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

---

(١) الطبري، محمد، «تفسير الطبري»: (١١/ ٢٠٦)، الزمخشري، محمود، «الكشاف»: (١/ ٢٩٢)، ابن الجوزي، عبد الرحمٰن «زاد المسير»: (٦/ ١٦٨)، البيضاوي، عبد الله، «تفسير البيضاوي»: (٢/ ٥٧٣)، النسفي، عبد الله، «مدارك التنزيل»: (١/ ١٢٦).

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمٰن، م ـ س: (٧/ ١١١، ٣٢٦، ٢/ ١١١، ٦/ ٣١٧)، الخفاجي، أحمد «حاشية الشهاب»: (٨/ ١٣٧).

(٣) الرازي، محمد «تفسير الكبير»: (٦/ ١٦٠).

(٤) رضا، محمد رشيد «تفسير المنار»: (٣/ ٧٥)، دار الفكر، بيروت، ط٢، د.ت.

وقيل: هي معرفة أسرار المسائل، وقيل: هي العقل، إذ إن آلة الحِكمة هي العقل السليم المستقل بالحكم في مسائل العلم، فهو لا يحكم إلا بدليل؛ فمتى حَكَمَ جَزَمَ فأمضى وأبرَم. فكل حكيم عليم مصدر للخير الكثير[١].

وقيل: هي معرفة الحِكمة الصائبة المجردة عن الخطأ، فلا تطلق الحِكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وقضايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم، ولذلك عرَّفوا الحِكمة بأنها: معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية، بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المشابهة بعضها ببعض، ولا يخطئ في العلل والأسباب، وهي اسمٌ جامعٌ لكل كلام أو علم يُرَاعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغير[٢].

تاسعاً: الخشية والورع:

فقد تأتي الحِكمة بمعنى الخشية والورع في دين الله، وهو تفسير لها بثمرتها[٣].

---

(١) الطبري، محمد «تفسير الطبري»: (٥/ ١٢٨)، ابن الجوزي، عبد الرحمٰن «زاد المسير»: (٦/ ١٦٨، ٧/ ١٣)، رضا، محمد رشيد، «تفسير المنار»: (٣/ ٧٧).

(٢) ابن عاشور، محمد «التحرير والتنوير»: (١٣/ ٢٦٣)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) الطبري، محمد، م ـ س: (٣/ ٩٠)، ابن الجوزي، عبد الرحمٰن م ـ س: (١/ ٢٦٦)، القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٣/ ٣٣١).

عاشراً: المقالة المحكمة الصحيحة:

وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة[١].

فالحِكمة الكلام المُحْكَم الصواب[٢] الواقع من النفس أجمل موقع[٣].

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

حادي عشر: أسرار الأمور وفقه الأحكام:

الحِكمة في كل شيء معرفة سرِّه وفائدته، والمراد بها أسرار الأحكام الدينية والشرائع والآداب ومقاصدها. فهي العلم بأسرار الأمور وفقه الأحكام وبيان المصلحة فيها، والطريق إلى العمل بها، وذلك الفقه الذي يبعث على العمل، أو طرق الاستدلال ومعرفة الحقائق ببراهينها؛ لأن هذه الطريقة هي طريقة القرآن والسُّنَّة في العقائد، وكذا في الآداب والعبادات[٤]. كما في قوله ﷻ: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد أوتي الحِكمة، ويدل لذلك: أن من يعمل شيئاً ولا يعلم مصالحه ومفاسده لا يسمى

---

(١) الزمخشري، محمود «الكشاف»: (٢/ ٦١٩)، البيضاوي، عبد الله «تفسير البيضاوي»: (٥/ ٦٧٣)، النسفي، عبد الله «مدارك التنزيل»: (٢/ ٣٠٤).

(٢) الزمخشري، محمود، م ـ س: (١/ ٦٧٦).

(٣) الخفاجي، أحمد «حاشية الشهاب»: (٥/ ٦٧٣).

(٤) رضا، محمد رشيد «مختصر المنار»: (١/ ١٠٢ ـ ٤٣٢).

حكيماً وإنما يكون مبخوتاً، ألا يُرى أن من يُلقي بنفسه من مكان عالٍ فوقع على موقعٍ فانخسف به وظهر له كَنْزٌ وسَلِمَ لا يقال: إنه حكيم، وإن ظهر لفعله مصلحة وخلا عن مفسدة، لعدم علمه به أولاً، ومن يعلم أن الإلقاء فيه إهلاك للنفس ويلقي نفسه من ذلك المكان وتنكسر أعضاؤه، لا يقال: إنه حكيم وإن علم ما يكون في فعله[١].

فالحِكمة أسوار الحقيقة وكمال العلم[٢]. وحِكمة الشرائع وغايتها من وجوه المصالح والمنافع[٣].

وبعد هذه القراءة في معاني الحِكمة نلاحظ أنها متقاربة. قال ابن جرير بعد أن ذكر ما قال المفسرون في معنى الحِكمة: «وإذا كان ذلك كذلك معناه؛ كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا من ذلك؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك؛ كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهَّماً خاشياً لله، فقيهاً عالماً، وكانت النُّبوَّة من أقسامه؛ لأن الأنبياء مسدَّدون مفهَّمون، وموَّفقون لإصابة الصواب في الأمور، والنبوة بعض معاني الحِكمة»[٤].

---

(١) الرازي، محمد «التفسير الكبير»: (٢٥/ ١٢٧).
(٢) الرازي، محمد، م ـ ن: (١٠/ ١٠٧).
(٣) الرازي، محمد، م ـ ن: (٤/ ٦١).
(٤) ابن جرير، محمد «تفسير الطبري»: (٣/ ٩١).

وقال القرطبي بعد أن ذكر معاني الحِكمة: وهذه الأقوال قريب بعضها من بعض؛ لأن الحِكمة: مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل؛ فكل ما ذُكر فهو نوع من الحِكمة التي هي الجنس. فكتاب الله حِكمة، وسُنَّة نبيه حِكمة، وكل ما ذكر فهو حِكمة.

وأصل الحِكمة ما يمتنع به من السَّفه؛ فقيل للعلم: حِكمة؛ لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السَّفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن والعقل والفهم(١).

ثانياً: الحِكمة اصطلاحاً

قبل الشروع في تعريف الحِكمة اصطلاحاً، لا بد من كلمة عن طبيعة الأحكام في الشريعة الإسلامية: فمن الأمور الثابتة في الشريعة الإسلامية بالاستقراء والتتبع: أن الأحكام الشرعية كلها شرعت لتحقيق مصالح العباد(٢)، إما لجلب المنفعة لهم أو لدفع المفسدة والضرر عنهم، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وهذه الرحمة ظاهرة في أحكام الإسلام، كإباحة الفطر في

---

(١) القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٣/ ٣٣١).

(٢) ممن ذكر أن الله ﷻ شرع الأحكام لمصالح العباد الرازي في «المحصول». الرازي، محمود «المحصول في أصول الفقه»: (٥/ ١٧٣)، الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (٣/ ٢٥٠)، ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (٢/ ٦٢)، الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٤).

رمضان للمريض والمسافر، وحكمته دفع المشقة عنهما، وكاستحقاق الشفعة للشريك والجار لدفع الضرر عنهما، وكإيجاب الصلاة للنهي عن الفحشاء والمنكر، وكتشريع الجهاد لرد العدوان ودفع الظلم، وكفرض الزكاة لصيانة المال وسد حاجة أبناء المجتمع، ودعم التضامن بين الأفراد[١]. وهكذا لا يوجد حُكم شرعي إلا وكان الباعث عليه هو رعاية المصالح ودرء المفاسد[٢].

قال العز بن عبد السلام[٣]: «التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم والله غني عن عبادة الكل، ولا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين»[٤].

إذا تقرر هذا ـ بما ذكرنا ـ حان الشروع بما سيق الكلام

---

(١) علي، محمد «تهذيب الفروق»: (٢/ ٤١)، ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين»: (٣/ ١١، ١٢).

(٢) الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ٦١٦).

(٣) العز بن عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، الملقب بـ (سلطان العلماء)، فقيه أصولي، ولد سنة (٥٧٨هـ)، تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدي، وسمع الحديث من الحافظ أبي محمد الدمياطي وآخرين. من تصانيفه: «القواعد الكبرى» المعروف بـ«قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، و«القواعد الصغرى» المعروف بـ«اختصار المقاصد»، (ت: سنة ٦٦٠هـ) ودفن في مصر. السبكي، عبد الوهاب «طبقات الشافعية الكبرى»: (٥/ ٨٠، ١٠٢، ١٠٣).

(٤) ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (٢/ ٦٢).

من أجله، وهو تعريف الحِكمة في الاصطلاح الأصولي.

◻ الحِكمة عند الأصوليين:

لم يتناول «الأصوليون» في تصانيفهم الحِكمة ببحث مستقل، وإنما جرت العادة أن يتعرضوا لها في باب القياس عند الحديث عن شروط العلة وطرق إثباتها، وما يصح به التعليل[١]، دون تعمق أو إسهاب في التعريف.

ولعل السبب في ذلك: أن هذه المصطلحات محددة في أذهان العلماء وفكرهم، حيث إن غالبهم موسوعيون، ولذا لم يروا حاجة إلى توضيح ما هو واضح.

ولذلك نجد: أنه في مرحلة النشوء: امتزجت عدة مصطلحات مع بعضها البعض، وهي: الحِكمة، والعلة، والمعنى، والمصلحة، والمناسبة، والمقصد، إلى أن جاء الغزالي فلاحظ تداخل المصطلحات بشكل يخرجها عن مراد العلماء، فلجأ إلى تحديد عدد من المصطلحات ومنها: الحِكمة[٢].

لذا فإن الأصوليين تعددت آراؤهم وتباينت ألفاظهم في

---

(١) الطوفي، سليمان «شرح مختصر الروضة»: (٣/ ٣٨٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (٥/ ٢٨٧) وما بعدها، الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/ ٦١٩).

(٢) أبو مؤنس، رائد «منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي»: (ص١٠١).

تعريف الحِكمة[١].

---

(١) يقول الغزالي: ولسنا نعني بالحِكمة: إلا العلة المخيلة والمعنى المناسب. الغزالي، محمد «شفاء الغليل»: (ص٢٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وقال في موضع آخر: ولا نعني بالحِكمة والمعنى المخيل إلا الباعث على شرع الحكم. الغزالي، محمد، م - ن: (ص٢٨٧).
وقال الرازي: الحِكمة تحصيل المصلحة ودفع المفسدة. الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (٥/ ٢٨٧)، الأرموي، محمود، «التحصيل من المحصول» (٢/ ١٩١، ١٩٥، ٢٢٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
وقال الآمدي: الحِكمة هي المقصود من شرع الحكم. الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (٣/ ١٨٠).
وقيل: الحِكمة هي الباعثة للمكلف على الامتثال. البناني، عبد الرحمٰن «حاشية البناني»: (٢/ ٣٥٧)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م، ابن النجار، محمد «شرح الكوكب المنير»: (٤/ ٤٠، ٤١، ٤٣)،
وقال ابن الهمام: الحِكمة الأمر الباعث من المقاصد والمصالح للشارع على شرع الحكم. ابن الهمام، محمد «التحرير مع شرح التقرير والتحبير»: (٣/ ٣٣٤)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م.
وقيل: الحِكمة هي جلب المصلحة أو تكميلها أو دفع المفسدة أو تقليلها. البناني، عبد الرحمٰن، م - س: (٢/ ٣٦٣).
وقيل: الحِكمة الأمر المناسب لشرع الحكم. الشربيني، عبد الرحمٰن «حاشية الشربيني»: (٢/ ٢٦٣)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.
وقال الطوفي: الحِكمة غاية الحكم المطلوبة بشرعه، كحفظ الأنفس، والأموال، بشرع القود والقطع. الطوفي، سليمان «شرح مختصر الروضة»: (٣/ ٣٨٦).
وذهب الزحيلي إلى أن الحِكمة هي: الباعث على تشريع الحكم والغاية =

وقد تتبع الدكتور عبد العزيز الربيعة[١] استعمال لفظة الحِكمة عند الأصوليين فلاحظ أنها تطلق عندهم بإطلاقين[٢]:

* **الإطلاق الأول**: «هو أن الحِكمة: هي المعنى المقصود من شرع الحكم، وذلك هو المصلحة التي قصد الشارع بتشريع الحكم جلبها أو تكميلها[٣]، أو المفسدة التي قصد الشارع درءها أو تقليلها...».

* **الإطلاق الثاني ويراد به**: «المعنى المناسب لتشريع الحكم؛

= البعيدة المقصودة منه، وهي المصلحة التي قصد الشارع بتشريع الحكم تحقيقها أو تكميلها، أو المفسدة التي قصد الشارع بتشريع الحكم درءها أو تقليلها. الزحيلي، وهبة «أصول الفقه الإسلامي»: (١/٦١٩).

(١) د. عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الربيعة: معاصر ولد سنة (١٣٦١هـ) في حريملاء ـ وسط المملكة العربية السعودية، حوالي ٩٠ كيلو شمال غرب الرياض ـ من مؤلفاته: «السبب عند الأصوليين»، و«أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها»، و«المانع عند الأصوليين»... وغيرها. يعمل أستاذاً مشاركاً بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة الرياض. وعضو المجلس الأعلى للقضاء من سنة ١٤٣٠هـ.

- http://www.alifta.net/Fatawa/Fatawa/Chapters.aspx?View=Page&PageID=1069&PageNo=1&BookID=2.
- http://watein.com/ksaimg/displayimage-14-75.html.

(٢) كذلك ذكر هذين الإطلاقين الأستاذ الدكتور: شلبي، محمد «تعليل الأحكام»: (ص١٣٦)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

(٣) للمكلف، هذا القيد بيانٌ لجهة نسبة المصلحة، وذلك دفعاً لتوَّهُم رجوع هذه المصالح إلى الشارع ﷻ عن ذلك علواً كبيراً. أبو مؤنس، رائد «منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي»: (ص٩٥).

أي: المقتضِي لتشريعه...»[١].

مثال ذلك: قصر الصلاة: فإذا قلنا شُرع قصر الصلاة لدفع المشقة عن المسافر، فعلى الإطلاق الأول: يكون دفع المشقة هو الحِكمة.

وعلى الإطلاق الثاني: تكون المشقة نفسها هي الحِكمة[٢].

وقد عقَّب الدكتور أحمد الريسوني[٣] بعد ذكر الإطلاق الثاني بقوله: ولكن هذا الإطلاق ـ عند التحقيق والتدقيق ـ آيل إلى الإطلاق الأول، فهو إطلاق مجازي[٤].

---

(١) ربيعة، عبد العزيز «السبب عند الأصوليين»: (٢/ ١٦ ـ ١٨)، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٠م.

(٢) ابن عمر، عمر «مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام»: (ص٩١)، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٣) د. أحمد الريسوني: معاصر ولد سنة (١٩٥٣م) بناحية مدينة القصر الكبير بشمال المغرب، عضو مؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وخبير أول لدى مجمع الفقه الإسلامي بجدة. من مؤلفاته: «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»، و«نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية»... وغيرها. يعمل حالياً أستاذ علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط.
• www.ja-jp.facebook.com

(٤) كما نبه على ذلك الفناري الأصولي الحنفي بقوله: «أما ما يقال في رخص السفر: إن السبب السفر، والحِكمة المشقة، وأمثاله، فكلام مجازي. والمراد أن الحِكمة الباعثة دفع مشقة السفر». «فصول البدايع في أصول الشرايع»: (٢/ ٣٧١) عن الريسوني، أحمد «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»: (ص٢١، ٢٢)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

المبحث الثاني

أدلة ثبوت الحِكمة للشريعة

بعد أن فرغنا من تعريف الحِكمة في اللغة والاصطلاح؛ نأتي على ذكر الأدلة التي تثبت وتبين أن هذه الشريعة مُحكَمة الوضع، مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد.

يقول ابن القيم: «الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحِكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحِكمة إلى العبث، فليست من الشريعة...»[(١)].

وقال كذلك: «فإياك أن تظن بظنك الفاسد أن شيئاً من أقضيته وأقداره؛ عارٍ عن الحِكمة البالغة، بل جميع أقضيته وأقداره واقعة على أتم وجوه الحِكمة والصواب»[(٢)].

وإثبات الحِكمة للشريعة حاصلٌ بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والاستقراء، والمعقول:

---

(١) ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين»: (٣/ ١١).

(٢) ابن القيم، محمد «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»: (١/ ٣١٦).

أولاً: من الكتاب

أ ـ في كتاب الله العزيز آيات كثيرة شاهدة على أن الله لا يفعل شيئاً إلا لحِكمة، وحاشا أن يفعل شيئاً عبثاً دون غاية أو هدف، فمن ذلك: قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

أي: إلا خلقاً متلبساً بالحق والحِكمة، لا باطلاً وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال[١].

ب ـ ومن الآيات الشاهدة على الحِكمة من الخلق قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦][٢].

ج ـ ومن الآيات الدالة على الحِكمة من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وإنزال الكتب، قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فلو عريت عن الحِكمة لم يكن إرساله رحمة، بل نقمة؛ لكون التكليف بها محض تعب ونصب[٣].

---

(١) الزمخشري، محمود «الكشاف»: (٢/ ٥٦٤).

(٢) والحكيم إذا أمر عبده ـ بشيء ـ فلا بد أن يزيح عذره وعلته، ويسعى في تحصيل منافعه، ودفع المضار عنه، ليصير فارغ البال؛ فيتمكن من الاشتغال بأداء ما أمره به، والاجتناب عما نهاه عنه، فكونه مكرَّماً يقتضي ظنَّ أن الله ﷻ لا يشرع إلا ما يكون مصلحة له. الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (٥/ ١٧٤).

(٣) الرازي، محمد، م ـ ن.

وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقوله في وصف الكتاب: ﴿...وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا...﴾ [الكهف: ١، ٢]؛ أي: قيماً بمصالح العباد وما لَا بد لهم من الشرائع(١).

وقيل: مستقيم الحِكمة لا خطأ فيه ولا فساد ولا تناقض(٢).

وقد ظهر بما ذكر أن: «معظم مقاصد القرآن باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»(٣).

ثانياً: من السُّنَّة

يلمس الناظر في كتب السُّنَّة بوضوح حِكمةَ التشريع وأهدافَها، وأسرار العبادة وغاياتها، من خلال الأحكام التي استقلَّت السُّنَّة بالنص على تشريعها، مع دعوة العقول والألباب إليها إما تصريحاً وإما تنبيهاً وتلميحاً، وذلك كقوله ﷺ في الهرة: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ**»(٤). وقوله في الاستئذان:

---

(١) الزمخشري، محمود «الكشاف»: (٢/ ٦٧٥).
(٢) القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (١٠/ ٣٥٩).
(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (١/ ٧).
(٤) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الطهارة، باب سؤر الهرة: =

«إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»[١].

وكقوله ﷺ: «إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ[٢] الَّتِي دَفَّتْ؛ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا»[٣].

وأكتفي بهذه الأدلة الثابتة في السُّنَّة استقلالاً، والتي فيها التصريح بأن الأحكام الشرعية حِكمتها مراعاة مصالح العباد؛ أي: بجلب المصلحة والمنفعة للعباد، ودفع المفسدة والمضرة عنهم.

= (ح٧٥)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الطهارة، باب ما جاء في سؤر الهرة: (ح٩٢)، النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب المياه، باب سؤر الهرة: (ح٣٤٢)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء، سؤر الهرة والرخصة في ذلك: (ح٣٦٧).

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر: (ح٦٢٤١)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره: (ح٥٦٣٨).

(٢) **الدَّافَّة**: القافلة السائرة: مشتقة من الدفيف وهو السير اللين. ومنه قولهم: دفَّت علينا من بني فلان دافَّة. الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١٣٦). قال ابن الأثير: الدَّافة القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد يقال: هم يدفون دفيفاً، والدَّافة: قومٌ يريدون المصر، يريد أنهم قومٌ قدموا المدينة عند الأضحى... ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٢/ ١١٧).

(٣) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الأضاحي، باب ما كان من النهي عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء: (ح٥١٠٣).

ثالثاً: من الإجماع

فإنه ﷻ: حِكيم بإجماع المسلمين، والحكيم لا يفعل إلا لمصلحة، فإن من يفعل لا لمصلحة يكون عابثاً، والعبث على الله ﷻ مُحال، فثبت أن للأحكام الشرعية حِكَماً، وأنها معللة بمصالح العباد[١].

وقد أكد الشاطبي هذا المعنى بنقله الاتفاق في أكثر من موضع من كتابه[٢].

رابعاً: من الاستقراء[٣]

إن نصوص الكتاب والسُّنَّة مليئة بالحِكم الشرعية والأسرار الإلٰهية، ذاخرةٌ بالأهداف العالية والمعاني السامية، فيها من الفوائد الجليلة، والغايات الحميدة؛ ما يقطع بلا ريب أنها جاءت لمصلحة المكلَّفين من جلب المصالح لهم ودفع المفاسد. دل على ذلك استقراء كثير من العلماء لموارد النصوص من الكتاب والسُّنَّة.

قال البيضاوي[٤]: «إن الاستقراء دل على أن الله ﷻ شرع

---

(١) الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (٥/١٧٣).
(٢) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (٢/٢٨، ٢٩، ٢٩٢).
(٣) **الاستقراء لغة**: التتبع لمعرفة حال الشيء المقصود. **واصطلاحاً**: الاستدلال على حكم كلي من خلال تَفَحُّصِ معظم جزيئات ذلك الكلي. الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص٣٧).
(٤) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير، قاضي =

أحكامه لمصالح العباد»[١].

وقال ابن القيم: «والحِكمة في خلق العالم وأجزائه ظاهرة لمن تأملها، بادية لمن أبصرها، وقد رُقِّمَتْ سُطُورها على صفحات المخلوقات، يقرأها كل عاقل وغير كاتب، نُصِبَتْ شاهدة لله بالوحدانية والربوبية والعلم، والحِكمة واللطف والخبرة.

وأما النصوص على ذلك: فمن طلبها بهرته كثرتها وتتطابقها ولعلها أن تزيد على المئين...»[٢].

وقال العز بن عبد السلام: «ولو تتبعنا ما في الكتاب والسُّنَّة لعلمنا أنه أمر بكل خير، دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد...»[٣].

وقال الشاطبي: «والمعتمد إنما هو أنَّا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد، استقراء لا يُنَازعُ...»[٤].

= القضاة، ناصر الدين، البيضاوي، الشافعي، من تصانيفه: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» المعروف بتفسير البيضاوي، و«المنهاج في الأصول»، من كبار الأئمة في المعقول، (ت: سنة ٦٨٥هـ) بتبريز. الذهبي، محمد «سيرة أعلام النبلاء»: (١٧/ ٢٥٨)، الداوودي، محمد «طبقات المفسرين»: (١/ ٢٤٨، ٢٤٩).

(١) البيضاوي، عبد الله «منهاج الأصول»: (ص٢٣٣).

(٢) ابن القيم، محمد «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»: (٢/ ١٠٢).

(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (٢/ ١٦٠).

(٤) فيه الرازي ولا غيره... الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (٢/ ٤).

خامساً: من المعقول

إن مما لا شك فيه، أن شريعة الله فيها الهدى والنور، والشفاء لكل ما حاك وتردد في الصدور، وقد اشتملت على حِكم باهرة، ومعاني سامقة، ومصالح عظيمة، وغايات جليلة، وقد أقمت الدليل والبرهان على ذلك فيما تقدم من أدلة نقلية.

لكن ولما كان هناك صنف من الناس، لا يؤمن إلا بما تنتجه العقول البشرية، كان على الباحث أن يتصدى لإزاحة الشبهة بذكر جملة من الأدلة العقلية؛ تبين موافقة العقل للنقل وتثبت أن للشارع حِكماً فيما شرع. وأن أحكامه ﷻ مشتملة على جلب النافع، ودفع الضار.

ومن هذه الأدلة:

* **الدليل الأول:** أن الشريعة دعت أتباعها إلى التفكر فيما ينفعهم وما يضرهم، حتى يظهر لهم الضار من الأشياء أو الراجح ضرره؛ فيعلموا أنه جدير بالترك فيتركوه على بصيرة واقتناع، كما يظهر لهم النافع فيطلبوه، ومصداق هذا قوله ﷻ: ﴿...كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠].

فعلى العاقل الرشيد أن يطلب فقه القول دون الظواهر الحرفية، فمن اعتاد الأخذ بما يطفو من هذه الظواهر دون ما رسب في أعماق الكلام، وما تغلغل في أنحائه وأحنائه، يبقى جاهلاً غبياً طول عمره[1].

---

(١) رضا، محمد رشيد «تفسير المنار»: (٥/ ٢٦٧).

* **الدليل الثاني**: أن الشريعة نعت على الذين لا يتفكرون في آيات الله، مصداق ذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

* **الدليل الثالث**: أن الله ﷻ خلق الإنسان مكرَّماً مشرَّفاً، لقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. ومن كرَّم أحداً سعى في تحصيل مطلوبه، فإذاً ظنُّ كون المكلَّف مكرَّماً ـ يقتضي ظنَّ أن الله ﷻ لا يشرع إلا ما يكون مصلحة له[١].

* **الدليل الرابع**: أن تعطيل الحِكمة والغاية المطلوبة بالفعل؛ **إما أن يكون لعدم علم الفاعل بها**، وهذا محال في حق منْ هو بكل شيء عليم. **وإما لعجزه عن تحصيلها**، وهذا ممتنع في حق من هو على كل شيء قدير. **وإما لعدم إرادته ومشيئته الإحسان إلى غيره وإيصال النفع إليه**، وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين، ومَنْ إحْسَانُه من لوازم ذاته فلا يكون إلا محسناً مُنعماً مَنَّاناً. **وإما لمانع يمنع من إرادتها وقصدها**، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد بل هو فعال لما يريد. **وإما لاستلزامها نقصاً ومنافاتها كمالاً**، وهذا باطل بل هو قلب للحقائق، وعكس للفطر، ومناقضة لقضايا العقول، فإن من يفعل لحِكمة وغاية مطلوبة ـ يُحمد عليها ـ أكملُ ممن يفعل لا لشيء ألبتة، كما أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق، ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم، ومن يتكلم أكمل

---

(١) الرازي، محمد «المحصول في علم أصول الفقه»: (٥/ ١٧٤).

ممن لا يتكلم، ومن يقدر ويريد أكمل ممن لا يتصف بذلك، وهذا مركوزٌ في الفطر مستقر في العقول.

فنفي حِكمته وأن يكون له مقصد في الأحكام، بمنزلة نفي هذه الأوصاف عنه، وذلك يستلزم وصفه بأضدادها وهي أنقص النقائص[١].

❁ ❁ ❁

(١) ابن القيم، محمد «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»: (ص٣٤٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. وللتوسع في هذه المسألة ينظر: ابن عمر، عمر «مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام»: (ص٧٦)، اليوبي، محمد «مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية»: (ص١١٩)، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.

المبحث الثالث

المقارنة بين الحِكمة وبين ما له صلة بها

بعد أن بيَّنت معنى الحِكمة، والمراد بها في لسان علماء حملة الشرع، وذكرت أدلة ثبوتها، وجدت بعض المصطلحات مرادفة لمعنى الحِكمة كالمقاصد، أو ربما كانت مقاربة لها كالعلة، والمعنى، والمناسبة، والمصلحة.

فكان من المناسب أن أتعرض لها بالتعريف وبيان المراد من كلٍّ منها، ثم علاقتها بالحكمة، **فأقول**[1]:

١ ـ المقاصد

□ أولاً: المقاصد لغةً:

قبل تعريف المقاصد لغة لا بد من استقراء مواقع استعمالاتها في لغة العرب، ومعرفة أصل هذه الكلمة وعلاقتهُ بالمعنى الشرعي.

فالمقاصد أصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د)، يقصد قصداً،

---

(١) البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»: (ص٤٣)، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

والمقصَد: مصدر ميمي[١] واسم المكان منه مقصِد، وهو يجمع على مقاصد.

وقد استعملت العرب هذه الكلمة لمعانٍ متعددة[٢]:

المعنى الأول: الاعتماد، والأمُّ، وإتيان الشيء، والتوجه.

تقول: قَصَدَه، وقَصَد له، وقَصَد إليه إذا أمَّه، ومنه أيضاً: أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه[٣].

قال ابن فارس[٤]: .....

---

(١) المصدر الميمي: هو المصدر المبدوء بميم زائدة لغير المفاعلة، يدل على الحدث مجرداً من الزمن ويصاغ من الفعل الثلاثي على زنة (مَفْعل) بفتح الميم والعين وسكون الفاء، نحو: مَنْصَر، ومَضْرَب... ابن هشام، عبد الله، «شذور الذهب في معرفة كلام العرب»، مطبعة التقدم، القاهرة، ط٥، سنة ١٣٩٨هـ: (ص٤٨٩)، الصبان، محمد، «رسالة في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان» تحقيق: الدكتور العمروسي، محمد، مطبوعة في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، ربيع الآخر، ١٤١٣هـ: (ص٢٦١) وما بعدها. نقلاً عن: اليوبي، محمد «مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية»: (ص٢٥).

(٢) ابن أحمد، الخليل «العين»: (٥/ ٥٤)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت، الأزهري، محمد «تهذيب اللغة»: (٨/ ٣٥٨)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.، الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٨٦٣).

(٣) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٣/ ٣٥٣، ٣٥٦).

(٤) ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد، القزويني، اللغوي، سمع أباه، وعلي بن القطان، وقرأ على البديع الهمذاني، كان شافعياً، فتحول مالكياً، له تصانيف كثيرة منها: «مجمل =

«وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه»[١].

المعنى الثاني: استقامة الطريق.

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩][٢].

قال ابن جرير: «والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه...»[٣].

المعنى الثالث: العدل، والتوسط، وعدم الإفراط[٤].

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

وقوله ﷺ: «**وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**»[٥].

المعنى الرابع: الكسر في أي وجه كان[٦].

هذه هي المعاني التي تدور حولها كلمة (القصد) في اللغة.

= اللغة»، و«معجم مقاييس اللغة»، و«فقه اللغة»، (ت: سنة ٣٩٥هـ). القفطي، علي «إنباه الرواة على أنباه النحاة»: (١/ ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠)، السيوطي، عبد الرحمٰن «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»: (١/ ٢٨٩، ٢٩٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(١) ابن فارس، أحمد «معجم مقاييس اللغة»: (٥/ ٩٥).

(٢) ابن منظور، محمد، «لسان العرب»: (٣/ ٣٥٣).

(٣) ابن جرير، محمد «جامع البيان عن تأويل القرآن»: (٨/ ٨٣).

(٤) ابن منظور، محمد، م ـ س: (٣/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٥) سبق تخريجه: (ص٧٤)، هامش (١).

(٦) تقول: قصدت العود قصداً كسرته. ابن منظور، محمد م ـ س: (٣/ ٣٥٥).

يقول الدكتور محمد سعيد اليوبي[١]: «وبعد عرض المعاني اللغوية يظهر: أن المعنى الأول هو المعنى الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي إذ فيه الأمُّ، والاعتماد، وإتيان الشيء، والتوجه، وكلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه، مع أن المعنيين الثاني والثالث غير خارجين عن هذا المعنى كما سبق.

وأيضاً مقاصد الشريعة ملاحظ فيها الاستقامة، والطريق القويم، والعدل، والتوسط، والذي يستبعد هو المعنى الرابع قطعاً[٢].

◻ ثانياً: المقاصد اصطلاحاً:

بعد إمعان النظر فيما كتبه العلماء عن تعريف المقاصد وإجالة الفكر في ذلك؛ لم أجد تعريفاً جامعاً مانعاً للمقاصد لدى العلماء القدامى من الأصوليين، وإنما هي استعمالات لهم واصطلاح يعبرون عنه بتعبيرات مختلفة؛ فالغزالي يذكر مقاصد الشريعة بقوله: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوِّت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة...»[٣].

---

(١) اليوبي: محمد سعيد بن أحمد بن مسعود اليوبي. مدرس مادة أصول الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) اليوبي، محمد «مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية»: (ص٢٨).

(٣) الغزالي، محمد «المستصفى»: (١/ ٤١٧). ومن الواضح أن الغزالي هنا لم يرد بكلامه أن يعطي تعريفاً دقيقاً للمقاصد، وإنما أراد حصر المقاصد في الأمور المذكورة. اليوبي، محمد «مقاصد الشريعة وعلاقتها =

ويمكن أن نعزو السبب في ذلك إلى أن المتقدمين من العلماء لم يكونوا يتعمقون في التعريفات، وإنما كانوا يقصدون تقريب المعاني بالألفاظ المترادفة ونحوها بما هو قريب المأخذ وسهل الملتمس، دون مراعاة للمحترزات، وشروط الحدود[١].

= بالأدلة الشرعية»: (ص٣٣). وقال العز بن عبد السلام: «من تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد؛ حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع، ولا نص، ولا قياس خاص؛ فإنَّ فهم نفس الشرع يوجب ذلك». ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (٢/ ١٦٠). وأما الشاطبي: فلم يذكر تعريفاً للمقاصد مع كثرة عنايته بها، ودقيق فهمه لها. اليوبي، محمد، م ـ س: (ص٣٤). قال الشاطبي: «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: **أحدها**: أن تكون ضرورية، **والثاني**: أن تكون حاجية، **والثالث**: أن تكون تحسينية». الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (٢/ ٧). ولعل السبب في عدم ذكر الشاطبي هو ما ذكره الريسوني:

١ ـ من أنه اعتبر الأمر واضحاً.

٢ ـ ولكونه كتب كتابه للعلماء، بل للراسخين في علوم الشريعة. وقد نبه على ذلك صراحة في مقدمته.

الريسوني، أحمد «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»: (ص١٧).

وأضاف اليوبي سبباً آخر في عدم ذكر الشاطبي لتعريف المقاصد هو: أن الشاطبي يتبنى منهجاً خاصاً في الحدود، ولا يرى الإغراق في تفاصيل الحدود، بل يرى أن التعريف يحصل بالتقريب للمخاطب. اليوبي، محمد، م ـ س.

(١) الشاطبي، إبراهيم، م ـ س: (١/ ٥٦).

وذاك أن المعاني كانت عندهم واضحة ومتمثلة في أذهانهم، وتسيل على ألسنتهم وأقلامهم دون كدٍ أو مشقة[١].

وأما العلماء المعاصرون: فإنهم ذكروا عدة تعريفات للمقاصد لم تسلم من النقد والاعتراض[٢]، وبتتبع هذه التعريفات ومقارنتها يمكن أن نستخلص التعريف التالي:

المقاصد هي: المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، التي تقرر العبودية لله، وتحقق مصلحة الإنسان في الدارين[٣].

---

(١) البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»: (ص٤٥).

(٢) للاطلاع على هذه التعريفات ينظر: العالم، يوسف «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية»: (ص٧٩)، ابن عاشور، محمد «مقاصد الشريعة»: (ص٥١)، الفاسي، علال «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها»: (ص٣)، اليوبي، محمد «مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية»: (ص٣٧)، ابن عمر، عمر «مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام»: (ص٨٩)، ابن كرامة الله مخدوم، مصطفى «قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية»: (ص٣٤)، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، الريسوني، أحمد «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي» (ص١٩)، البدوي، يوسف، م ـ س: (ص٥٢)، بُو سعادي، يمينة «مقاصد الشريعة وأثرها في الجمع والترجيح بين النصوص»: (ص٢٨)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، الجندي، سميح «أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم»: (ص٣٣)، دار الإيمان، الإسكندرية ـ مصر، د.ت.

(٣) هذا التعريف المختار انتزعناه من الدكتور نور الدين الخادمي، بعد حذف التكرار، والاستطراد.

◻ ثالثاً: العلاقة بين المقاصد والحكمة:

بعد أن عرَّفنا المقاصد اصطلاحاً، ومن خلال استعراض ما قاله علماء الأصول فيها، يمكن القول بأن مقاصد الشريعة مرادفة للحِكمة في التشريع، ولا فرق بينهما من حيث الاستعمال. وإن كان الفقهاء يستعملون لفظ الحِكمة أكثر مما يستعملون لفظ المقصِد[١].

ويؤكد الشيخ «بدران أبو العنين بدران»[٢] هذا التطابق بين مقصود الحُكم وحِكمته في اصطلاح الفقهاء ـ وغيرهم ـ فيقول: «على أن جمهور الفقهاء كانوا يذهبون في اجتهاداتهم إلى أن ما شرعه الله من أحكام، لم يشرعه الله إلا لمصلحة جلب منفعة لهم، أو دفع مضرة عنهم. فلهذا كانت تلك المصلحة هي الغاية المقصودة من التشريع وتسمى حِكمة»[٣].

---

(١) ومن أمثلة ذلك قول ابن فرحون، يحدد مقاصد القضاء: «وأما، حِكمته: فرفع التهارج، ورد التواثب، وقمع المظالم، ونصر المظلوم، وقطع الخصومات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». قاله ابن رشد وغيره. ابن فرحون، إبراهيم «تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام»: (١/٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(٢) الدكتور بدران أبو العينين يحمل شهادة الدكتوراه في الإعلام من جامعة الأزهر عام ١٩٨٦م، وهو الآن عميد كلية الألسن والإعلام في جامعة مصر العربية، ورئيس قسم الصحافة، ومستشار التدريب الإعلامي بمعهد الأهرام الإقليمي للصحافة، .www.blog.saeeed.com

(٣) أبو العينين، بدران «أدلة التشريع المتعارضة ووجوه الترجيح بينها»، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية: (ص٢٤٢، ٢٤٣).

٢ ـ العِلَّة

◻ أولاً: العِلَّة لغةً:

العِلَّة من علَّ، والعين واللام المشددة أصل واحد، وقد أُطلِقَت في اللغة على استعمالات منها:

١ ـ تكرير، ومنه علَّ الضارب المضروب، إذا تابع عليه الضرب.

٢ ـ عائق يعوق، يقال: اعتلَّه إذا اعتاقه عن أمر.

٣ ـ ضعف في الشيء، ومنه عِلَّة المريض[١].

٤ ـ السبب، يقال: هذا عِلَّة لهذا؛ أي: سبب[٢].

والعَلُّ والعَلَلُ: الشربة الثانية، وقيل: الشرب بعد الشرب تباعاً، وعلَّ الرجل يَعِلُّ من المرض. واعتل؛ أي: مَرِضَ، والعِلَّة المَرَضُ، وحَدَثٌ يشغل صاحبه عن وجهه، كأن تلك العِلَّة صارت شُغلاً ثانياً منعه شغله الأول[٣].

◻ ثانياً: العِلَّة اصطلاحاً:

كثرت تعاريف العِلَّة في الاصطلاح، وتعددت مذاهب

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٧٣٨)، ابن فارس، أحمد «معجم مقاييس اللغة»، مادة: (علّ): (٤/ ١٢)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١١/ ٤٦٨، ٤٧١).

(٢) ابن منظور، محمد، م ـ ن: (١١/ ٤٧١).

(٣) الجوهري، إسماعيل، م ـ س: (ص٧٣٨).

الأصوليين في ذلك، وكثر فيها الجدال والأخذ والرد. ولكن الذي يهمني الآن: هو أن لفظ «العلة» مما يعبر به عن الحِكمة في التشريع. وهذا هو الاستعمال الأصلي والحقيقي لمصطلح العلة.

قال الآمدي[١] وابن الحاجب[٢]: هي الباعث والداعي لشرع الحكم؛ أي: مشتملة على حِكمة صالحة أن تكون مقصودة للشارع من شرع الحكم[٣].

---

(١) الآمدي: علي بن أبي علي بن محمد، الثعلبي، أبو الحسن، الفقيه، الأصولي، الملقب بـ «سيف الدين»، ولد سنة (٥٥١هـ) بمدينة آمد. تفقه على أبي الفتح ابن المنى الحنبلي، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، له تصانيف عديدة، منها: «الإحكام في أصول الأحكام»، و«منتهى السول»، (ت بدمشق: سنة ٦٣١هـ) ودفن بسفح جبل قاسيون. ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧)، السبكي، عبد الوهاب «طبقات الشافعية الكبرى»: (٤/ ٤١٥، ٤١٦).

(٢) ابن الحاجب: أبو عمرو، عثمان بن عمر بن أبي بكر، الدَّوني، المصري، ثم الدمشقي، ثم الإسكندراني، الفقيه المالكي، المعروف بابن الحاجب، والملقب بجمال الدين، ولد سنة (٥٧٠هـ) بأسنا بالصعيد الأعلى. قرأ القراءات على الغزنوي، وأبي الجود غياث بن فارس. من تصانيفه: «الكافية» مقدمة في النحو، و«الشافية» في التصريف، و«المختصر في أصول الفقه». (ت: سنة ٦٤٦هـ). ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: (٣/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠)، ابن فرحون، إبراهيم «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب»: (ص٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١).

(٣) الآمدي، علي «الإحكام في أصول الأحكام»: (٣/ ١٨٠)، ابن الحاجب، عثمان «منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل»: (ص١٦٧)، العلمية ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، شلبي، محمد «تعليل الأحكام»: (ص١٧).

وقال الشاطبي: «المراد بالعلة: الحِكَم والمصالح التي تعلقت بها الأوامر أو الإباحة، والمفاسد التي تعلقت بها النواهي.

فالمشقة علَّة في إباحة القصر والفطر في السفر.

فعلى الجملة: العلة هي المصلحة نفسها أو المفسدة، لا مظنتها، كانت ظاهرة أو غير ظاهرة، منضبطة أو غير منضبطة»[1].

وقال شلبي: إن لفظة العلة أُطلِقَت في لسان أهل الاصطلاح على أمور:

الأمر الأول: هو ما يترتب على الفعل من نفع أو ضرر، مثل ما يترتب على الزنا من اختلاط الأنساب، وما يترتب على القتل من ضياع النفوس وإهدارها.

الأمر الثاني: ما يترتب على تشريع الحكم من مصلحة، أو دفع مفسدة...

الأمر الثالث: وهو الوصف الظاهر المنضبط، الذي يترتب على تشريع الحكم عنده مصلحة للعباد... فإنه يصح تسمية هذه الأمور الثلاثة بالعلة... ولكن أهل الاصطلاح فيما بعد خصوا الأوصاف باسم العلة، وإن قالوا: إنها علة مجازاً؛ لأنها ضابطة للعلة الحقيقية، وسموا ما يترتب على الفعل من نفع أو ضرر حِكمة

---

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات»: (١/١٩٦). وهذا النهج في التعريف لم يقل به غيره من الأصوليين، ابن عمر، عمر «مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام»: (ص٩٣).

مع اعترافهم بأنها العلة على الحقيقة، وسموا ما يترتب على التشريع من منفعة أو دفع مضرة بالمصلحة، أو مقصد الشارع من التشريع، وبعضهم أطلق عليه لفظة الحِكمة. . .[١].

◻ ثالثاً: العلاقة بين العلة والحِكمة:

إذا أمعنا النظر في تعريفات العلة نجد أنها تستعمل في التعبير عن حِكمة التشريع، فتكون على هذا مرادفة لمصطلح «**الحِكمة**». بل هذا هو الاستعمال الأصلي والحقيقي لمصطلح العلة. ولذا رأينا الشاطبي يذكر أن المراد بالعلة: الحِكم والمصالح. . . فهو يستعملها بمعناها الحقيقي الأصلي.

لكن فيما بعد غلب استعمال لفظ العلة بمعنى: الوصف الظاهر المنضبط الذي تناط به الأحكام الشرعية؛ على أساس أن الحِكمة وهي مناط الحُكم ومقصوده في حقيقة الأمر؛ ترتبط غالباً بذلك الوصف الظاهر المنضبط، والذي يسهل إحالة الناس عليه في تعرفهم لأحكام الشارع[٢]. ولا يكون التعليل بالحِكمة وإن كانت هي الباعثة على شرع الحكم؛ لأنها قد تكون خفية أو غير منضبطة تختلف باختلاف الأزمان والأشخاص[٣].

---

(١) شلبي، محمد «تعليل الأحكام»: (ص١٣).

(٢) الريسوني، أحمد «نظرية المقاصد عند الشاطبي»: (ص٢٣، ٢٤ - بتصرف).

(٣) ابن عمر، عمر «مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام»: (ص٩٤).

٣ ـ المعنى

شاع لفظ المعاني على لسان علماء حملة الشرع؛ ليدلوا بها على ما اشتملت عليه الشريعة والأحكام من الحِكم والمصالح لا سيما عند الفقهاء، فيقولون: شُرِعَ هذا الحُكْم لهذا المعنى؛ أي: لهذه الحِكمة والغاية. كما أنهم استعملوا لفظ المعنى بدل لفظ العلة[١].

قال الطبري: في تحديد مقاصد الزكاة: «والصواب من ذلك عندي: أن الله جعل الصدقة في **معنيين**: أحدهما: سد خلة المسلمين، والآخر: معونة الإسلام وتقويته...»[٢].

وقال البزدوي وهو يعرِّف الفقه ويذكر أقسامه: «والقسم الثاني: إتقان المعرفة به، وهو معرفة النصوص بمعانيها...»[٣].

---

(١) البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»: (ص٥٦).

(٢) الطبري، محمد «جامع البيان»: (١٠/ ١١٣).

(٣) البزدوي، علي «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام»، (١/ ٤٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م. قال الشارح: «والمراد من المعاني: المعاني اللغوية، والمعاني الشرعية، التي تسمى عِلَلاً. وكان السلف لا يستعملون لفظ العلة وإنما يستعملون لفظ: المعنى أخذاً من قوله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى معانٍ ثلاثٍ**»؛ أي: علل. بدليل قوله: إحدى، بلفظة التأنيث وثلاث بدون الهاء». الشارح: البخاري، عبد العزيز «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي»: (١/ ٤٧).
وقد تتبع الدكتور أحمد الريسوني استعمالات الفقهاء لمصطلح المعنى للدلالة على حِكم الشريعة وعللها، وذكر جملة من النماذج. الريسوني، =

٤ ـ المناسبة

◻ أولاً: المناسبة لغةً:

المشاكلة، والموافقة، والملاءمة[١].

◻ ثانياً: المناسبة اصطلاحاً:

تعيين علة الأصل بمجرد إبداء المناسبة من ذات الوصف لا بنص ولا غيره، كالإسكار[٢].

والوصف المناسب الذي تحققت فيه المناسبة هو: «وصف ظاهر منضبط، يحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه ما يصلح أن يكون مقصوداً، من حصول مصلحة أو دفع مفسدة»[٣].

فالإسكار ـ وصف مناسب للتحريم؛ لأنه يُغطِّي العقل؛ وحفظ العقل مصلحة، ودرء المفسدة متمحِّضٌ في منع ما يزيل العقل؛ المطلوب حفظه بتحريم تعاطي المسكرات[٤].

= أحمد «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»: (ص٢٦، ٢٧).

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١٠٣٦)، الفيروزآبادي، محمد «القاموس المحيط»: (ص١٧٦)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١/ ٧٥٦).

(٢) ابن الحاجب، عثمان «مختصر ابن الحاجب» (٢/ ٢٣٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ (مطبوع مع حاشية التفتازاني).

(٣) ابن الحاجب، عثمان م ـ ن.

(٤) الشنقيطي، أحمد «الوصف المناسب لشرع الحكم»: (ص١٦١)، البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن تيمية»: (ص٥٩).

◻ ثالثاً: العلاقة بين المناسبة والحكمة:

وتظهر العلاقة بين المناسبة والحِكمة من جهة أن كلّاً منهما فيه معنًى مناسباً لتشريع الحكم. وذلك هو المصلحة التي قصد الشارع بتشريع الحكم جلبها أو تكميلها، أو المفسدة التي قصد الشارع بتشريع الحكم درءها أو تقليلها. ويعبر بكل معنًى من هذين المعنيين عن الآخر.

٥ ـ المصلحة

◻ أولاً: المصلحة لغةً:

الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح؛ كالمنفعة لفظاً ومعنًى؛ من أصلح الشيء بعد فساده إذا أقامه، والإصلاح نقيض الإفساد[١].

◻ ثانياً: المصلحة اصطلاحاً:

عرَّفها الغزالي[٢] بقوله: «أما المصلحة، فهي عبارة في الأصل

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٥٩٨)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٢/ ٥١٧).

(٢) الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد بن أحمد، الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، الطوسي ـ نسبة إلى طوس ناحية بخرسان ـ، الشافعي، الأصولي. ولد سنة (٤٥٠هـ)، أخذ عن أبي نصر الإسماعيلي، ولازم إمام الحرمين الجُوَيْني، من مصنفاته: «المستصفى»، و«المنخول» في أصول الفقه، (ت: سنة ٥٠٥هـ) بالطابران ـ إحدى بلدتي طوس ـ. ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان»: (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٨)، السبكي، =

عن جلب منفعة أو دفع مضرة»[١].

◻ ثالثاً: العلاقة بين المصلحة والحكمة:

من خلال التعريف المتقدم للمصلحة عند الغزالي، نجد أن الصلة القوية بين المصلحة وحِكمة التشريع واضحة لا تحتاج إلى بيان، فالمصلحة لا تعتبر شرعاً حتى تكون محقِّقة لحِكمة شرعية؛ من جلب نفع أو دفع ضر. ولا معنى للحكمة غير ذلك. وقد سبق في تعريف الحِكمة: «... أنها الباعث على تشريع الحكم، والغاية البعيدة المقصودة منه، وهي المصلحة التي قصد الشارع بتشريع الحكم تحقيقها أو تكميلها، أو المفسدة التي قصد الشارع بتشريع الحكم درأها أو تقليلها».

❁ ❁ ❁

= عبد الوهاب «طبقات الشافعية الكبرى»: (٤/ ١٠١، ١٠٣، ١٠٥).

(١) الغزالي، محمد «المستصفى»: (٢/ ٤٨١).

المبحث الرابع

حِكمة التشريع في صدر الإسلام

فكرة عن السياق التاريخي الذي نشأ فيه مصطلح الحكمة

من الضروري قبل الخوض في غمار البحث أن نعطي فكرة عن السياق التاريخي؛ الذي نشأ فيه مصطلح الحِكمة في التشريع والمراحل التي مر بها، وجهود العلماء الذين كان لهم أثر في تطويره، وإخراجه وإبرازه. وهذا ما عقدت العزم على تبيينه في هذا المبحث فأقول:

إن مصطلح الحِكمة في التشريع لم يبرز في الصدر الأول كفنٍّ مستقل، ولم يُفْرَد بالتأليف والتصنيف، ولم يحظ بنفس العناية التي حظي بها علم أصول الفقه؛ بل كان ممتزجاً بعدة مصطلحات: كالمقصد، والعلم، والمعنى، والمصلحة، ولم يتميز إلا بعد زمن.

مع أن كثيراً من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأقوال الصحابة، ومصنفات العلماء، تنص صراحة أو تشير دلالة إلى الحِكمة في الشريعة. ويمكن لنا أن نبين ذلك من خلال الآتي:

إشارة النصوص إلى الحكمة

◻ أولاً: في الكتاب:

من الآيات التي نصت على تنزيه الله ﷻ عن اللعب والعبث والباطل:

أ ـ قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

ب ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ج ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

د ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

هـ ـ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٥٦].

فقد دلت هذه الآيات على أن الله ﷻ حكيم لا يخلق شيئاً عبثاً ولا باطلاً، بل كل ما يخلقه وما يفعله لحِكمة، وغاية، وهدف، ومعنى.

و ـ قوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ز ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وفي الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ح ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ط ـ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

◻ ثانياً: في السُّنَّة:

أ ـ قوله ﷺ لعائشة: «**لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَاباً شَرْقِيّاً وَبَاباً غَرْبِيّاً فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ**»[(١)].

ب ـ قوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء**»[(٢)].

ج ـ قوله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، أَوْ عَلَى النَّاسِ ـ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةْ**»[(٣)].

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب فضل الكعبة وبنيانها: (ح١٥٨٦)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها: (ح٣٢٤٤).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «**من لم يستطع الباءة فليصم**» (ح٥٠٦٦)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: (ح٣٣٨٤).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة: (ح٨٨٧)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب السواك: (ح٥٨٩).

د ـ ولما قيل له في قتل بعض المنافقين[١] قال ﷺ: «**دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[٢].

هـ ـ قوله ﷺ: «**إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا**»[٣].

فهذه الأحاديث وسواها كثير، شاهدة على اشتمال السُّنَّة على الحِكم، والغايات التي شرعت لأجلها الأحكام، دالة يقيناً على اقتران الحِكمة بالنصوص الشرعية، راسمة منهجاً للاستدلال والاستنباط.

◻ ثالثاً: عند الصحابة:

مما لا شك فيه أن صحابة رسول الله ﷺ هم أقدر الناس على إدراك حِكمة التشريع وأهدافه وغاياته، عايشوا التنزيل، ورأوا رسول الله ﷺ، وخبروا مرام النبي ﷺ من تشريعاته، ونهجوا نهجه في التعرف على حِكمة التشريع وأسرار الشريعة. ونظروا إلى الشريعة

---

(١) **هو**: عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، والقائل للرسول: دعني أضرب عنق هذا المنافق هو: عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول. وفي رواية: هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، البخاري (٦/٥٤٦).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية: (ح٣٥١٨)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً: (ح٦٥٨٣).

(٣) سبق تخريجه: (ص١٤٤)، هامش (٣).

في مجموعها، ملاحظين مبادئها العامة، وقواعدها الشاملة، كلها في آن واحد[١]. وهناك كثيرٌ من الأمثلة شاهدة على مراعاتهم حِكمة التشريع، وجلب المصلحة ودرء المفسدة:

أمثلة تبين مراعاة الصحابة للحكمة:

المثال الأول: جمع القرآن:

توفي رسول الله ﷺ والقرآن الكريم لم يجمع بعد[٢]، فلما كان يوم اليمامة حيث اسْتَحَرَّ ـ اشتد ـ القتل بقراء القرآن، رأوا أن يجمع في صحف خشية أن يذهب بذهاب القراء، وحفظاً لدين الله من الضياع، وهذا التفات منهم للمصلحة المتعلقة بالدين ودرء المفسدة عنه. أخرج البخاري في «صحيحه»، أن زيد بن ثابت قال: (أَرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد اسْتَحَرَّ يوم اليمامة بقرَّاء القرآن، وإني أخشى إن اسْتَحَرَّ القتل بالقرَّاء بالمواطن فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خيرٌ. فلم يزل عمر يُراجِعُني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله

---

(١) شلبي، محمد «تعليل الأحكام»: (ص٧١).

(٢) لأنه ما دام النبي على قيد الحياة فهو على رجاء أن ينزل عليه الوحي، وما عرف أنه تم إلا بموته ﷺ.

فتتبع القرآن فاجمعه...)[١].

المثال الثاني: قتل الجماعة بالواحد:

رفع إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قضية امرأة بصنعاء لها ربيب - ابن زوجها - فغاب زوجها وكان ربيبها عندها، وكان لها خليل، فقالت: إن هذا الغلام فاضحنا، فانظروا كيف تصنعون به، فتمالوا عليه وهم سبعة مع المرأة... فكتب يعلى بن أمية أمير صنعاء إلى عمر يستفتيه؛ فكتب إليه: أن اقتلهم، فلو تمالأ فيه أهل صنعاء لقتلتهم[٢].

فنلاحظ أن عمر ﷺ اعتبر الحِكمة وترك النظر لمجرد النص «النفس بالنفس»؛ لما فيه من تفويت حِكمة الردع والزجر في حياتنا، ولما يؤدي إلى ضياع الدماء والحياة التي جعلها الله في القصاص[٣].

ووافقه على ذلك الصحابة فكان إجماعاً.

وأكتفي بهذين المثالين؛ الدَّالَّين على مدى اعتبار حِكمة

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن: (ح٤٩٨٦).

(٢) الصنعاني، عبد الرزاق «المصنف»، كتاب العقول، باب النفر يقتلون الرجل (٩/ ٣٤٣، ٣٤٤)، (ح١٨٤٠١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) حيث لا يَعدم كلّ عدوٍّ أن يجمع لعدوِّه العددَ الكثير ليقتلوه مجتمعين؛ إذا علموا أنهم ناجون من القتل.

التشريع في فتاوى الصحابة رضوان الله عليهم وأقضيتهم.

◻ رابعاً: عند التابعين:

مضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وجاء عصر التابعين الذي يعتبر امتداداً لعصر الصحابة واتصالاً له، «فقد عايش التابعون صحابة رسول الله ﷺ وورثوا منهم مروياتهم، وأقضيتهم، وفتاواهم، واجتهاداتهم، ومسلك استنباطاتهم، وفهموا تعليلاتهم المقاصدية والمصلحية وغير ذلك مما أعانهم وساعدهم على مواكبة عصرهم وبيان أحكامه المختلفة[١]، مراعين في نظرتهم للمسائل حِكمة التشريع وأهداف الشريعة وغاياتها، ملاحظين ظروف المجتمع والواقع الذي يعيشون فيه.

جاء في الفكر السامي: كان إبراهيم النخعي[٢] يرى أن أحكام الشرع معقولة المعنى، مشتملة على مصالح راجعة إلى الأمة، وأنها بنيت على أصول محكمة، وعلل ضابطة لتلك الحِكم، فُهمت من الكتاب والسُّنَّة، وشُرعت الأحكام لأجلها لينتظم بها أمر الحياة،

---

(١) الخادمي، نور الدين «الاجتهاد المقاصدي»: (١/ ٧٧)، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) النخعي: إبراهيم بن يزيد بن عمرو، أبو عمران، الكوفي، النخعي، مفتي أهل الكوفة، ولد سنة (٥٠هـ)، أخذ عن علقمة بن قيس، وعبيدة السلماني وغيرهم. وروى عنه: الحكم بن عُتيبة، وحماد بن أبي سليمان، وسماك بن حرب، وغيرهم. (ت: سنة ٩٦هـ). البخاري، محمد «كتاب التاريخ الكبير»: (١/ ٣٣٣، ٣٤٣)، ابن سعد، محمد «الطبقات الكبرى»: (٦/ ٢٧٩، ٢٩١).

فكان يجتهد في معرفتها ليدير الحكم لأجلها حيث دارت... فأحكام الله لها غايات؛ أي: حكم ومصالح راجعة إلينا...

فكان هذا الفريق من الفقهاء يبحث عن تلك العلل والحِكم التي شُرعت الأحكام لأجلها، ويجعل الحكم دائراً معها وجوداً وعدماً[١].

وهذه بعض أمثلة تبين مدى مراعاة التابعين للحِكمة في نظرتهم للأحكام، وتعليلهم للمسائل:

أمثلة تبين مراعاة التابعين للحكمة:

المثال الأول: خروج النساء للمسجد:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا**». قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لَنَمْنَعُهُنَّ. قال: فَأَقْبَلَ عليه عبد الله فسبَّهُ سبًّا سيِّئاً ما سمِعْتُهُ سبَّهُ مِثْلَهُ قطُّ، وقال: أُخْبِرُكَ عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لَنَمْنَعُهُنَّ[٢]؟!

فهنا نرى أن رسول الله ﷺ أباح لهن الخروج إلى المساجد؛

---

(١) الحجوي، محمد «الفكر السامي»: (١/ ٣٨٥، ٣٨٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس: (ح٨٦٥)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة: (ح٩٨٩).

لما يترتب على ذلك من زيادة الأجر والثواب، وتزكية النفس بحضور الصلاة ومجالس العلم والخير، وبلال لم ينكر ذلك، ولكنه وجد الحالة تغيرت، والنفوس دخلها ضعف الإيمان، فلو أبيح لهن الخروج، ترتب على ذلك فساد كبير، وهذا خلاف الحِكمة التي قصدها الشارع من الإذن.

المثال الثاني: التسعير:

يرى سعيد بن المسيب[١]، وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن[٢]، ويحيى بن سعيد الأنصاري[٣] جواز التسعير إذا دعت مصلحة

---

(١) سعيد بن المسيب: ابن حزن بن أبي وهب عمرو بن عائذ، المخزومي القرشي، أبو محمد، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر. من سادات التابعين، وأفقه أهل الحجاز. كان أحفظ الناس لأحكام عمر، حتى سمي راوية عمر، توفي في المدينة سنة (٩٤هـ). ابن حبان، محمد «كتاب الثقات»، دار الفكر، تصوير عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند، ط١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، (٤/ ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥)، الذهبي، محمد:
أ ـ «العبر في أخبار من غبر»: (١/ ٨٢)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.
ب ـ «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ١١٧).

(٢) ربيعة الرأي: ابن أبي عبد الرحمٰن ـ فروخ ـ مولى آل المنكدر التميميِّين، ويُكنى ربيعة أبا عثمان، كانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، وكان ثقة كثير الحديث ـ وكأنهم يتَّقُوْنَهُ للرأي ـ من أئمة الاجتهاد، (ت: سنة ١٣٦هـ). ابن سعد، محمد «الطبقات الكبرى»: (٥/ ٤١٥، ٤١٧)، الذهبي، محمد، م ـ س: (٦/ ٨٩).

(٣) يحيى بن سعيد: ابن قيس بن عمرو بن النجار، الأنصاري، المدني، =

الجماعة إلى ذلك، مع أن رسول الله ﷺ قال للصحابة عندما قالوا: يا رسول الله، غلا السعر فسعِّر لنا، فقال: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»(١).

فهنا رسول الله ﷺ يراعي مصلحة الباعة ولا يرضى بالتسعير. ويُبيِّن الحِكمة من عدم قبوله التسعير بقوله: «**وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم أو مال**». فهو يشير إلى أنه ظلم لما فيه من جبر الناس على بيع أموالهم بما لا يرضون به. والله لم يبح أكل أموال الناس إلا إذا كانت تجارة عن تراض. فما الذي استند إليه من قال بجواز التسعير؟

يقول الباجي(٢) موجهاً هذا الجواز: «إنه نظرٌ لمصالح الناس

= القاضي، يُكنى أبا سعيد. عالم المدينة في زمانه، وتلميذ الفقهاء السبعة. مولده قبل السبعين زمن ابن الزبير، كان كثير الحديث حجة ثبتاً، وهو صاحب حديث الأعمال ـ أي: «**إنما الأعمال بالنيات**» ـ وعنه اشتهر، عمل قاضياً على المدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك، توفي بالهاشمية سنة (١٤٣هـ) وكان قاضياً لأبي جعفر. ابن سعد، محمد، «الطبقات الكبرى»: (٥/ ٤٢٣، ٤٢٤)، الذهبي، محمد، «العبر في أخبار من غبر»: (٦/ ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦).

(١) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب البيوع، باب في التسعير: (ح٣٤٥١)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الأحكام، باب ما جاء في التسعير: (ح١٣١٤). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر: (ح٢٢٠٠).

(٢) الباجي: سليمان بن خلف بن سعدون الباجي نسبة إلى باجة =

ومنع للإفساد عليهم، وليس فيه جبر للباعة على البيع حتى يكون منافياً للملك. ولكنه مُنع من البيع بغير هذا السعر على حسب ما رآه الإمام من المصلحة فيه؛ للبائع والمبتاع، ولا يمنع البائع ربحاً ولا يسوغ له منه ما يضر الناس»[١].

فنظر هؤلاء إلى أن حِكمة النهي معللة بعدم ما يقتضيه، ومجرد غلاء السعر الذي حدث لا يوجبه. فلما جدَّ في زمانهم ما يُحوِج إليه أفتوا به[٢].

❁ ❁ ❁

= الأندلس، القرطبي، المالكي، ولد سنة (٤٠٣هـ). من شيوخه: القاضي يونس بن مغيث، وابن الرحوي، وسمع من ابن سحنون وغيرهم. كان فقيهاً، نظَّاراً، متكلماً أصولياً، شاعراً. من تصانيفه: «الفصول في أحكام الأصول» و«الإشارة» في الأصول و«المنتقى» في شرح الموطأ. (ت: سنة ٤٧٤هـ) بالمرِّية. اليحصبي، القاضي عياض «ترتيب المدارك وتقريب المسالك»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: (٢/ ٣٤٧، ٣٤٨).

(١) الباجي، سليمان «المنتقى شرح موطأ مالك»: (٣/ ٣٥١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) شلبي، محمد «تعليل الأحكام»: (ص٧٨، ٧٩)، البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»: (ص٧٠، ٧١).

المبحث الخامس

العلماء الذين صنفوا في حِكمة التشريع، وأهم المصنفات

تمهيد

بعد أن أعطينا لمحة عن نشوء مصطلَح الحِكمة في صدر الإسلام، ورأينا كيف استعمله رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون من بعدهم. وضربنا لذلك أمثلة توضح المقام. نأتي على ذكر أهم من صنَّف في هذا الفن، مراعين الاقتصار على مشاهير العلماء والأصوليين؛ الذين كان لهم تأثير بارز في إظهار هذا العلم، وتحديد معالمه.

وفيما يلي استعراض لأهم من صنَّف في حِكمة التشريع؛ من الذين كان لهم تأثير واضح في تمييز هذا العلم، وإبرازه، وتحديد معالمه:

أولاً: الحكيم الترمذي
(ت سنة ٣٢٠هـ)[١]

فهو من أكثر العلماء عناية بتعليل أحكام الشريعة وبالبحث عن أسرارها وسبر أغوارها[٢]، ولكنه وبالوقوف على مصنفات الترمذي، يمكن لنا أن ندرك ريادته وتقدمه في التصنيف في حِكمة الشريعة، ومقاصدها، وبيان أسرارها. ففي كتابه «الصلاة ومقاصدها»[٣] نرى الترمذي يذهب في تعليله وتحليله لحِكم الصلاة وأسرارها، مذهباً ذوقياً إشارياً أكثر منه منهجاً علمياً، وانضباطاً فقهياً...

فيقول مثلاً: ... فبذكر الله يُرَطَّبُ القلب وَيَلِين، وبالشهوات يقسو القلب ويَيْبَس. فإذا اشتغل القلب عن ذكر الله بذكر الشهوات؛ كان بمنزلة شجرة رطوبتها ولينها الماء، فإذا مُنِعَت الماء يبست

---

(١) الحكيم الترمذي: محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، حدَّث عن قتيبة بن سعيد، وعلي بن حُجْر، له مصنفات وفضائل، أُخرِجَ من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية»، وكتاب «علل الشريعة»، وقالوا: إنه يُفضِّل الولاية على النبوة. قال السلمي: هُجِرَ لتصنيفه كتاب «ختم الولاية»، و«علل الشريعة» وليس فيهما ما يوجب ذلك ولكن لبعد فهمهم عنه، (ت: سنة٣٢٠هـ). أبو نعيم الأصفهاني، أحمد «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: (١٠/ ٢٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، الذهبي، محمد «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ١٤).

(٢) مع أنه قد لا يعد فقيهاً ولا أصولياً (بالمعنى التخصصي) فهو قد عرف صوفياً فيلسوفاً (الحكيم).

(٣) مطبوع حققه الأستاذ حسني نصر زيدان، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٦٥م.

عروقها وذبلت أغصانها... فكذلك القلب إنما ييبس إذا خلا من ذكر الله...

ثم يقول: فكل صلاة هي توبة، وما بين الصلاتين غفلة وجفوة، وزلّات وخطايا: فبالغفلة يبعد من ربه. فإذا بعد أَشِرَ وبَطِرَ؛ لأنه يفتقد الخشية والخوف...

وعن أفعال الصلاة يقول: ... فأفعال الصلاة مختلفة على اختلاف الأحوال من العبد: فبالوقوف يخرج من الإباق... وبالتوجه إلى القبلة يخرج من التولّي والإعراض... وبالتكبير يخرج من الكبر... وبالثناء يخرج من الغفلة... وبالتلاوة يجدد تسليماً للنفس وقبولاً للعهد... وبالركوع يخرج من الجفاء... وبالسجود يخرج من الذنب... وبالانتصاب للتشهد يخرج من الخسران... وبالسلام يخرج من الخطر العظيم[١].

وقد ذكر الدكتور أحمد الريسوني أن للترمذي كتاباً آخر يبدو أنه على غرار كتابه السابق، وهو: «الحج وأسراره»، لم يتم تحقيقه ونشره. كذلك له كتابٌ آخر يذكر باسم: «العلل» و«علل الشريعة» و«علل العبودية»[٢].

---

(١) «الصلاة ومقاصدها»، نقلاً عن: الريسوني، أحمد «نظرية المقاصد عند الشاطبي»: (ص٤١).

(٢) يقول الدكتور الريسوني: والمؤسف أن كتاب «علل العبودية» الذي سماه السبكي: «علل الشريعة» لا يذكر له وجود فيما رأيت. وكل ما يذكر أنه كان ـ هو وكتاب «ختم الولاية» ـ سبب محنته وإخراجه من ترمذ... ولعله لهذا السبب قد وقع إتلافه في زمن مبكر. الريسوني، أحمد =

ثانياً: أبو منصور الماتريدي
(ت سنة ٣٣٣هـ)[١]

فهو وإن كان مشهوراً بإمامته في علم الكلام فإن له مؤلفات أصولية، لعل أهمها هو كتابه «مأخذ الشرائع». ويبدو من اسمه أنه وثيق الصلة بموضوعنا الذي نتحدث عنه. وإن كان الكتاب في حكم الضياع، إلا أنه يؤكد عناية العلماء بحِكمة التشريع وتميُّزها في مرحلة مبكرة.

ثالثاً: أبو بكر القفال الشاشي
(ت سنة ٣٦٥هـ)[٢]

يُعدُّ الشاشي من كبار الأصوليين المتقدمين، وإمام الشافعية في

= «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»: (ص٤٢).

(١) أبو منصور الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ماتريد «محلة بسمرقند». من كتبه: «مآخذ الشرائع في أصول الفقه»، توفي سنة (٣٣٣هـ) بسمرقند. اللكنوي، محمد «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»: (ص١٩٥).

(٢) الشاشي: أبو بكر، محمد بن علي بن إسماعيل، القفال الشاشي، الفقيه الشافعي، ولد سنة (٢٩١هـ)، أخذ الفقه عن ابن سريج، وهو أول من صنف في الجدل له مصنفات منها: «شرح رسالة الشافعي»، وكتاب «محاسن الشريعة» توفي بشاش «وراء نهر سَيْحُون» سنة (٣٦٥هـ). ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: (٤/ ٢٠٠، ٢٠١).

وقته بلا منازع. وهو من العلماء الذين غاصوا في استكشاف حِكم الشريعة وعللها، وإبراز محاسنها.

ولعل كتابه: «محاسن الشريعة»[١] خير شاهد على ذلك. فلا يمكن إبراز محاسن الشريعة إلا بكشف حِكمها ومقاصدها[٢].

رابعاً: إمام الحرمين
(ت سنة ٤٧٠هـ)[٣]

إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني، من أهم من صنَّف في حِكمة الشريعة، وله في ذلك ريادة لا ينازعه فيها أحد. ولكنه يستعمل بدلاً من لفظة الحِكمة لفظ المقصِد،

---

(١) انظر: «بيانات الطبع»: (ص١٨)، هامش (١).

(٢) مما يؤكد أهمية هذا الكتاب أن ابن القيم ذكره وأثنى عليه الثناء الحسن في كتابه «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»: (٢/ ٤٢). الريسوني، أحمد «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»: (ص٢٣، ٢٤) بتصرف.

(٣) إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الجويني، النيسابوري، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، الفقيه، النَّظار، الأصولي، المتكلم، الشافعي. ولد سنة (٤١٩هـ). أخذ الفقه عن والده، والأصول عن أبي القاسم الإسكافي الإسفراييني. من مصنفاته: «البرهان» في أصول الفقه، و«الإرشاد» في أصول الدين. (ت: ٤٧٨هـ)، السبكي، عبد الوهاب «طبقات الشافعية الكبرى»: (٣/ ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣).

والقَصد، والمقاصِد، والمقصُود، كما في كتابه «البرهان» مثل: مقصد العبادات[١]، ومقصد القصاص[٢]، ومقصد التكبير[٣]، والبيع[٤]، والإجارة[٥]، والنكاح[٦]، والشهود[٧]، ومقصد التيمم[٨]. وقد بلغ من اهتمام إمام الحرمين بالمقاصد أنه اعتبر معرفة المقاصد من البصيرة في الدين حيث قال: «ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي؛ فليس على بصيرة في وضع الشريعة»[٩].

ويقول أيضاً: «فمن يعتبر أن التكبير في الصلاة ليس له مقصد، وإنما هو أمر وِفَاقِي فقد نادى على نفسه بالجهل بمقاصد الشريعة وقضايا مقاصد المخاطبين فيما يُؤْمَرُونَ به ويُنْهَونَ عنه...»[١٠].

---

(١) الجويني، عبد الملك «البرهان»: (٢/ ٨٤، ٩٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
(٢) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٨١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٧٩٠).
(٣) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٩٤).
(٤) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٧٦، ٨٣).
(٥) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٧٩، ٨٢، ٨٣).
(٦) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٧٣).
(٧) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٢٠٨).
(٨) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (٢/ ٧٣، ٧٥).
(٩) ذكر هذا الكلام في سياق الرد على الكعبي المعتزلي الذي اشتهر بإنكار المباح في الشريعة، الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (١/ ١٠١).
(١٠) الجويني، عبد الملك، م ـ ن: (١/ ٩٤).

خامساً: أبو حامد الغزالي
(ت سنة ٥٠٥هـ)[١]

انتهج الغزالي نهج أستاذه الجويني في الحديث عن حِكمة التشريع وأسرار الشريعة، مع زيادة تحرير وتنقيح، وإضافات وتطوير، فأبدع أيما إبداع.

فنراه يعتبر محاسن الأخلاق مقصوداً من جهة الشرع[٢]، ودفع الضرر كذلك[٣].

بل نجده يحرِّض على معرفة حِكم الأحكام بقوله: «وأن من عرف مقاصد الشريعة تقبَّل أحكامها بارتياح». ويقول: «إن من عَلِمَ مقصود الشارع من القصاص في الحَقْن والعِصْمَةِ، استبان بأدنى النظر على القطع؛ إيجاب القصاص، ولا ينبغي أن يتمارى فيه»[٤]. ويذكر أن المقصود من الكفارة: الزجر[٥] ومن استيفاء القصاص: حقن الدماء[٦].

وفي كتابه «إحياء علوم الدين»: يتحدث عن أسرار معاني

---

(١) سبق تعريفه: (ص١٦٤)، هامش (٢).
(٢) الغزالي، محمد «شفاء الغليل»: (ص٨٤).
(٣) الغزالي، محمد «المستصفى»: (١/ ٣٠٧).
(٤) الغزالي، محمد «المنخول»: (ص٥٤٥)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
(٥) الغزالي، محمد «شفاء الغليل»: (ص٣٧).
(٦) الغزالي، محمد «المنخول»: (ص٥٤٨).

العبادات[١]، وأسرار المعاملات[٢].

سادساً: أبو بكر السمرقندي
(ت سنة ٥٧٥هـ)[٣]

أشار السمرقندي إلى حِكمة بعض الأحكام في كتابه: «ميزان الأصول في نتائج العقول» فنراه يُبيِّن حِكمة الصيام بأنه: «سبب للتوقِّي عن محارم الله ﷻ، وكونه سبباً للشكر، وكونه سبباً داعياً إلى الإحسان في حق الفقراء؛ لما ذاق من ألم الجوع والعطش على ما أشار الله ﷻ إليه في آية الصيام بقوله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وبقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥][٤]».

---

(١) الغزالي، محمد «إحياء علوم الدين»: (١/ ١٤٩، ٣٠٦).

(٢) الغزالي، محمد، م ـ ن: (١/ ٣).

(٣) السمرقندي: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر، علاء الدين السمرقندي، من أهل سمرقند، فقيه حنفي، أصولي، أستاذ صاحب البدائع. من مؤلفاته: «ميزان الأصول في نتائج العقول»، في الأصول على مذهب أبي حنيفة، و«تحفة الفقهاء» في الفروع، (ت: سنة ٥٧٥هـ). ابن قطلوبغا، قاسم «تاج التراجم»: (ص٢٥٧)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، اللكنوي، محمد «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»: (ص١٥٨).

(٤) السمرقندي، محمد «ميزان الأصول في نتائج العقول»، تحقيق: السعدي، عبد الملك: (ص٢٩٤)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث العربي والإسلامي، مطبعة الخلود، العراق، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

سابعاً: ابن قدامة
(ت سنة ٦٢٠هـ)[١]

يؤكد ابن قدامة أن الأحكام شرعت لمصالح العباد[٢]، وأن الشارع لا يُثْبِتُ حُكْماً إلا لمصلحة[٣]. وبمعرفة باعث الشرع وحِكمته يكون المكلف أسرع في التصديق وأدعى إلى القبول، فإن النفوس إلى قبول الأحكام المعقولة أميل منها إلى قهر التحكم ومرارة التعبد، ولمثل هذا الغرض استحب الوعظ، والتذكير، وذكر محاسن الشريعة ولطائف معانيها[٤].

ثامناً: عبد العزيز بن عبد السلام
(ت سنة ٦٦٠هـ)[٥]

يعتبر العز بن عبد السلام أحد العلماء الأفذاذ الذين نظروا في

---

(١) ابن قدامة: عبد الله بن أحمد بن محمد، الجمَّاعِيلي، المقدسي، الدمشقي، الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين، ولد في شعبان سنة (٥٤١هـ) بجمَّاعيل. سمع من والده، ومن أبي المكارم بن هلال، وأبي زرعة وغيرهم. من مؤلفاته: «المغني» في الفقه، و«الروضة» في الأصول، (ت: سنة ٦٢٢هـ) بالموصل. ابن رجب، عبد الرحمٰن الحنبلي «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١٩).

(٢) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (٢/ ٢٩٦).

(٣) ابن قدامة، عبد الله، م ـ ن: (٢/ ٢٣٠).

(٤) ابن قدامة، عبد الله، م ـ ن: (٢/ ٢٧٥).

(٥) عبد العزيز بن عبد السلام: سبق تعريفه: (ص١٣٦)، هامش (٣).

الأحكام الشرعية على ضوء مقاصدها وغاياتها، ولاحظوا ازدواج النظر بين الأحكام وحِكمها، والوسائل ومقاصدها[١].

ولا نكون مجازفين إذا قلنا إن العز «بمؤلَّفه الفريد (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) قد بعث الحياة من جديد في مسيرة البناء الفقهي الذي أصابه الجمود على المدونات والمختصرات، وتخريجات علماء المذاهب، إلى مرونة التشريع ومسايرته لكل زمان ومكان».

وقد بيَّن العز: حقيقة المصالح والمفاسد، وتقسيم المصالح والمفاسد والترجيح بين المصالح أنفسها، وبين المصالح والمفاسد...، ومعلوم أنه لا يتأتى له ذلك إلا إذا كان على دراية بحِكمة التشريع، وأسرار الشريعة وحِكمها وغاياتها.

وفيما يلي ذكر لبعض أقواله التي تبرز اهتمامه في تتبع حِكم الأحكام، والتعرف إلى أسرار الشريعة وغاياتها[٢]:

أولاً: قوله: «والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح...»[٣].

ثانياً: قوله: «فأحكام الإلٰه كلها مضبوطة بالحِكم، محالة على

---

(١) يفوت، سالم «حفريات المعرفة»: (ص١٨٣) نقلاً عن: البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»: (ص٨٦).

(٢) **للعز كتابان أحدهما**: «مقاصد الصلاة»، تحقيق: الطباع، إياد، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، والآخر: «مقاصد الصوم»، تحقيق: الطباع، إياد، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام»: (١/ ٩).

الأسباب والشرائط التي شرعها...»[١].

ثالثاً: قوله: «والمقصود بالشرائع إرفاق العباد...»[٢].

رابعاً: تحديده الغاية من العبادات بقوله: «والمقصود من العبادات كلها: إجلال الإلٰه وتعظيمه ومهابته والتوكل عليه والتفويض إليه...»[٣].

خامساً: ذكره كثيراً من الحِكم الجزئية للأحكام الشرعية، مثل: مقاصد ومصالح الجهاد[٤]، والإيمان[٥]، والحج[٦]، والمندوب، والمباح[٧]، ومقاصد الصلاة...[٨].

تاسعاً: القرافي
(ت سنة ٦٨٤هـ)[٩]

جاء بعد العز تلميذه ووارث علمه وفكره الإمام شهاب الدين القرافي، الذي قسَّم أصول الشريعة إلى قسمين: «**أحدهما**: المسمى

---

(١) ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام»: (٢/ ١٣٠).
(٢) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (١/ ١٧٥).
(٣) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (٢/ ٦٢).
(٤) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (١/ ٤٧).
(٥) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (١/ ٤٦).
(٦) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (١/ ٤٧).
(٧) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (١/ ٤٨).
(٨) ابن عبد السلام، عبد العزيز، م ـ ن: (١/ ٨٦، ٨٧).
(٩) القرافي، سبق تعريفه: (ص٦٠)، هامش (٣).

بأصول الفقه، **والقسم الثاني**: قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحِكمه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى، . . .»[١].

وبيَّن أهمية معرفة هذه القواعد بقوله: «فإذا أحطت بهذه القواعد ظهر لك سبب اختلاف موارد الشرع في هذه الأحكام، وسبب اختلاف العلماء، ونشأت لك الفروق والحِكم والتعاليل»[٢].

وأظن أن هذا النقل عن الإمام القرافي يكفي دالَّةً على اعتنائه بحِكمة التشريع، والتعرف على أسرار الشرع.

عاشراً: ابن تيمية
(ت سنة ٧٢٨هـ)[٣]

اعتنى ابن تيمية بإبراز حِكمة التشريع وبيان مقاصد الشريعة وغاياتها وحِكمها عناية بالغة، فهو يؤكد: «. . . أن الله لم يأمرنا إلا بما فيه صلاحنا، ولم ينهنا إلا عما فيه فسادنا، وأنه ﷻ حرَّم علينا الخبائث لما فيها من المضرة والفساد، وأمرنا بالأعمال الصالحة لما فيها من المنفعة والصلاح لنا»[٤].

ويبين أهمية المعرفة بأسرار الشرع لتمييز صحيح القياس

---

(١) القرافي، أحمد «الفروق»: (١/ ٢، ٣)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
(٢) القرافي، أحمد، م ـ ن: (٣/ ١٤٥).
(٣) ابن تيمية: سبق تعريفه (ص٤٤)، هامش (٢).
(٤) ابن تيمية، أحمد «مجموع الفتاوى»: (٢٥/ ٢٨٢).

من فاسده بقوله: «. . . لكن العلم بصحيح القياس وفاسده من أجلِّ العلوم، وإنما يعرف ذلك من كان خبيراً بأسرار الشرع ومقاصده؛ وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التي تفوق التعداد؛ وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد؛ وما فيها من الحِكمة البالغة، والرحمة السابغة، والعدل التام»[١].

ويقول: «. . . ومن أنكر أن يكون للفعل صفات ذاتية لم يحسُن إلا لتعلق الأمر به، وأن الأحكام بمجرد نسبة الخطاب إلى الفعل فقط، فقد أنكر ما جاءت به الشرائع من المصالح والمفاسد، والمعروف والمنكر، وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها، وأنكر خاصة الفقه في الدين الذي هو معرفة حِكمة الشريعة ومقاصدها ومحاسنها»[٢].

حادي عشر: ابن القيم
(ت سنة ٧٥١هـ)[٣]

يعتبر ابن القيم امتداداً لمدرسة شيخه ابن تيمية ووارث علمه، فسار على منوال شيخه في الاهتمام والعناية بحِكم التشريع، وبيان أسرار الشريعة، بل ربما كان أكثر اهتماماً بها.

ونستطيع أن نستوضح عنايته بها من خلال الآتي:

---

(١) ابن تيمية، أحمد، «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٥٨٣).

(٢) ابن تيمية، أحمد م ـ ن: (١١/ ٣٥٤).

(٣) ابن القيم: سبق تعريفه (ص٨٢)، هامش (١).

يقول متعجباً من القائلين: إن الله لم يشرع أحكامه لحِكم ومقاصد: «ومن أعجب العجب أن تسمح نفسٌ بإنكار الحِكم والعلل الغائية والمصالح التي تضمنتها هذه الشريعةُ الكاملة التي هي من أدل الدلائل على صدق من جاء بها، وأنه رسول الله حقّاً، ولو لم يأتِ بمعجزة سواها لكانت كافيةً شافيةً، فإن ما تضمنته من الحِكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة، شاهدةٌ بأن الذي شرعها وأنزلها أحكمُ الحاكمين وأرحم الراحمين...»[١].

ثم يقول: «... ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حِكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع...»[٢].

ثم بيَّن خطورة القول بإنكار الحِكم وضرورة العلم بها بقوله: «وهل إبطال الحِكم والمناسبات والأوصاف التي شرعت الأحكام لأجلها إلا إبطال للشرع جملة، وهل يمكن فقيهاً على وجه الأرض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحِكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالأحكام ومصالح العباد، وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات...»[٣].

ويقول: «ثم تأمل أبوابَ الشريعة ووسائلها وغاياتها كيف تجدُها مشحونةً بالحِكم المقصودة، والغايات الحميدة؛ التي شُرعت

---

(١) ابن القيم، محمد «شفاء العليل»: (ص٣٤٤).
(٢) ابن القيم، محمد، م ـ ن: (ص٣٤٥).
(٣) ابن القيم، محمد، م ـ ن: (ص٣٤٤).

لأجلها؛ والتي لولاها لكان الناسُ كالبهائم بل أسوأ حالاً...»[١].

إلى غير ذلك من الأقوال التي تظهر اهتمام ابن القيم بإبراز حِكمة الشرع وأسرار التشريع.

ثاني عشر: الشاطبي
(ت سنة ٧٩٠هـ)[٢]

بعد هؤلاء الأعلام جاء الشاطبي فوجد أمامه ثروة ضخمة من التأصيل والتأسيس والتطبيق لعلم المقاصد، فصاغه صياغة جديدة، وأظهره بقواعده وأقسامه وأحكامه.

فأنشأ صرح المقاصد، ودعا إليه المجتهدين والمضطلعين بأسرار الشريعة وحِكمها.

وقسَّمها إلى قسمين: مقاصد الشارع، ومقاصد المكلفين[٣].

وقسَّم الأول إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: قصد الشارع في وضع الشريعة ابتداء.

النوع الثاني: قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام.

النوع الثالث: قصد الشارع في وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها.

النوع الرابع: قصد الشارع في وضع الشريعة دخول المكلف

---

(١) ابن القيم، محمد «شفاء العليل»: (ص٣٨٢).

(٢) الشاطبي: سبق تعريفه (ص٧٢)، هامش (٢).

(٣) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٣).

تحت حُكْمِها[١].

أما القسم الثاني من المقاصد:

ففيما يرجع إلى مقاصد المكلف في التكليف، وبحثه في اثنتي عشرة مسألة، وكل ذلك في الجزء الثاني من الموافقات[٢]، الذي أودع فيه ما اهتدى إليه من أسرار التكليف المتعلقة بأسرار الحنيفية[٣].

فبنى به هرماً شامخاً للثقافة الإسلامية، حتى أصبح الخائضون بعده في معاني الشريعة وأسرارها عالة عليه، وظهرت مزية كتابه ظهوراً عجيباً في قرننا الحاضر، والقرن الذي قبله...[٤].

ثالث عشر: ابن عاشور
(ت سنة ١٣٩٣هـ)[٥]

يُعَدُّ ابن عاشور رائد النهضة المقاصدية في العصر الحديث، وباعث الأمل في سبيل تنامي هذا العلم ونضجه وكماله، فألَّف

---

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٣، ٤).
(٢) الشاطبي، إبراهيم، م ـ ن، (٢/ ٨٢ ـ ١٢٤).
(٣) أبو الأجفان، محمد «فتاوى الإمام الشاطبي»: (ص٤٤)، مطبعة الكواكب، تونس، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
(٤) أبو الأجفان، محمد، م ـ ن: (ص٤٦، ٤٧).
(٥) ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، من مصنفاته: «التحرير والتنوير» في تفسير القرآن، و«مقاصد الشريعة»، و«أصول النظام الاجتماعي»، (ت: سنة ١٣٩٣هـ). الزركلي، خير الدين «الأعلام»: (٦/ ١٧٤).

كتابه: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، **الذي جعله في ثلاثة أقسام:**

الأول: إثبات المقاصد وأهميتها للفقيه وطرق إثباتها[١].

الثاني: مقاصد التشريع العامة، وأضاف مقصدي: السماحة والمساواة[٢].

الثالث: مقاصد التشريع الخاصة بالمعاملات[٣].

وفي كتابه «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»؛ ذكر ابن عاشور أن الغاية من تأليفه هي: البحث عن روح الإسلام وحقيقته من جهة مقدار تأثيرها في تأسيس المدينة الصالحة، وتوضيح الحِكمة التي لأجلها بعث الله بهذا الدين محمداً ﷺ خاتماً للرسل[٤].

وفي الوقت الذي كان ابن عاشور يرفع فيه بناء علم المقاصد وأسرار الشريعة؛ كان إلى جانبه عالم آخر اسمه «علال الفاسي[٥]»

---

(١) ابن عاشور، محمد «مقاصد الشريعة»: (ص١٧٩، ١٨٠).

(٢) ابن عاشور، محمد م ـ ن: (ص٢٤٩، ٢٦٨، ١٦٩، ٣٢٩، ٣٣٠).

(٣) ابن عاشور، محمد، م ـ ن: (ص٤١١، ٤١٣). وقد كتب في ذلك الحسيني، إسماعيل، نظرية المقاصد عند الإمام بن عاشور. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، هيرندن، فيرجينا ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) ابن عاشور، محمد «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»: (ص٧)، الناشر الشركة التونسية للتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب، ط٢، ١٩٨٥م.

(٥) علال الفاسي: أحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين. ولد في مدينة فاس المغربية، ونشأ في بيت علم ودين. له مؤلفات كثيرة أشهرها: «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها». =

حاول معالجة الموضوع ذاته ـ المقاصد ـ في كتابٍ سمَّاه: «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها». إلا أن مباحث المقاصد كانت فيه قليلة[١] ثم تتالى وتتابع المؤلِّفون في المقاصد.

❁ ❁ ❁

= (ت: سنة ١٩٧٤م). الزركلي، خير الدين «الأعلام»: (٤/ ٢٤٦).

(١) يقول الدكتور محمد سعيد اليوبي: وأكثر ما كتبه في هذا الكتاب لا علاقة له بالمقاصد. اليوبي، محمد «مقاصد الشريعة الإسلامية»: (ص٧١).

المبحث السادس

لمحة عما ألف في مقاصد أجزاء الشريعة

ما سبق كان سرداً عمن ألف في حِكمة التشريع وأسرار الشريعة ومقاصدها بشكل عام، جرَّنا إلى الحديث عنه الرغبة في ربط الموضوع بأصول علمية وفق قواعد التسلسل التاريخي.

وفيما يلي بيان لأبرز من ألَّف في تعليل كل جزءٍ من أجزاء الأحكام الشرعية مستقلّاً عن غيره: كالحِكمة من الوضوء، وحكمة السواك، والحكمة من الصلاة، وحكمة الصوم، . . .

وبعض هذه المؤلفات اقتصر على الحِكمة في العبادات، وبعضها تعداها إلى المعاملات وغيرها، ومن هذه الكتب:

١ ـ حِكمة التشريع وفلسفته[١].

٢ ـ أسرار الشريعة وآدابها الباطنية[٢].

٣ ـ محاسن الإسلام وشرائع الإسلام[٣].

٤ ـ حجة الله البالغة[٤].

---

(١) الجرجاوي، علي.

(٢) أفندي، إبراهيم.

(٣) البخاري، محمد.

(٤) الدهلوي، أحمد.

٥ ـ أسرار العبادات في الإسلام[١].

٦ ـ مقاصد الصوم[٢].

٧ ـ علل الشرائع[٣].

٨ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة[٤].

٩ ـ فلسفة التشريع الإسلامي[٥].

وبعد هذه الرحلة مع دراسة نشأة علم «حِكمة التشريع»، نخلص إلى الآتي:

١ ـ أهمية الدراسة، لنعرف مراحل نشأة هذا العلم[٦].

٢ ـ إظهار جهود هؤلاء الأعلام، والتعرف على الدور الذي قاموا به.

٣ ـ تعتبر هذه الدراسة الميزان الذي نزن به إسهام كل واحد من هؤلاء في هذا العلم. خاصة عند المقارنة[٧].

٤ ـ أن من كتب في حِكمة التشريع العامة أو الجزئية كان

---

(١) سيد الأهل، عبد العزيز.

(٢) ابن عبد السلام، عبد العزيز.

(٣) القمي، محمد.

(٤) الأصفهاني، الحسين، دار اقرأ، للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، سوريا ـ دمشق.

(٥) مجموعة باحثين، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة «الندوات».

(٦) وقد ظهر لنا أنه كان مقترناً بغيره أول نشأته ولم يفرد بكلام خاص.

(٧) البدوي، يوسف «مقاصد الشريعة عند ابن تيمية»: (ص١٠٠).

منطلقه بحسب ما لاح له من أسرارٍ وغاياتٍ؛ ولم يكن مؤسساً على علم وقواعد وبراهين.

٥ ـ ما زال هذا الفن مهمة مطروحة تنتظر من يسبر أغوارها، ويستكشف أسرارها بوحي شرعي[١]، وبرهان علمي، وتوثيق مادي.

وتأتي هذه «الأطروحة» في هذا المجال. راجياً من ربي ﷻ الحِكمة والرشاد، والتوفيق والسداد، وأن يعصمني من الزيغ والضلال، وأن يُؤَيِّدني لإتمام الغرض، وبلوغ المراد.

وبعد هذه اللمحة التاريخية عن التأليف في حِكمة الشريعة، وتعريف الحِكمة والألفاظ ذات الصلة، ننطلق إلى ميدان البحث والتطبيق.

❁ ❁ ❁

(١) المقصود بالوحي علم الكتاب والسُّنَّة، فلا وحي بعد رسول الله ﷺ.

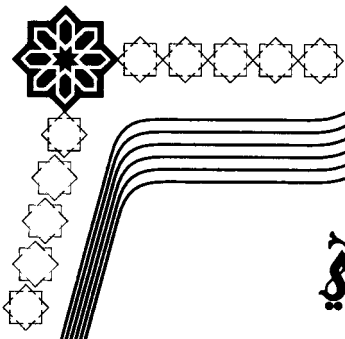

الفصل الثاني

حِكمة

تشريع الطهارة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الطهارة، وحِكمة تشريعها، وأقسامها.

المبحث الثاني: تعريف الاستنجاء، وحكمه، وحِكمته.

المبحث الثالث: تعريف الوضوء، وما يجب له وفرائضه.

المبحث الرابع: حِكمة تشريع غسل أعضاء الوضوء.

المبحث الخامس: تعريف الغسل، وما يجب له وفرائضه.

المبحث السادس: حِكمة تشريع الاغتسال من الجنابة، والحيض، والنفاس، والموت.

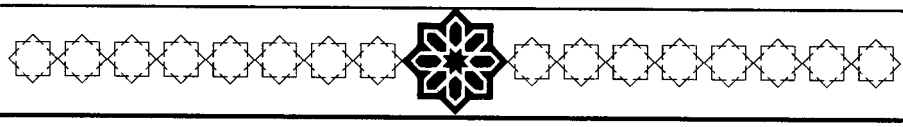

تمهيد

للطهارة أهمية كبرى في الإسلام، سواء تضمنت إزالة النجس عن الثوب والمكان والبدن، أو إزالة لحدث أصغر في الوضوء، أو أكبر في الغسل. فهي شرط لصحة الصلاة.

وبما أن الصلاة قيام بين يدي الله ﷻ فأداؤها بالطهارة تعظيم لله.

وقد اهتم الإسلام بجعل المسلم دائماً طاهراً من الناحية المادية والمعنوية، وهو دليل على حرصه الشديد على النقاء والصفاء، وعلى أن الإسلام مثالٌ أعلى للزينة والنظافة، والحفاظ على الصحة العامة، وبناء الجسم في أصح قِوام وأجمل مظهر وأقوى عِماد، ولِصَوْن البيئة والمجتمع من انتشار الأمراض؛ إذ تُعْتَبَرُ البيئة من أُسُسِ الطبِّ الوقائي، حيث إن مسبِّبَات الأمراض إذا وجدت الجوَّ البِيئِيَّ المناسب للنمو؛ فإنها تنمو وتكثر، وعَالَمُ اليوم يقاسي من تلوث البيئة، ويحاول أن يقضي على هذا التلوث بكل السبل.

وقد وضعت السُّنَّة النبوية العديد من الأسس العلمية الصحيحة للمحافظة على البيئة.

وقد حددت السُّنَّة النبوية قواعد أساسية ثلاثة لمكافحة تلوث البيئة، وهي:

١ ـ مصادر المياه (الموارد) والمحافظة عليها من التلوث: حيث إن أمراض **البلهارسيا**[١]، **والإنكلستوما**[٢]، تنتقل بواسطة تلوث مصادر المياه. قال رسول الله ﷺ: «**لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ**»[٣].

٢ ـ الطرق العامة: ومن أساليب الطب الوقائي الاهتمام بالطرق العامة، سواء بمساحتها حتى لا يحدث تلوث الهواء، أو نظافتها حتى لا يحدث التلوث بالفطريات، والجراثيم، والميكروبات، نتيجة إلقاء القمامة. قَالَ رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ**». قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أو فِي ظِلِّهِمْ**»[٤].

---

(١) جنس من الطفيليات من صف المثقوبات شعبة الديدان المسطحة، مسبب داء البلهارسيات.

• http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) رتبة ديدان صغيرة أسطوانية الشكل ملساء، يميل لونها إلى الاحمرار. وهي ديدان وحيدة الجنس، م ـ ن.

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم: (ح٢٣٩)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد بلفظ: لا تبل في الماء الدائم الذي لا يجري ثم تغتسل منه: (ح٦٥٥).

(٤) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطريق: (ح٦١٧).

٣ ـ **أماكن الراحة (الظل)**؛ أي: الأماكن التي يطلب الناس فيها راحتهم من التعب؛ كالاستراحات العامة والخاصة، وأماكن الاستشفاء النفسي، وأماكن الراحة النفسية والاستجمام التي تقام على الشواطئ. فهذه الأماكن إذا لم تكن نظيفة كانت من مسببات الأمراض الخطيرة، حيث إن هذه المواطن يرد الناس عليها بصفة عامة، ومن هؤلاء الناس نسبة تحمل الميكروبات والجراثيم والطفيليات، فكانت أهمية نظافة هذه المواطن لا تقل عن نظافة البيوت والأجسام، حيث إن عدم نظافتها يؤدي إلى تلوث البيئة[1].

فالنظافة هي أنجح علاج وقائي للأمراض الوبائية والطفيلية. والوقاية خير من العلاج.

◻ امتداح المتطهرين:

وقد جاء الوحي بقسميه يمتدح المتطهرين، ويؤكد على قيمة الطهارة.

فمن القرآن الكريم:

أ ـ قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ب ـ وقوله جل وعلا: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١].

---

(١) محمد سيد، عبد الباسط «الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة»: (ص١٢١ ـ ١٢٥، ١٢٨)، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع، مصر، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م، وانظر: قاسم، محمد «الطب الوقائي النبوي»: (ص٣٨، ٣٩).

وإذا كانت أول آية أنزلت على رسولنا ﴿اقْرَأْ﴾ التي تدل على عناية الإسلام بشأن العلم، فإن السورة التي تلتها جاءت تأمر بالنظافة وتحث عليها، وتأمر بغسل الثوب الذي يتلوث بأية مادة نجسة.

كما قال في أول سورة المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٤].

فالإسلام أول مبدأ عقائدي، بل أول نظام علمي عرفته الإنسانية يأمر بالتعقيم، ويحارب التلوث. فقد أطلق الإسلام على كلمة التعقيم اصطلاح الطهارة، والمقصود بها خلو الشيء من الميكروبات، أو المواد الحاملة للميكروبات، وأطلق على الشيء الملوِّث الحامل للميكروبات كلمة نجاسة[١].

ومن السُّنَّة:

أ ـ قوله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»[٢].

ب ـ وقوله ﷺ: «**طَهِّرُوا هَذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ**»[٣].

فهذان الحديثان الشريفان يؤكدان حرص الإسلام على أهمية نظافة البدن قبل ما يزيد على ١٤٣١ سنة هـ من الزمان، حيث جعل

---

(١) قاسم محمد، محمود «الطب الوقائي النبوي»: (ص٢٣)، دار النفائس، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: (ح٥٣٤).

(٣) الهيثمي، علي، كتاب الأذكار، باب في من يبيت على طهارة: (١٢٨/١٠). وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

النظافة شطر الإيمان، وربط الإسلام العبادة بالنظافة فلا تقبل من المسلم عبادة ما لم يؤدِّ شروط النظافة الشخصية، ونحن نقف اليوم على سِرِّ هذا الربط ـ بين العبادة والنظافة ـ حيث يكشف العلم الحديث أهمية النظافة في رعاية الصحة الشخصية، ووقاية الإنسان من معظم الأمراض تقريباً.

إن بقاء الجسم طاهراً؛ يعني: التخلص من معظم الجراثيم والغبار التي تتعلق به، وهذا يعني وقاية من أمراض عديدة أهمها: أمراض الجلد، وأمراض الفم.

وقد ثبت علميّاً أن الميكروبات لا تهاجم جسم الإنسان إلا إذا أهمل نظافته. وجاء في كتاب الطب الوقائي: أن جلد الإنسان عليه أعداد من الجراثيم لا يمكن حصرها... وربما يفوق عددها على الجلد الطبيعي عدد سكان الأرض قاطبة...[1]!

والطهارة المستمرة للوجه والأيدي؛ تعني: تخفيض عدد الجراثيم التي تدخل عن طريق الفم والأنف. وهذا يعني وقاية من أمراض الجهاز التنفسي، وأمراض الجهاز الهضمي[2]. ليس هذا فحسب فإن للطهارة حِكماً بليغة، وفوائد عظيمة، نتعرض لها في هذا الفصل إن شاء الله.

---

(١) قاسم، محمد «الطب النبوي الوقائي»: (ص٣٤)، اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٦).

(٢) قاسم، محمد، م ـ س: (ص٣٣، ٣٤)، اللبان، فائزة، م ـ س: (ص٥٤، ٥٥).

المبحث الأول

تعريف الطهارة، وحكمة تشريعها، وأقسامها

تعريف الطهارة

◻ أولاً: الطهارة لغةً:

النظافة[١]، يقال: طهر الشيء - بفتح الهاء وضمها - يطهُر بالضم طهارة نَقِيَ من النجاسة والدنس، وبرأ من كل ما يشين.

والطُّهر: نقيض النجاسة. والجمع أطهار، وطهارى[٢]، وطهرون[٣]. والاسم الطهر بالضم، وطهَّره تطهيراً، تطهر بالماء. وقوم يتطهرون: أي يتنزهون من الأدناس، ورجل طاهر الثياب: أي

---

(١) الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٨٤).

(٢) قال امرؤ القيس:

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجُهُهم عند المشاهد غرَّان

ابن كندة، امرؤ القيس «ديوان امرىء القيس»: (ص١٤٩)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت. مجموعة باحثين «المعجم الوسيط»: (٢/٥٦٨)، ط٢، القاهرة، د.ت.

(٣) الفيروزآبادي، محمد «القاموس المحيط»: (ص٥٥٤، ٥٥٥، مجموعة باحثين «المعجم الوسيط»: (٢/٥٦٨).

منزه[١]. وطهَّر الشيء بالماء وغيره: جعله طاهراً، وبرَّأه ونزَّهَهُ من العيوب وغيرها، وطهَّر المولود: خَتَنَهُ[٢]. والتطهر: التنزه والكف عن الإثم وما لا يجمل. ورجل طَهِرُ الخلق وطاهره، والأنثى طاهرة، وإنه لطاهر الثياب؛ أي: ليس بذي دنس في الأخلاق[٣]. ومنه فلان طاهر الثوب، أو الذيل أو العرض: بريء من العيوب نزيه شريف[٤].

❐ ثانياً: الطهارة اصطلاحاً:

تفاوتت تعريفات الفقهاء حول الطهارة ولكنها تلتقي على كونها: رفع حدث، أو إزالة نجس، أو ما في معناهما وعلى صورتهما[٥].

وعرفها الجرجاني بأنها: «عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة

---

(١) الرازي، محمد «مختار الصحاح»: (ص٤٠٣)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) مجموعة باحثين «المعجم الوسيط»: (٢/ ٥٦٨).

(٣) ابن سيده، علي «المحكم والمحيط الأعظم»: (٤/ ٢٤٥، ٢٤٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٠م.

(٤) مجموعة باحثين «المعجم الوسيط»: (٢/ ٥٦٨).

(٥) قال النووي: وقولنا وفي معناهما أردنا به التيمم والأغسال المسنونة: كالجمعة، وتجديد الوضوء، والغسلة الثانية والثالثة في الحدث والنجس، أو مسح الأذن، والمضمضة ونحوها من نوافل الطهارة. النووي، يحيى «المجموع»: (١/ ١١١)، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

بصفة مخصوصة»[١].

حِكمة تشريع الطهارة

إن حِكم تشريع الطهارة كثيرة، ومن هذه الحكم:

١ ـ أن الطهارة موافقة للفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، فمما لا شك فيه أن الإسلام هو دين الفطرة، وأنه جاء بالحث على «سنن الفطرة»[٢] لتوكيد فعل ما يُفعل منها، والبعد عمَّا يُترك منها،

---

(١) الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٨٤).
والطهارة عند الأحناف: النظافة عن النجاسة حقيقية كانت: وهي الخبث، أو حكمية: وهي الحدث. الغنيمي، عبد الغني «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ٥) دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.، وذهب المالكية والحنابلة إلى نحو تعريف الأحناف، فقال المالكية: صفة حُكْمية يستباح بها ما منعه الحدث أو حكم الخبث. الصاوي، أحمد «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (١/ ١٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. وقال الحنابلة: الطهارة في الشرع: رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة بالماء، أو رفع حكمه بالتراب. ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٢) دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**عَشْرٌ من الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**». قال زكريا: قال مصعب أحد رواة الحديث ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة: (ح٦٠٤).

فغسل الوجه، وتنظيف الأنف، والفم، واليدين، وكذا الاغتسال، والاستنجاء، كل ذلك هو من سلامة الفطرة، لينظف الإنسان تلك الأعضاء والجوارح، وليحرص على بعدها عن القذر والنجاسة.

٢ ـ **أن الإسلام دين النظافة والجمال**، ويحرص على أن يكون أتباعه شامة بين الناس ينظفون أبدانهم، ويسرِّحون شعورهم، ويلبسون أطهر الثياب، وتفوح منهم رائحة الطيب، ومثل هؤلاء بلا ريب سيكونون محط إعجاب الناس بهم، وهو ما يؤدي إلى نجاح دعوتهم لهذا الدين العظيم، وكما أن الناس تميل قلوبهم إلى النظيف الطاهر في بدنه وثيابه؛ فإنها تنفر من الوسخ القذر في ثيابه وبدنه، وليس هذا من الإسلام في شيء.

٣ ـ **أثبتت الدراسات العلمية الحديثة المؤصَّلة**: أن النظافة والطهارة تحصِّن صاحبها من أمراض كثيرة[1]. كما أن القذارة سبب في حصول الكثير من الأمراض. فكيف لهذا الدين العظيم أن لا يكون في تشريعاته ما يساهم في الوقاية من الأمراض، ويمنع من حدوثها وانتشارها؟!

٤ ـ **للمسلم مع ربه ﷻ لقاءات للمناجاة**، ومن يقف بين يدي رئيس أو ملك أو عظيم: فإنه يحرص ـ كما هو مشاهد ـ على نظافة بدنه وثيابه، وطيب رائحته، وحرص الناس على هذا مع البشر ليس في الإسلام ما يمنع منه، بل كان هذا هو هدي نبينا محمد ﷺ، حيث كان يتجمل للوفود، وإن أعظم من يُتجمل له، وأعظم

---

(١) سيأتي التمثيل: (ص٢٢٢ ـ ٢٢٥، ٢٤٤ ـ ٢٤٦).

من نحرص على طهارة أبداننا وثيابنا ونحن بين يديه: هو الله ﷻ الذي نقف لمناجاته عدة مرات في اليوم، والناس يحرصون على مثله أو أعظم منه بين يدي مخلوق مثلهم، فكيف ينبغي أن يكون حاله أمام الله؟ فالله أحق أن يَتَجمَّل له الناس، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما»[1].

٥ ـ **إن في الإسلام علاقة بين الظاهر والباطن**، فمن حرص على تطهير بدنه وثيابه من الأقذار والنجاسات: فإنه ينبغي أن يكون أحرص على تطهير نفسه وباطنه من أخلاق السوء، ومن جمَّل نفسه وبدنه وثوبه؛ فهو علامة على جمال باطنه، ولا يُحَرِّض الإسلام على جمال الظاهر ويَغُضُّ الطَّرف عن جمال الباطن، بل كلاهما مطلوب، وإن كان الإنسان يُعْذَر بعدم تَوَفُّر ما يُجَمِّل ظاهره؛ فإنه ليس معذوراً بترك تجميل باطنه، وكلا الطهارتين سبب لتحصيل محبة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) عن نافع قال: «رآني ابن عمر وأنا أصلي في ثوب واحد، فقال: ألم أكن أكسك ثوبين؟ قال، قلت: بلى، قال: أرأيت لو أرسلتك في حاجة أكنت منطلقاً في ثوب واحد؟ قلت: لا. قال: فالله أحق أن تزَّيَّن له...» ابن خزيمة، محمد «صحيح ابن خزيمة»، كتاب الصلاة، باب ذكر الخبر... والدليل على أن الزجر عن الصلاة في الثوب الواحد ليس على عاتق المصلي منه شيء...: (١/ ٣٧٦)، (ح٧٦٦)، تحقيق: الأعظمي، محمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، قال الأعظمي: إسناده ضعيف.

٦ ـ إن في الطهارة منفعة للقلب والبدن، وتنشيطاً للجوارح.

يقول ابن القيم: «فكم في الطهارة من حِكمة ومنفعة للقلب والبدن، وتفريج للقلب، وتنشيط للجوارح، وتخفيف من أحمال ما أوجبته الطبيعة وألقته على النفس من دَرَنِ المخالفات، فهي منظِّفة للقلب والروح والبدن»[١].

٧ ـ إن الطهارة من محاسن الأخلاق، لم تختلف فيها الشرائع السابقة للإسلام، ولا يُتَصور رسول يأتي قومه برسالة إلا وفيها الدعوة ـ أولاً ـ لتطهير القلب من رجس الأوثان، ثم تدعو الناس إلى الجميل من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، وتطهير الثوب والبدن، والغسل، والتطهر. وإزالة القذر والنجاسة؛ مما لا تختلف فيه الشرائع السماوية كلها في تشريعها، ومن جادل في ذلك فإنما يجادل في الباطل.

أقسام الطهارة

الطهارة قسمان:

□ القسم الأول: طهارة حكمية:

وهي الطهارة من الحدث، وتختص بالبدن، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: كبرى وهي الغسل.

النوع الثاني: صغرى وهي الوضوء.

---

(١) ابن القيم، محمد «شفاء العليل»: (ص٣٨٢).

النوع الثالث: وبدل منهما في حال تعذرهما وهو التيمم.

□ القسم الثاني: طهارة حسية:

وهي الطهارة من الخبث[١]. وتكون في البدن والثوب والمكان، وهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: غسل.

النوع الثاني: مسح.

النوع الثالث: نضح.

فالطهارة تشمل الوضوء، والاغتسال، وإزالة النجاسة، والتيمم[٢].

❁ ❁ ❁

(١) الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (١/ ٥)، ط دار الفكر، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، الصاوي، أحمد «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (١/ ٧٣)، ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (١/ ٣٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، القرافي، أحمد «الذخيرة في فروع المالكية»: (١/ ١٥٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) الزحيلي، وهبة «الفقه الإسلامي وأدلته»: (١/ ٨٨، ٨٩)، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

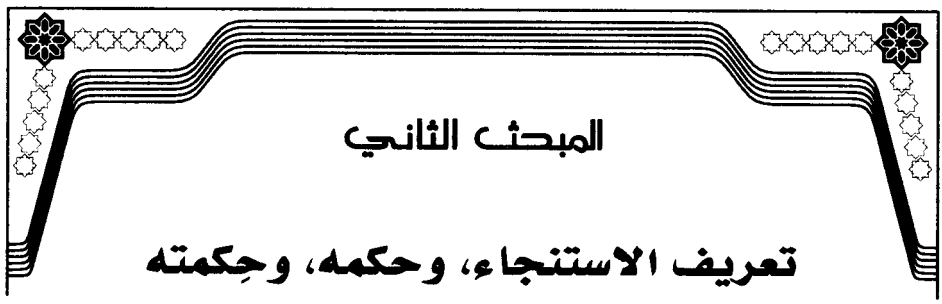

المبحث الثاني

تعريف الاستنجاء، وحكمه، وحِكمته

تعريف الاستنجاء

◻ أولاً: الاستنجاء لغةً:

استخراج النَّجْو من البطن، والتنظف بمدر أو ماء، استنجى؛ أي: مسح موضع النَّجْو أو غسله. واستنجيت بالماء والحجارة؛ أي: تطهرت بها[(١)]. **مأخوذ من النجاء**: وهو الخلاص من الشيء. واستنجى حاجته: تخلَّصها. **والنجوة والنجاة**: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك لا يعلوه السيل. كأنه يطلبها ليجلس تحتها[(٢)].

وقال الأصفهاني: **الاستنجاء**: تحرِّي إزالة النجو أو طلب نجوة؛ أي: قطعة مدر لإزالة الأذى[(٣)].

---

(١) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٥/٣٠٦).

(٢) ومنه قول الشاعر:

ألم تريا النعمان كان بنجوةٍ من الشر لو أن أمراً كان ناجياً

الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١٠٢٠)، ابن منظور، محمد، م ـ س: (١٥/٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧).

(٣) الأصفهاني، الحسين، «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص٥٣٩). =

❐ ثانياً: الاستنجاء اصطلاحاً:

طلب طهارة القبل والدبر ممَّا يخرج من البطن بالتراب أو الماء[١].

حكم الاستنجاء

اتفق الفقهاء على مشروعية الاستنجاء، واختلفوا في حكمه على مذهبين:

❐ المذهب الأول:

ذهب الحنفية ورواية عن مالك إلى: أن الاستنجاء سُنَّة[٢].

= وقيل: هو إزالته عن بدنه بالغسل والمسح، وقيل: هو من نجوت الشجرة وأنجيتها إذا قطعتها، كأنه قطع الأذى عن نفسه. ابن منظور، محمد، «لسان العرب»: (١٥/ ٣٠٧).

(١) **أصله من النجوة:** وهي الارتفاع من الأرض، وكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة، تستَّر بنجوة فقالوا: ذهب ينجو، كما قالوا: ذهب يتغوَّط إذا أتى الغائط، وهو المكان المطمئن من الأرض لقضاء الحاجة. النسفي، عمر «طلبة الطَّلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص١١)، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. وقال في «كشاف القناع»: الاستطابة، والاستنجاء، والاستجمار: عبارة عن إزالة الخارج من السبيلين عن مخرجه. فالاستطابة والاستنجاء يكونان تارة بالماء وتارة بالأحجار. والاستجمار مختص بالأحجار. البهوتي، منصور «كشاف القناع عن متن الإقناع»: (١/ ٧٢)، دار عالم الكتب، ط ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) للاستنجاء عند الأحناف ثلاثة أحكام، كل حكم يخص حالة من أحوال الخارج: =

أدلتهم:

استدل الحنفية فيما ذهبوا إليه بدليلين: **أحدهما**: من قول النبي ﷺ، **والآخر**: من فعله.

أولاً: من القول:

قوله ﷺ: «**مَنِ اسْتَجْمَرَ**(١) **فَلْيُوتِرْ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنَ، وَمَنْ لا فلا حَرَجَ**»(٢).

= **الحالة الأولى**: إن كان الخارج لم يجاوز محل الخروج؛ كان الاستنجاء سُنَّة مؤكدة.

الحالة الثانية: إن كان المقدار الذي تجاوزه قدر الدرهم فقط؛ كان الاستنجاء واجباً.

الحالة الثالثة: أن يزيد الخارج عن قدر الدرهم؛ فيكون الاستنجاء فرضاً. ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (١/ ٢١٢)، دار الفكر، بيروت، د.ت، الغنيمي، عبد الغني «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ٥٤)، الشرنبلاني، حسن «سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح»: (ص٢٠)، دار البيروتي، دمشق، د.ت، ابن عابدين، محمد أمين، حاشية ابن عابدين «رد المحتار على الدر المختار»: (٢/ ٤١٠)، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ابن عبد البر، يوسف «الكافي في فقه أهل المدينة»، المالكي: (ص١٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(١) **الاستجمار**: التمسح بالجمار وهي جمع جمرة وهي الحجر. النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص١٢). وقوله: من استجمر؛ أي: استنجى. العظيم آبادي، محمد «شرح سنن أبي داود»: (١/ ٣٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الطهارة، باب الاستتار =

وجه الاستدلال: قوله: «**ومن لا، فلا حرج**». فهو صريح في عدم الوجوب.

ثانياً: من الفعل: فإن النبي ﷺ كان مواظباً عليه[١].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ الْخَلَاءَ فَأَحْمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ نَحْوِي إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ وَعَنَزَةً فَيَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ**».

العَنَزَة بفتح العين والزاي، وهي عصا طويلة في أسفلها زج ويقال: رمح قصير، وإنما كان يستصحبها النبي ﷺ لأنه كان إذا توضأ صلَّى، فيحتاج إلى نصبها بين يديه لتكون حائلاً يصلي إليه[٢].

◻ المذهب الثاني:

ذهب مالك، والشافعي، وأحمد[٣] إلى: **أن الاستنجاء**

= في الخلاء: (ح٣٥)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطهارة، باب الارتياد للغائط والبول: (ح٣٣٧).

(١) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (١/ ٢١٢).

(٢) النووي، يحيى «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»: (١/ ١٥٥). والحديث أخرجه: البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الطهارة، باب حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء: (ح١٥٢)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء من التبرز: (ح٦١٩).

(٣) أحمد: ابن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، مروزي الأصل، ولد في بغداد سنة (١٦٤هـ)، سمع من إسماعيل ابن عُلية، ويحيى بن سعيد القطان، وغيرهم، وأخذ عن أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة، حدَّث عنه البخاري حديثاً، وحدَّث عنه مسلم وأبو داود بجملة وافرة. إليه ينسب المذهب الحنبلي، من مصنفاته «المسند» وهو من أجمع كتب =

واجب[١].

أدلتهم:

استدل أصحاب هذا المذهب فيما ذهبوا إليه بالسُّنَّة:

أولاً: قوله ﷺ: **«إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ يَسْتَطِيبُ بِهِنَّ فَإِنَّهَا تُجْزِئُ عَنْهُ»**[٢].

وجه الاستدلال من وجهين:

الوجه الأول: قوله: **«فليذهب»** أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

الوجه الثاني: قوله: **«فإنها تجزئ»** والإجزاء يستعمل في الواجب[٣].

ثانياً: قوله ﷺ: **«لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ»**[٤].

= الحديث. (ت: سنة ٢٤١هـ). الخطيب البغدادي، أحمد «تاريخ بغداد»: (٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦).

(١) الشيرازي، إبراهيم «المهذب في فقه الإمام الشافعي»: (١/ ١٠٠) ط الأولى ٢٠٠٣م، دار المعرفة، النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٧٥)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٩٣)، ابن جزي، محمد «القوانين الفقهية»: (ص٣٦)، دار الفكر. د.ت.

(٢) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالأحجار: (ح٤٠)، النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الطهارة، باب الاجتزاء في الاستطابة بالحجارة دون غيرها: (ح٤٤).

(٣) ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٩٤، ١٩٥).

(٤) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب الاستطابة: (ح٦٠٦).

وجه الاستدلال: أنه نهى عن الاقتصار على أقل من ثلاثة، والنهي يقتضي التحريم، وإذا حرَّم تَرْكَ بعض النجاسة فَتَرْكُ جميعها أولى[١].

حِكمة الاستنجاء

إن لعملية الاستنجاء فائدة طبية وقائية عظيمة، فقد أثبت الطب الحديث أن النظافة الذاتية لتلك الأنحاء تقي الجهاز البولي من الالتهابات الناتجة عن تراكم الجراثيم، كما أنها تقي الشرج من الاحتقان، ومن حدوث الالتهابات، والدمامل، (يؤكد العلم الحديث: أن هناك ديدان ـ الإكسورس ـ قد يصاب بها الإنسان، وهذه الديدان صغيرة تخرج مع البراز، فإذا لم تُنَظَّف فتحة الشرج بالماء جيداً، فإن الديدان قد تعيش حول فتحة الشرج وتتكاثر على بقايا البراز، فتحدث بعد ذلك التهابات شديدة في الجلد، ثم ينتقل إلى السراويل، والأيدي، والملابس، وتُعْدِي الأصحاء أثناء الأكل)[٢]. وفي حالة المرض، خصوصاً مرض السكر أو البول السكري؛ لأن بول المريض يحتوي على كمية كبيرة من السكر، فإذا بقيت آثار البول فإن هذا يجعل العضو عرضة للتقيح والالتهابات، وقد تنقل الأمراض في وقت لاحق إلى الزوجة عند الجماع، وقد

---

(١) ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (١/ ١٩٥).

(٢) العبَّادِي، عبد الله «العلم الحديث حجة للأنسان أم عليه؟»، دار الثقافة، قطر، د.ت.

يؤدي إلى عقم تام[١].

فالسبيلان «القبل والدبر» وما يخرج منهما من غائط وبول، هما من أخطر الأسباب لنقل العدوى بالأمراض الجرثومية والطفيلية المختلفة فيما إذا أهملت نظافتها.

وتتجلى هنا حِكمة التشريع الإسلامية الرائعة في مشروعية الاستنجاء باستعمال الماء بعد التبول والتغوط لتمام نظافة السبيلين. وقد بدأ الغرب في مطلع النصف الثاني من هذا القرن يدعو إلى استعمال الماء بدلاً من ورق التواليت[٢]، لما ثبت لديه من فائدة

---

(١) مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١٥، نقلاً عن: اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٠، ٥١).

(٢) جاء في «موسوعة الإعجاز العلمي» خبر غريب: في عام ١٩٦٣م في دولة إنجلترا وبالتحديد في مدينة «داندي»، حدث أنه انتشر مرض التيفوئيد بشكل عاصف؛ مما أصاب السكان بالذعر الشديد، وبذل الجميع طاقتهم في محاولات شتى لوقف انتشار المرض، وفي النهاية اتفق العلماء على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمرون الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه، واستبدالها باستخدام المياه مباشرةً في النظافة، وذلك لوقف انتشار العدوى وبالفعل استجاب الناس، وللعجب الشديد توقف فعلاً انتشار الوباء وتمت محاصرته، وتعلم الناس هناك عادة جديدة عليهم بعد معرفة فائدتها، وأصبحوا يستخدمون المياه في النظافة بدلاً من المناديل الورقية، ولكننا لسنا متأكدين ماذا يقول هؤلاء لو علموا أن المسلمين يفعلون هذا منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ليس لأن التيفوئيد تفشى بينهم، ولكن لأن خالق التيفوئيد وغيره من الأمراض أمَرَهُم بكل ما يجلب لهم الصحة والعافية فقالوا: سمعنا وأطعنا، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ =

الاستنجاء الوقائية من الأمراض، حيث أثبتت الدراسات في كلية الطب جامعة مانشستر: أن الاستنجاء بالماء يزيل البكتيريا التي تستطيع أن تنفذ من ثماني طبقات من ورق التواليت إلى اليد، وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز بواسطتها[١].

وتظهر هنا عظمة التوجيهات النبوية التي حثت على تخصيص اليد اليسرى للاستنجاء، واليمنى للطعام والشراب.

عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فلا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ،...**»[٢]. فتبقى اليد اليمنى طاهرة

= [الملك: ١٤]. الحاج أحمد، يوسف «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة»: (ص٩٢٧). مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

(١) يقول الدكتور سمير محمد البهواشي: وقد ندرك حجم الخطر إذا علمنا أن الغرام الواحد من البراز في الشخص السليم، يحتوي على مائة ألف مليون جرثومة، وفي المريض بمرض التيفوئيد قد يحتوي الغرام الواحد خمسة وأربعين مليوناً من بكتريا التيفوئيد، أما في مريض الدوسنتاريا أو الكوليرا فمن المستحيل إحصاء عدد الجراثيم لكثرتها الهائلة، ولك أن تنظر في حديث النبي ﷺ الذي أخبر فيه عن رجل يعذب في قبره لأنه كان لا يتنزه من بوله ويترك عدة قطرات منه تعلق بثيابه، لندرك شدة الاهتمام بنظافة هذا المكان، واعتبار ذلك عبادة. وقد وجُد أن إهمال نظافة الشرج والأعضاء التناسلية قد يكون سبباً في إصابتها بمرض السرطان. البهواشي، سمير «الإسلام والطب الوقائي».

- http://www.ishraqa.com/newlook/arz_det.asp?ArtiD=1045&cat_ID=26.

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال: (ح١٥٤)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، =

نظيفة في منجاة عن التلوث، فلا يمكن أن تنتقل بسببها العوامل الممرضة إلى الطعام أو إلى فم الآكل.

وبهذا نجد أن الهدي النبوي بتعليم الأمة قواعد الاستنجاء بكل تفصيلاتها، إنما هو إعجاز طبي، وسبق صحي في مجال الطب الوقائي، فعلم الطب الوقائي لم يتبلور ولم يظهر للوجود؛ إلا بعد اكتشاف علم الكائنات الدقيقة بأنواعها وخواصها المختلفة، وبعد التقدم العلمي والتقني الهائل في معرفة مسببات الأمراض؛ والذي لم يحدث إلا في هذا القرن[١].

وبهذا يظهر سبق شريعتنا السمحاء كافة الأنظمة في العالم قديمها وحديثها، وتنسجم مع كافة متطلبات الصحة البدنية والوقائية من التلوث الجرثومي، والحد من انتشار الأوبئة والأمراض المعدية[٢].

كل هذا نطق به نبي الرحمة قبل أن يكتشف المجهر تلك العوامل الممرضة من جراثيم وسواها. فمتى يدرك المسلمون عظمة تشريعاتهم، والمصالح الكبرى التي تنطوي عليها؟

❁ ❁ ❁

= كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، بلفظ لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء: (ح٦١٢).

(١) أما قبل ذلك فكان الناس فريقين: مسلمين وغير مسلمين؛ فالمسلمون لديهم نظام دقيق في الطب الوقائي؛ هو جزء من دينهم يتعبدون الله به، وينفذونه بسهولة ويسر، وأما غيرهم...!

(٢) الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص٨٠).

المبحث الثالث

تعريف الوضوء وما يجب له وفرائضه

تعريف الوضوء

◻ أولاً: الوُضوء لغةً:

بضم الواو: الفعل. وبفتحها: الماء الذي يُتَوَضأ به. مأخوذ من الوَضَاءَة وهي الحُسْنُ والنَّظَافَةُ، ومنه قولهم: وَضُؤَ الرَّجُلُ؛ أي: صَارَ وَضِيْئاً[(١)].

◻ ثانياً: الوضوء شرعاً:

استعمال ماء طهور في الأعضاءِ الأربعةِ: [الوجهِ، واليدين، والرأسِ، والرجلين] على صفة مخصوصة في الشرع[(٢)].

---

(١) قال الشاعر أبو صدقة الدُّبيْرِي:
والمرء يلحقه بفتيان الندى خُلُقُ الكريم وليس بالوُضَّاءِ
الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص١١٤٤).

(٢) بأن يأتي بها مرتبة متوالية مع بقية الفروض والشروط. البهوتي، منصور «كشاف القناع»: (١/ ١٠٤). وعرفه الجرجاني: بأنه الغسل والمسح على أعضاء مخصوصة. أو: هو إيصال الماء إلى الأعضاء الأربعة. الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص٣٢٧).

دليل مشروعيته

ثبتت مشروعية الوضوء بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.

◻ أولاً: الكتاب:

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

◻ ثانياً: السُّنَّة:

أ ـ قوله ﷺ: «**لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ**»(١).

ب ـ قوله ﷺ: «**لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**»(٢).

◻ ثالثاً: الإجماع(٣):

فإنه لم ينقل عن أحد من المسلمين في ذلك خلاف، ولو كان

---

(١) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة: (ح٥٣٥).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور: (ح١٣٥)، النيسابوري، مسلم، م ـ س: (ح٥٣٧).

(٣) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص١٨)، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

هناك خلاف لنقل إذ العادات تقتضي ذلك[١].

ما يجب له الوضوء

يجب الوضوء لأمور ثلاثة:

□ الأول: الصلاة مطلقاً[٢]:

فرضاً أو نفلاً، كاملة أو غير كاملة، كصلاة جنازة، لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون[٣].

وقول الرسول ﷺ: **«لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»**[٤].

وقوله ﷺ: **«لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»**[٥].

---

(١) ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (١/ ٧).

(٢) القاري، علي «فتح باب العناية بشرح النُّقاية»: (١/ ٢١٢)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ابن رشد، محمد، م - س: (١/ ٣٤٣)، النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ٣٧٧)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٨٢).

(٣) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (١/ ١٣).

(٤) سبق تخريجه: (ص٢٢٨)، هامش (١).

(٥) سبق تخريجه: (ص٢٢٨)، هامش (٢).

❐ الثاني: الطواف بالبيت:

لقوله ﷺ: «**الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ أَحَلَّ فِيهِ الْمَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فلا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ**»(١).

❐ الثالث: مس المصحف(٢):

لقوله ﷻ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ولقوله ﷺ: «**وَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ**»(٣).

---

(١) الدارمي، عبد الله «سنن الدارمي»، كتاب المناسك، باب الكلام في الطواف (٢/ ٤٤)، دار إحياء السُّنَّة النبوية، د.ت.، الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين»، كتاب التفسير، باب من سورة البقرة: (٢/ ٢٩٣)، (ح٣٠٥٨)، ابن أبي شيبة، عبد الله «مصنف ابن أبي شيبة»، كتاب الحج، باب في الكلام، من كرهه في الطواف: (٤/ ٢٠٨)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) ذهب إلى اشتراط الطهارة والوضوء لمس المصحف جمهور الفقهاء: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة. قال ابن قدامة: ولا نعلم لهم مخالف إلا داود، فإنه أباح مسه، واحتج بأن النبي ﷺ كتب في كتابه آية إلى قيصر. وهذه الآية التي كتب بها النبي ﷺ إلى قيصر إنما قصد بها المراسلة، والآية في الرسالة أو كتاب أو نحوه لا تمنع مسه، ولا يصير الكتاب بها مصحفاً ولا تثبت له حرمته. ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٨٩).

(٣) الدارمي، عبد الله، م ـ س، كتاب الطلاق، باب لا طلاق قبل نكاح: (٢/ ١٦١)، البيهقي، أحمد «السنن الكبرى»، كتاب الطهارة، باب نهي المحدث عن مس المصحف: (١/ ١٤١)، (ح٤٠٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م. قال الزيلعي: مرسل لا يقوم به الحجة، وقد أسنده الدارقطني من طُرُقٍ... الزيلعي، عبد الله =

فرائض الوضوء

للوضوء فرائض وأركان تترتب منها حقيقته؛ إذا تخلَّف فرض منها لا يتحقق ولا يعتد به شرعاً.

وهي أربعة[١] منصوص عليها في القرآن الكريم وهي:

= «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية»: (١/ ١٩٨)، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(١) **وهناك فروض مختلف فيها، وهي:**

١ - النية:

اختلف الفقهاء في النية هل هي شرط في صحة الوضوء أم لا؟ على مذهبين:

المذهب الأول: ذهب إلى اشتراط النية في الوضوء جمهور الفقهاء المالكية والشافعية، والحنابلة. ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (١/ ٣٤٤)، النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٥٧)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٢٩).

المذهب الثاني: ذهب إلى عدم اشتراط النية في الوضوء: الحنفية، والثوري. الغنيمي، عبد الغني، «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ١٠)، ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (١/ ٣٢)، الشرنبلالي، حسن «سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح»: (ص٢٩)، ابن رشد، محمد، م - س: (١/ ٣٤٩).

٢ - الترتيب:

اختلف الفقهاء في وجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء على مذهبين:

المذهب الأول: ذهب الحنفية والمالكية إلى سنية الترتيب بين أعضاء الوضوء. ابن الهمام، محمد، م - س: (١/ ٣٤، ٣٥)، ابن رشد، محمد، م - س: (١/ ٣٩٥). =

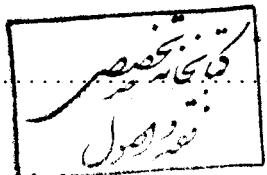

= **المذهب الثاني**: وذهب إلى فرضية الترتيب بين أعضاء الوضوء الشافعية والحنابلة. النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٦٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، ابن قدامة، عبد الله، «المغني»: (١/ ١٧٣)، ابن رشد، محمد، «بداية المجتهد ونهاية المتقصد»: (١/ ٣٩٥).

٣ ـ الموالاة:

وهي متابعة أفعال الوضوء بحيث لا يقع بينها ما يعد فاصلاً في العرف.

اختلف الفقهاء في حكم الموالاة على مذهبين:

المذهب الأول: ذهب الحنفية والشافعية إلى سنية الموالاة. الشرنبلالي، حسن «سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح»: (ص٢٩)، ابن رشد، محمد، م ـ س: (١/ ٣٨٦).

المذهب الثاني: وذهب المالكية والحنابلة إلى فرضية الموالاة في الوضوء. ابن قدامة، عبد الله م ـ س: (١/ ١٧٦)، ابن رشد، محمد، م ـ س: (١/ ٣٩٥، ٣٩٦).

٤ ـ الدلك الخفيف باليد:

الدلك: هو إمرار اليد على العضو بعد صب الماء قبل جفافه. والمراد باليد: باطن الكف.

اختلف الفقهاء في إيجاب الدلك في الوضوء على مذهبين:

المذهب الأول: ذهب جمهور الفقهاء إلى سنية الدلك في الوضوء. الشرنبلالي، حسن، م ـ س، الزحيلي، وهبة «الفقه الإسلامي وأدلته»: (١/ ٢٣٥).

المذهب الثاني: ذهب المالكية إلى أن الدلك في الوضوء واجب.

٥ ـ المضمضة والاستنشاق:

اختلف الفقهاء في المضمضة والاستنشاق في الوضوء على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أنهما سنتان في الوضوء، وهو قول مالك، والشافعي، وأبي حنيفة. ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (١/ ٢٥)، =

◻ أولاً: غسل الوجه[١]:

وذلك لما يلي:

أ ـ لقوله ﷻ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: غسل ظاهر وجميع الوجه مرة[٢].

ب ـ ولقوله ﷺ: **«إِذَا تَوَضَّأَ الْعبد الْمُسْلِمُ ـ أو الْمُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ»**[٣].

= النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٦٩)، ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (١/ ٣٥٦).

المذهب الثاني: أنهما فرض فيه. وبه قال الحنابلة وابن أبي ليلى وجماعة من أصحاب داود. ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ١٤٣)، ابن رشد، محمد م ـ س: (١/ ٣٥٦).

المذهب الثالث: أن الاستنشاق فرض والمضمضة سُنَّة، وبه قال أبو ثور وأبو عبيد وجماعة من أهل الظاهر. ابن رشد، محمد م ـ س، ابن قدامة، عبد الله م ـ س: (١/ ١٤٣).

٦ ـ ومن المسائل التي اختلفوا فيها:

غسل اليد قبل إدخالها في إناء الوضوء. ومسح الأذنين هل هو سُنَّة أو فريضة؟ وهل يجدد لهما ماء؟ ابن رشد، محمد م ـ س: (١/ ٣٥٠ ـ ٣٧٩).

(١) جمع وُجُوه، ووجه كل شيء مستقبله. ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٣/ ٥٥٥). وحد الوجه من منابت شعر الرأس المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً. الشرنبلالي، حسن «نور الإيضاح»: (ص٢٦).

(٢) لما رواه ابن عباس قال: «توضأ النبي ﷺ مرة مرة». البخاري، إسماعيل «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب الوضوء مرة مرة: (ح١٥٧).

(٣) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا =

ج ـ وللإجماع[١].

◻ ثانياً: غسل اليدين إلى المرفقين[٢] مرة واحدة:

وذلك لما يلي:

أ ـ لقوله ﷻ: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

ب ـ عن عثمان في صفة وضوء النبي قال: . . . ويديه إلى المرفقين ثلاثاً[٣].

ج ـ وللإجماع[٤].

◻ ثالثاً: مسح الرأس:

وذلك لما يلي:

أ ـ لقوله ﷻ: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

ب ـ ولما رواه عبد الله بن زيد: «أن النبي مسح رأسه بيديه

= مع ماء الوضوء: (ح٥٧٧). وفي حديث حمران مولى عثمان بن عفان في صفة وضوء النبي قوله: «... **ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**...». البخاري، إسماعيل «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً: (ح١٥٩)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب: صفة الوضوء وكماله: (ح٥٣٧).

(١) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص١٩).

(٢) **المرفق**: موصل الذراع في العضد. الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٤١٩).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٣٣)، هامش رقم (٣).

(٤) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص١٩).

فأقبل بهما وأدبر»[١].

ج ـ وللإجماع[٢].

◻ رابعاً: غسل الرجلين إلى الكعبين[٣]:

وذلك لما يلي:

أ ـ لقوله ﷻ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

ب ـ ولحديث عبد الله بن زيد: «... ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»[٤].

ج ـ وللإجماع[٥].

---

(١) «**بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ...**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب مسح الرأس كله، لقول الله ﷻ: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾: (ح١٨٥)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب آخر في صفة الوضوء: (ح٥٥٧).

(٢) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص١٩).

(٣) **الكعب**: العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم. الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٩١٥).

(٤) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين إلى الكعبين: (ح١٨٦)، النيسابوري، مسلم، م ـ س: (ح٥٥٥).

(٥) قال ابن عبد البر: «إن العلماء أجمعوا على أن غسل الوجه، واليدين إلى المرفقين، والرجلين إلى الكعبين، ومسح الرأس، فرضٌ ذلك كله، لأمر الله به ـ في كتابه ـ المُسْلِمَ عند قيامه إلى الصلاة إذا لم يكن متوضئاً؛ لا خلاف علمته في شيء من ذلك إلا في مسح الرجلين وغسلهما». ابن عبد البر، يوسف، م ـ س: (ص١٩).

المبحث الرابع

حِكمة تشريع غسل أعضاء الوضوء

تمهيد

لا شك أن فيما فرض الله ﷻ على خلقه وشرع لهم من أحكام وعبادات، حِكماً وأسراراً ومصالح تعود على العباد بالخير في الدنيا والآخرة، يقول العز رَحِمَهُ اللَّهُ: «التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد»(١).

وقد أشار الله ﷻ في كثير من آيات الكتاب الحكيم إلى حِكمة تشريعه وفوائدها؛ شحناً لأذهاننا أن تفكر وتعمل، وإيماءً إلى أن هذا التشريع الإلٰهي لا يتنكر للعقل، ولا يخاطب الناس إلا بما يتفق مع الفكر السليم والمنطق السديد.

ولا زال الناس في كل عصر يرون من فوائد التشريع ما يتفق مع تفكيرهم ومصالحهم.

ولعل في تتبع حِكمة التشريع في غسل أعضاء الوضوء، والوقوف على فوائدها الشرعية، وأسرارها الطبية، المؤيَّدة بالشواهد

---

(١) ابن عبد السلام، عبد العزيز «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (٢/ ٦٢).

العلمية، والبراهين القطعية، ما يؤكد هذه المسألة ويجلِّيها. حيث إن المتأمل في حِكمة غسل أعضاء الوضوء يمكنه أن يلاحظ حِكماً متعددة، وأسراراً متميزة، يمكن تفصيلها على الشكل التالي:

أولاً: حِكمة شرعية

وهي امتثال أمر الله ﷻ بالوضوء حيث أمرنا الله ﷻ بالصلاة، وجعل وسيلته الوضوء[1].

فالوضوء عبادة يمتثل فيها العبد لأوامر الله ﷻ، ابتغاء ثوابه وحذراً من عقابه، يطهِّر بها جوارحه، ويغذِّي بها إيمانه، استعداداً للوقوف بين يدي ملك الملوك علام الغيوب. فيزداد الإنسان طمأنينة وسكينة، وتتربى النفس على مراقبة الخالق، وتتذوق لذة العبادة بما يمنحه له من طهارة حسية في أعضاء الوضوء.

ثانياً: حِكمة روحية

لمَّا كان الوضوء عبادة يقوم بها المؤمن إرضاءً لله ﷻ مُخْلِصاً له، فإنه سيشعر بمشاعر روحية تبث في قلبه الحياة، وتُورِثه الطمأنينة والراحة النفسية، وما يترتب على ذلك من توازن في التصرفات والسلوك.

وعندما يؤدِّي المؤمن الوضوء وهو متجه بقلبه إلى الله ﷻ؛

---

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ...﴾ [المائدة: ٦].

فإنه يكون بحالة صلة روحية تصفو بها نفسه، وبهذا التوجه والتفاعل يشرق النور الإلـٰهي في قلبه منعكساً على وجهه وجوارحه؛ فيسِمُها بسمة خاصة مميزة لكل مؤمن، منبعها الحي الباقي الذي لا يموت.

كما أن في الوضوء ارتقاء روحيّاً متواصلاً، يشعر بحلاوته كل مخلص لربه أثناء وضوئه، ولذلك يحافظ على الطهارة طيلة يومه، وكثيراً ما يتوضأ على وضوئه السابق لما يجد فيه من سعادة، وانطلاقاً من ذلك أصبحت المحافظة على الوضوء علامة من علامات الإيمان. قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»(١).

ثالثاً: حِكمة نفسية

ففي الوضوء تَجْمِيل مواطن نظر الخلق بإزالة ما أصاب أعضاء الوضوء من ملامسة الأشياء، وممَّا يحمله الهواء من العَثِير، وتُخْرِجُه المسامُّ من العرق، وتَقْذِفُه المنافذ من الأقذار، ليستجمله المصلون، ويألفه المؤمنون، ويكون من الذين يأَلفون ويُؤلفون(٢). ولا شك أن هذه صفات تبعث في نفس من اتصف بها الهدوء النفسي، والسكون

---

(١) ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء: (ح٢٧٧)، الدارمي، عبد الله «سنن الدارمي»، كتاب الصلاة والطهارة، باب ما جاء في الطهور (١/ ١٦٨).

(٢) إبراهيم، أفندي «أسرار الشريعة الإسلامية»: (ص٦٣)، مطبعة الواعظ، ط ١٣٢٨هـ.

المشاعري، والثقة الكاملة. فللوضوء دور كبير في حياة المسلم يجعله دائماً في يقظة وحيوية وتألُّق، فينعكس أثره على نفسيته.

رابعاً: حِكمة صحية

لقد توصلت الأبحاث العلمية الحديثة إلى اكتشافات علمية، وفوائد صحية متعددة نحصل عليها من خلال غسل أعضاء الوضوء، **أهمها ما يلي:**

❐ فوائد الوضوء الصحية بصفة عامة:

١ ـ الفوائد العصبية النفسية:

إن جميع النقاط الحسية في جسم الإنسان لها تمثيل قشري دماغي (حسي وحركي)، وإن تمثيل اللسان والوجه يشغل أكبر مساحة من ذلك القشر، ثم يليه الكف فالساعد ثم القدمان.

ونلاحظ أن الأعضاء التي أوجب الشرع غسلها في الوضوء، تشغل أكثر من ٦٥٪ من الساحة الحسية الدماغية (الممثلة لسائر الحس الجسدي).

ومن جهة أخرى فإن هذه الأعضاء سهلة الغسل، بل يجب غسلها دائماً ولو لغير الوضوء؛ لأنها أعضاء مكشوفة وتتعرض للوسط المحيط بكثرة، فبالإضافة إلى فائدة تنظيفها بالوضوء فإن غسلها يسبب تنبيه القشر الدماغي الحسي، فيؤدي ذلك إلى تنشيط الجهاز العصبي الذي نستفيد منه عدة فوائد نفسية أهمها:

أ ـ معاكسة الاكتئاب.

ب ـ ضبط التصرفات، حيث يفيد في ضبط ثورات الغضب الجامح. ولذلك وردت وصفة الوضوء لمن يغضب.

وقد أُثر في السُّنَّة النبوية أنه كان ﷺ يحث من يغضب على الوضوء. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»(١).

وقد توصل العلماء إلى أن سقوط أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء؛ يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة ويقلل الأيونات الموجبة، مما يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات، ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم، والآلام العضلية، وحالات القلق والأرق. ويؤكد ذلك أحد العلماء الأمريكيين في قوله: إن للماء قوة سحرية، بل إن رذاذ الماء على الوجه واليدين ـ يقصد الوضوء ـ هو أفضل وسيلة للاسترخاء وإزالة التوتر. فسبحان الله العظيم(٢).

---

(١) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب: (ح٤٧٨٤)، ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، مسند الشاميين، حديث عطية السعدي: (ح١٨٠٠٧).

(٢) شوقي، إبراهيم: عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب: مجلة الإصلاح العدد ٢٩٦ سنة ١٩٩٤م، من ندوات الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة، نقلاً عن: المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٧٧)، دار الرؤية، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

ج - ينشط الفكر فيجلو ساحة الوعي ويزيد من قدرة الإدراك[١].

٢ - الفوائد القلبية الدورانية:

ينشط الوضوء الدوران الدموي؛ لأنه يقبض الأوعية المحيطية فيَرْدُف القلب بمزيد من الدم المحيطي، وبذلك يزداد نتاج القلب؛ فتزداد تروية سائر الأعضاء في الجسد[٢].

٣ - تنشيط الدورة الدموية:

فقد ثبت بالبحث العلمي: أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين والساقين؛ أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز المنظِّم للدورة الدموية وهو القلب، ولذا فإن غسلها مع دلكها يقوِّي الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم، مما يزيد في نشاط الشخص وفاعليته[٣].

---

(١) والواقع إن فوائد تنبيه أعضاء الوضوء بالماء لتنشيط الجهاز العصبي لم تخف على عامة الناس، فكثيراً ما يلجؤون إلى رش الماء على وجه من يُغمى عليه لسببٍ ما؛ فيصحو بسبب تنبيه القشر الدماغي الحسي.

(٢) الجماس، ضياء الدين «المرشد الفقهي في الطب»، www.arababts.com.

(٣) عبد الصمد، محمد «مجلة الإصلاح»، العدد ٢٩٦ سنة ١٩٩٤م، من ندوات الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة، نقلاً عن: اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٦)، المحمد، محمد «الخشوع في الصلاة، أهميتها - أسرارها - إعجازها الطبي»: (ص٧٦).

٤ ـ خفض درجة حرارة الجسم:

إن غسل أعضاء الوضوء بالماء البارد يسبب تبريد الجلد ثم عروق الدم تحته، مما يؤدي إلى تلطيف درجة حرارة الجسم الداخلية، ومن ثَمَّ تخفف كثيراً من احتقان الدماغ عند المنشغلين بالأعمال الفكرية والذهنية، مما يؤدي إلى تنشيطه بشكل واضح. ولهذا كثيراً ما يُنْصَح المصابون بارتفاع درجة الحرارة أن يتوضؤوا أو يستحموا بالماء البارد. وكثيراً ما ينفع ذلك الأطفال المصابين بارتفاع الحرارة. فالماء البارد هنا أكثر فعالية من الماء الساخن، فهو ينبه الجملة العصبية، وينشِّط الهضم، ويزيد في الشهية. كما يُنَشِّط عمل الكُلْيَتَيْن ويزيد من طرحهما للفضلات السامة[١].

٥ ـ يعيد توازن طاقة جسم الإنسان ويصلح خللها:

الوضوء وسيلة فعَّالة جداً للتغلب على التعب والإرهاق، كما أنه يجدد نشاط الإنسان. وهذا ما أكده بحث علمي بجامعة عين شمس حيث أشار البحث: إلى أن وضوء المسلم للصلاة يعيد توازن الطاقة التي تسري في مسارات جسم الإنسان، ويصلح ما بها من خلل؛ بعد تنقية المرء من ذنوبه وخطاياه التي لها تأثير على الحالة النفسية والجسمية.

أما من الناحية الحسية والمعنوية: ففي الوضوء علاج خفي لسائر أعضاء الجسم، إذ يعالج الخلل الموجود بالجسم.

---

(١) الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص٨٥).

ودللت صاحبة البحث على ما تقول بقوله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

٦ ـ نظافة الأعضاء المكشوفة:

إن عملية غسل الأعضاء المعرَّضة دائماً للأتربة من جسم الإنسان، لا شك أنها في منتهى الأهمية للصحة العامة، فأجزاء الجسم هذه تتعرض طوال اليوم لعدد مهول من الميكروبات تعد بالملايين في كل سنتيمتر مكعب من الهواء، وهي دائماً في حالة هجوم على الجسم الإنساني من خلال الجلد في المناطق المكشوفة منه.

وقد ثبت علمياً أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا

---

(١) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب إسلام عمرو بن عبسة: (ح١٩٣٠)، عامر، ماجدة، أستاذة المناعة بجامعة عين شمس استشاري الطب البديل.

مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه، فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد مُحْدِثَةً حَكَّةً شديدةً، وهذه الحكَّة غالباً ما تكون بأظافر غير نظيفة تُدْخِل الميكروبات إلى الجلد، وكذلك الإفرازات المتراكمة هي دعوة للبكتريا كي تنمو وتتكاثر[١]. وعند الوضوء تفاجأ هذه الميكروبات بحالة كسح شاملة لها من فوق سطح الجلد، خاصة مع التدليك الجيد وإسباغ الوضوء، وهو هدي الرسول ﷺ، وبذلك لا يبقى بعد الوضوء أي درن أو جراثيم على الجسم إلا ما شاء الله.

كذلك فإن غالبية الدراسات العلمية تؤكد: أن الغالبية العظمى من سرطانات الجلد تكون من تأثير أشعة الشمس، ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية[٢]، ومن تعرُّضه للمواد الكيماوية المختلفة، وخاصةً عند العاملين في صناعة البترول.

وقد بيَّنت الدراسة أن أفضل وسيلة للوقاية من سرطان الجلد؛ هي إزالة ما يتراكم على سطح الجلد من هذه الكيماويات أولاً بأول، والعمل على عدم تراكمها بالغسل المتكرر لما يحدثه

---

(١) المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٧٥، ٧٦).

(٢) يشار إلى أن سرطان الجلد بأنواعه خاصة الملون منها Melanoma هو أكثر أنواع السرطان شيوعاً وأخطرها في المجتمع الغربي، ـ وأمريكا وأستراليا ـ وهو مرض غير شائع في بلاد المسلمين رغم قوة أشعة الشمس فيها، مما يشير إلى أهمية الوضوء وغسل الأعضاء بالماء للوقاية من هذه الإصابات. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٥٢، ٢٥٣).

من ترطيب دائم لسطح الجلد بالماء، فيقلل من فاعليتها وتأثيرها على خلايا الطبقات السطحية والداخلية للجلد[١].

ومع استمرار الفحوص والدراسات أعطت التجارب حقائق علمية أخرى... فقد أثبت البحث العلمي الجديد: أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عند عدم غسلهما.

ولذلك يجب غسل اليدين جيداً قبل البدء في الوضوء: وهذا يفسر قول النبي ﷺ: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاثاً فَإِنَّهُ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ**»[٢].

◻ فوائد غسل أعضاء الوضوء بصفة خاصة:

وبعد أن وقفنا على فوائد الوضوء الصحية بصفة عامة، نأتي لتفصيل فوائده وبيان منفعته لكل عضو من أعضاء الوضوء بصفة خاصة، مستلهمين من الله العون والصواب:

١ ـ غسل اليدين إلى الرسغين قبل البدء بالوضوء:

إن البحث العلمي الحديث قد أثبت أن جلد اليدين؛ يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم، أو الأنف عند

---

(١) سالم، مختار، «الطب الإسلامي بين العقيد والإبداع»: (ص٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً: (ح٦٤٣)، المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٧٦).

غسلهما[١]، ولذلك يجب غسل اليدين جيداً عند البدء في الوضوء؛

---

(١) إن معظم الأمراض السارية تنتقل بتلوث الأيدي، وأهمها ما يسمى بأمراض القذارة Feco-Oral Route، ومنها: ـ التهاب الكبد الفيروسي.
ـ الهيضة (الكوليرا) ـ هي الأمراض المعوية المعدية ـ:
• http://ar.wikipedia.org/wiki/
ـ الحمى التيفوُدية ـ من الحميات المعدية التي تتميز بإصابة الأمعاء والتأثير على الجسم بأكمله.
• http://www.ta4a.com/vb/archive/index.php/t-25648.html.
ـ الزحار العصوي ـ التهاب الأمعاء الغليظة.
• http://www.altibbi.com.
ـ الزحار الأميبي ـ داء يحصل بسبب (طفيلي) ممرض هو (الأميبا الحالة للنسج) ـ.
• http://khatib.com/amebia.htm
ـ الالتهاب المعوي بالعصيات القولونية ـ التهاب يشمل أغشية الأمعاء والقولون. وقد يؤدي إلى تضخم الغشاء، أو إلى إنشاء غشاء كاذب يؤدي إلى حدوث براز سائل.
• http://www.altibbi.com.
وتسمم الطعام الجرثومي والتي تشكل أهم المشاكل الصحية في البلاد النامية، وتعتمد الوقاية منها على النظافة الشخصية (غسل اليدين).
نشرت وكالة رويترز (Reuters 2007) ملخصاً عن دراسة توصلت: إلى أن غسل الأيدي بانتظام ربما يكون أكثر فعالية من العقاقير في الوقاية من انتشار فيروسات تصيب الجهاز التنفسي، مثل: الأنفلونزا والسارس.
وقد نشرت نتائج هذا البحث المجلة الطبية البريطانية (British Medical Journal)، وخلص الباحثون من خلال مراجعة ٥١ دراسة؛ إلى أن غسل الأيدي هي طريقة فعالة على المستوى الفردي في الوقاية من انتشار الفيروسات، التي تصيب الجهاز التنفسي. بل إنها أكثر فعالية عند اتخاذها في آن واحد. =

حيث إن نظافة الأيدي والأظافر من أهم مستلزمات الصحة الشخصية، ولذا يوصي مسؤولو الصحة الوقائية في منظمة الصحة العالمية؛ بغسل اليدين عدة مرات في اليوم. وخاصة قبل النوم وبعده، وبعد استعمال المرحاض؛ لأن دراساتهم في بنغلادش أثبتت: أن مجرد استعمال الماء النظيف في غسل اليدين مثلاً يزيل حوالي ٩٠٪ من المكروبات.

ونحن نلاحظ على هذه الوصايا الوقائية، والتعاليم الصحية، أنها تأتي في أساس التوجيهات النبوية. وتشتمل على كافة الإرشادات الصحية. ففي الصلاة: وطبقاً لأوامر القرآن الكريم؛ فرض الوضوء على المسلم قبل كل صلاة، وأن تغسل الأيدي إلى الرسغين قبل البدء بالوضوء. وقد اعتبر ذلك سبيلاً إلى النظافة، وتطهيراً لأعضاء الإنسان، وتكرار ذلك خمس مرات في اليوم يُعد إتماماً للصلاة. وأفضل طريق للوقاية وحفظ الصحة حتى في زمن الأوبئة.

كذلك فقد أوصى النبي ﷺ بالوضوء قبل الطعام وبعده فقال: «**بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ**»(١). واستن غسل الأيدي قبل النوم

= وفي دراسة أخرى نشرتها مجلة Cochrane Library وجدوا أن غسل الأيدي بالصابون والماء فقط، وسيلة بسيطة وفعالة لكبح انتشار الفيروسات التي تصيب الجهاز التنفسي، بدءاً من فيروسات البرد اليومية إلى الأنواع المهلكة التي تؤدي إلى انتشار الأوبئة. نقلاً عن: www.kaheel7.com.

(١) أي: غسل اليدين. قال الحاكم: تفرد به قيس بن الربيع عن أبي هاشم وانفراده على علوِّ محلِّه؛ أكثرُ من أن يمكن تركها في هذا الكتاب. =

وبعده فقال: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ**»(١)، وقال أيضاً: «... **وإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ**»(٢).

ونهى أن يستنجي المرء بيمينه منعاً من تلوثها. فقال ﷺ: «**لا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ، وَلا يَتَمَسَّحْ مِنْ الْخَلاءِ بِيَمِينِهِ...**»(٣).

ومن تعاليمه وإرشاداته ﷺ غسل الأيدي قبل الدخول على المريض وبعد الخروج من عنده، تحاشياً من انتقال مرض آخر للمريض، لكونه أثناء المرض ضعيف المناعة وسريع العدوى، أو خشية انتقال المرض من المريض إليه.

يقول ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**

= قال الذهبي في «التلخيص»: مع ضعف قيس فيه إرسال، وهو قول ابن الملقن. الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين»: (٥/ ٣٥)، (ح٧٢٣٤)، البيهقي، أحمد «سنن البيهقي»، كتاب الصداق، باب غسل اليد قبل الطعام وبعده، وقال: قيس بن الربيع غير قوي، ولم يثبت في غسل اليد قبل الطعام حديث (٧/ ٤٥٠)، (ح١٤٦٠٤).

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء: (ح٢٤٧).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الطهارة، باب الاستجمار وتراً: (ح١٦٢).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين: (ح١٥٣)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين: (ح٦١٣).

مُحْتَسِباً؛ بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً»[١].

ولعل في هذه النصوص الشرعية والتوجيهات النبوية التي قدمناها للوقاية الصحية، ما يؤكد أسبقية الشريعة الإسلامية في الحفاظ على السلامة الشخصية، والتنبيه على سبل الوقاية الصحية، وهذا إعجاز علميٌّ، وسبقٌ طبيٌّ، سبق به النبي ﷺ كل المنظمات العالمية الصحية قبل أربعة عشر قرناً من الزمن، حيث لم يكن هناك مجاهر صحية لرؤية هذه الميكروبات الخفية[٢].

❐ ٢ ـ المضمضة[٣]:

قبل البدء بالحديث عن فائدة المضمضة من الناحية الصحية لا بد من الإشارة إلى أهمية نظافة الفم حيث إن الفم: هو المدخل الأساسي للأمراض المتنقلة بالطعام والشراب، مثل الحمى التيفية، والحمى المالطية، وداء حيَّات البطن، والزحار العصوي، والزحار

---

(١) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الجنائز، باب في فضل العيادة على وضوء: (ح٣٠٩٥). قال أبو داود والذي تفرد به البصريون منه العيادة وهو متوضئ. قال في «عون المعبود»: قال المنذري: وفي إسناده الفضل بن دَلْهمَ بصريٌ وقيل: واسطي. قال يحيى بن معين: ضعيف الحديث. العظيم آبادي، محمد «عون المعبود»، شرح «سنن أبي داود»: (٨/ ٢٥١).

(٢) قاسم محمد، محمود «الطب الوقائي النبوي»: (ص٣١، ٣٢، ٣٣) بتصرف يسير.

(٣) إدخال الماء في الفم وإدارته في جميع أنحائه ثم إخراجه منه، وهو من متطلبات الوضوء.

المتحول، وشلل الأطفال، والكوليرا، إضافة إلى أنه توجد في الأحوال العادية العديد من الجراثيم المسالمة وغير الممرضة في الفم؛ وهذه تتحول إلى ممرضة، وتؤدي إلى المرض إذا أصيب الجسم بحالة من الضعف، وإضافة إلى وجود بقايا الأطعمة في الفم بعد الطعام والتي تشكل وسطاً مناسباً للعفونة ونمو الجراثيم[١].

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعبد الْمُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا[٢] مِنْ فِيْهِ...**»[٣].

إن نظافة الفم من الأسس الأساسية في الطب الوقائي، والعلاقة بين سلامة الفم والأمراض علاقة أكيدة ومعروفة.

إن وجود بعض أجزاء وبقايا الطعام في الفم تبدأ في إفرازات ميكروبية، لِتُكَوِّن حقلاً ميكروبياً داخل الفم والأسنان، وتَنْشَط هذه الميكروبات مع الأحماض لِتَفْتِكَ بما يحيط بها من أنسجة اللثة والأسنان، ومن ثم تمرض الأسنان واللثة.

---

(١) المويل، كمال «الإعجاز الطبي في السُّنَّة النبوية»: (ص٩٣)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) يقول البروفيسور عبد الباسط محمد سيد: إذا اعتبرنا أن الرسول ﷺ يشير إلى ما يطلق عليه الجراثيم، بقوله: «**الخطايا**» التي يزيلها الوضوء؛ لوصلنا إلى نتيجة مؤدَّاها: أن الوضوء يُعتبر خط الدفاع الأول لحماية المسلم من أكثر من عشرات الأنواع من الميكروبات. محمد سيد، عبد الباسط «الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة»: (ص٩٥).

(٣) النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الطهارة، باب مسح الأذنين مع الرأس، وما يستدل به على أنهما من الرأس: (ح١٠٣).

وقد ثبت علمياً أن ٩٠ ٪ من الذين يفقدون أسنانهم قبل الأوان لا يهتمون بنظافة الفم، حيث إن الصديد والعفونة في الفم عامل مهم جداً في تسبب كثير من الأمراض. فالأسنان المريضة واللثة تنفث السموم والجراثيم عن طريق الدم، فيمكن أن تؤثر على العين أو الجيوب الأنفية، أو تسبب التهاباً في بطانة المعدة، أو الاثني عشرية، ولا يسلم القولون ولا الرئتين ولا الكلى ولا المرارة من هذه الأخطار. بل إن الأذى قد يصيب الجلد بمرض الحساسية أو الأكزيما، حتى حب الشباب لا يستجيب للعلاج إلا بعد التخلص من البؤر الصديدية التي تلوثه داخل الفم.

وهذه البؤر الصديدية لها علاقة وطيدة بـ:

١ ـ أمراض المفاصل.

٢ ـ مرض السكر.

٣ ـ أمراض ومضاعفات الحمل.

٤ ـ مرض القلب[١].

وهنا نلاحظ أهمية المضمضة التي جاء بها الشرع الحنيف في تخليص الفم من الجراثيم الموجودة بشكل دائم: في اللعاب[٢]،

---

(١) مرشد، فاروق، المتيم، كمال، «الفم والأسنان الوقاية للسليم والعلاج للمريض»، نقلاً عن: محمد سيد، عبد الباسط «الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة»: (ص٩٨، ٩٩).

(٢) محمد سيد، عبد الباسط «الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة»: (ص١٠٠).

وعلى الأسنان، واللسان، وتقي من انبعاثات الرائحة الكريهة من الفم. إذ تَرْكُ بقايا الطعام عالقة باللعاب يدفع بالجراثيم إلى هضمها، وبالتالي فإن الكتلة الهلامية التي تتكون من الجراثيم وإفرازاتها وسمومها؛ إما أن تترسب وتجذب أملاح الكالسيوم إليها فتتحجر، أو تتكلّس وتتحول إلى طبقة صفراء صلبة لا يمكن إزالتها، وإما أن يتم التخلص من هذه الكتل عن طريق نظافة الفم والأسنان.

ويمكن أن نذكر هنا فائدة أخرى هامة جداً للمضمضة:

فهي تقوِّي بعض عضلات الوجه، وتحفظ للوجه نضارته واستدارته، وهو تمرين هام يعرفه المتخصِّصون في التربية الرياضية، وهذا التمرين يفيد في إضفاء الهدوء النفسي على المرء؛ لو أتقن تحريك عضلات فمه أثناء المضمضة[١].

٣ ـ الاستنشاق[٢] والاستنثار[٣]:

تعتبر عملية غسل الأنف بالاستنشاق والاستنثار من أهم وسائل الوقاية من أمراض الجهاز التنفسي[٤]. حيث يقوم الأنف بتنظيم

---

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٤)، قاسم، محمد محمود، «الطب الوقائي النبوي»: (ص٣٣، ٣٤).

(٢) **الاستنشاق**: تطهير الأنف بالماء. النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص١٢).

(٣) **الاستنثار**: جعل الماء في النثرة. يقال: نثرت الشاة إذا طرحت من أنفها الأذى. النسفي، نجم الدين، م ـ ن.

(٤) **الأنف**: هو المدخل الأساسي للأمراض المنتقلة بالهواء، مثل: الجدري، والحصبة، والزكام، (الرشح) والنزلة الوافدة (الأنفلونزا)، =

الهواء وترطيبه قبل الدخول إلى الرئتين، وعليه فإن الهواء الداخل إلى الرئتين يكون:

١ ـ خالياً من الغبار والأوساخ.

٢ ـ رطباً غير جاف.

٣ ـ ذا حرارة معتدلة[١].

= والخانوق ـ الدفتيريا ـ: مرض معد حاد يصيب الأغشية المخاطية في الأنف والحلق وذلك نتيجة العدوى بجرثومة الدفتيريا. والدفتيريا كلمة لاتينية تعني غشاء؛ لذلك سمي بهذا الاسم.

• http://healths.roro44.com/healths-48-834-0.html

والسل الرئوي، والشاهوق ـ السعال الديكي ـ: عدوى حادة تصيب الممرات التنفسية العليا، وتتميز بنوبات من السعال تأتي في سلسلة متكررة تسبقها شهقة، ولهذا سمي بالشاهوق.

• http://healths.roro44.com/healths-48-829-0.html

والتهاب الرئة، والتهاب السحايا: مرض جرثومي حاد، يبدأ فجأة بارتفاع في درجة حرارة الجسم وصداع شديد وتصلب في الرقبة والظهر مع غثيان وقيء وطفح صغير الحجم على الجلد، ثم يتطور إلى هذيان وضعف عام وغيبوبة، ثم انهيار عام وصدمة.

• http://healths.roro44.com/healths-48-840-0.html

إضافة إلى أنه توجد فيه بعض الجراثيم غير الممرضة في الأحوال الطبيعية؛ كالمكورات العنقودية، والتي تتحول إلى ممرضة إذا أصيب الجسم بضعف ما كنقص المقاومة المناعي، وإضافة إلى كونه مصفاة تصفي الهواء الداخل إلى الجسم من الغبار والأوساخ، وما يحتويه من العوامل المؤذية. المويل، كمال «الإعجاز الطبي في السُّنَّة النبوية»: (ص٩٣).

(١) هذه النقاط الثلاث مهمة؛ لأنه لو أخذ الهواء عن طريق الفم (الطريق =

وفي دخول الماء عن طريق الأنف تأثير على فتحات الجيوب الأنفية؛ مما يساعد على بقائها مفتحة مما يمنع تراكم الإفرازات فيها، ومن ثَمَّ يمنع التهابها الحاد المزمن الذي يسبب الألم والصداع[1].

كما إن تكرار الاستنشاق عدة مرات في اليوم يرفع المناعة ضد الإصابة بالأمراض. ويقي من الإصابة بالتسمم الذاتي. وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدث من جراء الميكروبات الضارة في تجويفي الأنف، ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء لإحداث التهابات وأمراض متعددة؛ لا سيما عندما تدخل الدورة الدموية.

كما وإن الاستنشاق يقوم بدور فعَّال في طرد هذه الميكروبات، بحيث يصبح هذا التجويف نظيفاً خالياً من خطر انتقال المكروب من الأنف إلى الأعضاء الأخرى في الجسم.

وفي مشروعية الاستنشاق والاستنثار بصور متكررة ثلاث مرات في كل وضوء فوائد أخرى وأسرار عظمى، حيث ثبت أنه يقضي

= غير الطبيعي)، فيمكن أن يكون محمَّلاً بالغبار وجافاً، أو حرارته مرتفعة أو منخفضة بصورة كبيرة، وهذه كلها تؤثر سلباً على جهاز التنفس، وقد تؤدي إلى الالتهابات الحادة مثل: التهاب اللوزتين، والبلعوم، أو التهابات القصبات الهوائية. المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٧٢، ٧٣).

(١) عند الإصابة بالتهابات حادة مثل: التهاب اللوزتين، والتهاب البلعوم، والزكام الحاد، فإن الاستنشاق يساعد في العلاج ويُسرِّع في الشفاء، المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٧٢، ٧٣).

على أحد عشر نوعاً من الميكروبات، والبكتريا الخطيرة التي في الأنف وتصيب الإنسان بأمراض الجهاز التنفسي، والالتهاب الرئوي، والحمى الروماتزمية، والجيوب الأنفية، والحساسية، وبعض المضاعفات الأخرى.

كما ثبت أيضاً: أن كمية الميكروبات بالأنف تقل إلى النصف بعد الاستنشاق الأول، ثم للربع بعد الاستنشاق الثاني، ثم تتضاءل كمية الميكروبات بعد الاستنشاق الثالث. وأنّ البحوث العلمية أكدت أنّ أنف الإنسان عندما يتطهر تماماً من الميكروبات بعد عمليات الاستنشاق المتتالية، يظلُّ خالياً من الميكروبات لمدة خمس ساعات متواصلة، ثم يأخذ في التلوث بعد ذلك، دلالة عن حاجة الإنسان لتطهيره من جديد.

معنى ذلك أنّ عملية الوضوء وفيه يتكرر الاستنشاق في كل وقت من أوقات الصلاة ـ غالباً ـ، هي الوسيلة الفعالة لتطهير الأنف ونظافته، والإقلال من خطورة حمله للميكروبات[1].

وقد أظهر بحثٌ علميٌّ حديثٌ ـ قام به فريق طبي من جامعة الإسكندرية بدراسة ميدانية اكتشف فيها ـ العلاقة بين الوضوء وصحة الإنسان، وقد وجدوا أن باطن الأنف عند المهملين للوضوء يكون شاحب اللون، دهني الملمس، تكثر فيه الترسبات الغريبة من الأتربة

---

(١) محمد سيد، عبد الباسط «الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة»: (ص٩٦، ٩٧)، اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٤، ٥٥).

والجراثيم، أشعارها متلاصقة وتعلوها القشور، وأثبتت نتائج الزرع الجرثومي نمو العديد من المستعمرات الجرثومية، في حين كانت نتائج الزرع من أنوف الملتزمين بالوضوء عقيمة غالباً، وكانت بطانة الأنف نظيفة لمَّاعة، خالية من الشوائب والأتربة. كل هذا يثبت أهمية الوضوء وما فيه من استنشاق واستنثار في نظافة الأنف، والوقاية أو الحد من الإصابة بعدد كبير من الأمراض التي تنتقل بواسطته، وفي تنشيط الوظائف الحيوية لهذا العضو الهام[١].

ويُظهِر بما لَا مجال للشك فيه حِكمة التوجيه النبوي بغسل الأنف حيث يقول: «**إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لْيَنْتَثِرْ...**»[٢]، ويقول: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ**»[٣].

٤ ـ غسل الوجه:

الوجه هو كالمرآة الحقيقية التي تنعكس عليها حالة الجسم الصحية والنفسية[٤]،.....

---

(١) الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص٨٨، ٨٩)، اللبان، فائزة، «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٤، ٥٥).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وتراً: (ح١٦٢)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستنشار والاستجمار: (ح٥٦٠).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الوضوء، باب الاستنثار في الوضوء: (ح١٦١)، النيسابوري، مسلم، م ـ س: (ح٥٦٢).

(٤) قرر القرآن ذلك في آياته الشريفة: أن الإنسان إذا أصابه الأسى والحزن =

إذ هو مجمع لمعظم الحواس[١]، وهو الذي يعطي الشخصية المتميزة لصاحبه، ويمنحه القبول أو الرفض[٢].

= اسود وجهه وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].
وكذلك يفعل به الأسف والندم، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]. فالألم يظهر واضحاً أول ما يظهر على الوجه... والراحة والسعادة... مكان وضوحها وظهورها هو الوجه... الحاج أحمد، يوسف «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة المطهرة»: (ص٩٠٦).

(١) يقرر الطب: أن بالوجه خمساً وخمسين عضلة نستخدمها دون إرادة أو وعي في التعبير عن العواطف والانفعالات، وتحيط بتلك العضلات أعصاب تصلها بالمخ، وعن طريق المخ تتصل تلك العضلات بسائر أعضاء الجسم. الحاج أحمد، يوسف، م ـ ن.

(٢) أورد القرآن الكريم حقيقة هامة: وهي أن الوجه مرآة النفس، وأنه يمكن للإنسان أن يعرف حالة صاحبه بمجرد النظر إلى وجهه، وذلك بنص الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]، وقوله ﷻ: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ...﴾ [الفتح: ٢٩].
وتقرر الأبحاث الطبية والسيكولوجية المعاصرة: أن الوجه حقاً مرآة النفس. يقول الدكتور جايلورد هاروز: «إن وجهك هو رسولك إلى العالم، ومنه يمكن أن يتعرف الناس على حالك، بل يمكنك إذا نظرت إلى المرآة أن تعرف حالتك تحديداً، وأن تسأل وجهك عما يحتاج إليه...». الحاج أحمد، يوسف، م ـ ن.

لذا حرص الإسلام على جعله نظيفاً من خلال الوضوء؛ بغسله من منبت الشعر إلى أسفل الذقن وما بين شحمتي الأذنين.

هذا الغسيل المتكرر مرات ومرات في اليوم الواحد له فوائد كبيرة أهمها ما يلي:

- إزالة الغبار، وما يحتوي عليه من الجراثيم.
- تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية.
- إزالة العرق عن سطح الجلد. وهو غالباً موطِنٌ ملائِمٌ جداً لمعيشة وتكاثر الجراثيم.
- تخفيف جفاف الجلد وتجاعيده[١]. فتدليك الجلد بالماء البارد هو أفضل طريق للحفاظ على رطوبة الجلد، وهذا ما تعتمد عليه شركات ومصانع مستحضرات التجميل؛ التي تسعى للحفاظ على رطوبة الطبقات السفلية للجلد؛ باستخدام المواد الكيماوية[٢].
- إن رذاذ الماء على الوجه واليدين هو أفضل وسيلة للاسترخاء وإزالة التوتر. كما أكد ذلك أحد العلماء الأمريكيين[٣].

---

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٥)، المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٧٥).

(٢) عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص٣٥)، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، د.ط.

(٣) عبد الصمد، محمد «الإعجاز العلمي في الإسلام والسُّنَّة النبوية»، مجلة الإصلاح، عدد ٢٩٦، عام ١٩٩٤م.

كذلك فإن عملية غسل الوجه تقي العيون من إصابتها بالرمد، ويقلل من إمكانية تعرُّضها للالتهابات الجرثومية والتراخوما[١].

٥ ـ غسل اليدين إلى المرفقين:

تعتبر اليدان من أكثر الأعضاء تعرضاً للتلوث بالأوساخ، والجراثيم، وملوثات المهنة على اختلاف أنواعها، وذلك لأن اليدين هما الوسيلة الوحيدة لأداء الأعمال اليومية الشخصية، في الاستنجاء والتنظيف وحمل القمامة، وفي المهنة، والبيت، وفي نفس الوقت تقوم اليدان في السلام والمصافحة، وتناول الطعام، وإمكانية نقل الجراثيم والطفيليات الذاتي والغيري، والتسبب بالإصابة بالعديد من الأمراض مثل: الزحار (الزنطارية)، والتيفوئيد، والنزلات المعوية. لذا رأينا حرص الإسلام على نظافتهما، حيث أوجب غسلهما إلى المرفقين بصورة متكررة ثلاث مرات في كل وضوء. ولا شك أن هذا الغسل

---

(١) وفي محاضرة عن تطور فن التجميل شرحت البروفسورة إينا كالغنينكو ـ (مديرة معهد العلاج التجميلي في موسكو عام ١٩٦٩م) ـ وقد سمع المؤلف المحاضرة شخصياً ـ فضل الوضوء على الشعوب الإسلامية وأثره على بقاء الوجه في نضرة وحيوية وشباب عند الشيوخ منهم وحتى في سن متقدمة. إذ إن تكرار غسيل الوجه بالماء وخاصة البارد منه، وما يرافقه من تدليك (مساج) ينشِّط بشرة الوجه وما فيها من خلايا، وعضلات ملس، وألياف، ويجعل أنسجتها مرنة وقوية غير مترهلة؛ مما يزيد في حيوية ونضارة البشرة، ويؤخر أو يقلل من ظهور التجاعيد فيها. وإن نضارة وجه الشخص الملتزم بالماء أمر ملاحظ لكل مبصر. الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص٨٨، ٨٩). سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٥٥).

لليدين في منتهى الأهمية للصحة العامة، وله فائدة كبيرة: في إزالة الغبار وما يحتوي عليه من الجراثيم، فضلاً عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية، بالإضافة إلى إزالة العرق عن سطح الجلد، وهو غالباً موطِنٌ ملائِمٌ جدّاً لمعيشة وتكاثر الجراثيم.

وقد ثبت علمياً أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته، فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه، فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق، تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة، وهذه الحكة تكون غالباً بأظافر غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجلد. وتُعَدُّ الإفرازات المتراكمة دعوة إلى البكتيريا كي تنمو وتتكاثر[1].

ولذلك فإن الأطباء يشددون على غسل الأيدي كوسيلة في الوقاية من نقل الجراثيم، سواءٌ إلى الإنسان نفسه صاحب اليدين، أم إلى غيره من الناس. وفي حالات خاصة لا يكفي غسل اليدين بل لا بد من تطهيرهما بالمواد الكيماوية، أما في غرف العمليات فيجب لبس القفازات المعقمة.

وقد ثبت بالبحث العلمي: تأثير أشعة الشمس لا سيما الأشعة فوق البنفسجية في إحداث سرطان الجلد، وهذا التأثير ينحسر جدّاً مع توالي الوضوء، لما يحدثه من ترطيب دائم لسطح

---

(١) متولي، أحمد «الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسُّنَّة»: (ص٨٩٧، ٨٩٨)، القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٥، ٥٦).

الجلد بالماء، خاصة تلك الأماكن المعرضة للأشعة، مما يتيح لخلايا الطبقات السطحية والداخلية للجلد أن تحتمي من الآثار الضارة للأشعة[١].

وهنا يتجلى الإعجاز العلمي والسبق الطبي باهتمام الإسلام بغسل اليدين في الوضوء خمس مرات في اليوم، إضافة إلى غسلهما عند الاستيقاظ من النوم[٢]، حرصاً على نظافتهما، ووقاية من الأمراض، بتطهير الأعضاء الأكثر مساهمة في نقل الأمراض. وذلك دون الاستعانة بالمجهر وقبل اكتشاف البكتيريا والفطريات التي تهاجم جلد الإنسان الذي لا يعتني صاحبه بنظافته[٣].

ولعل من حِكمة غسل اليدين بعد الوجه، أنه أثناء غسل الوجه ينزل جزء من الغسالة المستعملة في غسله إلى الساعدين؛ فيكون المناسب أن تغسل بعده.

٦ ـ مسح الرأس[٤]:

إن المواظبة على مسح الرأس بماء نظيف؛ يضمن إزالة ما علق

---

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٦).

(٢) انظر: «مواضع غسل اليدين عند الحديث عن غسل اليدين إلى الرسغين»: (ص٢٤٦ ـ ٢٥٠).

(٣) المويل، كمال «الإعجاز الطبي في السُّنَّة النبوية»: (ص٩١، ٩٢).

(٤) لعل الحِكْمَة من إيجاب المسح في الرأس دون الغسل أثناء الوضوء: التيسير، ورفع الحرج والمشقة، وذلك لأن غسل الشعر يحتاج إلى تنشيف وتسريح ـ خاصة إذا كان الشعر طويلاً ـ، وعدم تعرُّض للهواء، ويصعب تحقيق ذلك في كل وضوء.

به من الغبار الممتزج بالعرق والإفرازات الأخرى، ويحافظ على رونقه ونظافته، ويقلل من إمكانية إصابته بالالتهابات الجلدية المختلفة. كما أن إمرار الماء البارد على الرأس بين فترة وأخرى؛ له تأثيرات حسنة على نشاط الإنسان وحيويته، وإزالة حالات الصداع والتعب، وتجدد النشاط الذهني[١].

٧ ـ مسح الأذنين:

إن لعملية تنظيف الأذنين أهمية صحية كبرى، ذلك أن الأذن تفرز مادة شمعية هي الصملاخ؛ تتراكم ببطء ضمن مجرى السمع، وتختلط بما يدخل المجرى من غبار وأوساخ أو قاذورات داخلية، بما يؤدي إلى انسداد الأذن، أو إصابتها بالالتهابات التي قد تنتقل إلى الأذن الداخلية وتسبب ضعف السمع، أو اضطراب توازن الجسم؛ نظراً لوجود مركز توازن الجسم في الأذن الداخلية. فمسح الأذن يقي من الإصابة بالعديد من الأمراض[٢].

وهنا تتجلى حِكمة تشريع مسح الأذنين في الوضوء. ويظهر سرُّ اهتمام النبي ﷺ بمسح الأذنين. فعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ: «**مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا**»[٣]. وعن

---

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٥٦).

(٢) سالم، مختار، م ـ ن: (ص٢٥٥).

(٣) السجستاني، أبو داود «سنن أبي داود»، كتاب الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ: (ح١٢١)، الترمذي، محمد «جامع الترمذي»، كتاب الطهارة، باب ما جاء في مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما: (ح٣٦).

المقدام بن معديكرب رضي الله عنه: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ، فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا**»(١).

وهنا نلاحظ أن السُّنَّة في الأذنين المسح. فلماذا كانت السُّنَّة مسح الأذنين وليس غسلهما؟

إن الجواب عن هذا يحمل في ثناياه إعجازاً علمياً، وسبقاً طبياً، سبق به رسولنا ﷺ قبل ١٤٣٠ سنة هجرية كل الاكتشافات العلمية المعاصرة. حيث ثبت بالبحث العلمي: أن الوجود المتكرر للماء داخل الأذنين، يعتبر من العوامل المؤهبة للإصابة بالتهاب الأذن الظاهرة، وهذا ما يلاحظ لدى الأطفال الذين يقومون بالسباحة المتكررة ولا يستطيعون منع دخول الماء إلى آذانهم، ومن هنا يعتبر غسل الأذنين بالماء من العوامل المؤهبة لالتهابات الأذن الظاهرة، في حين أن مسحهما بالماء يساهم في نظافة الأذنين، كما يساهم في إزالة الجراثيم، والوقاية من الأمراض التي تصيب الأذن بدخول الجراثيم(٢).

٨ ـ غسل الرجلين إلى الكعبين:

يقول صاحب كتاب «روائع الطب الإسلامي»: تتحمل القدمان العبء الأكبر من وزن البدن من كثرة احتكاكهما أثناء المشي.

---

(١) ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطهارة، باب ما جاء في مسح الرأس: (ح٤٤٢).

(٢) المويل، كمال «الإعجاز الطبي في السُّنَّة النبوية»: (ص٩٥، ٩٦).

ويزيد المشكلة تعقيداً: أن القدمين وضمن حياتنا المعاصرة، محبوستان داخل الحذاء فترات طويلة، علاوة على كثرة المفرزات العرقية فيهما وما يتبعهما من تعطين وتلوث بالغبار، حيث تصبح البيئة ملائمة لتكاثر الجراثيم والفطريات الممرضة وخاصة أثناء الفصل الحار، فتكثر الالتهابات الجلدية والآفات الفطرية؛ وما يصدر عنها من روائح كريهة للقدمين والجوارب التي تحويها[١].

لذا كان غسل القدمين مع تدليكهما جيداً وقاية للجلد في هذه المنطقة من الإصابة بفطور القدمين، والعديد من أمراض الجلد في هذا المكان[٢]. إضافة إلى أنه يؤدي إلى الشعور بالهدوء والسكينة؛

---

(١) الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص٩١).

(٢) ومن السُّنَّة تخليل الأصابع بالماء إمعاناً في النظافة، وإن كان الماء يصل إلى ما بينهما، فإن لم يصل الماء إلا بالتخليل وجب. عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلِ الْأَصَابِعَ**». الترمذي، محمد «جامع الترمذي»، أبواب الطهارة، باب ما جاء في تخليل الأصابع: (ح٣٨). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ بَيْنَ أَصَابِعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ**». الترمذي، محمد «جامع الترمذي»، أبواب الطهارة، باب ما جاء في تخليل الأصابع: (ح٣٩). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريب، سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٥٦). وهنا ندرك مدى التوافق بين التعاليم النبوية والطبية، إذ من المعلوم أن ما بين أصابع القدمين هو من أكثر المواضع في البدن تعرضاً للتخمر والتعطن. الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص٩٢)، النسيمي، محمود، «الطب النبوي والعلم الحديث» (١/ ١٧٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

لما في الأقدام من منعكسات لأجهزة الجسم كله، وكأن هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت يدلك كل أجهزة جسمه على حدة؛ بينما هو يغسل قدميه بالماء ويدلكهما بعناية، وهذا من أسرار الشعور الطاغي بالهدوء والسكينة، الذي يلف المسلم بعد أن يتوضأ. كما يعتبر غسل القدمين أيضاً بمثابة تنشيط لجريان الدم في الأوعية التي تحت الجلد، ومحافظة عليها من الأمراض.

وقد ثبت بالبحث العلمي: أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين والساقين، أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز المنظم للدورة الدموية وهو القلب، ولذا فإن غسل هذه الأطراف جميعاً مع كل وضوء ودلكها بعناية يقوِّي الدورة الدموية، مما يزيد في نشاط الجسم وحيويته[١].

يقول صاحب كتاب «الطب النبوي والعلم الحديث»: إن فهم أهل السُّنَّة والجماعة لآية الوضوء وقولهم بفرضية غسل القدمين في الوضوء لا مسحهما؛ هو الذي يتوافق مع تعاليم الطب الوقائي في النظافة[٢].

كذلك فإن بعض المعالجين الفيزيائيين لاحظ ملاحظة لطفية:

---

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٥٦)، عبد الحكيم، منصور «التداوي والشفاء بالصبر والصلاة والوضوء»: (ص٥٢، ٥٣)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

(٢) النسيمي، محمود «الطب النبوي والعلم الحديث»: (١/ ١٧٠).

«هي أن الوضعية التي يتخذها الإنسان أثناء غسله لقدميه؛ تجعله مجبراً على تحريك عضلات جسمه جميعاً بما فيها عضلات: الأطراف، والجذع، والحوض، كما أن الوقوف على قدم واحدة أثناء غسل الأخرى تمرين بدني جيد، ينمِّي ويطوِّر درجة الاتزان العصبي تدريجياً مع كل وضوء.

وتعتبر الحركات التي نؤديها أثناء الوضوء بمثابة تمرينات تمهيدية؛ لتنشيط وإحماء الجسم استعداداً للوقوف بين يدي الله لأداء الصلاة[1]».

حِكمة تخصيص الحالة الاعتبارية المسماة حدثاً أصغر بهذه الأعضاء

بعد تلك الرحلة في تتبع فوائد الوضوء: الشرعية، والروحية، والنفسية، والصحية، يجب علينا أن نبين حِكمة تخصيص هذه الأعضاء دون غيرها فنقول:

إن حِكمة تخصيص هذه الأعضاء الكثيرة الذنوب والآثام وتطهيرها بالماء، إشارة إلى ما ينبغي من تطهيرها بالتوبة من ذنوبها الكثيرة. يشهد بذلك ترتيبها في التطهير حسب إسراعها للمخالفات، وكثرة وقوعِها في الآثام.

فيقدم الوجه: الذي لا يوجد أكثر منه في الأعضاء مخالفة؛

---

(١) سالم، مختار «الصلاة رياضة النفس والجسد»، نقلاً عن: الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص٩٢).

لاشتماله على الفم الذي آفاته أكثر من أن تحصى. والأنف والعينين: اللذين تَقرُب ذنوبهما من ذنوبه. ثم تُطَهَّرُ بعدهما اليدان: اللتان يكون البطش بهما بعد التكلم باللسان، والنظر بالعينين غالباً. ثم الرأس: المجاور للوجه، الذي هو كثير الذنوب، وَاكْتُفِيَ فيه بالمسح؛ لأن مجاورة المذنب أخف من ارتكاب الذنب، فضلاً عمَّا في غسله من الحرج. وَاكْتُفِيَ بالمسح أيضاً في الأذنين: لأن السمع يغلب وقوعه بلا تعمد. ثم الرجلان: اللتان يكون السعي بهما غالباً بعد كل ما تقدم[١].

فإذا تذكر المتوضئ عند كل عضو ما اجترحه من السيئات، وخشي الله ﷻ ودعاه بالأدعية المأثورة، راغباً في عفوه، راجياً غفران خطاياه؛ طهَّره الله من الذنوب، وأفاض عليه رحمته فإنه هو الغفور الرحيم[٢]. عن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا رسول الله، حدثني عن الوضوء. قال: «**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا**

---

(١) ورخص في المسح عليهما للابس خفيه؛ لأن الوضوء مبني على غسل الأعضاء الظاهرة التي تسرع الأوساخ إليها. وهاتان دخلتا حينئذ في الباطنة. ولأن خلع الخفين والغسل عند كل صلاة فيه حرج. وإنما لم يترك المسح أيضاً خشية أن يخلو المكلف من مذكِّر بالطاعة ومن منبه لها. وقد اشترط فيه أن يكون لبسهما على طهارةٍ؛ ليتمثل للمكلف بقاؤهما عليها. كباقي الأعضاء المستورة. وهذا يُوجِدُ تأثيراً في النفس وتنبيهاً. أفندي، علي «أسرار الشريعة الإسلامية وآدابها الباطنة»: (ص٦٥).

(٢) أفندي، علي م ـ ن: (ص٦٤، ٦٥).

أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1]. هذا هو الدين الإسلامي السمح الكريم، تعمل العمل لأجل النظافة والرياضة؛ فيكافئك عليه براً وثواباً إذا نويته في سبيل الله، فالوضوء فيه نظافة للبدن، ورياضة ومسد للأعضاء، وفيه حطٌّ للخطاياً أيضاً، ورفعٌ للدرجات، ومثله الغسل. لقد ربط الإسلام النظافة بالثواب؛ فجعل المسلم أكثر تمسُّكاً[2].

وبعد هذه العجالة في تتبع حِكم الوضوء واستقصائها، مع فوائده الشرعية، والروحية، والنفسية، والصحية؛ تتجلى لنا عظمة التشريع الإسلامي وإعجازه العلمي وسبقه الطبي؛ وأنه دين يروم في كل تشريعاته جلب النفع للإنسان، ودفع المفسدة والمضرة عنه، في نظام دقيقٍ وتسلسلٍ منطقيٍ محكمٍ مبين، يقول النسيمي: «وإن المتأمل ليعجب من حسن ترتيب أفعال الوضوء الشرعي، الذي يجمع بين النظام، وبين التسلسل المنطقي الصحي»[3].

---

(١) سبق تخريجه: (ص٢٤٤)، هامش (١).

(٢) كيلاني، عبد الرزاق «الحقائق الطبية في الإسلام»: (ص٩٧، ٩٨)، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) النسيمي، محمود «الطب النبوي والعلم الحديث»: (١/ ١٧١).

فحري بالمسلمين أن لا يهملوا هذه التشريعات، ويحرموا أنفسهم فوائد دنيوية، ومثوبة أخروية. كما ينبغي على دعاة الإسلام أن يعملوا أكثر على إبراز هذه الفوائد والحِكم لبني الإنسان.

المبحث الخامس

تعريف الغسل وما يجب له وفرائضه

تعريف الغسل

◻ أولاً: الغسل لغةً:

من غَسَلْتُ الشَّيءَ غَسْلاً بالفتح[١]، أَسَلْتُ عليه الماءَ فَأَزَلْتُ دَرَنَهُ[٢]. والغُسْلُ بالضم، الاسم من الاغْتِسَالِ. يُقَال: غُسْلٌ وغُسُلٌ[٣].

والغُسْلُ: تَمَامُ غَسْلِ الجَسَدِ كُلِّهِ[٤].

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٧٧٤)، الأصفهاني، الحسين «معجم ألفاظ القرآن»: (ص٤٠٣).

(٢) الأصفهاني، الحسين، م ـ ن.

(٣) قال الكميت يصف حمار وحش:

تحت الآلاءَةِ في نوعين من غُسُلٍ بَاتَا عليه بتَسجَالٍ وتَقْطَارِ

أي: يسيل عليه ما على الشجرة من الماء، ومرَّةً من المطر. الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٧٧٥).

(٤) ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١١/ ٤٩٤).

◻ ثانياً: الغسل شرعاً:

استعمال ماء طهور في جميع البدن على وجه مخصوص[١].

ما يجب له الغُسل

يجب الاغتسال لأمور أربعة:

◻ أولاً: خروج المني[٢]:

اتفق الفقهاء على وجوب الغسل في حالة خروج المني، بل قد نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك[٣]. ولا فرق بين الرجل والمرأة[٤].

---

(١) البهوتي، منصور «كشاف القناع»: (١/ ١٣٩).

(٢) الصاوي، أحمد «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (١/ ١١١)، النووي، يحيى «المجموع (٣/ ٨٦)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٢٦٥).

(٣) قال ابن عبد البر: ... إنما فرض على الجنب الغسل دون الوضوء بقوله ﷻ: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟...﴾ [النساء: ٤٣]. وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟...﴾ [المائدة: ٦]. وهذا إجماع لا خلاف فيه بين العلماء. ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص٢٦).

(٤) لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْم وَهِيَ جَدَّةُ إِسْحَاقَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الْمَرْأَةُ تَرَى مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ فَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أُمَّ سُلَيْم فَضَحْتِ النِّسَاءَ تَرِبَتْ يَمِينُكِ. فَقَالَ لِعَائِشَةَ: «**بَلْ أَنْتِ فَتَرِبَتْ يَمِينُكِ؛ نَعَمْ فَلْتَغْتَسِلْ يَا أُمَّ سُلَيْم إِذَا رَأَتْ ذَاكِ**». النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، بأب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها: (ح٧٠٩).

والأصل في ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ**»(١).

أي: يجب الغسل بالماء من إنزال الماء. وهو المني.

◻ ثانياً: التقاء الختانين(٢):

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ**»(٣). وفي رواية «**وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ**»(٤).

◻ ثالثاً: الحيض والنفاس:

اتفق الفقهاء على أن الحيض والنفاس من موجبات الغسل(٥)، ونقل غير واحد الإجماع على ذلك(٦):

لقوله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى

---

(١) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب بيان أن الجماع كان في أول الإسلام لا يوجب الغسل إلا أن ينزل المني، وبيان نسخه وأن الغسل يجب بالجماع: (ح٧٧٥).

(٢) الصاوي، أحمد «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (١/ ١١١)، النووي، يحيى «المجموع»: (٣/ ٨٦)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٢٦٥).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الغسل، باب إذا التقى الختانان: (ح٢٩١)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب نسخ: [«الماء من الماء» ووجوب الغسل بالتقاء الختانين]: (ح٧٨٣).

(٤) النيسابوري، مسلم، م ـ ن.

(٥) الصاوي، أحمد، م ـ س: (١/ ١١١)، النووي، يحيى «المجموع»: (٣/ ٨٦)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٢٧٦).

(٦) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص٣٦ ـ ٣٨).

﴿ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولقوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش: «**إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلَاةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي**»(١).

◻ رابعاً: الموت(٢):

لقوله ﷺ حين توفيت إحدى بناته: «**اغْسِلْنَهَا ثَلاثاً، أو خَمْساً، أَوْ أَكْثَرَ مَنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ**»(٣).

فرائض الغسل

◻ أولاً: تعميم البدن بالماء(٤):

اتفق الفقهاء على أن تعميم البدن (الشعر والبشرة) بالماء من فروض الغسل.

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحيض، باب الاستحاضة: (ح٣٠٦)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب المستحاضة وغسلها وصلاتها: (ح٧٥١).

(٢) النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٩٣).

(٣) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الجنائز، باب في غسل الميت: (ح٢١٦٨). وعند البخاري بلفظ: إغسلنها بالسدر وتراً، ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك. البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الجنائز، باب يلقى شعر المرأة خلفها: (ح١٢٦٣).

(٤) الصاوي، أحمد «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (١/ ١١٠)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٢٩٩).

قال النووي[١]: «استيعاب جميع البدن بالغسل، ومن ذلك ما ظهر من صماخي الأذنين، والشقوق في البدن، وكذا ما تحت القلفة ـ الجلدة التي تقطع في الختان ـ من الأقلف وما ظهر من أنف المجدوع على الأصح، وكذا ما يبدو من الثيب إذا قعدت لقضاء الحاجة على الأصح، ويجب إيصال الماء جميع الشعور التي على البشرة، وإلى منابتها، وإن كثفت، ويجب نقض الضفائر إن لم يصل الماء إلى باطنها إلا بالنقض، ولا يجب إن وصل»[٢].

---

(١) النووي: يحيى بن شرف بن مري، الحوراني، النووي، الشافعي، محيي الدين، أبو زكريا، ولد سنة (٦٣١هـ) بنوى، تفنن في أصناف العلوم، سمع «الصحيحين» على المحدث أبي إسحاق بن عيسى المرادي، وأخذ الأصول عن القاضي التَّفْليسي، والفقه عن الكمال إسحاق، وغيرهم. من مصنفاته: «شرح صحيح مسلم»، و«روضة الطالبين»، توفي في نوى سنة (٦٧٦هـ). السبكي، عبد الوهاب «طبقات الشافعية الكبرى»: (٥/ ١٦٥، ١٦٦)، الذهبي، محمد «سير أعلام النبلاء»: (١٧/ ٣٢١ ـ ٣٣٤).

(٢) النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٩٩، ٢٠٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. كما يجب تعهد مواطن تجاعيد البدن، والأثلام، والطيات، كالسرة وتحت الإبطين، وكل ما ثار من البدن بصب الماء عليه. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةً فَاغْسِلُوا الشَّعْرَ وَأَنْقُوا الْبَشَرَ**». السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الطهارة، باب في الغسل من الجنابة: (ح٢٤٨). قَالَ أبو دَاوُدَ: «الْحَارِثُ بْنُ وَجِيهٍ» حَدِيثُهُ مُنْكَرٌ وَهُوَ ضَعِيفٌ. الترمذي، محمد «جامع الترمذي»، كتاب الطهارة، باب ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة: (ح١٠٦)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطهارة، باب: تحت كل شعرة جنابة: (ح٥٩٧).

❐ ثانياً: النية[١]:

فالنية شرط في جميع العبادات[٢]، وحيث إن الغسل عبادة[٣] فتشترط له النية[٤]. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) **النية لغة**: القَصْدُ. **وشرعاً**: عَزْمُ القَلْبِ على فعل الشيء عزماً جازماً، سواء كان عبادة، أو معاملة، أو عادة. الصاوي، أحمد «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (١/ ١١٠)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٢٩٩).

(٢) وليست النية إلا عملاً قلبياً.

(٣) المراد الغسل من: الجنابة، والحيض، والنفاس، وغسل الميت.

(٤) ذهب مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو ثور، وداود، وأصحابه: إلى أن النية من شروط الغسل. وذهب أبو حنيفة وأصحابه: إلى أنها تجزئ بغير نية كالوضوء عندهم. ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (١/ ٥٣١)، النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (١/ ١٩٨).

(٥) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ**»: (ح٤٩٢٧).

المبحث السادس

حِكمة تشريع الاغتسال من الجنابة، والحيض، والنفاس، والموت

حِكمة تشريع الاغتسال من الجنابة[١]

إذا تأملنا حِكمة تشريع الاغتسال التي أمر الله ورسوله ﷺ بها حق التأمل، نلاحظ حِكماً ظاهرة، وأسراراً باهرة، تعود بالمصلحة على المكلفين. وذلك حسب التفصيل التالي:

أولاً: حِكمة شرعية

وهي الاستجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ الذي أمرنا بالاغتسال.

---

(١) **الجنابة لغةً**: أَجْنَبَ الرَّجُلُ، وجَنُبَ أيضاً بالضم، وَجَنِب، وتجنَّبْ، وقيل له جُنب؛ لأنه نُهِيَ أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر فتجنَّبها، وأجنب عنها أي: تنحَّى عنها. ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١/ ٢٧٩).

والجنابة اصطلاحاً: هي الاسم من الجُنُب. وهو: من أصابته الجنابة، فصار جنباً بجماع أو إنزال. ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (١/ ٢٩٥).

فالاغتسال عبادة يستجيب فيها العبد لأوامر الله ﷻ، أَمَلاً في ثوابه وحذراً من عقابه، يطهِّر بها جسده[١]، ويقوِّي بها إيمانه. فالمؤمن من لا يعيش لغريزته وشهواته فحسب، ولكنه يعيش لرسالة الله قبل أي شيءٍ آخر، ولله ﷻ عليه حق في كل عمل[٢]. سواء عرف كل الحِكمة منها أم لم يعرف، فالعبد عبدٌ، والرب رب، للرب أن يأمر وينهى وعلى العبد أن يسمع ويطيع. ولو كان الإنسان لا يطيع الله إلا فيما اقتنع به عقله المحدود، لكان في هذه الحالة

---

(١) يقول إبراهيم أفندي: «وفيه الإشارة إلى تطهير البدن كله من الذنوب والآثام جميعها، أو على الأقل من الذنب المحتمل وقوعه بأسباب تلك الأحداث؛ فإنها: مادة الولد التي يتكوَّن بها، إذ المني لقاحه، ودم الرحم غذاؤه. ومن البيِّن أن الولد الذي يُظَنُّ وجوده من تلك المادة، يجوز أن يكون غير تقي. وبهذا الجواز يكون المكلَّف مستعداً بجميع جسمه للتسبب في إيجاد ذي معصية.

وهذا (وإن كان غير متحقق الوقوع) أمر ينبغي أن يتطهر منه مبالغة في التباعد عن المعصية». أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية وآدابها الباطنة»: (ص٦٣).

(٢) يقول القرضاوي: «وفي الجماع قد أدى حق نفسه وحق زوجه بقضاء الشهوة، بقي حق الله ﷻ وهو ما يؤديه بالاغتسال. على أن من حِكمة الله ﷻ أنه ربط نظافة الإنسان بأسباب طبيعية لا يمكنه الفرار منها؛ كخروج شيء من السبيلين في الوضوء، وكالجماع في الغسل؛ لتكون هذه الأسباب المتكررة سياطاً تسوق الإنسان وإن تراخى وتكاسل إلى نظافة أطرافه، أو نظافة جسده كله». القرضاوي، يوسف «فتاوى معاصرة»: (١/ ٢٢٩، ٢٣٠)، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

مطِيعاً لعقله لا مطِيعاً لربِّه[١].

ثانياً: حِكمة روحية[٢]

فالاغتسال عبادة يقوم بها المؤمن طاعة لله ﷻ واستجابةً لأمره. يشعر بعد القيام بها بانشراح الروح ونشاطها؛ لأن لها بالبدن ارتباطاً قوياً لا يُجحَد.

فكل تأثير في الجسم يظهر أثره في الروح كالعكس، فإذا نُظِّفَ الجسم لا سيما بعد مباشرة النساء (المؤذية له)، انشرحت الروح وذهب كسلها وجاء نشاطها[٣].

ثالثاً: حِكمة نفسية

ففي الاغتسال إزالة الروائح الكريهة التي تضر بعد صاحبها بالملائكة والمصلين، وتستوجب سخطهم عليه واستقذارهم إياه، وميلهم إلى التباعد عنه والنفور من التقرب منه.

---

(١) القرضاوي، يوسف، «فتاوى معاصرة»: (١/ ٢٢٨).

(٢) يقول الجرجاوي: «إن الإنسان إذا كان طاهراً من الجنابة وكان نائماً مثلاً، صعدت روحه إلى العالم العلوي، وشاهدت غرائب وأسرار صنع الخالق؛ وأما إذا كان جنباً: فإن روحه تحتجب عن مشاهدة هذه الغرائب والأسرار؛ لأنَّ الطهارة هي المبرِّر لصعودها واختلاطها بعالم الملائكة الطاهرين». الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص٦٩).

(٣) أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية»: (ص٦٢).

وأيضاً فإن في الاغتسال صرف النفس عن الحالة البهيمية إلى الملكية، فإن اشتغالها بشهوة الجماع (إن كان) يفعل في تلويثها وصرف وجهها عن الملكية؛ ما لَا يفعله كثرة الأكل وما أشبهه؛ من كل ما يميلها إلى الطبيعة البهيمية. فإذا انصرف الإنسان بعد ذلك عن تلك الشهوة وأزال عنه أثرها، وتطهر منها بما اعتاد البشر التطهر به، انصرفت نفسه عن الطبيعة البهيمية وتوجَّهت وجهة الملكية.

ومن الطبيعي بعد ذلك أن يجد الإنسان نشاطاً وراحة في نفسه، وسكوناً في مشاعره، وثقة تنعكس حيويةً وتألقاً. فيقوم بإحسان العبادة والإتيان بها على الوجه الأكمل. وهذا أمر مجرَّبٌ محسوسٌ لا يخفى أثره حتى في صالح الإنسان الدنيوي.

رابعاً: حِكمة أخلاقية

فإن في تنظيف الظاهر بالماء إشارة على تنظيف الباطن من الأخلاق الرديئة. فعلى من جمَّل منظره للخلق، أن يجمِّلَ منظره للخالق؛ فيتخلى عن الأخلاق الذميمة، ويتحلى بالسجايا المحمودة، والأخلاق الممدوحة؛ لأن من نظَّفَ ظاهره دون باطنه ثم أقبل على عبادة ربه، لم ينل من عمله سوى الرد والطرد: لأنَّه يكون كمن رام أن يضيف مَلِكه الذي يستميت في إرضائه والتقرب منه، فاعتنى بنظافة الظاهر من بيته وترك باطنه مشحوناً بالأقذار، فلم يكن له من مَلِكِهِ هذا غير المقت والإبعاد[1].

---

(١) أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص٦٧، ٦٨).

خامساً: حِكمة صحية

إن لغسل الجنابة حِكماً صحية رائعةً[١]، وفوائد طبية باهرة، منها:

---

(١) يقوم الجلد بوظائف هامة في العضوية، فهو وما يفرزه من طلاء دهني يقي البدن ويحفظه من المخرشات الآلية والجرثومية، وهو حصن الدفاع الأول ضد الجراثيم. وفيه غدد عرقية تفرز العرق وخاصة أيام الحر، مما يعمل على التوازن الحروري في البدن، ويطرح عدداً من السموم الداخلية عن طريق التعرق، فيساعد بذلك عمل جهاز البول ويخفف من أعبائه، والجلد هو عضو حاسة اللمس والتي تجعل البدن على اتصال بما يحيط به. هذه الوظائف التي يؤديها الجلد، تجعل نظافته والحرص على سلامته من الأمور المهمة جدّاً لصحّة البدن.

وإن تراكم المفرزات العَرَقِية والدُّهنيَّة وما ينضم إليها من الغبار، والأوساخ، والملوثات المهنية، يؤدي إلى سد المسام الجلدية؛ مما يعيق وظائفه ويضرّ بالبدن ضرراً بالغاً، علاوة على تعرض الجلد نفسه للالتهابات الجرثومية والفطرية، وانبعاث الروائح الكريهة منه، تلك الرائحة التي لا يمكن إخفاؤها بالتأنق والزينة، وإنما بالنظافة التامة التي يحفظها الاغتسال المتكرر، والتي تضمن رونق الجلد ورائحته الطبيعية.

من هنا نرى عظمة الإسلام في تعدد المناسبات التي أوجب فيها على المسلم أن يغتسل، أو التي ندب فيها الغسل (الأسباب الداعية للغسل في الإسلام ثلاثة وعشرون سبباً بين الإيجاب والاستحباب) محافظة منه على صحة الفرد والمجتمع، ثم إن فروض الغسل وسننه توضِّح عظمة معلِّم الإنسانية ونبي الرحمة في دعوته؛ ليعمل المسلم على إتقان نظافة البدن بشكل لا مثيل له. ـ فمن يريد الاغتسال عليه أن يغسل يديه فيزيل عنهما الأوساخ، ويقي بذلك جسمه والماء المراد استعماله من التلوث، وعليه بعد ذلك أن يزيل النجاسة عن جسمه، وأن يطهِّر مكانهما مبعداً خطر حدوث أي تلوث جرثومي بسببها، ويقي البدن من آثارها =

١ ـ فائدة حسية:

حيث يترك الإنزال رائحة في جميع أجزاء الجسم خاصة الثنايا، نتيجة للافرازات التي تفرزها الغدد العرقية الموجودة تحت الإبط، وحول السُرَّة، وحول الأعضاء التناسلية، وإذا تُركت هذه الإفرازات اللزجة على الجسم فإنها تلتصق بالملابس، ثم تأتي البكتيريا فتحللها وتخرج منها رائحة غير مستحبة.

٢ ـ فائدة شعورية:

ذلك أن العملية الجنسية يزداد فيها إفراز مادة الأدرينالين[١] فَتُسَرِّع ضربات القلب، وتزيد سرعة التنفس، ويرتفع ضغط الدم، وهذه الأشياء تصل إلى ذروتها عند القذف، فيفقد الإنسان ٦ كيلو سعر حراري في الدقيقة لمدة ٣٠ ثانية هي فترة قمة اللذة، كما يفقد حوالي ٤,٥ كيلو سعر حراري في الدقيقة بعد الوصول إلى قمة اللذة.

= الممرضة. وعليه بعد ذلك أن يتمضمض، ثم يستنشق ويستنثر، فينظِّف فمه وأنفه، ثم يفيض الماء على كامل جسده. ويخص شعره ومطاويه بالتنظيف؛ لأنها مواضع تكمن فيها الجراثيم والطفيليات ـ. الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص٩٩، ١٠٠).

(١) **الأدرينالين: Adrenaline** هرمون تفرزه غدة الكظر، وهي تقع فوق الكُلْية، حيث ينتج في الخلايا أليفة الكروم في لب الكظر، وهو يعمل على تحضير الجسم للمجهود، أو التوتر في حالة الخوف مثلاً أو الإثارة.

• www.wikipedia.org/wiki

فمعنى ذلك أن العملية الجنسية عبارة عن بذل مجهود عضلي، ويستتبعها خمول وكسل جسمي، ولا يعيد النشاط إلى الجسم بعد هذا الفتور إلا الغسل(١).

٣ ـ فائدة بدنية:

أ ـ إن الاغتسال من الجنابة يقي من آلام الظهر، فقد أثبت بحث علمي حديث: أن سبب آلام الظهر هو التأخر عن الغسل من الجنابة، حيث إن فقرات الظهر العظمية بينها سائل المخ المغلف بغضروف؛ وهذا السائل يحتاج إلى تدفق الدم إليه، وإذا أجنب الإنسان ولم يغتسل أو يتوضأ فوراً فإن ذلك يؤدي لجفاف السائل، وبالتالي إلى تآكل الغضروف المحيط به، وبالتالي إلى الضغط على فقرات الظهر العظمية ضغطاً متواصلاً مُسَبِّباً الألم أسفل الظهر، والحل هو الغسل الفوري أو الوضوء؛ لأن الماء يؤدي إلى تجديد الدورة الدموية وتدفق الدم إلى المخ، وبالتالي إلى المحافظة على الغضروف سليماً، ولا يتسبب بذلك بالضغط على الفقرات، ويظهر ذلك في سرِّ الطب النبوي، حيث إن الرسول ﷺ ما أجنب قط ونام بدون غسل أو وضوء(٢).

---

(١) عبد العال، محمد «نظرات إسلامية على الأمراض الجنسية والتناسلية»، دار السلام، مصر، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: (ص٢٧، ٢٨).

(٢) عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله أيرقد أحدنا وهو جنب؟ قال: «**نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الغسل، باب نوم الجنب: (ح٢٨٧)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحيض، باب جواز نوم =

ب ـ تبين الدراسات الحديثة حول العلاقة الجنسية: أن الجماع، وقذف المني بأي سبب كان، يؤدِّي إلى فتور وارتخاء يعلل طبياً بوهن شديد في الجملة العصبية عند وصول شريكي الجماع إلى اللذة والقذف؛ بحصول توسُّع في الأوعية الدموية المحيطة، مما يؤدي بصاحبه إلى فقدان قسط كبير من نشاطه العضلي والفكري، وإن الاغتسال عندها ينبِّه الشبكات العصبية الحسِّيَّةِ لتُوقِظ الجهاز العصبي من سباته، وليسترجع بذلك حيويته ونشاطه، كما ينشِّط الدوران الدموي ويعيد إليه توازنه.

ج ـ يتسبب عن اللقاء الجنسي وهن نفسي ورغبة في النوم، وعملية الغسل تفيد بتنشيط الجسم والروح، ويحس بالبهجة والانشراح. يقول ابن القيم: «إن الاغتسال من خروج المني أنفع شيء للبدن والقلب والروح. والغسل يُخْلِفُ على البدن ما تحلل منه بخروج المني؛ وهذا أمر يُعْرَفُ بالحس، وأيضاً فإن الجنابة تُوجِبُ ثقلاً وكسلاً، والغسل يُحدِثُ له نشاطاً وخِفَّةً»(١).

د ـ وبما أنه يتم أثناء عملية الجماع بذل جهد كبير يتم خلاله إفراز العرق بتركيزٍ عالٍ من السموم؛ ويمكن أن يعود فيمتصها ويتأذى بذلك، لذا فإن الاغتسال إجراء طبي حاسم لتطهير الجلد ومسامَّاته من هذه السموم تماماً.

= الجنب واستحباب الوضوء له: (ح٢١٦)، «أسرار الطب النبوي»، تأخير الغسل من الجنابة من أسباب آلام الظهر:

• http://www.yics.net/vb/showthread.php?t=3980.

(١) ابن القيم، محمد «إعلام الموقعين»: (٢/ ٧٧).

وبهذا يتبين أيضاً أهمية الاغتسال للمرأة. فالاغتسال ضروري للعرق وللافرازات الحاصلة أثناء الجماع وتطهير الجسد منها. وإذا بقيت فإن لها آثاراً سلبية على سلامة الجلد.

هـ ـ إن وجوب الغسل بعد الجماع يقي من خطر الإفراط الجنسي، والذي يؤدي بصاحبه إلى الإنهاك والمرض. فإن التفكير في الغسل والإعداد له يُجْبِرُ على الاعتدال في طلب اللقاء الجنسي، ويحفظ بذلك قدرته وحيويته لعمر مديد[١]. فقد قُدِّر ما يصرفه الإنسان من عناصر حيوية في كل لقاء جنسي بما يحتويه نصف ليتر من الدم.

و ـ تدعو التوجيهات الصحية إلى الاغتسال عقب كل مجهود عضلي كبير بعد التدريبات الرياضية الشاقة، فالاغتسال يزيل آثار الجهد العضلي ويخفف عقابيله، والجماع من هذه الناحية جهد عضلي[٢].

---

(١) تصاحب جسم الإنسان أثناء العملية الجنسية عدة تغيرات، فمن المعروف فسيولوجياً أنه أثناء العملية الجنسية تحدث لأجهزة الجسم الحيوية عدة تغييرات فسيولوجية عميقة، نتيجة لإفراز عدة هرمونات مثل: الأدرينالين، والكورتيزون، والبروستاجلاندين، والسيروتينين، مع زيادة ارتفاع ضغط الدم عن المعدل الطبيعي، واتساع حدقتي العين، وزيادة سرعة النبض والتنفس، وقوة انقباض عضلة القلب، ليرتفع معدل ضخ الدم في الشرايين، نظراً لأن رفع درجة كفاءة الدورة الدموية هي الركيزة الأولى لكي تتم العملية الجنسية على الوجه الأكمل. المهدلي، محمد محمد، «المحرمات الشرعية في ضوء الكشوف العلمية الحديثة»، الجمهورية اليمنية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م: (ص٢٩).

(٢) انظر مواقع الانترنت التالية: =

حكمة تشريع الاغتسال من الحيض

إن دم الحيض «**أذى**» دم خبيث غني بالميكروبات يجب أن يتخلص جسد المرأة منه. قال الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد أثبت العلم الحديث: أن الدم يعتبر وسطاً مساعداً لتكاثر الجراثيم ونموها، وهذا يؤدي إلى أضرار صحية كثيرة. فالدم يجعل وسط المهبل قلوياً بعد أن كان حامضاً، وهذا يساعد على تكاثر الجراثيم بسرعة كبيرة داخل المهبل(١). كما أن المهبل يحتوي على

- http://www.alieejaz.jeeran.com/ghosl.html.

الإعجاز في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة.

- http://www.islaweb.net/ver2/fatwa/ShowFatwa.php?lang=A&Id=8870&option=Fatwald.

الشبكة الإسلامية ـ عنوان الفتوى: الحِكمة من غسل الجنابة رقمها: (٨٨٧٠).

- http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=islamOnline-ArabicAsk_Scholar/FatwaA/FatwaA&cid=1122528600652.

حِكمة اغتسال المسلم من الجنابة. تاريخ الاستفادة من هذه المواقع ٨/٩/٢٠٠٩م.

(١) جاء في بحثٍ علمي: أن العلماء اكتشفوا حديثاً جداً دورات حياة للجراثيم الضارة، وميكروبات مفيدة توجد في قناة المهبل، تتغير خلال الدورة الشهرية بتغير الدورات الشهرية لهرموني الأستروجين والبروجيستيرون. وهي هرمونات المبيض، والميكروبات الضارة ميكروبات سبحية وعنقودية وتسبب التهابات موضعية حادة. يوسف، =

عصيات دودرلين تقتل الجراثيم الضارة التي تدخل إلى المهبل[١]. وقد أثبتت الدراسات أن هذه العصيات تتواجد بكثرة خارج أوقات الحيض، وتختفي تماماً أثناء فترة الحيض، وقد لُوحظ أنه عندما تختفي هذه العصيات أثناء فترة الحيض تتكاثر الجراثيم في المهبل، وتنضم إليها الجراثيم الموجودة على باب الشرج والمسالك البولية؛ لأنه لا يوجد حاجزٌ يمنعها من دخول المهبل.

ويتضح مما سبق أن فتحة قناة المهبل الخارجية أثناء الحيض تصير مكاناً خصباً لتكاثر الجراثيم الضارة حتى أن عدد الجراثيم في السنتيمتر المربع الواحد يصل إلى ٦٠ مليوناً. وفي هذا الوسط القلوي والمرعى الخصب للجراثيم الضارة بقناة المهبل يكون المكان ممهداً تماماً لتكاثر طفيليات تسمى التريكوموناس[٢].

والتطهر يزيل الجراثيم الضارة التي استقرت في المهبل بعد توقف سيل الدم الذي كان يدفع تلك الجراثيم إلى الخارج. ولذلك كان التطهر ضرورياً ليزيل تلك الجراثيم الضارة التي تَخلَّفت، واقتفاء

= محمد «الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية»: (ص٧٢)، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

(١) يقول العلماء: إن عصويات دودرلين تستنفذ السكر المختزن في خلايا جدار المهبل، وتفرز حامض اللاكتيك في قناة المهبل، الذي يسبب الوسط الحامض القاتل للجراثيم الضارة. يوسف، محمد، م ـ ن.

(٢) وهي: طفيليات وحيدة الخلية لا ترى إلا بالميكروسكوب العلمي، وتسبب التهابات إضافية موضوعية، ورائحة كريهة.. يوسف، محمد، م ـ ن.

أثر الدم بالاغتسال بالماء يُطَهِّر المكان من كل إفرازات قلوية وجراثيم ضارة وطفيليات.

وإذا تطهر المهبل تهيأت الفرصة من جديد للميكروبات المفيدة للتكاثر وحماية المهبل من الجراثيم الضارة والطفيليات غير المرغوب فيها[١].

وهنا تظهر حِكمة تشريع الاغتسال بعد فترة الحيض. فاغتسال المرأة بعد الانتهاء من الحيض وقبل الجماع يتوافق تماماً مع القواعد الصحية. لذلك حرَّمت الشريعة وطء الزوجة التي انتهت من الحيض حتى تغتسل[٢]. ويعتبر هذا من الإعجاز الطبي، والسبق الصحي.

حكمة تشريع الاغتسال من النفاس

يتعلق بالاغتسال من النفاس فائدتان: فائدة حسية صحية، وفائدة معنوية.

أما الفائدة الصحية الحسية: فهي إزالة الرائحة الكريهة التي تتولد من دم الولادة وما تبقَّى من النفاس، وما خالطه من جراثيم

---

(١) يوسف، محمد، «الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية»: (ص٧٣، ٧٤)، عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص١٠٨، ١٠٩).

(٢) يتسبب عن الاتصال الجنسي بالمرأة أثناء الحيض التهابات بالجهاز التناسلي والبولي في المرأة، كما أن طفيل التريكوموناس غالباً ما ينتقل إلى الجهاز التناسلي الخارجي للرجل. يوسف، محمد، م ـ ن: (ص٧٣).

خلال فترة النفاس. بالإضافة إلى تجديد حيوية المرأة وتنشيط دورتها الدموية من خلال الاغتسال.

وأما الفائدة المعنوية: فهي شكر الله ﷻ الذي أنقذها من خطر الولادة، ذلك الخطر العظيم الذي هو معلوم عند النساء[١].

حِكمة تشريع غسل الميت

جاء في كتاب «روائع الطب الإسلامي»: إن القواعد التي وضعها الإسلام، والتي تجري للميت قبل الدفن، تعتبر من أهم الإجراءات الطبية الحاسمة للتفريق بين الموت الحقيقي، والموت الكاذب.

وهي ظاهرة خطيرة يتوقف فيها القلب والتنفس بضع دقائق على الأغلب، إلا أنها قد تستغرق ساعات حيث يعود القلب بعدها ليباشر ضرباته، ويعود صاحبه إلى تنفسه وإلى شعوره وإدراكه.

وإن ما شرعه الإسلام من غُسل للميت وتدليكه، ثم حمله على الأكتاف ليبقى في حالة اهتزاز وحركة دائبة قبل أن يدفن، تعتبر من الوسائل الناجحة لتنبيه عضلة القلب، وعودة الحياة إلى المُصَاب إن كانت قد أتته نوبة القلب الكاذب.

وقد أوجبت جميع الدول اليوم إجراء فحص طبي على المتوفى قبل دفنه؛ لتشخيص سبب الوفاة، والتفريق بين الموت الحقيقي وهذه الظاهرة الخطرة[٢].

---

(١) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص٦٩) بتصرف.

(٢) الراوي، إبراهيم «حضارة الإسلام، الموت الكاذب» نقلاً عن: الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٠١، ١٠٢).

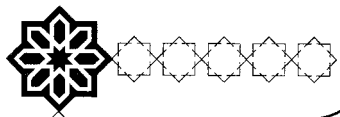

الفصل الثالث

في حِكمة تشريع الصلاة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصلاة وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام.

المبحث الثاني: حِكمة تشريع الصلاة.

المبحث الثالث: حِكمة تخصيص أوقات الصلوات الخمس.

المبحث الرابع: حركات الصلاة رؤية تحليلية.

المبحث الخامس: حكمة الصلاة في علاج الأمراض.

المبحث السادس: شهادة غير المسلمين بالصلاة.

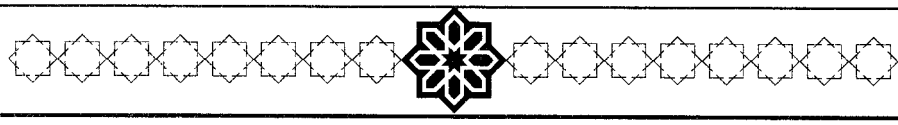

تمهيد

إن الصلاة في الإسلام ليست عبادة روحية فحسب؛ إنها نظافة وتَطَهُّر وتزيُّنٌ وتجمُّل، اشترط لها تطهير الثوب والبدن والمكان من كل خبث مستقذر، وأوجب التطهر بالغسل والوضوء، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ﴾ [المائدة: ٦].

وهي تغرس في نفس مقيمها الروح الرياضية، وتقوِّي عضلات بدنه، فهي تطلب اليقظة المبكِّرة، والنشاط الذي يستقبل اليوم من قبل طلوع الشمس.

والصلاة الحقيقية التي يريدها الإسلام؛ تمد المؤمن بقوة روحية نفسية؛ تُعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا. ولذا قال ﷻ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. ويبين الدكتور ألكسيس كاريل[1] مدى هذه القوة التي يكتسبها المؤمن من الصلاة فيقول: «ولعل الصلاة هي أعظم طاقة

---

(١) ألكسيس كاريل: ولد بقرب مدينة ليون الفرنسية سنة ١٨٧٣م، متخصص في خياطة الأوعية الدموية، حاصل على جائزة نوبل في الطب سنة ١٩١٢م، (ت: سنة ١٩٤٤م). http://www.sudanile.com.

مُولِّدة للنشاط عُرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى فَشِلت العقاقير في علاجهم، فلما رَفَعَ الطب يديه عجزاً وتسليماً، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم».

إن الصلاة «**كمعدن الراديوم**» مصدر للإشعاع، ومولِّد ذاتي للنشاط، وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود؛ حين يُخَاطِبُونَ القوة التي لا يفنى نشاطها[١]... إلخ. والصلاة وسيلة مساعدة للوقاية من أمراض التوتر.

ويقول صاحب كتاب «الاستشفاء بالصلاة»: «إن الصلاة تُحدِث أثراً مهدِّئاً ومُريحاً لنفس الإنسان، وانخفاض التوتر بأداء فريضة الصلاة هو عامل مساعد للوقاية من الآثار السيئة للتوتر. بما فيها جهاز المناعة[٢].

ليس هذا فحسب؛ فإن للصلاة حِكماً عظيمةً، وأسراراً بديعةً؛ نتعرض لها في هذا الفصل إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) كاريل، ألكسيس، «الإنسان ذلك المجهول» نقلاً عن: الحاج أحمد، يوسف «موسوعة الإعجاز العلمي»: (ص٩٤٣). وهو يريد الصلاة بمعناها العام المشترك بين الأديان جميعاً، وهو الدعاء، والتضرع والابتهال إلى الله. وإذا كان هذا شأن الصلاة بعامة، فإن الصلاة الإسلامية أزكى وأعمق أثراً، بما فيها من طهارة بدنية منشطة، وما فيها من قرآن يتلى، وهو كتاب الخلود، وما فيها من إيحاء الجماعة التي رغب الإسلام فيها، وحث عليها.

(٢) قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٩٠).

المبحث الأول

تعريف الصلاة، وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام

تعريف الصلاة، وأدلتها، وشروطها

❐ أولاً: الصلاة لغةً:

الدعاء[١] قال الله ﷻ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقال ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَطْعَمْ**»[٢]؛ أي: ليدع لأرباب الطعام[٣]. والصلاة، من الله ﷻ:

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٥٩٦)، الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٧٥). وقيل: الصلاة حسن الثناء من الله ﷻ على رسوله؛ ومنه قوله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

(٢) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة: (ح٣٥٢٠).

(٣) ومنه قول الشاعر:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً

ابن قيس، ميمون «ديوان الأعشى الكبير»: (ص١٠٤، ١٠٥)، =

الرحمة[١]، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار[٢]. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦][٣].

◻ ثانياً: الصلاة اصطلاحاً:

هي أقوال وأفعال، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم مع النية؛ بشرائط مخصوصة[٤].

◻ المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

إذا أمعنا النظر في معنى الصلاة في اللغة؛ وجدنا المناسبة الوثيقة والعلاقة الأكيدة بينهما ظاهرة. فالدعاء والتعظيم أجزاءٌ ومعانٍ

= دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(١) الجوهري، إسماعيل، «معجم الصحاح»: (ص٥٦٩).

(٢) الأصفهاني، الحسين، «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص٣١٩).

(٣) والصلاة، واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر تقول: صليت صلاة.

(٤) الحطاب، محمد «مواهب الجليل بشرح مختصر خليل»: (٢/ ٤)، دار عالم الكتاب، المملكة العربية السعودية، ط ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م (طبعة خاصة)، الشربيني، محمد «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»: (١/ ٢٩٧)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، البهوتي، منصور «كشاف القناع»: (١/ ٢٦١). والمراد بالأقوال: التكبير والقراءة، والتسبيح والدعاء ونحوه. والمراد بالأفعال: القيام والركوع والسجود والجلوس ونحوه. وقال الحنفية: الصلاة: عبارة عن أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة، في أوقات مقدرة. الموصلي، عبد الله «الاختيار لتعليل المختار»: (١/ ٣٧). دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

موجودة في الصلاة بمعناها الشرعي، فهي من باب تسمية الشيء ببعض أجزائه. أما الدعاء فاشتمال الصلاة عليه حقيقة شرعية، وأما التعظيم فإن الصلاة الشرعية سميت صلاةً؛ لما فيها من تعظيم الرب وتقديسه ﷻ. وبهذا تتضح العلاقة بين المعنيين اللغوي والشرعي.

أدلة فرضية الصلاة

ثبتت فرضية الصلاة بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والمعقول[١].

◻ أولاً: من الكتاب:

قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وجه الاستدلال:

أن لفظ أقيموا فعل أمر والأمر للوجوب[٢] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. فتكون الصلاة واجبة.

وجه الاستدلال: أي: مؤقتة مفروضة[٣].

---

(١) الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (١/ ١٣٤)، الموصلي، عبد الله، «الاختيار لتعليل المختار»: (١/ ٣٧)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٤٩٤).

(٢) ابن قدامة، عبد الله «روضة الناظر وجنة المناظر»: (٢/ ٦١).

(٣) القرطبي، محمد «الجامع لأحكام القرآن»: (٥/ ٣٧٣).

◻ ثانياً: من السُّنَّة:

قوله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

محل الاستدلال: قوله: وإقامة الصلاة.

◻ ثالثاً: من الإجماع:

فقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة(٢).

◻ رابعاً: من المعقول:

وذلك من وجوه:

١ ـ إن هذه الصلوات إنما وجبت شكراً للنِّعَمِ، ومنها:

أ ـ نعمة الخلقة: حيث فضل الجوهر الإنسي بالتصوير على أحسن صورة وأحسن تقويم(٣).

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم: (ح٨)، ابن الحجاج، مسلم، «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام: (ح١١١).

(٢) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص٤١)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (١/ ٤٩٤).

(٣) كما قال ﷻ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ب ـ نعمة سلامة الجوارح عن الآفات: إذ بها يقدر على إقامة مصالحه. أعطاه الله ذلك كله إنعاماً محضاً.

ج ـ نعمة المفاصل اللينة والجوارح المنقادة: التي بها يقدر على استعمالها في الأحوال المختلفة من القيام، والقعود، والركوع، والسجود. والصلاة تشتمل على هذه الأحوال في خدمة المنعم شكراً لهذه النعمة. وشكر النعمة فرض عقلاً وشرعاً.

٢ ـ إن الصلاة وكل عبادة خدمة للرب ﷻ، وخدمة المولى على العبد لا تكون إلا فرضاً؛ إذ التبرع من العبد على مولاه محال.

٣ ـ إنها مانعة للمصلي عن ارتكاب المعاصي؛ لأنه إذا قام بين يدي ربه خاشعاً متذللاً مستشعراً هيبة الرب ﷻ؛ خائفاً تقصيره في عبادته كل يوم خمس مرات، عصَمَهُ ذلك عن اقتحام المعاصي. والامتناع عن المعصية فرض[1].

شروط الصلاة

تنقسم شروط الصلاة إلى قسمين: شروط وجوب وشروط صحة[2].

---

(١) قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (١/ ١٣٥، ١٣٦).

(٢) الدسوقي، محمد «حاشية الدسوقي»: (١/ ٣٢٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

◻ أولاً: شروط وجوب الصلاة:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ العقل.

٣ ـ البلوغ[١].

◻ ثانياً: شروط صحة الصلاة:

١ ـ الطهارة، وهي نوعان:

أ ـ الطهارة **الحقيقية**:

وهي طهارة البدن، والثوب، والمكان عن النجاسة الحقيقية.

ب ـ الطهارة **الحكمية**:

وهي طهارة أعضاء الوضوء عن الحدث، وطهارة جميع الأعضاء عن الجنابة.

٢ ـ ستر العورة.

٣ ـ استقبال القبلة.

٤ ـ العلم بدخول الوقت[٢].

---

(١) الشربيني، محمد «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»: (١/ ٣١٢)، البهوتي، منصور «كشاف القناع»: (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤).

(٢) الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (١/ ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٢)، الدسوقي، محمد «حاشية الدسوقي»: (١/ ٣٢٥، ٣٢٦).

مكانة الصلاة في الإسلام

تحتل الصلاة في الإسلام مكانة عظيمة. فهي عماد الدين[١]، وقرة عيون المتقين؛ تنهى عن الفحشاء والمنكر[٢]، وتصل العبد بربه. وهي آكد الفروض بعد الشهادتين وأفضلها، وأحد أركان الإسلام الخمسة[٣]. وقد نسب رسول الله ﷺ تاركها إلى الكفر، فقال: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[٤]. وتظهر أهمية الصلاة أيضاً في كونها أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وخَسِرَ...**»[٥].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُه الصَّلَاةُ...**». الترمذي، محمد «جامع الترمذي»، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: (ح٢٦١٦). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٢) ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(٣) قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ...**» سبق تخريجه: (ص٢٩٨)، هامش (١).

(٤) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة: (ح٢٤٦). وكان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. الترمذي، محمد «جامع الترمذي»، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، عن عبد الله بن شقيق العقيلي: (ح٢٦٢٢).

(٥) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة، باب: قول النبي ﷺ: «**كُلُّ صَلاةٍ لا يُتِمُّهَا صَاحِبُهَا، تَتِمُّ مِنْ تَطَوُّعِهِ**»: (ح٨٦٤)، =

.....

= الترمذي، محمد، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة: (ح٤١٣). قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه. النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم: (٣٢٥)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة: (ح١٤٢٥).

المبحث الثاني

حِكمة تشريع الصلاة

تمهيد

جاء في الفصل السابق بعض حِكم وأسرارِ الوضوءِ والاغتسال، وأبرز ما تنطوي عليه من فوائد عظيمة، ومزايا جليلة وغاياتٍ حميدة؛ وهي مفتاح الوصول إلى الصلاة. فكيف تكون فائدة الصلاة وهي الغاية من الوضوء والتطهير؟

فالصلاة صورة من الصور التي يقوم بها الإنسان بعبادة خالقه، وهي صلة بين العبد وربه، ولها منزلة عظيمة في الإسلام لا تصل إليها أية عبادة أخرى. ولا ريب أن الغوص وراء حِكم الصلاة، ومقاصِدها، وتتبع فوائدها ولمِّ شواردها؛ سيكون زاخراً بحِكمٍ عظيمة، وفوائد جليلة، واكتشافات باهرة؛ تجعل المؤمن ينقاد لأدائها تنفيذاً لأمر الله أولاً، ورغبة وطمعاً في جني تلك الفوائد الصحية والاجتماعية ثانياً. وتجعل غير المسلمين من المشككين، أو المعاندين، أو الجاهلين الذين لا يؤمنون إلا بما هو مادي محْسُوس، يُذعِنُون أمام سلطان العلم وبرهان المعرفة، وقوة الاحتجاج، وإعجاز الاكتشاف.

من هنا كان لا بد لنا من تَتَبُّعِ هذه الحِكم والأسْرارِ، وإبرازها من خلال العناوين التالية:

أولاً: حِكمة شرعية

وهي الاستجابة والامتثال لأوامر المولى ﷻ بالصلاة، حيث أَمَرَنَا بها وأَعْلَى مِن شأنها فجعلها أحد أركان الإسلام العظام؛ فكانت الركن الثاني بعد الإيمان.

فالصلاة عبادة يمتثل فيها العبد لأوامر الله ﷻ، ابتغاء ثوابه وحذراً من عقابه، يقف فيها أمام مولاه في اليوم والليلة خمس مرات، خاضعاً خاشعاً ذليلاً أمام العزة الربَّانية، واضعاً هواه تحت قدمه؛ لأنه منصرف بكليته إلى الإلٰه الحقيقي الذي لا معبود بحق سواه[١]. فتظهر سِمَة العبودية لما فيها من القيام بين يديه ﷻ والركوع له، وتَعْفِير الوجه بالأرض، والجُثُوِّ على الركبتين والثناء عليه. فلا تغيب عنه عظمته وهيبته وجلاله في عامة يومه.

فالصلاة رمز العبودية لله، وهي التي تعطي المؤمن يقظة الإيمان الدائمة، وتدفعه للقيام بحقوق عبوديته لله ﷻ[٢]، حيث يستحضر المؤمن أثناء قيامه بالصلاة:

---

(١) الجرجاني، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص٧٠).

(٢) يقول ابن القيم: «... فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاةٌ عن الإثم... وحافظة للنعمة، ومُنْزلة للرحمة...». ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٦٧)، دار المعرفة بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١ ـ أنه لا معبود إلا الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

٢ ـ ولا يُطْلَبُ العون إلا من الله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

٣ ـ ولا يُطْلَب الهدى إلا من الله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

٤ ـ أنه سبحانه المسْتَأْهِل للتعظيم: «سبحان ربي العظيم»

٥ ـ أن العلو له وحده سبحانه: «سبحان ربي الأعلى»

٦ ـ أنه صاحب الإنعام والإفضال: «ربنا ولك الحمد»

وبهذه المعاني الشرعية، والمشاعر الوجدانية، تحقق الصلاة الصِّلة بين العبد وخالقه، وتَظْهَرُ حِكْمَتُها الشرعية ومقاصدها الخفية.

ثانياً: حِكمة روحية

إن الصلاة لها تأثير إيجابي على الروح لا يكاد يخفى، حيث يشعر المسلم بأدائه الصلاة؛ بارتقاء روحي متواصل، يحس به كل مخلص لربه أثناء صلاته، ويسمو به إلى ملكوت السماء، لما لها من خواص فعالة بشكل متناهٍ في الدقة[1].

فالصلاة بما فيها من الإخلاص والخشوع والتذلل للخالق سبحانه؛ تتحقق بها العبودية الحقة لله، ويملأ العبد جوانبه بزاد روحي يُكْسِبُه قدرة على القيام بالواجبات وترك المحظورات.

---

(١) يقول النورسي: «إن الصلاة بذاتها راحة كبرى للروح، والقلب، والعقل معاً، فضلاً عن أنها ليست عملاً مُرْهِقاً للجسم». النورسي، سعيد، «كلمات صغيرة في العبادة والعقيدة»، ترجمة: الصالحي، إحسان: (ص٢٩).

كذلك فإن الصلاة عبادة يؤديها المؤمن استجابة لأمر الله ﷻ، مخلصاً له، يتوجه فيها بقلبه إليه، ويكون بحالة صلة دائمة بالله، يأنس بقربه ويجد حلاوة مناجاته، فيشعر بمشاعر روحية تساعد على تهدئة النفس وإزالة التوتر، وتمد صاحبها الأمن والأمل معاً، وتحيي في النفس الطمأنينة والثبات.

إنها الرباط الروحي الذي يصل المسلم بمولاه، فيزداد ثباتاً واستقراراً، فلا تتزعزع عقيدته، ولا تضعف عزيمته؛ لأنه دائم الاتصال بالله، وقد أخبر النبي ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ...**»(١).

ثالثاً: حِكمة نفسية(٢)

وإن من حكم الصلاة الباهرة ومعانيها الظاهرة، وجود

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد: (ح٣٩٨)، النيسابوري، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد: (ح٥٤٧).

(٢) يقول ابن القيم: «الصلاة رياضة النفس والبدن جميعاً، وإذا كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة: من الانتصاب، والركوع، والسجود، والتورك، والانتقال، وغيرها من الأوضاع التي يتحرك معها أكثر المفاصل، وينغمز معها أكثر الأعضاء الباطنة: كالمعدة والأمعاء، وسائر آلات النفس والغذاء، فما يُنْكَرُ أن في هذه الحركات تقوية وتحليلاً للمواد ـ ولا سيما بواسطة قوة النفس وانشراحها في الصلاة ـ فتقوى الطبيعة، فيندفع الألم». ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٦٧).

الاطمئنان في القلب، والانشراح والسكينة في النفس. يقول ابن القيم: «وأما الصلاة: فشأنها في تفريج القلب وتقويته، وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شأن، وفيها من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقُواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضوٍ حظه منها، واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاورتهم، وانجذاب قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة؛ ما صارت به من أكبر الأدوية والمفرحات، والأغذية التي لا تلائم إلا القلوب الصحيحة»(١).

وتساعد الصلاة الخاشعة على تهدئة النفس وإزالة التوتر، فلا يجزع عند نزول المصائب، لشعوره بضآلة كل مشكلاته ومصائبه أمام قدرة الخالق وعظمته المدبِّر لهذا الكون الفسيح، ومن هنا كانت الصلاة مندوبة عند نزول المصائب قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ...﴾ [البقرة: ١٥٣]؛ أي: استعينوا أيها المؤمنون على مصائب الحياة بالصبر والصلاة؛ التي تزيد بها الثقة بالله، وتصغر بمناجاته فيها كل الهموم»(٢).

ولذلك كان رسول الله ﷺ **إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى**(٣) ـ أي: اشتد

---

(١) ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٦٧).

(٢) طبارة، عفيف «روح الدين الإسلامي»: (ص٢٥١)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٧، ١٩٨٨م.

(٣) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة، باب: وقت قيام النبي من الليل: (ح١٣١٩)، ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، باقي =

عليه وأهمه ـ؛ لأن الوقوف في الصلاة أمام الحق سبحانه يعطي الإنسان القوة لتحمل الأمر الثقيل. فيخرج من صلاته وقد ألقى كل ما في جعبته من مشكلات وهموم، وَتَرَكَ علاجها وتصريفها إلى الرب الرحيم.

كذلك تُؤدِّي الصلاة إلى إزالة التوتر؛ بسبب عملية تغيير الحركة المستمر فيها، ومن المعلوم أن هذا التغيير يُحْدِثُ استرخاء فسيولوجياً هاماً في الجسم.

كما تُعْتَبَرُ علاجاً ناجعاً للأرق الناتج عن الاضطراب العصبي، والقلق النفسي. يقول الدكتور توماس هايسلوب: «إن من أهم مقومات النوم التي عرفتها ـ في خلال سنين طويلة من الخبرة والبحث ـ الصلاة، وأنا ألقي هذا القول بوصفي طبيباً، فإن الصلاة هي أهم وسيلة عرفها الإنسان، تبث الطمأنينة في نفسه والهدوء في أعصابه[1].

ومن حكمتها: معالجة النفس البشرية من نوازع الشر، حتى تصفو من الرذائل، وتُبعد صاحبها عن كل منكر. فعندما يقف المسلم بين يدي ربه خاشعاً راكعاً وساجداً، يرتبط بخالقه، فتسمو نفسه، ويشعر بعلو مكانته، فيبتعد عما يُغْضِبُ خالقه، حيث استقرَّ في نفسه مراقبة الله. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

= مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ: (ح٢٢٧٨٨).

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٨٣).

يقول ابن القيم: «. . . وهي ـ أي: الصلاة ـ منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلب، ومَطْرَدَةٌ للداء عن الجسد، ومنورة للقلب، ومبيِّضة للوجه، ومنشِّطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعم، ودافعة للنقمة، ومُنَزِّلة للرحمة، وكاشفة للغمة. . .»[١].

وفي الصلاة تمهيدٌ للنفس، وإعدادٌ لها لتتخلص من البخل والأنانية، «فالصلاة، وما فيها من إقرار لله بالربوبية، وما تشتمل عليه من خضوع لله، وقيام، وركوعٍ، وسجودٍ، هي ترويض للنفس وإذلال لكبريائها، وجعلها طيِّعة لقبول الأوامر الإلٰهية والعمل بها»[٢].

ومن حكمتها: بناء الشخصية القوية وتعزيز الثقة بالنفس، وهذا ما أكدته الدراسات النفسية الإنسانية، على فائدة الصلاة والعبادة، فقد أجرت مصلحة تشغيل المتعطلين بمدينة نيويورك، اختباراً نفسياً على ١٥٣٢١ نفساً من الرجال والنساء المتعطلين، وفي ضوء هذه الاختبارات أمكن توجيه كل منهم إلى المهنة المناسبة له، وقد عُيِّن أحد علماء النفس التجريبي مستشاراً خاصاً في هذه العملية، وكُلِّف وضع الخطط ومراقبة الدراسات الإحصائية المستخلصة لعشرة آلاف نفس، فيقول في ذلك: «وفي هذا الوقت بالذات بَدَأَ إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الإنسان؛ إذ وجدت أن كل من يعتنق ديناً، أو يتردد على دار العبادة؛ يتمتع بشخصية أقوى وأفضل

---

(١) ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٦٧).
(٢) الترابي، حسن «الصلاة عماد الدين»: (ص٥٤).

ممن لا دين له أو لا يزاول أية عبادة»[١].

إن كان هذا الأثر لِعبادة باطلة، ودين محرَّف ومزيَّف، فكيف لو كانت العبادة صحيحة والدين حق؟ لا شك أن ذلك سيزيد قوة الشخصية، ويقوِّي الثقة بالنفس، فالمسلم الحق لا نظير له في قوة الشخصية؛ بفضل محافظته على صلاته التي تمنحه الصلة والقرب من الله. فهل يدرك ذلك أهل الإسلام؟!

رابعاً: حِكمة اجتماعية تربوية

وإن للصلاة من الفوائد التربوية، والحِكم الأخلاقية، والآداب الاجتماعية، ما يزيد عن العدِّ ويفوق الحصر، يشعر بقيمتها كل من التزم بها وذاق حلاوتها.

يقول صاحب كتاب الصلاة: «وللصلاة آثار تربوية، فهي تربِّي النفس على طاعة الخالق، وتعلِّم العبد آداب العبودية، وواجبات الربوبية، بما تغرسه في قلب صاحبها من قدرة الله وعظمته، وبطشه وشدته، ورحمته ومغفرته، كما تُحلِّيه وتُجمِّلُه بمكارم الأخلاق، لِسُموِّهَا بنفسه عن صفات الخسَّة والدناءة، فإذا فَتَّشْتَ عن أثر الصلاة فيه وجدته: صادقاً، أميناً، قانعاً، وفياً، حليماً، متواضعاً، عدلاً، ينأى عن الكذب، والخيانة، والطمع، والغدر، والغضب، والكبر...»[٢].

---

(١) لنك، هنري «العودة إلى الإيمان»، ترجمة: ثروت عكاشة نقلاً عن: طبارة، عفيف «روح الدين الإسلامي»: (ص٢٥٢).

(٢) الطيار، عبد الله «الصلاة»: (ص٢٤، ٢٥).

ومن آثار الصلاة الاجتماعية: إظهار المساواة الاجتماعية بين المصلين دون تفرقة بين غني وفقير، ولا بين أمير ومسكين، أو كبير وصغير، فالكل يتجه إلى قبلة واحدة، ويناجي رباً واحداً، فيشعر المسلم بالتآلف والوحدة، ونبذ الفرقة، فلا تمايز بالألوان، أو الأجناس، أو بالماديات، فالكل في محراب الصلاة عبداً لله. ومع تكرار أداء الصلاة تتربى في نفس المؤمن المساواة بين المؤمنين في العبودية لله.

كما إن من حِكم الصلاة الاجتماعية تفعيل دور الفرد في المجتمع؛ من خلال مشاركته إخوانه المصلين في المسجد كل تطلعاتهم وهمومهم.

كذلك فإن من آثار الصلاة تعويد الفرد على الدِّقة في الموعد، وتنظيم الوقت، فيتعود على النظام في جميع أمور حياته. وفي اقتدائه بالإمام ومتابعته له تدريبٌ على الطاعة والالتزام[1].

---

(١) جاء في تقديم كتاب الطب الإسلامي: (أن ضابطاً فرنسياً شاهد المصلين في الجامع العمري في بيروت وهم جلوسٌ على أوضاع مختلفة، فلما أقيمت الصلاة نهضوا بداراً وانتظموا صفوفاً متراصة، فكبر الإمام وكبروا هادئين كأن على رؤوسهم الطير، ثم تابعوه في أعمال الصلاة الرياضية المنتظمة، وما تؤدي إليه من نشاط وقوة، مع متابعة الإمام في القيادة، فقال لبعض المصلين الخارجين من المسجد: «نبيكم أعظم فيلسوف في العالم»). اهـ. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»، تقديم: العجوز، أحمد (ص١٠). وبَدَهِيٌّ أننا لا نوافقه التعبير بكونه صلوات الله وسلامه عليه فيلسوفاً؛ لأنه نبي موحى إليه.

خامساً: حِكمة علمية

١ ـ في تنمية ملكة حصر الذهن:

إن الخشوع في الصلاة، وشغل القلب واللسان والجوارح بها، وهيمنة شعور المصلي أنه يقف بين يدي الله ﷻ، يُعتبر من أنجح الوسائل في تنمية ملكة حصر الذهن؛ التي لها أكبر الأثر في نجاح الإنسان في هذه الحياة، يقول (وليم مولتون مارستون): «القدرة على تركيز الخواطر تجري مجرى العادة عند كل رجل بارز في كل باب من أبواب الحياة. ففي أية لحظة معينة يُرَكِّز الزعيم أو الرجل الفائق في أمر ما؛ خواطره كلها في العمل المفرد الذي يكون عليه أن ينهض به. وأكثرنا تنقصه هذه القدرة على التركيز، ويُحَيِّرُهُ ويفسد عليه أمره الاضطراب والشواغل والأهواء المتعارضة[1]».

ثم يقول (وليم مولتون) في كيفية اكتساب هذه الصفة: «وهذه القدرة تكتسب بالمرانة، والمرانة تتطلب الصبر، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيِّناً مُحْكَماً، هو ثمرة الجهد المُلِحِّ، فإن استطعت أن تردَّ عقلك مرة بعد أخرى، وخمسين مرة، ومائة مرة إلى الموضوع الذي اعتزمت معالجته فإن الخواطر التي

---

(١) ثم يقول: «والعقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا ركَّز تركيزاً قوياً حاداً». مارستون، وليم مولتون، الأخصائي في علم النفس في مجلة المختار من (ريدرز دايجست) نقلاً عن: طبارة، عفيف «روح الدين الإسلامي»: (ص٢٥١).

تتنازعك لا تلبث أن تخلي مكانها للموضوع الذي آثرته بالاختيار والعناية، ثم تلفي نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار».

ونحن عندما نتأمل في الصلاة الشرعية، نجد أنها أفضل مساعد على تنمية حصر الذهن في الإنسان، فالمصلي الذي يستطيع أن يطرد الأفكار المتعددة؛ التي تتنازعه من هنا وهنالك طيلة الوقت الذي تستغرقه الصلاة، لا شك بأنها تنمي فيه ملكة حصر الذهن، وتصبح له أكبر معين في سائر الأعمال التي يقوم بها[١].

ولعل هذا ما يفسر سلامة عقل المسنين من المسلمين. حيث نشاهد الرجل وقد جاوز الثمانين والتسعين، وربما مع ذلك يستطيع استحضار القرآن، والأذكار بيسر وإتقان.

٢ ـ في إعادة برمجة الدماغ:

تؤكد الدراسات العلمية: حدوث تغيرات عديدة تحدث في جسم المؤمن أثناء قيامه بالصلاة، وهو في حالة خشوع تام[٢].

---

(١) ومما يؤكد هذا المعنى قول وليم مولتون أيضاً: «وخير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع: هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فيما بينهما». والصلاة في الإسلام يعمل فيها العقل والجسم معاً. طبارة، عفيف، م ـ ن: (ص٢٥٢).

(٢) لقد أجرى بعض العلماء تجارب لمعرفة التأثير البيولوجي والفسيولوجي أثناء الدخول في التفكير العميق، والتركيز الباطني، وقد وجد تغيراً في تسجيل موجات الدماغ الكهربائية. =

.....

= وكانت النتائج في تخطيط الدماغ الكهربائي كما يلي:

أ ـ حالة الاسترخاء:

١ ـ **عند إغماض العينين:** يكون التخطيط على شكل موجات ألفا. وهي موجات متوسطة وتتواتر بمعدل (٩ ـ ١٢) موجة في الثانية.

٢ ـ **عند فتح العينين:** تغيب موجات ألفا وتحل محلها موجات أسرع تسمى النظام الأساسي، وتُعرف موجات ألفا بأنها موجات الهدوء والسكون، بينما موجات النظام الأساسي خاصة بالنشاط أو الحركة.

ب ـ أثر التفكير على تخطيط الدماغ الكهربائي:

١ ـ يكون المخطط على شكل موجات ألفا عند الدخول في حالة التفكر مع إغماض العينين.

٢ ـ تغيب هذه الموجات فوراً عند فتح العينين.

٣ ـ تظهر موجات ألفا سريعاً عندما تزداد عملية التفكير الباطني والراهب مفتوح العينين. مما يدل على حدوث شيء في قشرة دماغ الشخص.

جاء في كتاب: «علم الأمراض النفسية الحديث للباحث: كولب لورنس»: (ص٧٩٢)، نفس الشيء من ناحية وجود موجات ألفا عند المجموعات الشرقية الدينية، وهي بالنسبة له موجات الراحة والهدوء النفسي.

وأمكن إيجاد هذه الموجات بإرادة الشخص موضوع التجربة، إذا ما ركز في خشوع نقي تام. وفي نفس الوقت حصل هدوء في نبض القلب، وانخفاض في المجهود القلبي، مع انخفاض في سرعة التنفس، وكذلك انخفاض في إفراز العرق بالجلد الذي يستدل عليه بضعف مرور التيار الكهربائي عبر الجلد، وتقلص كذلك الاستقلاب وعمليات البناء والهدم في الجسم.

وخلاصة ما توصل إليه كولب: أن طريقة الخشوع الدينية توفر استرخاء =

وأهم هذه التغيرات: ما يحدث في الدماغ من برمجة تلقائية تُؤَمِّن تنظيم تدفق الدم في مناطق محددة، وتحافظ على نشاط الدماغ وسلامة أدائه.

وقد أظهرت الدراسة: التي قام بها د. نيوبرج Andrew Neberg[1] وفريقه على مجموعة من الرهبان البوذيين ـ في التيبت ـ وهم يمارسون التأمل لمدة ساعة تقريباً: أن أجزاء من المخ كانت قبل التأمل نشطة تسكن، بينما تنشط أجزاء أخرى كانت ساكنة قبل بدء التأمل. وذلك باستخدام تقنيات تصوير المخ[2]. وعن طريق حقن دمهم بكمية ضئيلة من مادة مشعة يمكن تعقبها في المخ[3].

= لَا شك في حقيقته، وهذه الطريقة أفضل من شبيهتها في الطب الغربي التي تسمى بيوفيدباك. فالطريقة الغربية بيوفيدباك تتطلب أجهزة إلكترونية مكلفة ومعقدة. وتبرز للشخص أثر تحكمه في وظائف جسمه الإرادية واللاإرادية.

فالمصلي يمكنه أن يتوصل إلى السيطرة على بعض الوظائف اللاشعورية عبر الخشوع التام، والوصول إلى نفس النتائج الحاصلة في طريقة بيوفيدباك. مع أفضلية الصلاة من ناحية أنها عبادة أولاً، وفي تأديتها بيسر وسهولة في الألفاظ؛ لأنها كلام الله ﷻ. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٦٥ ـ ٦٨)، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(١) أستاذ مساعد ـ قسم الأشعة ـ جامعة بنسيلفانيا ـ المركز الطبي.

(٢) أشعة التصوير الطبقي المُحَوْسب بإصدار الفوتون المفرد.

(٣) بواسطة حقن الدم بالمادة المشعة، تمكن العلماء من رؤية الصبغة وهي تتحرك إلى مناطق نشطة من المخ. وبعد أن انتهى الرهبان من التأمل أعيد تصوير المخ، وأمكن مقارنة حالة التأمل بالحالة العادية.

وأظهرت الصور إشارات هامة بخصوص ما يحدث في المخ أثناء التأمل. حيث ظهر تدفق الدم في مناطق المخ بألوان حسب النشاط فيها: فأعلاها الأحمر الذي يدل على أعلى نشاط، بينما الأصفر والأخضر على أقل نشاط. كما يظهر في الصور التالية:

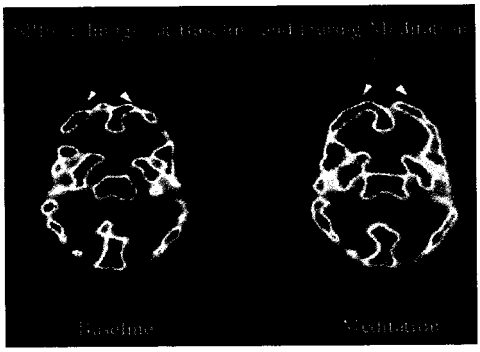

الصورة الأولى

ويبدو واضحاً من خلال هذه الصورة، كيف يكون المخ أثناء الحالة العادية (اليسار)، وكيف يصبح أثناء الاستغراق في الصلاة والتأمل، حيث ظهر زيادة النشاط في المنطقة الأمامية[١] من الدماغ في حالة التأمل؛ من خلال البقع الحمراء التي تعبر عن نشاط المخ[٢].

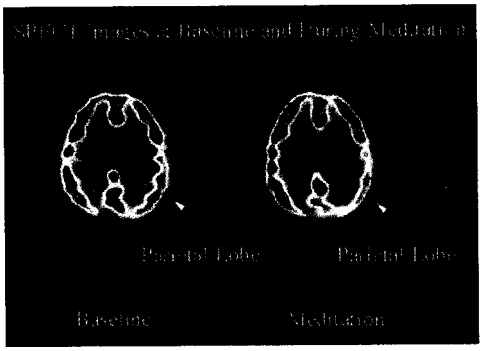

الصورة الثانية

(١) تسمى منطقة الفص الجبهي **Frontallobe**، وهو مسؤول عن التحكم بالعواطف والانفعالات في الإنسان.

(٢) www.andrewneberg.com

ونلاحظ في هذه الصورة: الفرق الواضح بين حالة المخ العادية (اليسار)، وبين حالته أثناء التأمل (اليمين)، حيث يظهر انخفاض ملحوظ في نشاط المنطقة الجدارية الخلفية من الدماغ أثناء التأمل.

وهذه المنطقة هي المسؤولة عن إحساس الإنسان بحدوده الزمنية والمكانية.

مقارنة:

الصلاة والتأمل:

إذا أمعنا النظر في التفاعلات المعقدة التي تحدث بين مناطق مختلفة في المخ أثناء التأمل، سنجد أنها تتشابه مع التفاعلات التي تحدث أثناء ما يسمى بالتجارب الروحية.

ويتسبب الجزء اللفظي من الصلاة في تنشيط أجزاء من المخ.

وقد وجد الدكتور نيوبرج (Andrew Neberg) من خلال دراسة أشرف عليها، وأُجريت على ملاحظة نشاط المخ لدى راهبات فرنسيسكان، أثناء نوع من الصلاة تعرف بصلاة «التركيز» أنها: نَشَّطت منطقة الانتباه في المخ، وقلَّصت نشاط المنطقة المسؤولة عن الوعي بالمكان.

ويمكننا ملاحظة التفاعلات التي تحدث أثناء الصلاة من خلال الصورة التالية:

الصلاة الشرعية ـ الإسلامية ـ وأثرها على الدماغ:

إن الصلاة التي أوجبها علينا الشارع الحكيم، ذات فعالية وإفادة للدماغ أكثر من التأمل الذي يمارسه البوذيون والرهبان، إذ هي موزَّعة على طول اليوم، ومتواصلة ما دام الإنسان حياً، ولها معانٍ ودلالاتٍ، وأهدافٍ وغاياتٍ، وتتميز بالخشوع لله، فيشغل المصلي قلبه ولسانه وجوارحه بها، وتتميز بالحركات التي لها أثر صحي كبير[1].

وأين منها تلك الصلاة على الطريقة البوذية أو صلاة الرهبان. والتي تفتقر إلى الخشوع الحقيقي؛ الذي يجعل المؤمن في حالة القرب من الله ﷻ، وتفتقر إلى المعاني العظيمة التي تحملها كلمات القرآن الكريم.

---

(١) كما سيأتي عند الحديث عن حِكمة الصلاة الصحية: (ص٣٢٣)، وما بعدها.

إننا نجزم موقنين أن نيوبرج Andrew Neberg لو قام بإجراء تجارب على تأثير الصلاة، وذكر الله، والخشوع... لأظهر لنفسه وللعالم نتائج مبهرة، تُثْبِتُ حِكمة التشريع الإسلامي، وفائدة الصلاة الإسلامية، وصِدق نبوَّة النبي ﷺ، وريادة الدين الإسلامي الذي جاء بهذه الصلاة التي تُنشِّط خلايا الدماغ(١)، وتمنح المسلم شعوراً بالأمن، ومزيداً من الحب والرحمة.

وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

٣ ـ في تقوية جهاز المناعة(٢):

من المعلوم أن تأثير التوتر النفسي له دور مهم في حدوث

---

(١) توصل نيوبرج **Andrew Neberg** في كتاب جديد له صدر في الولايات المتحدة الأمريكية **How GOD CHANGES YOUR BRAIN**: إلى أن الإيمان بالله مهم جداً وعظيم جداً، يحدث تغييرات دائمة في دماغ الإنسان وطريقة عمل هذا الدماغ، فيؤخِّر مرض الزهايمر ـ الخرف ـ الناتج عن موت عدد كبير من خلايا الدماغ بشكل مفاجئ.
كما يعالج مرض باركنسون **Parkinson's Disease** ـ يُصنّف كخلل ضمن مجموعة اضطرابات النظام الحركي، التي تنتج بسبب خسارة خلايا الدماغ المنتجة للدوبامين ـ http://ar.wikipedia.org بالإضافة إلى علاج الاضطرابات النفسية.

(٢) **المناعة**: هي مجموع الوسائل، التي تسمح للجسم أن يواجه بها الأجسام الغريبة، التي يتعرَّض لها مثل الكائنات الدقيقة وغيرها، وهي على قسمين:
١ ـ قسم موجود منذ الولادة ويسمى المناعة الموروثة. =

أو تعقيد أمراض عضوية، كارتفاع الضغط أو قرحة المعدة[١].

وقد ثبت من خلال تجارب على الإنسان والحيوان، أن التوتر النفسي يُدْخِلُ أيضاً اضطراباً على المناعة[٢].

ومن واقع التجربة: تتعكر عدة أمراض مناعية بسبب الشدائد النفسية[٣].

وأدت الأبحاث إلى التعرف على العلاقة الدقيقة في بعض هذه الأمراض، وهي علاقة تجمع بين الجهاز العصبي، والغدد، وجهاز المناعة. فهذه الأنظمة الثلاثة ذات تأثيرات مشتركة بين بعضها البعض، وهي كذلك تتأثر جميعاً بالتوتر في الحياة اليومية[٤].

تأثير الصلاة على جهاز المناعة:

يقول صاحب كتاب الاستشفاء بالصلاة: «إن الصلاة تُحْدِث أثراً مهدِّئاً ومريحاً لنفس الإنسان، وانخفاض التوتر بأداء فريضة

= ٢ ـ قسم يكتسب بعد التعرض للجراثيم، وهو موجه ضد كائنات جرثومية محددة، وهذه المناعة تسمى مكتسبة أو نوعية؛ أي: ضد نوع مخصص. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٧٩).

(١) يعمل التوتر النفسي: ـ عبر الجهاز اللاإرادي ـ على إحداث تغيرات في سرعة نبض القلب، وإفراز في العرق، وغير ذلك من أعراض عضوية. قرامي، زهير، م ـ ن: (ص١٨٥).

(٢) Robert Berkow The merk Manual page: (1465)، نقلاً عن: قرامي، زهير، م ـ ن.

(٣) Eugener M.Farper and Coll. Stress and Psoriasis، نقلاً عن: قرامي، زهير، م ـ ن.

(٤) قرامي، زهير، م ـ ن: (ص١٨٦).

الصلاة، هو عامل مساعد للوقاية من الآثار السيئة للتوتر، بما فيها جهاز المناعة»[١].

فالصلاة تعتبر وسيلة مساعدة للوقاية من أمراض التوتر. إذ هي تساعد المسلم على أن لا ينفعل، وإذا انفعل على أن يهدأ في أقرب موعد للصلاة التالية، فسرعان ما يزول التوتر لقرب مواعيد الصلاة من بعضها، ولعلم المسلم أن قوّته تكمن في التحكم في انفعالاته[٢].

إن التوازن والهدوء النفسي الذي تحدثه سلسلة متعاقبة من فروض الصلاة، تجعل الجهاز العصبي اللاإرادي لدى المسلم يعمل في راحة واعتدال، وبالتالي فإنه لا يتعرض إلى حالة نفسية منفرطة في القلق والتوتر. وهذا يصون جسمه من مضرة الإفراز المتزايد من مادة الكورتيزون. خاصة إذا علمنا أن بعض حالات التوتر قد ترفع الكورتيزون، إلى مستوى أعلى من ذلك الذي يحدث

---

(١) قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٩٠).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأدب: باب الحظر من الغضب: (ح٦١١٤)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الأدب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب: (ح٦٥٨٦)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الجنائز، باب قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبري: (ح١٢٥٢)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الجنائز، باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى: (ح٢١٣٦).

عند تناول جرعات معتبرة من دواء الكورتيزون الاصطناعي، أو أعلى من النسبة التي تفرزها أورام الغدة الكظرية من مادة الكورتيزون[١].

وهكذا تقوم الصلاة الخاشعة بجعل الجهاز العصبي اللاإرادي، وكذلك الجهاز الغددي مثل: الغدة الكظرية المفرزة للكورتيزون، في وضع متوازن ومستقر بحيث يتجنب المصلي الارتفاعات المفرطة والضارة في هذه الأجهزة مما يحافظ على كفاءة المناعة لديه وعلى سلامة جسمه من الأمراض ذات الصلة باضطراب المناعة بسبب التوتر[٢].

---

(١) Review Of Medical Physiology-page: (313) نقلاً عن: قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٩١). ومعلوم أن **هرمون الكورتيزون** هو المادة الثانية بعد الأدرينالين التي تحدث تغيرات في عدة عمليات فيزيولوجية في الجسم قصد مواجهة التوتر، ولكن يؤثر الكورتيزون أيضاً على جهاز المناعة بطريقة مباشرة. حيث إنه يمنع هجرة الخلايا البيضاء (Leukocyte) نحو مكان الالتهاب الجرثومي وغيره، كما تقلل من خروج الماء عبر الأوعية الدموية باتجاه الأنسجة الملتهبة، وتمنع تحرير المواد القاتلة للجراثيم الليزوزيم (Lysozyme) والموجودة في خلايا الدفاع، كما تسبب عرقلة خلايا البلعمة (Macrophage) وتكون النتيجة الإجمالية انخفاض الالتهاب الذي يحدثه دخول الجرثومة مما يساعد على نمو وتكاثر هذه الجرثومة دون مقاومة. فيعتبر الكورتيزون مثبطاً للمناعة، وبالتالي يؤدي التوتر الشديد والمتواصل إلى تثبيط وسائل المناعة في الجسم مما يسهل ظهور الأمراض الجرثومية والسرطانية وغيرهما من الأمراض ذات المنشأ المناعي وهي كثيرة جداً. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٨٧، ١٨٩).

(٢) تجدر الملاحظة إلى أن مستوى الكورتيزول يتضاعف إلى ثلاث مرات =

سادساً: حِكمة الصلاة الصحية

قبل الحديث عن فوائد الصلاة الصحية، لا بد من التأكيد على أن نظرتنا لهذه الحِكمة ـ الصحية ـ مستمدة من الشريعة الإسلامية، التي جاءت بالضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال، وإذا تأملنا في هذه الضروريات، سنجد أن ثلاثاً من هذه الضروريات الخمس، وهي: النفس، والنسل، والعقل[1]، لا تكتمل المحافظة عليها إلا بحفظ الصحة، والمحافظة على جميع أعضاء البدن من التلف أو المرض، والحرص على عافيته وحيويته، وذلك للأثر المترتب على سلامة الجسد والأعضاء، في القيام بالتكاليف الشرعية.

فالواجب على المكلف أن يرتاد لجسده أعمالاً تحفظه من الأمراض والهلاك. يقول ابن القيم: «... ولما كانت الصحة والعافية من أجلِّ نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر مِنحِه، بل العافية المطلقة أجلُّ النعم على الإطلاق، فحقيقٌ لمن رزق حظاً

= عند القلق، كما إن هذا المستوى عالٍ في الاكتئاب وبعض الأمراض النفسية.

- J.P Luton-physiologie et Exploration des Secretionsde Cortisol et D'androgenes de la Glande Surrenaie page: (10014 B 10).

نقلاً عن قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٩٢).

(١) والاثنان الآخران، يعتمدان على الصحة، فلا حفظ للدين، ولا للمال إلا بمسلم صحيح قوي ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/٧، ٨).

من التوفيق مراعاتها، وحفظها وحمايتها عمَّا يضادها...»[1].

وفي المحافظة على إقامة الصلاة ما يحقق هذا الهدف، ويوصل إلى هذه الغاية. وقد وُضِعَت الصلاة موضع الدراسة العلمية ودُرِسَتْ حركاتها... دراسة وافية... وذلك عن طريق علماء الطب الاجتماعي، والعلاجي، وعلماء النفس، والاجتماع، والتربية، فكان ما وصل إليه هؤلاء يضع الصلاة من أهم وسائل المحافظة على صحة الفرد البدنية، والنفسية، وتربيته تربية سليمة مثالية[2]. فالصلاة لها فوائد بدنية عظيمة، وعوائد صحية جسيمة، يُنْعِمُ الله بها بواسطتها على المسلم.

فالمسلم حين يؤدي الصلاة استجابة لأمر الله، فإنه وبدون أن يُلقِي لذلك بالاً يقوم بتمارين تشمل جميع البدن من أعلى الرأس إلى أخمص القدم. ففي كل حركة من حركات الصلاة هناك عضلات، ومفاصل، وأوتار، وأربطة... تشترك جميعاً في تأدية الحركة، مما ينتج عنه تقويتها وتنشيطها[3]. كما إن الصلاة تمد الإنسان بالطاقة اللازمة للقيام بمختلف الأعمال، وهي وقاية وعلاج.

يقول الدكتور النسيمي: «يستفيد المصلي من حركات الصلاة وفي اتخاذ الأوضاع القويمة أثناء أداء أركان الصلاة، والانتقال

---

(١) ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٦٧).

(٢) عبد الرزاق، نوفل «كيف ولماذا؟»: (ص٦٤)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٢، ٣٣).

من ركن إلى ركن، يستفيد فائدة التمرين الرياضي، وتقوية العضلات الباسطة للعمود الفقري، وفائدة إصلاح الأوضاع المعيبة من جهة ثانية.

وبناءً على ذلك: تعتبر الحركات والأوضاع الخاصة في الصلاة من الرياضة الغريزية، يجني ثمرتها المصلي. مع أنه يؤدي تلك العبادة بنية تنفيذ أمر الله، طلباً لمرضاته وتقرباً إليه»[١].

□ فوائد الصلاة البدنية العامة لجميع فئات الناس:

كذلك فإن للصلاة فوائد بدنية كثيرة، يحصل عليها المسلم بمواظبته على أدائها[٢]، وهي:

١ ـ تحسين عمل القلب.

٢ ـ توسيع الشرايين والأوردة، وإنعاش الخلايا.

٣ ـ تنشيط الجهاز الهضمي، ومكافحة الإمساك.

٤ ـ إزالة العصبية والأرق.

---

(١) النسيمي، محمود «الطب النبوي والعلم الحديث»: (١/ ٢٣٢).

(٢) يقول ابن القيم: «الصلاة رياضة النفس والبدن جميعاً، وإذا كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة: من الانتصاب، والركوع، والسجود، والتورك، والانتقال، وغيرها من الأوضاع التي يتحرك معها أكثر المفاصل، وينغمز معها أكثر الأعضاء الباطنة: كالمعدة والأمعاء، وسائر آلات النفس والغذاء، فما يُنكر أن في هذه الحركات تقوية وتحليلاً للمواد ـ ولا سيما بواسطة قوة النفس وانشراحها في الصلاة ـ فتقوى الطبيعة، فيندفع الألم». ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٦٧).

٥ ـ زيادة المناعة ضد الأمراض والالتهابات المفصلية.

٦ ـ تقوية العضلات وزيادة مرونة المفاصل.

٧ ـ إزالة التوتر والتيبس في العضلات والمفاصل، وتقوية الأوتار والأربطة وزيادة مرونتها.

٨ ـ تقوية سائر الجسم وتحريره من الرخاوة.

٩ ـ اكتساب اللياقة البدنية والذهنية.

١٠ ـ زيادة القوة والحيوية والنشاط.

١١ ـ إصلاح العيوب الجسمية وتشوهات القوام، والوقاية منها.

١٢ ـ تقوية ملكة التركيز، وتقوية الحافظة (الذاكرة).

١٣ ـ إكساب الصفات الإرادية كالشجاعة والجرأة.

١٤ ـ إكساب الصفات الخُلقية كالنظام، والتعاون، والصدق، والإخلاص... وما شابه ذلك.

١٥ ـ تُشكِّل الصلاة للرياضيين أساساً كبيراً للإعداد البدني العام، وتُسْهم كثيراً في عمليات التهيئة البدنية والنفسية لِلَّاعبين، ليتقبلوا المزيد من الجهد. خصوصاً قبل خوض المباريات والمنافسات.

١٦ ـ الصلاة وسيلة تعويضية لما يسببه العمل المهني من عيوب جسدية وتعب بدني[1]، كما إنها تساعد على النمو المتزن لجميع

---

(١) إن كثيراً من الناس عملهم الوحيد هو الجلوس على كرسي لساعات طويلة في المكاتب، مما ينتج عنه أوجاع أسفل الظهر، وآلام الرقبة، =

أجزاء الجسم[١]، ووسيلة للراحة الإيجابية والمحافظة على الصحة.

١٧ ـ إن الصلاة تؤمن لمفاصل الجسم كافة صغيرها وكبيرها؛ حركة انسيابية سهلة من دون إجهاد، وتؤمِّن معها إدامة أدائها السليم، مع بناء قدرتها على تحمل الضغط العضلي اليومي، وتشد عضلات الظهر وعضلات البطن فتقي الإنسان من الإصابة بتوسيع البطن، أو تصلب الظهر وتقوسه.

١٨ ـ وفي حركات الصلاة إدامة للأوعية الدموية المغذية لنسيج الدماغ، مما يُمَكِّنُه من إنجاز وظائفه بشكل متكامل عندما يبلغ الإنسان سن الشيخوخة.

١٩ ـ والصلاة تساعد الإنسان على التأقلم مع الحركات الفجائية التي قد يتعرض لها، كما يحدث عندما يقف فجأة بعد

= وعيوب قوامية ـ كتشوه في العمود الفقري ـ، ولا يرى الأخصائيون وسيلة للتغلب عليها سوى التغيير في أنماط السلوك الحركي، فقامت بعض المصانع بتخصيص دقائق تتروح بين ٥ ـ ١٥ دقيقة، يقوم خلالها العامل بتأدية بعض التمرينات التعويضية. ونجد في الصلاة التي فرضها الله علينا ما يحتوي على نفس الحركات التعويضية، وهي: الرأس، والجذع، واليدين، والرجلين. وهذا تماماً ما تحتويه الصلاة. الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٨٥ ـ ١٨٧)، بتصرف.

(١) ليس هناك أفضل من الصلاة كنشاط بدني رياضي؛ يمكن أن يعطي نمواً متزناً حقيقياً لجميع أجزاء الجسم، والمحافظة على اعتدال القوام، وتحسين النغمة العضلية، التي تزيد من كفاءة العضلة لأداء عملها بقدرة وكفاءة. الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٨٥).

جلوس طويل، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى انخفاض الضغط، وأحياناً إلى الإغماء. فالمداومون على الصلاة قلما يشتكون من هذه الحالة. وكذلك قلما يشتكي المصلون من نوبات الغثيان أو الدوار.

٢٠ ـ وفي الصلاة حفظ لصحة القلب والأوعية الدموية، وحفظ لصحة الرئتين، إذ إن حركات الإنسان أثناء الصلاة؛ تفرض على المصلي اتباع نمط فريد أثناء عملية التنفس، مما يساعد على إدامة زخم الأوكسجين ووفرته في الرئتين، وبهذا تتم إدامة الرئتين بشكل يومي، وبذلك تتحقق للإنسان مناعة وصحة أفضل.

٢١ ـ والصلاة هي أيضاً عامل مقوٍ، ومهدِّئ للأعصاب، وتجعل لدى المصلي مقدرة للتحكم والسيطرة على انفعالاته، ومواجهة المواقف الصعبة بواقعية وهدوء.

وهي أيضاً حافز على بلوغ الأهداف بصبر وثبات. وبذلك تغدو الصلاة علاجاً للأمراض النفسية وتقوية للعظام[1].

هذه الفوائد هي لجميع فئات الناس: رجالاً، ونساء، شيوخاً، وشباباً، وأطفالاً، إلا أنه يوجد بعض الحالات الخاصة، يكون للصلاة فيها أثر صحي كبير، تتضح فيها ملامح الحِكمة، وتظهر فيها دلائل الإعجاز في مشروعية هذه الفريضة، أذكر منها:

١ ـ كبار السن.

٢ ـ المرأة الحامل.

---

(١) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٤٩، ٥٠، ٥١).

◻ فوائد الصلاة البدنية لبعض فئاتٍ من الناس:

أولاً: فوائد الصلاة البدنية لكبار السن:

إن الإنسان إذا تقدم به العمر رأيته ـ غالباً ـ تعتاده الأسقام، وتَسْتَوْطِنُ جسده الأدواء، وربما تعتريه حالات ارتعاش الأطراف، لذا تراه مواظِباً على ممارسة الرياضة، حذراً من الانقطاع عنها بغية الحصول على فوائدها[١].

وإذا تأملنا في برامج التمارين التي ينصح الأطباء كبير السن بممارستها، وجدنا معظمها لا يخرج عن تمارين مشابهة لحركات الصلاة.

فهو يُنْصَح بممارسة تمارين لليدين، وهو يمارسها في رفع اليدين في الصلاة، وفي تمارين للجذع، وهو يمارسها في الركوع والسجود، وبتمارين للرجلين، وهو يمارسها في النزول والقيام، وبتمارين للرقبة، وهو يمارسها في التسليم...[٢].

ونلاحظ أيضاً: أن للصلاة دور كبير في حفظ صحة قلب كبير

---

(١) «وقد ذكر ميتشن Mitchen في بحثه عن كبار السن الذين تتروح أعمارهم ما بين (٦٠ ـ ٨٣) سنة: أنهم يتميزون بحالات ارتعاش الأطراف بمقدار ١,٩٦٪ زيادة عن سن الشباب، ويوصي بأهمية ممارسة التمارين البدنية في هذا السن المتقدم. ويتفق أستراند Astrand وهتسشيشر Hutschecher على أهمية ممارسة التمرينات لكبار السن، لكي يحتفظوا بحالتهم العقلية، والنفسية، والبدنية، نشطة...». الطرشة، عدنان، «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٦٤).

(٢) الطرشة، عدنان، م ـ ن: (ص٦٤، ٦٥).

السن وأوعيته الدموية، مما يبعد عنه ـ بإذن الله ـ مخاطر الإصابة بنوبات الذبحة الصدرية، التي زادت نسبتها بشكل كبير في بلاد الغرب.

كما أن في حفظ صحة الأوعية الدموية، وخاصة المغذِّية لنسيج الدماغ، تمكن الدماغ من المحافظة على انجاز وظائفه بشكل متكامل طوال سن الشيخوخة.

وإذا لاحظنا ضرورة استرجاع آيات من القرآن الكريم، وذكر أدعية مأثورة، وأذكار مشروعة، نجد أن الصلاة من أفضل الوسائل العلاجية الوقائية، التي تحول دون وقوع المسنين في شرك العته[١] والنسيان والإصابة بمرض الخرف[٢]. فتغذية الدماغ بالدم أثناء عملية

---

(١) **المعتوه**: الناقص العقل. وقد عَتِهَ عتهاً. والتعتُّه: التجنُّنُ والرعونة. يقال رجلٌ معتوه بيِّن العته. يشبه بعض كلامه كلام العقلاء وبعضه كلام المجانين. الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٦٧٠)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٣/ ٥١٢)، الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٩٠).

(٢) الراوي، حسام «مجلة الشرق الأوسط»، العدد ١٤٩: (ص٣٩)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٦٤، ٦٥). **الخرف**: هو تدهور مستمر في وظائف الدماغ، ينتج عنه اضطراب في القدرات الإدراكية، مثل: الذاكرة، والاهتداء، والتفكير السليم، والحِكمة. لذلك يفقد كثير من الذين يعانون من الخرف قدرتهم على الاهتمام بأنفسهم، ويصبحون بحاجة لرعاية تمريضية كاملة. ومن أكثر أسباب الخرف شيوعاً: مرض الزهايمر.

• http://ar.wikipedia.org

السجود التي تتكرر، ينتج عنها تقليل نسبة حدوث الخرف عند المصلين. وخاصة المسنين منهم.

كذلك وجد أن الأمراض العقلية والنفسية التي تصيب كبار السن؛ هي أقل بكثير من حدوثها عند غيرهم. فهي لا تعد مشكلة عند الشعوب الإسلامية. بينما تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم عند الشعوب الأخرى[1].

وما أبلغ قول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً...﴾ [النحل: ٩٧]. ومما سبق نتبين حِكمة تشريع الصلاة، وفوائدها البدنية والنفسية على كبار السن الذين يقومون بأداء هذه الفريضة خمس مرات في اليوم؛ بقيام وركوع وسجود.

ثانياً: فوائد الصلاة البدنية للحامل:

عندما تدخل المرأة في الشهر الأخير من الحمل، ينتابها الشعور بالخوف والقلق، ويزداد هذا الشعور كلما اقترب موعد الوضع. وحينما تدخل المستشفى للولادة تبدو المرأة خائفة، وقلقة، ومتوتِّرة، فينتج عن هذا الخوف تقلّص عضلاتها، وتقلّص عضلاتها سيسبب لها الألم، والألم سيسبب لها من جديد الخوف، وهكذا تدور الدائرة.

---

(١) حتى إن بلداً مثل إنكلترا قد قارب عدد أَسِرَّة المستشفيات للمصابين بهذه الأمراض ٤٥٪ من مجموع الأسرة عامة. علوان، فارس «وفي الصلاة صحة ووقاية»: (ص١٤٧)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٦٦).

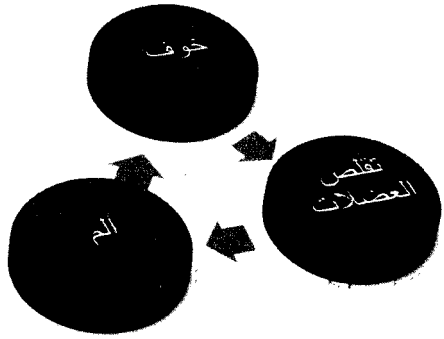

ويحدث أحياناً كثيرة بسبب تقلص عضلات الحامل، وعدم مرونة الأعضاء الأخرى التي تشترك في عملية الولادة؛ أن تتعسر ولادتها.

فالجنين عليه أن يمر ـ بعد خروجه من الرحم ـ من الحوض ثم من المهبل.

يحاول المرور أولاً من الحوض فلا يستطيع لأن الحوض غير مرن، وقد يكفي أحياناً أن يتمدد شيئاً قليلاً فينزلق الجنين من خلاله، ولكن يخبرها القائمون على عملية الولادة، بأنه لا بد من إجراء عملية قيصرية لإخراج الجنين وإنقاذه قبل أن يموت[١].

وفي حالة نجاح الجنين في المرور عبر الحوض، يكون قد بقي عليه أن يخرج من الفتحة المهبلية، وأحياناً كثيرة يكون رأسه أكبر منها، والمهبل غير قادر على التمدد، إذاً لا بد من مداخلة جراحية، وإحداث شق لتوسعة هذه الفتحة؛ لإتاحة الفرصة أمام الجنين للخروج، وأيضاً لتفادي التمزق.

---

(١) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٦٧).

وهذه المداخلة الجراحية (الشق) أخذت تحدث على نطاق واسع، مع هذا الجيل الجديد من النساء، وفي معظم بلدان العالم.

والسبب: هو عدم مرونة الأعضاء، وهو ناتج عن قلة الحركة، والتعوُّد على الكسل والخمول بسبب الراحة والرخاء.

وهذا ما دعا الأطباء إلى إعداد برامج لتمارين رياضية لفترة الحمل، وكذلك لفترة ما بعد الولادة، للتعويض عن الحركة المفقودة والضرورية للحامل.

وتوضح عدة دراسات: أن ممارسة بعض هذه التمارين الخاصة بالحامل تسهل من عملية الحمل والولادة، والأطباء عامة ينصحون كل حامل بممارسة هذه التمارين، ولا يكاد مستشفى يخلو من بعض الرسومات والصور التي توضح بعض هذه التمارين.

وتوضح الدراسات: بأن مضاعفات الحمل، وعدد الولادات القيصرية، وتَهَتُّك الأنسجة أثناء الولادة، يكون أقل لدى السيدات اللاتي يمارسنها بالمقارنة بغير الممارسات[1].

ونلاحظ على هذه التمارين الرياضية، والضرورية للمرأة الحامل، أنها تشبه تماماً حركات وهيئات الصلاة. نورد بعضاً منها على سبيل المثال:

---

(١) الطرشة، عدنان، «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٦٨).

تمارين رياضية للحامل مشابهة لحركات الصلاة:

١ ـ **تمرين ميل الجذع للأمام**: وهو تمرين يشبه الركوع في الصلاة.

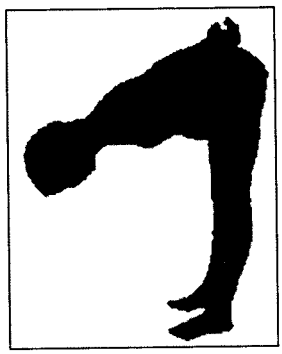

٢ ـ **تمرين القرفصاء والقيام**: وهو مشابه للنزول والقيام الذي يقوم به المصلي.

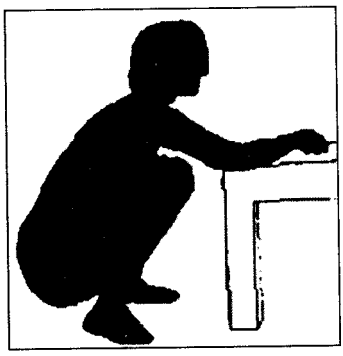

٣ ـ **تمرين الصدر والركبة**: هذا التمرين مشهور جداً في عالم تمارين الحامل وأكثر ما تنصح بممارسته ـ ويسمى وضع الصدر الركبة Knee - Chest Position، ـ وهو كما يبدو بوضوح تمرين مشابه للسجود في الصلاة.

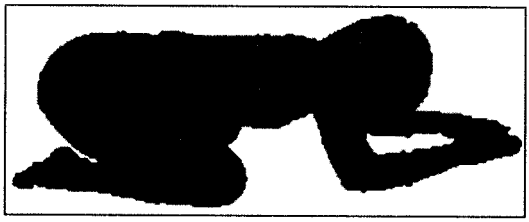

٤ ـ **تمرين الجلوس والاسترخاء**: وهو مشابه للجلوس في الصلاة.

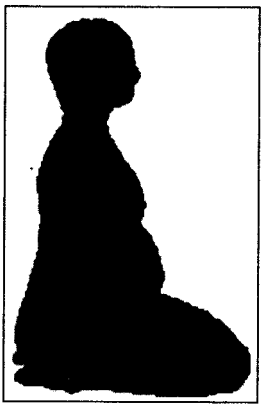

٥ ـ **تمرين الرقبة**: وهو مشابه للتسليم في الصلاة.

فالمرأة الحامل تحصل على هذه الفوائد إذا حافظت على أداء الصلاة. مع العلم أنها تؤديها خمس مرات في اليوم؛ أي: أكبر بكثير من عدد تكرار هذه التمارين الرياضية. فَلْيَنْصَحْ

أهل الاختصاص النساء بالمحافظة على الصلاة، وقاية وعلاجاً لهن[١].

وفيما يلي نذكر أهم فوائد الصلاة البدنية والنفسية للحامل:

١ ـ تُكْسِبُ الصلاة معظم أعضاء وعضلات الجسم مرونة، وتُسهِّل حركة العمود الفقري مع الحوض مفصلياً؛ للمحافظة على ثبات الجسم واعتدال قوامه.

٢ ـ تنشيط الدورة الدموية في القلب، والدماغ، والشرايين والأوردة، مما يساعد في توصيل الغذاء إلى الجنين بانتظام عبر الدم، ويساعد أيضاً في نمو الجنين نمواً طبيعياً.

٣ ـ المحافظة على مرونة مفاصل الحوض، وعضلات البطن، حيث لها أكبر الأثر في قوام الأم الحامل.

٤ ـ تحسين النغمة العضلية.

٥ ـ رفع المعنويات وإكساب الثقة بالنفس، والسيطرة على الجسم، والقدرة على التركيز.

□ فوائد الصلاة البدنية لفترة ما بعد الولادة:

كما بيَّن الأطباء عدداً من فوائد الصلاة البدنية، تجنيها المرأة بعد الولادة، منها:

١ ـ إنها تُكْسِبُ عضلات الحوض القوَّة، وكذلك عضلات

---

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٨٧)، الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٦٩، ٧٠).

البطن[١] والصدر، وبالتالي يتأثر العمود الفقري بهذا النشاط العضلي وينتصب معتدلاً.

٢ ـ إنها تُكْسِبُ مفاصل الحوض والأطراف مرونة أكثر واستعداداً للحركة. مما يسمح للمرأة بالعودة إلى رشاقتها وجمالها وقوتها[٢].

ولعل في الكشف عن فوائد الصلاة الصحية للحامل، ما يُظهِر جانباً من جوانب حِكمة تشريع الصلاة، ويُبْرِز سراً من أسرارها العظيمة، ويدل بما لا مجال للشك فيه، عن إعجاز علمي، وسبق طبي، سبقت به شريعتنا الغراء كل تقدم علمي، وكل اكتشاف صحي.

❁ ❁ ❁

(١) تقول د. فائزة اللبان: لأنها ـ أي: الصلاة ـ تمنع تراكم الدهون التي تؤدي إلى البدانة والترهل، فتمنع تشوهات الجسم وتزيد من رشاقته. والصلاة بحركاتها المتعددة تزيد من حركة الأمعاء، فتقلل من حالات الإمساك وتقي منه، وتقي كذلك من إفراز المرارة. اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٨٩).

(٢) إن الحامل المحافظة على الصلاة، إذا أرادت الاستزادة من الحركة بتمارين الحامل فلا بأس بذلك، بل يستحب لها ممارسة تلك التمارين، كما يمكنها الاستزادة من الصلوات، فباب التنفل مفتوح ومستحب. أما في مدة النفاس حيث لا صلاة فيها، فيستحب للمرأة ممارسة التمارين الرياضية الخاصة بهذه الفترة، وذلك من أجل أن تعود لها لياقتها البدنية. الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٧١ ـ ٧٤).

المبحث الثالث

حِكمة تخصيص أوقات الصلوات الخمس

تمهيد

إن من أبرز ما يستوقف الناظر في الصلوات الخمس، هو تَوزُّعها بشكل متناسب مع ساعات الليل والنهار. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤].

وقال ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

من خلال هذه الآيات يتبين لنا أن الصلوات الخمس لها مواعيد محددة، يجب على المسلم الالتزام بها لكل صلاة. وقد سئل النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله ﷻ، فقال: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»(١).

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها: (ح٥٢٧)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله ﷻ أفضل الأعمال: (ح٢٥٤).

ولعل الحِكمة في ذلك: هو تأنيس المسلم بمناجاة خالقه بين الحين والحين، فلا يذهل عن مناجته، ولا يغفل عن ذكره، كما أن في مراعاتها تجديداً للإيمان، فربما اجترح الإنسان في يومه بعض الأوزار، فتأتي الصلاة وما يصاحبها من وضوء فتكفر الذنوب، وتجدد العهد، ولعل في قوله ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ...**»[(١)]. إشارة إلى هذا المعنى... كذلك فإن في توزيع هذه الأوقات ترتيب رزنامة المسلم اليومية، فيرتب مواعيده، ويجدول أعماله، وينظم دراسته، ويوزع مهامه على مواعيد الصلاة، مثلاً: قبل الظهر كذا... وبعد العصر كذا... فهي بمنزلة المهندس الذي يرسم خريطة البناء فيسير البنَّاء على وِفْقها.

أما من الناحية الصحية: فلعل الحِكمة في توزيع الصلوات الخمس على هذه الأوقات: «أن يكون المسلم في حالة نشاط بدني، وصفاء ذهني، وراحة نفسية مستمرة، من طلوع الشمس إلى ما بعد العشاء».

وقد أظهرت البحوث العلمية الحديثة: أن مواقيت صلاة المسلمين تتوافق تماماً مع أوقات النشاط الفسيولوجي للجسم، مما يجعلها وكأنها هي القائد الذي يضبط إيقاع عمل الجسم كله[(٢)].

---

(١) البخاري، محمد، «صحيح البخاري»، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها: (ح٥٢٨)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات: (ح١٥٢٢).

(٢) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٣٩).

إن الحِكمة الطبية في أداء الصلاة في وقتها، هو أن يبقى المصليَ في حالة نشاط بدني، ونفسي، وفكري. فالالتزام الثابت والمستمر بأداء الصلوات في أوقاتها يومياً، هو أفضل وسيلة لضمان صحة كاملة للجسم البشري؛ لأن هذه الأوقات تتناسب تماماً مع نشاط الإنسان اليومي، مما يؤدي إلى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري[١]. لقد اكتشف العلماء: بأن الخط الحيوي البيولوجي للإنسان (Bio - Rythm) ـ حيث تصل الطاقة الحيوية للجسم إلى قمتها ـ، هو:

ـ **الفترة الصباحية**: من الساعة الرابعة صباحاً ـ تقريباً ـ، وهو ما يناسب صلاة الفجر، وحتى الساعة الحادية عشرة ظهراً.

ـ **الفترة المسائية**: من الساعة الرابعة بعد الظهر، وهو ما يناسب صلاة العصر وحتى الساعة الثامنة مساءً.

كما لاحظ العلماء: أن أدنى مستوى للطاقة الحيوية هو في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، والساعة الثانية بعد الظهر[٢].

وإذا دققنا النظر في مواعيد الصلوات الخمسة، نجد أن لها ارتباطاً بمواعيد حَيَوِيَّة مهمة في التَّحول اليومي لفسيولوجيا الجسم، وتأديتها في أوقاتها له فوائد عديدة تريح الجسم، وتهدِّئ النفس كما يلي:

---

(١) عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص١٣٠).

(٢) وهنا تبرز أهمية القيلولة في فترة الظهيرة؛ حيث يكون الجسم بحاجة إلى الراحة.

أولاً: فوائد صلاة الفجر

إن صلاة الفجر لها فوائد كثيرة منها:

١ ـ الاستفادة من غاز الأوزون، حيث يكون أعلى نسبته أثناء وقت الفجر، ثم يهبط تدريجياً حتى يختفي عند طلوع الشمس. والأوزون مفيد للجهاز العصبي، والنفسي، والعضلي، والفكري، ولهذا ينصح طلاب العلم بالاستيقاظ باكراً من أجل المذاكرة. خاصة قبل الامتحانات.

٢ ـ الاستفادة في إفراز الكورتيزون[١]، حيث يكون أعلى نسبة

---

(١) **الكورتيزون**: فئة من الهرمونات المُنَشِّطة، التي تنتج في قشرة الغدة الكظرية، الملتصقة بالكُلْية ولذلك سميت بالغدة (الجار كلوية). www.ar.wikipedia.org.

ويُحْدِثُ الكورتيزون تغيرات كثيرة في جسم الإنسان منها:

أ ـ يقوِّي جهاز المناعة ويمنع الأمراض.

ب ـ يدعم تحليل البروتين والدهون والكاربوهيدرات في الجسم، فهو يُبدِّل البروتين إلى كاربوهيدرات، ويحوِّل المزيد من السكر إلى الغلوكوجين الذي يحفظ في الكبد، كما إنه يرفع السكر في الدم.

جـ يسهل الهضم في الأمعاء، ويدخل الحمض الأميني إلى الكبد.

د ـ يقوي إفراز هرمون الكاتيكول أمين المسؤول عن ضبط ضغط الدم، وهرمون التيروكسين المسؤول عن الأعمال البدنية.

هـ ـ ينشِّط الجسم ويحميه من التعب والضعف العام، لذلك نلاحظ أن الإنسان يشعر بالنشاط الجيد عند الفجر، وهذا يعود إلى إفراز الكورتيزون الذي يبلغ قمته عند الفجر. بالمقابل فإن الإنسان يشعر بالتعب والإرهاق عند المساء، وهذا يعود إلى انخفاض إفراز الكورتيزون =

من إفرازه أثناء دخول وقت صلاة الفجر، ويتناسب معه ارتفاع ضغط الدم، فيشعر الإنسان بنشاط كبير بعد صلاة الفجر، وذلك بين الساعة السادسة والساعة التاسعة صباحاً.

٣ ـ إن صلاة الفجر تمنع النوم الطويل الذي يسبب أمراضاً قلبية؛ من ترسب الشحوم في الدم على جدران الشرايين[١].

٤ ـ كذلك فإن صلاة الفجر تمنع الأرق[٢].

٥ ـ الاستفادة من الأشعة فوق البنفسجية، التي تساهم في تكوين الفيتامين «د» الموجود تحت الجلد، الذي يثبِّت الكالسيوم

= إلى أدنى مستواه عند المساء.
و ـ يقوي الجهاز التناسلي، ويحافظ على توازن الدورة الشهرية عند النساء. كما إن نقص الكورتيزون يسبب زيادة في مدة الدورة الشهرية.
ز ـ يوسع القصبات الهوائية عند المصابين بأمراض الربو، وهذا ما يفسِّر إعطاء الأطباء حبوب الكورتيزون لمرضى الربو.
ح ـ ينشِّط عمل الكلية في تصفية المواد السامة من الدم. عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص١٣٢).

(١) لذلك ينصح الأطباء المصابين بالأمراض القلبية بالاستيقاظ بعد مرور خمس ساعات على النوم، وذلك لإجراء تمارين رياضية. ومن هنا كانت فائدة صلاة الفجر لما تتميز به من تمارين جسدية، وروحية معاً. عبد الحليم، سمير، م ـ ن: (ص١٣٢، ١٣٣).

(٢) يقول البروفسور أزولت ـ الذي قضى أكثر من ٤٠ سنة يبحث في مشاكل النوم ـ: (إذا كنت تريد أن تنام بسرعة حينما تخلد إلى النوم، عليك بالنهوض باكراً في الصباح، وافعل ذلك بانتظام، تحصل على أفضل أنواع النوم، وتكون أكثر سعادة، وأكثر نشاطا طوال النهار). عبد الحليم، سمير، م ـ ن.

في العظام، فيقوِّيها، كما تساهم هذه الأشعة في نمو مخ العظام، وخلايا البشرة في الطبقة العليا من الجلد. إن أفضل وقت للاستفادة من هذه الأشعة: هو وقت صلاة الفجر، وعند الشروق، ووقت غروب الشمس (أي: صلاة المغرب). ولذلك فإن من يستيقظ بعد الشروق يصبح أكثر عرضة لمرض هشاشة العظام[١].

٦ ـ وذكر صاحب كتاب الاستشفاء بالصلاة: أن الاستيقاظ الباكر لصلاة الفجر يرتبط بتغيرات فيزيولوجية في الجسم، منها:

أ ـ الاستعداد لاستقبال الضوء في موعده، مما يخفض من نشاط الغدة الصنوبرية[٢]، وينقص الميلاتونين[٣] المسؤول عن الاسترخاء والراحة. ويُنشِّط العمليات الأخرى المرتبطة بالضوء. فيزداد إفراز هرمون الكورتيزون، ويكون أعلى مستوى له أثناء صلاة الفجر، مما يقوي نشاط الجسم.

---

(١) عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص١٣٢، ١٣٣).

(٢) **الغدة الصنوبرية Pineal Gland**: هي غدة صغيرة في تجويف الدماغ تفرز الميلاتونين.

- www.ar.wikipedia.org.

(٣) **الميلاتونين**: هرمون يفرز من غدة صغيرة في حجم الترمس توجد في المخ، تعرف بالغدة الصنوبرية. والميلاتونين: يوجد في جميع خلايا كل كائن حي. وهو مسؤول عن تنظيم الإيقاع الحيوي في كل من الإنسان والحيوان، ويساعد على النوم.

- www.alfrash.maktoob.com.

ب ـ نهاية سيطرة الجهاز العصبي (غير الودي) المهدِّئ ليلاً. وانطلاق الجهاز (الودِّي) المنشِّط نهاراً.

ج ـ الاستعداد لاستعمال الطاقة التي يوفرها ارتفاع الكورتيزول[١] صباحاً.

وهو ارتفاع يحدث ذاتياً، وليس بسبب الحركة والنزول من الفراش بعد وضع الاستلقاء[٢].

كما إن هرمون السيروتونين[٣] يرتفع في الدم، وكذلك الأندروفين[٤].

---

(١) **الكورتيزول Cortisol**: هرمون منشِّط يفرز بواسطة الغدة الكظرية، ينظم ضغط الدم، ووظيفة القلب الوعائية وجهاز المناعة. ويؤدي دوراً مهماً في وظيفة كل جزء من أجزاء الجسم تقريباً. والوقوع تحت التوتر أو ضغط عصبي شديد يرفع مستوياته، فيؤثر بصورة سلبية على الصحة العامة للجسم.

- www.marefa.org/index.php.

(٢) William F, Ganong-Review of medical physiology, page: (313)، نقلاً عن: قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٢١٣).

(٣) **السيروتنين**: ناقل عصبي أحادي الأمين، يصنع في العصبونات السيروتونينية، ضمن الجهاز العصبي المركزي، وفي الخلايا الكرومافينية الداخلية في الجهاز الهضمي، وتؤدي هذه المادة دوراً مهماً في تنظيم مزاج الإنسان (لذا يسمى هرمون السعادة) والرغبة الجنسية.

- www.ar.wikipedia.org/wiki.

(٤) قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٢١٢، ٢١٣). **الأندروفين**: عبارة عن مركب حيوي كيميائي، اكْتُشِفَ وجوده في جسم الإنسان سنة ١٩٧٥م. وهو يشبه في تركيبه الكيميائي الأفيون أو المورفين المخدرين، =

ثانياً: فوائد صلاة الظهر

أثناء قيام المسلم بتأدية صلاة الظهر يحصل على فوائد صحية كثيرة، منها:

١ ـ يهدِّئ المسلم نفسه بالصلاة إثر الارتفاع الأول لهرمون الأدرينالين آخر الصباح[١].

٢ ـ يهدِّئ نفسه من الناحية الجنسية، حيث يبلغ التستوستيرون[٢]

= لكن الأندروفين أقوى ١٠٠٠ مرَّة من هذين المركبين. فهو ينتج طبيعياً في الجسم، وغير مضر، ويسمى الشعور بالسعادة ويقتل الألم. ويساعد في التئام الجروح وشفاء الأمراض النفسية والجسدية. ويرفع أداء النظام المناعي للجسم.

• www.nouray.maktoobblog.com.

(١) أثناء فترة الظهر يرتفع إفراز هرمون الأدرينالين إلى قمته الأولى، وهذا يزيد التوتر العصبي والنشاط القلبي، ويشكل خطورة على المصابين بالأمراض القلبية، لذلك عندما يصلِّي المسلم صلاة الظهر فإن الصلاة تهدِّئ نفسه، وتعطيه الطمأنينة، والسكينة، مما يشكل وقاية من الإصابة بالجلطة القلبية. عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص١٣٤).

(٢) **التستوستيرون Testosterone**: هرمون موجود لدى الذكور، ويفرز عند الذكور من الخصيتين بكميات ضئيلة لدى الجنين قبل ولادته، وهو في داخل الرحم، ومع الولادة تتوقف الخصيتان، عن إنتاج هذا الهرمون حتى سن البلوغ ليعود الإنتاج مرة أخرى بكميات كبيرة جداً، وبكمية صغيرة من الغدة الكظرية. فيساهم في تطور الخصائص الذكورية الثانوية. ثم تنخفض هذه الكمية إلى حوالي الثلث في سن الأربعين، وإلى حوالي الخمس في سن الثمانين.

• www.ar.wikipedia.org/wiki,www.6abib.com/a-967.htm.

قمته في الظهر[١].

٣ ـ تطالب الساعة البيولوجية الجسم بزيادة الإمدادات من الطاقة؛ إذا لم يقع تناول وجبة سريعة. وبذلك تكون الصلاة عامل مهدِّئ للتوتر الحاصل من الجوع[٢].

٤ ـ أثناء فترة الظهر ينخفض إفراز الكورتيزون ليصل إلى حدِّه الأدنى، فيشعر الإنسان بالتعب والإرهاق، وعدم النشاط[٣]، فتأتي صلاة الظهر؛ لتؤدي دورها كأحسن ما يكون من بث الهدوء والسكينة في القلب والجسد المتعبين[٤].

ثالثاً: فوائد صلاة العصر

يحتاج الجسم إلى ساعة من النوم تريحه وتجدد نشاطه، وذلك بعد صلاة الظهر وقبل صلاة العصر، وقد ثبت علمياً: أن جسم الإنسان يمرُّ بشكل عام في هذه الفترة بصعوبة بالغة، حيث يرتفع معدل مادة كيميائية مخدِّرة يفرزها الجسم فتحرِّضه على النوم،

---

(١) مما يؤدي إلى التوتر والهيجان الجنسي. وهذا يتناسب مع موعد صلاة الظهر، التي تهدِّئ من طاقته الجنسية. عبد الحليم، سمير، «الموسوعة الصحية»: (ص١٣٤).

(٢) قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٢١٣).

(٣) ويكون هذا بالتقريب بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر. ثم بعد الصلاة يلجأ إلى القيلولة فيتجدد نشاط الجسم، ويكون ذلك ما بين صلاة الظهر وصلاة العصر. قرامي، زهير، م ـ ن، الحاج أحمد، يوسف «موسوعة الإعجاز العلمي»: (ص٩٣٨، ٩٣٩).

(٤) قرامي، زهير، م ـ س، الحاج أحمد، يوسف، م ـ س.

ويكون هذا تقريباً بعد سبع ساعات من الاستيقاظ المبكر، فيكون الجسم في أقل حالات تركيزه ونشاطه.

ثم تأتي صلاة العصر ليعاود الجسم بعدها نشاطه مرة أخرى، ويرتفع معدل «الأدرينالين» في الدم، فيَحْدُث نشاطٌ ملموسٌ في وظائف الجسم خاصة النشاط القلبي[١]، ويكون هنا لصلاة العصر دور مهم في تهيئة الجسم والقلب بصفة خاصة؛ لاستقبال هذا النشاط المفاجئ، ويجعله يعمل بكفاءة أعلى بعد حالة من الخمول الشديد ودون مستوى الإرهاق، فتنصرف باقي أجهزة الجسم وحواسه إلى الاستغراق في الصلاة، فيسهل على القلب مع الهرمون تأمين إيقاعهما الطبيعي، الذي يصل إلى أعلاه مع مرور الوقت. إن صلاة العصر تعمل على ربط الإنسان بأعمالها، ومنعه من الانشغال بأي شيء آخر اتقاء لهذه المضاعفات[٢].

---

(١) يقول الدكتور زهير قرامي: «إن أكثر المضاعفات عند مرضى القلب تحدث بعد هذه الفترة مباشرة، مما يدل على الحرج الذي يمر به هذا العضو الحيوي في هذه الفترة. ومن الطريف أن أكثر المضاعفات عند حديثي الولادة تحدث أيضاً في هذه الفترة، حيث إن موت الأطفال حديثي الولادة يبلغ أقصاه في الساعة الثانية بعد الظهر. كما أن أكثر المضاعفات لديهم تحدث بين الثانية والرابعة بعد الظهر. وهذا دليل آخر على صعوبة الفترة التي تلي الظهر بالنسبة للجسم عموماً والقلب خصوصاً William F, Ganong-Review of medical physiology, page: (97) نقلاً عن: قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٢١٣، ٢١٤).

(٢) «المجلة الطبية السعودية»، العدد ٩٢، ١٤١٧هـ: (ص٢٠)، نقلاً عن: قرامي، زهير، م ـ ن: (ص٢١٣)، عبد الحليم، سمير «الموسوعة =

رابعاً: فوائد صلاة المغرب

ثم تأتي صلاة المغرب فيقل إفراز الكورتيزون، والسيروتونين، والأندروفين. ويبدأ نشاط الجسم في التناقص، وذلك مع التحول من الضوء إلى الظلام، وهو عكس ما يحدث في صلاة الصبح تماماً، فيزداد إفراز مادة «الميلاتونين» المشجِّعَة على الاسترخاء والنوم بسبب قدوم الظلام؛ فيحدث تكاسل للجسم وشعور بالنعاس، وتكون الصلاة بمثابة محطة انتقالية[١]. كما يمكن الاستفادة عند الغروب من الأشعة فوق البنفسجية؛ التي تساهم في تكوين الفيتامين (د) المسؤول عن تثبيت الكالسيوم في العظام وتقويتها. كما تساهم هذه الأشعة في نمو مخ العظام وخلايا البشرة في الطبقة العليا من الجلد[٢].

خامساً: فوائد صلاة العشاء

وتأتي صلاة العشاء لتكون هي المحطة الأخيرة في مسار اليوم، والتي ينتقل فيها الجسم من حالة النشاط والحركة، إلى حالة الرغبة

= الصحية»: (ص١٣٤)، الحاج أحمد، يوسف «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة»: (ص٩٣٨، ٩٣٩).

(١) «المجلة الطبية السعودية»، العدد ٩٢، ١٤١٧هـ: (ص٢٠) نقلاً عن: قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٢١٤)، عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص١٣٥)، الحاج أحمد، يوسف، م ـ س: (ص٩٣٩).

(٢) عبد الحليم، سمير، م ـ س: (ص١٣٥).

التامة في النوم. مع شيوع الظلام وزيادة إفراز «الميلاتونين»[١].

وتصبح صلاة العشاء محطة ثابتة لانتقال الجسم من سيطرة الجهاز العصبي (الودِّي)، إلى سيطرة الجهاز (غير الودِّي).

لذلك فقد يكون هذا هو السر في سُنيَّة تأخير هذه الصلاة إلى قبيل النوم، للانتهاء من كل المشاغل ثم النوم مباشرة بعدها. وفي هذا الوقت تنخفض حرارة الجسم، وتنخفض دقات القلب وترتفع هرمونات الدم.

ولذا فإن الالتزام بأداء الصلوات الخمس في أوقاتها، هو أدق أسلوب يضمن توافقاً كاملاً مع أنشطته اليومية، مما يؤدِّي إلى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري.

يقول صاحب كتاب «الاستشفاء بالصلاة»: «ومن الجدير بالملاحظة: أنَّ توافق هذه المواعيد الخمسة مع التحولات البيولوجية المهمة في الجسم، يجعل من الصلوات الخمس منعكسات شرطية مؤثِّرة مع مرور الزمن. فيمكن أن نتوقع أن كل صلاة تصبح في حد ذاتها إشارة لانطلاق عمليات ما، حيث إن الثبات على نظام يومي في الحياة ذو محطات ثابتة، ـ كما يحدث في الصلاة ـ مع مصاحبة مؤثِّرٍ صوتي هو الأذان؛ يجعل الجسم يسير في نسق مترابط جداً مع البيئة الخارجية. ويحصل من جراء ذلك انسجام تام بين المواعيد

---

(١) علماً أن لإفراز «الميلاتونين» بانتظام صلة وثيقة بالنضوج العقلي، والجنسي للإنسان، ويكون هذا الانتظام باتباع الجسم لبرنامج ونظام حياة ثابت.

البيولوجية داخل الجسم، والمواعيد الخارجية للمؤثرات البيئية كدورة الضوء ودورة الظلام، والمواعيد الشرعية بأداء الصلوات الخمس في مواقيتها»[١].

وهكذا فإن حِكمة التشريع في مواقيت الصلواتِ الخمس زاخرة بالفوائد الشرعية، والأسرار العلمية، فالله ﷻ حكيم لم يشرع شيئاً إلا لفائدة ومقصد عظيم، فهو الذي خلق الإنسان وأوجده، وهو سبحانه خالق الكون المحيط بهذا الإنسان، وهو الذي وضع الشرع حلقة ربط بين الإنسان والكون.

ولذا نرى أن الالتزام بأداء الصلوات الخمس في أوقاتها، هو أدق أسلوب يضمن توافقاً كاملاً مع أنشطته اليومية، مما يؤدي إلى أعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري.

❁ ❁ ❁

(١) قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٢١٤، ٢١٥).

المبحث الرابع

حركات الصلاة

رؤية تحليلية[١]

تمهيد

تخضع الحركات البدنية التي يقوم المسلم بها أثناء الصلاة، لنظام رياضي فريد: «هو تقليص العضلات وتوازنها الذاتي[٢]» حيث تنقبض العضلات إرادياً بقوة وصبر، ثم تنبسط بذات الطريقة بصفة متكررة. ما يجعل حركات الصلاة: من وقوف، وتكبير، وركوع، وسجود، وقيام، تمرينات رياضية تتوافق تماماً مع متطلبات المجهود الرياضي الصحي، بدون إجهاد أو حدوث إصابات.

ولو طالبنا أي متخصص في الرياضة، أن يجمع لنا في وقت واحد وفي دقائق معدودة؛ ما فيها من حركات بدنية شاملة لجميع مفاصل وعضلات الجسم؛ لما استطاع ذلك.

---

(١) مقتبس من: سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٤٤٢، ٤٤٣).

(٢) حامد، أحمد، «رحلة الإيمان في جسم الإنسان»: (ص٤٩٣)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

كما إننا نجد أن حركات الصلاة البدنية، شاملة لجميع مفاصل وعضلات الجسم، وتناسب جميع الأعمار، وكافة أنماط الأجسام البشرية.

فنحن نشاهد كيف أن العجوز، والكهل، والبدين، يقوم كل منهم بأداء حركات الركوع والسجود، والقيام دون عناء، في يسر وسهولة في الأداء، بينما لا يستطيع غيرهم ـ غالباً ـ في مثل هذا السن القيام بها دون تمرينات مسبقة.

ولعل في هذه الميزة الرائعة، ـ والتي لا تتوفر في أي تمرين رياضي يصلح لجميع الأعمار والأجناس والأنماط البشرية ـ ما يؤكد أهمية الصلاة في إكساب الجسد الصحة والعافية.

وسوف أستعرض حركات الصلاة البدنية، وأجتهد في بيان ثمرة كل حركة منها على الجسم، من أول التكبير إلى التسليم. وذلك حسب التفصيل التالي:

أولاً: فائدة القيام في الصلاة

تبدأ الصلاة باتجاه القبلة في وضع الوقوف، فيقف المصلي على قدميه منفرجتين قليلاً، لمسافة تحفظ عليه توازنه حين يهبط إلى السجود، وحين ينهض واقفاً منه، وهذه الوقفة سبب في تقوية الأعصاب[1].

كما إنها تفيد الجسم في إعطاء العمود الفقري شكله القائم

(١) المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٦٣).

الانسيابي، من غير ميلٍ إلى أحد الجانبين أو انحناء إلى الأمام[١].

ثانياً: فائدة حركة رفع اليدين في التكبير

يستأذن العبد للوقوف أمام المولى ﷻ في خشوع عن طريق التكبير، برفع الذراعين أماماً عالياً، مع ثني المرفقين حذو المنكبين، ثم خفض الذراعين أماماً أسفل لإسنادهما تحت الصدر.

وبعد التلاوة يخفض الذراعين إلى أسفل، ثم يرفعهما لأعلى مرة أخرى، استعداداً لحركة الركوع[٢]، حسب التسلسل التالي:

رفع الذراعين

ثني الساعدين

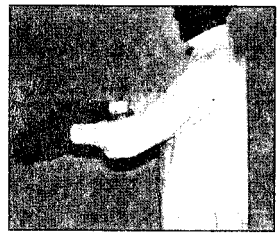

مد الساعدين

(١) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٧٣).

(٢) سالم، مختار «الطب بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٤٣).

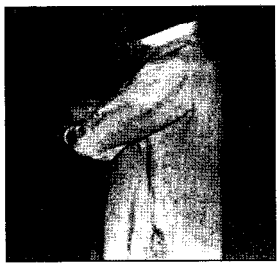

تدوير للداخل أو خفض لأسفل

تدوير للخارج

روى نافع: «أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلاةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ وَرَفَعَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ»[1].

دلَّ الحديث على مواضع رفع اليدين في الصلاة، وأنها تتكرر في اليوم ٩١ مرة، وذلك حسب الجدول التالي:

□ جدول عدد مرات تكرار رفع اليدين في الصلاة في اليوم:

في الركعة الواحدة يوجد رفع اليدين: مرتين، بالإضافة إلى رفع اليدين:

١ ـ عند تكبيرة الإحرام.

٢ ـ عند القيام للركعة الثالثة.

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان باب رفع اليدين إذا قام من الركعتين: (ح٧٣٩).

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السُّنَّة	المجموع
الفجر	٥	٥	١٠
الظهر	١٠	١٥	٢٥
العصر	١٠	١٠	٢٠
المغرب	٨	٥	١٣
العشاء	١٠	١٣	٢٣
المجموع	٤٣	٤٨	٩١

المجموع الكلي في اليوم هو ٩١ مرة.

وهكذا يكون مجموع عدد مرات تكرار حركة رفع اليدين: في اليوم ٤٣ مرة في الفرائض، + ٤٨ مرة في السُّنَّة = ٩١ مرة في اليوم الواحد. والحد الأدنى هو ٤٣ مرة في اليوم. إذا لم يُصَلِّ المسلم سوى الفرائض.

وبذلك تكون جميع مفاصل، وعضلات الذراعين، والصدر، والكتفين، قد حصلت على التحركات اللازمة[١]، وحدث تدليك ذاتي موضعي لعضلة الحجاب الحاجز[٢]، وأعلى منطقة المعدة، عن طريق الاستناد والضغط باليدين على هذه الأجزاء أثناء فترة تلاوة القرآن الكريم[٣].

---

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٣٣).

(٢) **عضلة الحجاب الحاجز**: هي عضلة غشائية رقيقة، وهي من أهم عضلات التنفس، وسمِّيت كذلك لأنها تكوِّن الحجاب الحاجز بين تجويف الصدر وتجويف البطن، وهي عضلة على شكل قبة. الطرشة، عدنان، م ـ ن: (ص١١٣).

(٣) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٤٣).

مواقع العضلات العاملة في رفع اليدين[١]

كما إن تكرار رفع اليدين، يساعد على تحسين الهيئة في الحزام الكتفي وأعلى الجسم[٢]. ويعد بمثابة جرعة تنشيط للدورة

---

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٣٣).

(٢) الطرشة، عدنان م ـ ن: (ص١٠٢)، وانظر: المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٦٦).

الدموية بالأطراف من آن لآخر[١].

وفي الكشف عن هذه الفوائد العظيمة تتجلى أمام المسلم ـ والمُنْصِف ـ حِكمة تشريع رفع اليدين في الصلاة، حيث جعل له تقوية اليدين خمس مرات في اليوم، كجزء لا يتجزأ من عبادة يومية متكررة.

ثالثاً: فائدة حركة الكف في الصلاة وتكرارها

إن لحركة الكف في الصلاة وتكرارها فوائد بدنية كثيرة، تنتج عن المواظبة على الصلاة، ولا يشعر بها إلا المسلم المصلي.

ولذا رأينا أن النبي ﷺ يكرر ثني وفرد الكف في عدة مواضع في الصلاة، حسب التفصيل الآتي:

١ ـ الوقوف:

كان رسول الله ﷺ **«يضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد»**[٢].

---

(١) حامد، أحمد «رحلة الإيمان في جسم الإنسان»: (ص٤٩٦).

(٢) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة، باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة: (ح٧٥٥)، النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة: (ح٨٩١).

الكف الأيمن على ظهر الكف الأيسر والرسغ والساعد

وكان ﷺ: «إذا كان قائماً في الصلاة قبض بيمينه على شماله»[١].

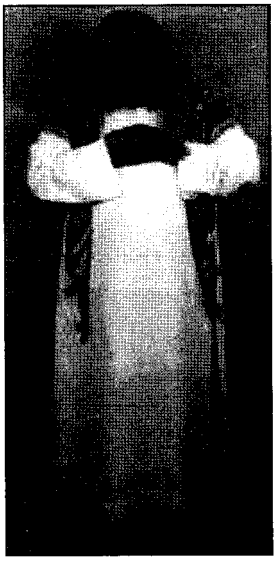

القبض باليمنى على اليسرى

(١) النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الافتتاح، باب موضع اليمين من الشمال في الصلاة: (ح٨٨٩).

٢ ـ الركوع:

فقد كان النبي ﷺ: «**يضع يديه على ركبتيه كأنه قابض عليهما**[١]، **وكان يأمر بوضع اليدين على الركب**»[٢].

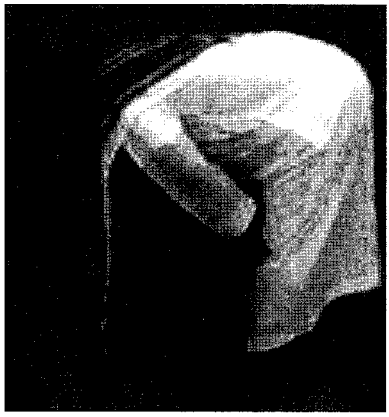

وضع الكفين على الركبتين

---

(١) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة: (ح٧٣٠)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، أبواب الصلاة، باب ما جاء أنه يجافي يديه عن جنبيه في الركوع: (ح٢٦٠). وقال أبو حميد في أصحابه: «أمكن النبي ﷺ يديه من ركبتيه»، البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب سُنَّة الجلوس في التشهد: (ح٨٢٨).

(٢) قال مصعب بن سعد: صليت إلى جنب أبي فطبَّقت بين كفَّيَّ ثم وضعتُهما بين فخذيَّ، فنهاني أبي وقال: كنا نفعله فنُهينا، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب. البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب وضع الأكف على الركب في الركوع: (ح٧٩٠)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع ونسخ التطبيق: (ح١١٩٤).

٣ ـ السجود:

عند أداء السجود يحصل ثني للكفين يعقبه فرد لهما عند الجلوس من السجود[١].

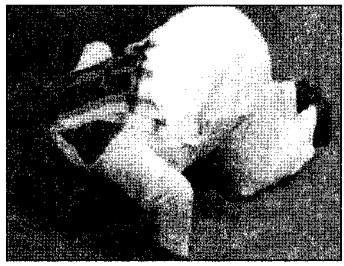

الاعتماد على الكفين

وهكذا تتكرر حركة الكف في صلاة الفريضة والنافلة في اليوم ١٤٤ مرة، حسب الجدول التالي:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٨	٨	١٦
الظهر	١٦	٢٤	٤٠
العصر	١٦	١٦	٣٢
المغرب	١٢	٨	٢٠
العشاء	١٦	٢٠	٣٦
المجموع	٦٨	٧٦	١٤٤

المجموع الكلي في اليوم هو ١٤٤ مرة.

---

(١) كان النبي ﷺ: «**إذا أراد السجود كبر وسجد، ووضع كفيه على الأرض**». السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع السجود: (ح٨٥٨).

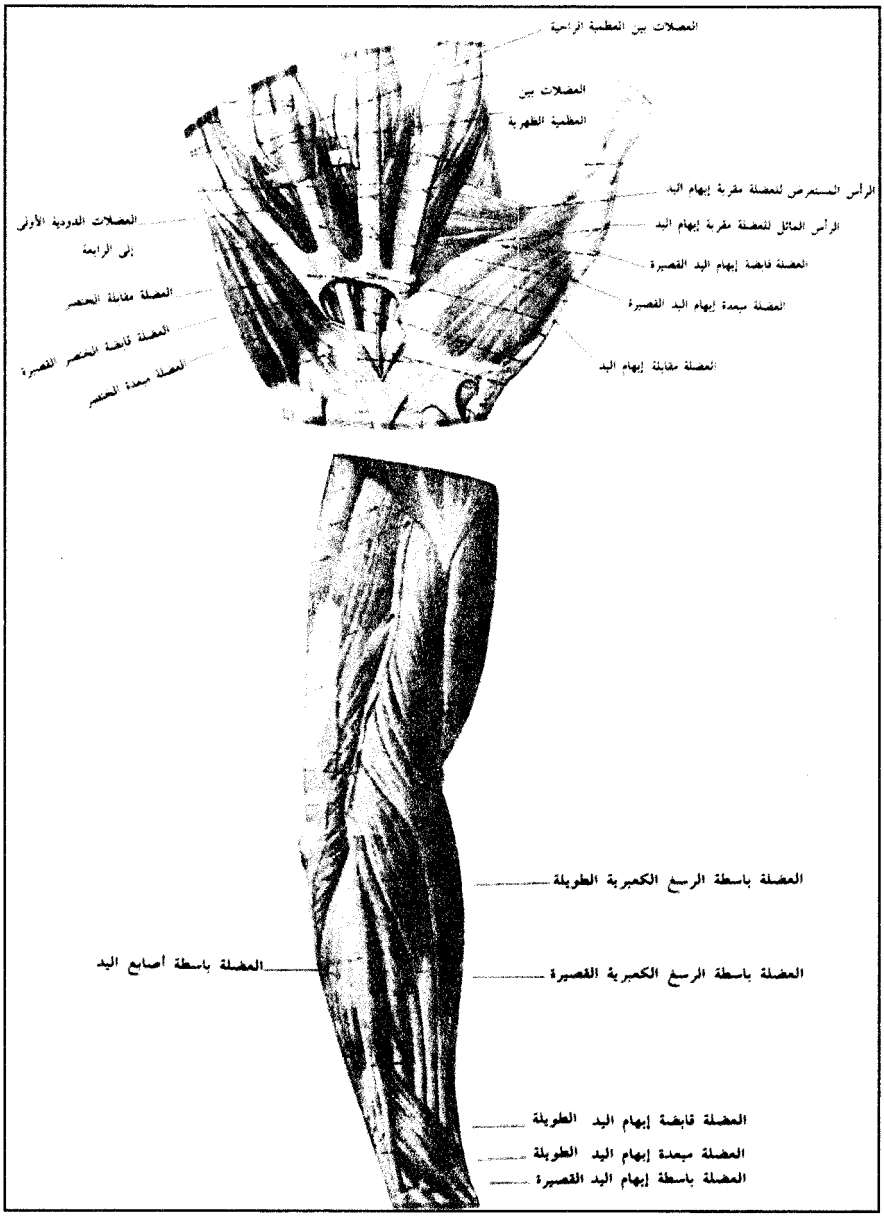

مواقع العضلات العاملة في حركة الكف[١]

---

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٣٤، ٣٣٥).

إذاً مجموع عدد مرات تكرار ثني وفرد الكفين في الصلاة في اليوم: ٦٨ مرة في الفرائض + ٨٦ مرة في السنن = ١٤٤ مرة في اليوم الواحد. والحد الأدنى هو ٩٨ مرة في اليوم إذا لم يصلِّ المسلم سوى الفرائض.

ولِثَنْيِ وفَرْدِ هذا العضو الصغير هناك أكثر من ٢٧ عضلة تشترك وتعمل معاً لتنفيذ هذه الحركة؛ ما يجعل هذه العضلات تقوى، وتنمو، وتستفيد من تكرار أداء حركة الكف في الصلاة.

كذلك فإن وضع اليد اليمنى على اليسرى يمنع ركود الدم بالأطراف العليا ويحول دون تَخَثُّرِهِ بالأوردة[١].

فأنعم بها من فائدة عاجلة لبدن المصلي تنتج عن مواظبته على أداء الصلاة.

رابعاً: الركوع

تبدأ حركة الركوع بثني الجذع أماماً، بحيث يشكل الظهر خطاً أفقياً مستقيماً موازياً لسطح الأرض.

ويحدث انثناء لمفصلي الفخذين، بينما يكون مفصلا الركبتين ممتدين، ولزيادة التأكد من امتدادهما وعدم ثنيهما، توضع اليدان عليهما بغرض تثبيتهما في وضع الامتداد. كما يظهر في الشكل التالي:

---

(١) حامد، أحمد «رحلة الإيمان في جسم الإنسان»: (ص٤٩٥، ٤٩٦).

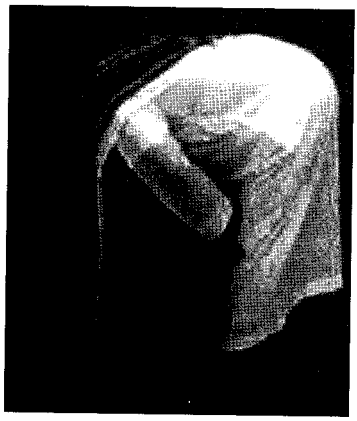

ثني الجذع للأمام (الركوع)

يتكرر أداء حركة الركوع يومياً على الأقل ١٧ مرة في الصلوات الخمس، ويصل إلى ٣٦ مرة بإضافة السنن.

كما هو واضح في الجدول التالي:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٢	٢	٤
الظهر	٤	٦	١٠
العصر	٤	٤	٨
المغرب	٣	٢	٥
العشاء	٤	٥	٩
المجموع	١٧	١٩	٣٦

ونتيجة لتكرار هذه الحركة[١]: نحصل مع الوقت على فوائد بدنية كثيرة جداً وهامة جداً، يمكن تفصيلها فيما يلي:

---

(١) يسمى بلغة التمارين الرياضية: (ميل الجذع للأمام).

١ ـ فائدة تقوية العضلات والمفاصل:

تعمل في الركوع مجموعة كبيرة من العضلات[١]، وهي في

---

(١) أهم العضلات العاملة في الركوع ومواقعها:

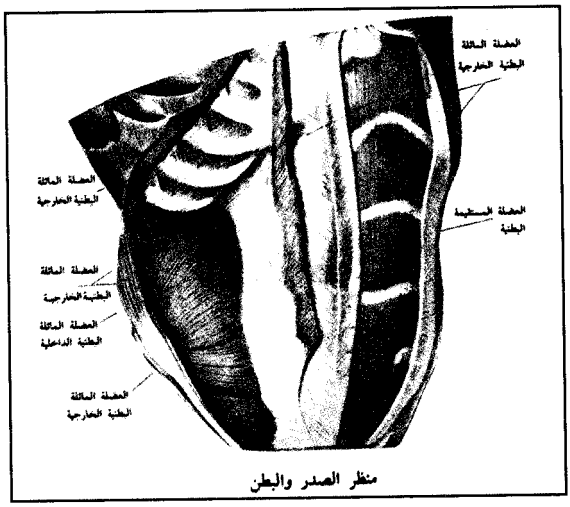

منظر الصدر والبطن

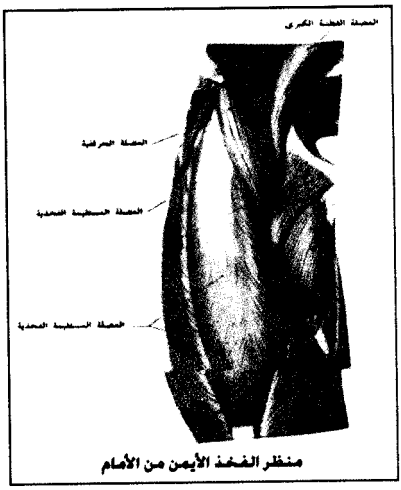

منظر الفخذ الأيمن من الأمام

أ ـ العضلة المستقيمة البطنية.

ب ـ العضلة المائلة البطنية الخارجية.

ج ـ العضلة المائلة البطنية الداخلية.

د ـ العضلة الحرقفية.

هـ ـ العضلة القطنية الكبرى.

و ـ العضلة الآلية الكبرى.

ز ـ العضلة المستقيمة الفخذية.

مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٣٦، ٣٣٧).

انقباضها ومقاومتها لقوة الجاذبية الأرضية، تساعد على تنمية وتحسين القوة العضلية.

ومع ثبات وإطالة فترة الركوع، تحدث استطالة لألياف العضلات خلف الساقين. وتعمل على اتزان درجة انقباض عضلات الفخذ الأمامية والخلفية، وتعمل على تقويتها، وبذلك تقي من تَمَزُّقِها أثناء الأعمال الحياتية اليومية، وتُحَسِّن النغمة العضلية فيها[١].

٢ ـ فائدة زيادة مرونة العمود الفقري وتقويته:

يساعد الركوع على زيادة مرونة وتقوية الأربطة والعضلات على امتداد العمود الفقري، مما يخفف أو يقي من الإصابة بأوجاع الظهر، والانزلاق الغضروفي[٢].

---

(١) **النغمة العضلية**: إن العضلة في حالتها الطبيعية، تكون منقبضة انقباضاً جزئياً؛ أي: في حالة استعداد وتأهب للعمل فوراً، وهذا ما نسميه بالنغمة العضلية. وفقدان مجموعة محددة من العضلات لنغمتها، تكون مسؤولة عن بعض التشوهات كتفلطح القدمين واستدارة الظهر... وعدم وجود النغمة العضلية، يجعل العضلة تبدأ الحركة من الصفر تقريباً. ولا تكف العضلة عن نغمتها إلا في حالة الوفاة، كما إنها تصبح ضعيفة النغمة في حالة الشلل، وتحسُّن النغمة العضلية يزيد من كفاءة العضلة لأداء عملها بقدرة وكفاءة. الطرشة، عدنان، «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٧٢).

(٢) تعتبر الصلاة الإسلامية، وما تشتمل عليه من حركات الركوع وغيرها، من أهم وسائل العلاج الطبيعي لمن تجرى لهم عمليات جراحية في العمود الفقري، ولمرضى العمود الفقري عموماً. فلقد قام الدكتور شفيق الزيات (أستاذ جراحة الأعصاب بكلية الطب جامعة البصرة ـ العراق) بأبحاث؛ أوصلته إلى ابتكار طريقة لجراحة الفقرات والانزلاق =

كذلك فإنه عندما يميل المصلي بجذعه للأمام في حركة الركوع، فإن العمود الفقري يتمدد، وتتباعد فقراته، ويزداد طوله بضعة «سنتمترات» في الركوع عن طوله في الوقوف. وهذا يؤمن للعمود الفقري المرونة اللازمة ويمنع التيبس فيه، وبالتالي يمنع من حدوث بعض التشوهات[١].

٣ ـ تنشيط عمل الرئتين وزيادة مرونة الصدر:

يساعد الركوع على زيادة مرونة الصدر، وتنشيط عمل الرئتين، وطرد الهواء الفاسد منهما، والذي لا يخرج جميعه إلا بزفير قسري، كالذي يمارسه الرياضي للتخلص من التعب.

وأثناء الركوع نجد أن المصلي يطبق هذا الزفير القسري الضروري لجهاز التنفس، وذلك عندما يميل بجذعه للأمام للركوع، فتضغط أحشاء البطن على عضلة الحجاب الحاجز باتجاه الأعلى

= الغضروفي سنة ١٩٨٥م...، وقد سجَّل الزيات هذا الابتكار في الأكاديمية الأمريكية، وأطلقوا عليه «طريقة الزيات». وسجلت باسمه في الولايات المتحدة الأمريكية... والطريف في الأمر: أن الصلاة كانت العلاج الطبيعي لهؤلاء الذين أجرى لهم الدكتور الزيات جراحات في العمود الفقري، والانزلاق الغضروفي، وقد نجحت كل حالاته ١٠٠٪. وفي أسرع وقت شفي المرضى، وزاولوا أنشطة حياتهم. المحمد، محمد نجدات «الخشوع في الصلاة»: (ص٦٤).

(١) (انحناء الظهر أو تحدُّبَه، الانحناء الجانبي، التجويف القطني، تسطح الظهر...) كما يفيد في علاجها. اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٧٣).

نحو الصدر، فتضغط بدورها على الرئتين، فينتج عن ذلك زفير قسري يُخْرِج كل الهواء الفاسد المتبقي في الرئتين، ليحل محله هواء جديد غني بالأوكسجين اللازم لحياة الجسم، كما أن التسبيح في الركوع وهو بصوت مهموس يزيد من تقلص عضلة الحجاب الحاجز، ويساهم في إخراج الهواء الفاسد من الرئتين، من خلال الزفير القسري أو الجبري[١]. وهذه العملية تؤدي إلى انشراح الصدر، وتبعث على الحركة والنشاط، كما أن إفرازات الجهاز التنفسي المتراكمة في القُصَيْبات الهوائية، والقصبات، والرغامى، يسهِّل التخلص منها، مما يزيد من انشراح الصدر عند التنفس، مع المحافظة على مرونة الرئتين، وتقوية عضلات التنفس وخاصة الاحتياطية[٢].

٤ ـ فائدة تنشيط عمل الجهاز الهضمي:

يؤثِّر الركوع على أعضاء الجهاز الهضمي، وينشط عملها مما يساعد على عملية الهضم؛ لأنه أثناء ميل الجذع للأمام في الركوع تنغمز المعدة والأمعاء، فتدب فيهما الحركة، ويبدأ الجهاز بالعمل، فيكون الركوع وقاية من عسر الهضم وعلاجاً له، حيث يندفع ألم عسر الهضم أثناء القيام بحركة الركوع، وتعود عملية الهضم إلى طبيعتها.

---

(١) علوان، فارس «وفي الصلاة صحة ووقاية»: (ص١٢٥)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١١٣).

(٢) حامد، أحمد «رحلة الإيمان في جسم الإنسان»: (ص٤٩٦، ٤٩٧).

وكذلك فإن في الركوع وقاية من الإمساك وعلاجاً له، فبالركوع تنشط الأمعاء فتدفع الفضلات إلى خارج الجسم بصورة طبيعية[١].

٥ ـ فائدة تغذية الرأس والدماغ بالدم:

من أهم الفوائد التي تحصل في الركوع: تغذية الرأس والدماغ بالدم. فعند ميل المصلي بجذعه إلى الأمام في الركوع؛ فإن الدم يجري نحو الرأس فيتم بذلك تغذية الدماغ بالدم[٢]، والفوائد من تغذية الدماغ بالدم لا يمكن حصرها[٣].

٦ ـ فائدة تنشيط دفع الدم نحو القلب:

أثناء الركوع يكون العمود الفقري أفقياً مما يزيل تأثير الجاذبية الأرضية على سريان الدم إلى القلب، فيتغذى القلب بصورة أفضل[٤]. كما إن احتفاظ عضلات العنق بوضعية ثابتة أثناء الركوع، تزيد العود الوريدي إلى القلب، وتنشِّط المضخة الوريدية في البطن لتدفع بالدم نحو القلب؛ مستفيدة من انقباض جدار البطن، ومن تقليل عمل الجاذبية الأرضية المعوِّقة لحركة الدم من أسفل إلى أعلى، مما يجعل للقلب قدرة عجيبة على سحب الدماء[٥].

---

(١) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١١٣).
(٢) ولهذا يندر بين المصلين أعراض التيه أو الخرف الشيخي. حامد، أحمد، م ـ س: (ص٤٩٦).
(٣) حامد، أحمد، «رحلة الإيمان في جسم الإنسان»: (ص٤٩٦، ٤٩٧).
(٤) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٧٣).
(٥) الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٢٧).

خامساً: فائدة الاعتدال من الركوع[١]

تبدأ حركة الرفع من الركوع بانقباض عضلات العنق لرفع الرأس أولاً، ثم عضلات الظهر لمد الجذع عالياً ليعتدل واقفاً، مع استرخاء الذراعين بعد الرفع. كما يظهر في الرسم التالي:

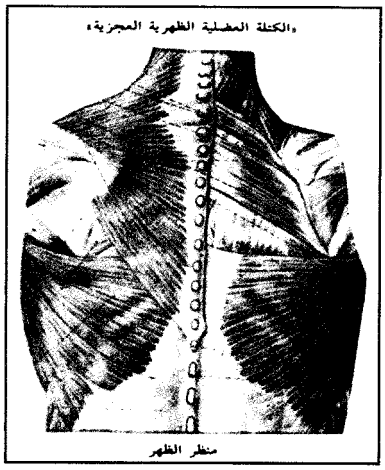

عضلات الظهر العاملة
في
حركة الرفع من الركوع[٢]

تكرر هذه العملية في الصلوات الخمس والنافلة ٣٦ مرة، حسب الجدول التالي:

---

(١) عن أبي حميد الساعدي ﷺ في وصفه صلاة النبي ﷺ: «... **وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب سُنَّة الجلوس في التشهد: (ح٨٢٨).

(٢) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٣٨).

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٢	٢	٤
الظهر	٤	٦	١٠
العصر	٤	٤	٨
المغرب	٣	٢	٥
العشاء	٤	٥	٩
المجموع	١٧	١٩	٣٦

المجموع الكلي في اليوم هو ٣٦ مرة.

ونتيجة لهذه الحركة تصبح عضلات البطن في وضع بين الانقباض والاسترخاء، ويخف الضغط داخل تجويف البطن بدرجة ملحوظة، فتهبط عضلة الحجاب الحاجز إلى أسفل مؤدية إلى حدوث شهيق عميق لا إرادي، يعقبه زفير لا يقل عنه شدة. وهذا يؤدي إلى اندفاع الدم من تجويف البطن والأطراف نحو القلب. وهذا يتيح الفرصة للدماء المحتقنة في الطرفين السفليين؛ للاندفاع إلى أوردة البطن، ومنها إلى القلب[١].

كذلك فإن عملية الركوع والاعتدال منه تؤدي إلى المحافظة على الألياف العضلية خلف الفخذين من التمزق، وكذا أربطة وعضلات العمود الفقري، ونشاط الجهاز الهضمي[٢].

(١) الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٢٧).
(٢) اللبان، فائزة «مقاصد الصلاة التعبدية والصحية»: (ص٧٤).

سادساً: فائدة النزول إلى السجود والقيام منه

ينتقل المصلي من الوقوف إلى السجود بحركة هوي تشمل كامل الجسم مرة واحدة على الأرض، ثانياً جميع مفاصله.

ثني الرجلين للنزول

يستخدم من أجل تنفيذ هذه الحركة مجموعة كبيرة من العضلات، كما يظهر في الرسم التالي[١]:

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٣٩).

مواقع العضلات العاملة في حركة النزول والقيام

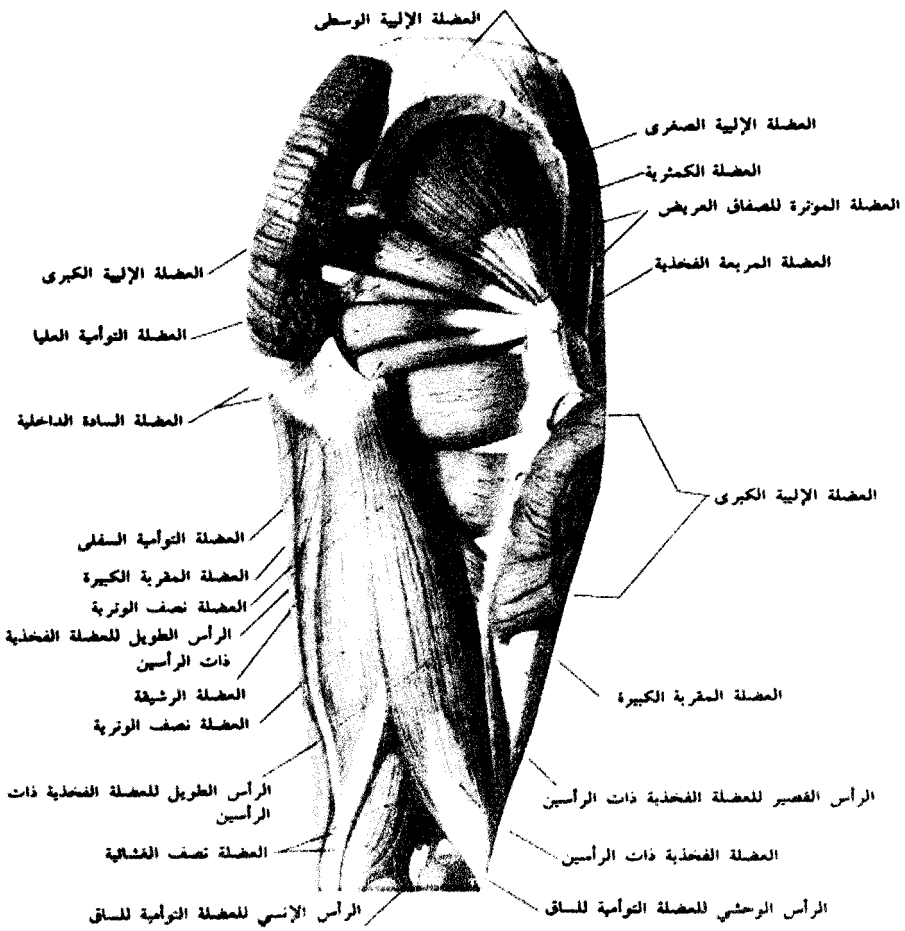

منظر الفخذ الأيمن من الخلف

تتكرر هذه العملية في الصلوات الخمس والنافلة ٣٦ مرة، حسب الجدول التالي:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٢	٢	٤
الظهر	٤	٦	١٠
العصر	٤	٤	٨
المغرب	٣	٢	٥
العشاء	٤	٥	٩
المجموع	١٧	١٩	٣٦

المجموع الكلي في اليوم، هو ٣٦ مرة.

ومن خلال هذه الحركة يستفيد المصلي عدة فوائد بدنية، منها:

١ ـ فائدة تقوية العضلات والمفاصل العاملة:

إن تكرار حركة النزول والقيام في الصلاة، يؤدي إلى تقوية جميع العضلات العاملة وتحسين نغمتها. كما إن هذه الحركة تحافظ على مرونة المفاصل العاملة، وهي مفاصل الفخذ، والركبة، والكعب، وتمنع التيبس فيها، وتؤدي إلى الانتشار السليم للسائل داخلها. خاصة داخل مفصل الركبة. كذلك تحافظ على مرونة الأوتار والأربطة في الركبة، وفي المفاصل الأخرى.

٢ ـ فائدة تنشيط الدورة الدموية:

تساهم حركة النزول والقيام في تنشيط الدورة الدموية، وهذه

الفائدة ينتج عنها عدة فوائد أخرى، مثل: توسيع الشرايين والأوردة، وإزالة الكولستيرول، وحرق الدهون والشحوم، ومنع تصلب الشرايين، وغير ذلك من الفوائد الهامة.

كما إن حركة النزول تستنفر إلى أقصى طاقة عمل كافة المضخات الوريدية الجانبية، وهي مضخة القدم، ومضخة الساق، ومضخة الفخذ، ومضخة البطن، وانقباض العضلات عن تلك المساحة في حركة واحدة؛ يعتصر الدماء الوريدية داخل الشعيرات الدموية بين نسيجها، ويدفع الدم بلا هوادة نحو تجويف القلب[١]. وهذا له من الفوائد ما له. ومن هذه الفوائد: الوقاية من مرض دوالي الساقين[٢].

فوائد متنوعة: وهناك فوائد أخرى لحركة النزول والقيام في الصلاة، مثل: إكساب التوازن والرشاقة، حيث إن المصلي في آخر مرحلة النزول وقبل السجود يكون مرتكزاً فقط على أصابع قدميه. وكذلك تفيد هذه الحركة في تعليم وتنمية التوافق، واستثارة وتقوية الانتباه والتركيز[٣].

---

(١) علوان، توفيق «معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين»: (ص١٧٤، ١٧٥)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٢٠).

(٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن حِكمة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين: (ص٤٠٥)، هامش (١).

(٣) الطرشة، عدنان، م ـ ن.

سابعاً: فائدة حركة القدم في الصلاة

أثناء النزول من القيام إلى السجود يحصل قبض وبسط للقدمين، كما يحصل قبض القدمين في السجود أيضاً:

قبض وبسط القدمين في النزول والقيام

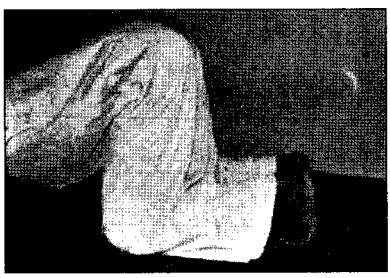

قبض القدمين في السجود

يقول صاحب كتاب «الصلاة والرياضة والبدن»:

إن حركة هذا العضو الصغير نسبياً ـ مع كامل الرِّجل ـ يشترك في تنفيذها عدد من العضلات يقارب الثلاثين: منها ما هو في نفس القدم، ومنها ما هو في الساق، كما يظهر في الرسم التالي:

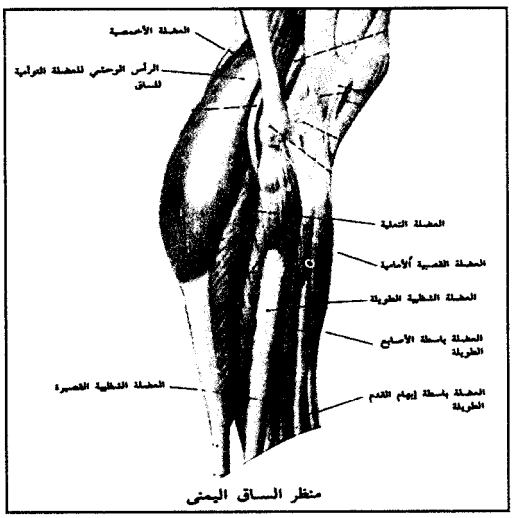

مواقع العضلات العاملة في حركة القدم[1]

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٤٠).

مواقع العضلات العاملة في حركة القدم[1]

كما أن هناك مواضع أخرى غير حركة النزول والقيام تنفذ في حركة القدم:

بسط ولف القدم في الجلوس

ويبلغ عدد تكرار حركة القدم في صلاة الفريضة والنافلة في اليوم ٧٢ مرة، حسب الجدول التالي:

---

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان، «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٤١).

الركعة الواحدة مرتين:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٤	٤	٨
الظهر	٨	١٢	٢٠
العصر	٨	٨	١٦
المغرب	٦	٤	١٠
العشاء	٨	١٠	١٨
المجموع	٣٤	٣٨	٧٢

المجموع الكلي في اليوم، هو ٧٢ مرة.

إن تكرار حركة القدم عشرات المرات في اليوم يؤدي إلى تقوية جميع هذه العضلات التي تقوم بتنفيذ هذه الحركة، كما يؤدي إلى تقوية وزيادة مرونة المفاصل في القدم والأصابع، وزيادة تقوية مطاطية الأوتار والأربطة[١].

فليهنأ المسلم المحافظ على الصلاة بهذه الفوائد الصحية، والرياضات البدنية، التي يجنيها في الدنيا، وما عند الله خير وأعظم أجراً.

ثامناً: فائدة السجود الصحية

قبل الخوض في تفصيل فوائد السجود البدنية ومنافعها الدنيوية التي يحصل عليها المصلي، لا بد من تقسيم حركة السجود إلى أربعة أقسام:

---

(١) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٢٢، ١٢٣).

١ ـ حركة اليدين.

٢ ـ حركة الجذع.

٣ ـ حركة الرجلين.

٤ ـ هيئة السجود وهي الجزء الأهم.

◻ أولاً: حركة اليدين في السجود:

قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُم: عَلَى الْجَبْهَةِ ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ ـ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ**»(١).

وقال رسول الله أيضاً: «**إِذَا سَجَدْتَ فَضَعْ كَفَّيْكَ وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ**»(٢).

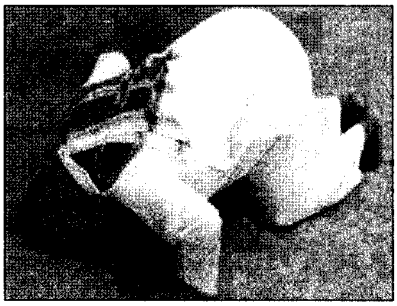

ثني اليدين في السجود

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الصلاة، باب السجود على الأنف: (ح٨١٢)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة: (ح١٠٩٨).

(٢) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود، ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين عن الجانبين: (ح١١٠٤).

جدول عدد مرات تكرار حركة اليدين في السجود، الركعة الواحدة مرتين:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٤	٤	٨
الظهر	٨	١٢	٢٠
العصر	٨	٨	١٦
المغرب	٦	٤	١٠
العشاء	٨	١٠	١٨
المجموع	٣٤	٣٨	٧٢

المجموع الكلي في اليوم هو ٧٢ مرة.

إن تكرار حركة اليدين في السجود ٧٢ مرة في اليوم أو ٣٤ مرة إذا اقتصر المصلي على الفرائض؛ يؤدي إلى تقوية وزيادة مرونة مفاصل الكتف، والمرفق، والكف، نظراً لاستخدام اليدين في دفع الأرض لرفع الجسم لأعلى للجلوس أو للوقوف.

دفع الأرض باليدين ومدهما للجلوس أو للوقوف

وفي التمارين الرياضية تمرين (ضغط اليدين) أو (دفع لأعلى) ويعتمد على: ثني ومد اليدين. كما يبدو في هذه الصور:

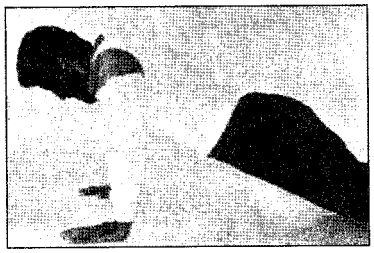

انبطاح وثني اليدين

دفع الأرض باليدين ومدهما

ونلاحظ من خلال هذه الصور: أن حركة اليدين هذه هي تماماً كحركة اليدين التي يقوم بها المصلي عندما يسجد ثم يجلس، ثم يسجد ثم يجلس، وإن كانت شدة الحمل في هذه الحركة أخف.

والهدف الذي من أجله يمارس الرياضي هذا التمرين هو بالدرجة الأولى لتقوية اليدين، والكتفين، والصدر، ونفس هذه الفوائد يحصل عليها المصلي بتنفيذه لهذه الحركة في السجود.

◻ ثانياً: حركة الجذع في السجود:

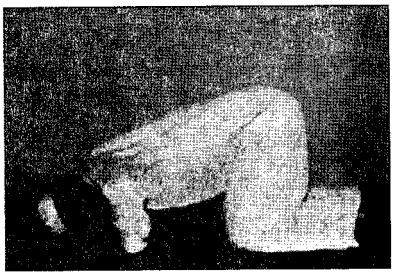

ثني الجذع للسجود

مد الجذع للجلوس

جدول عدد مرات تكرار حركة الجذع في السجود، الركعة الواحدة مرتين، حسب الجدول التالي:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٤	٤	٨
الظهر	٨	١٢	٢٠
العصر	٨	٨	١٦
المغرب	٦	٤	١٠
العشاء	٨	١٠	١٨
المجموع	٣٤	٣٨	٧٢

المجموع الكلي في اليوم هو ٧٢ مرة.

فوائد حركة الجذع في السجود:

في هذه الحركة التي يقوم بها المصلي بين الجلوس والسجود، لا يوجد عضلة إرادية إلا وتعمل بها، حتى عضلات الرقبة تشترك في هذه الحركة عند انخفاض الرأس إلى السجود والرفع منه، وعند وضع الجبهة على الأرض. كما إن في هذه الحركة تقوية للعضلات العاملة، وتنشيط الدورة الدموية، وتنشيط الجهاز الهضمي، وإزالة التوتر من الجسم، وزيادة مرونه مفاصل العمود الفقري، ومفصل الفخذ.

❐ ثالثاً: حركة الرجلين في السجود:

دفع ومد بالرجلين للسجود

ثني الرجلين للجلوس

جدول عدد مرات تكرار حركة الرجلين في السجود، الركعة الواحدة: مرتين:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٤	٤	٨
الظهر	٨	١٢	٢٠
العصر	٨	٨	١٦
المغرب	٦	٤	١٠
العشاء	٨	١٠	١٨
المجموع	٣٤	٣٨	٧٢

المجموع الكلي في اليوم هو ٧٢ مرة.

الفائدة البدنية لحركة ثني ومد الرجلين في السجود:

هناك عضلات كثيرة تشترك وتعمل معاً لتنفيذ هذه الحركة، مما يؤدي إلى تقويتها وزيادة مرونتها جميعاً.

كما يستفيد من هذه الحركة: مفاصل الفخذ، والركبة، والكعب، حيث تزداد مرونة هذه المفاصل ويمنع التيبس فيها. كذلك المحافظة على مرونة الأوتار والأربطة داخل هذه المفاصل. وخاصة الركبة[١].

❑ رابعاً: هيئة السجود:

في هذه الهيئة يكون الجسم ثابتاً دون حركة، والمصلي

(١) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٣٢).

ساجداً، ذاكراً، داعياً، ومتأمِّلاً، حيث هو أقرب ما يكون إلى الله[١].

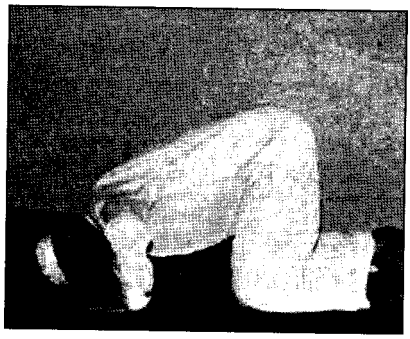

هيئة السجود

فيقوم بهذه الحركة ٧٢ مرة إذا كان المصلي مواظباً على السنن، أو على الأقل ٣٤ مرة إذا كان مواظباً على أداء الفرائض فقط.

كما يتبين من خلال الجدول التالي: جدول عدد مرات تكرار هيئة السجود في الصلاة:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٤	٤	٨
الظهر	٨	١٢	٢٠
العصر	٨	٨	١٦
المغرب	٦	٤	١٠
العشاء	٨	١٠	١٨
المجموع	٣٤	٣٨	٧٢

المجموع الكلي في اليوم هو ٧٢ مرة.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**». ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود: (ح١٠٨٣).

إن تكرار المصلي للسجود هذا العدد في اليوم؛ له من الفوائد الأخروية ما لَا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[١].

كما أن للسجود فوائد صحية متعددة، أثبتتها الدراسات الطبية المعاصرة، يحصل عليها المسلم بمواظبته على أداء السجود، وكانت هذه الفوائد مثار إعجاب لكل الأطباء ـ غير المسلمين ـ الذين درسوا أفعال الصلاة[٢].

□ أهم الفوائد البدنية لهيئة السجود:

وفيما يلي نستعرض أهم الفوائد البدنية لهيئة السجود في الصلاة:

١ ـ تغذية الرأس والدماغ بالدم:

أثبتت الدراسات الطبية أن لحركة السجود تأثيرات بالغة على الدورة الدموية، فقد تبين أن قابليات الإنسان الذكائية والفكرية؛ تزداد عند قدوم كميات كبيرة من الدماء لتروية الحجر الدماغية[٣]، وأن انخفاض ضغط الدم بشكل سريع ومفاجئ في الرأس؛ وتكرار

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**». ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه: (ح١٠٩٣).

(٢) الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٢٩).

(٣) انظر: حِكمة الصلاة في تنمية ملكة حصر الذهن: (ص٣١٢).

عملية اندفاع الدم بقوة وبسرعة في حركات الركوع والسجود؛ يؤدي إلى زيادة التروية داخل القحف[١].

كما أن السجود الطويل يؤدي إلى انخفاض ضغط الدم بشكل سريع ومفاجئ في الرأس، وبتكرار عملية اندفاع الدم بقوة وبسرعة في هذا الوضع يؤدي بالتالي إلى تقوية ومرونة عضلات جدران الشرايين. وهذا يساعد الإنسان في الوقاية من حدوث حالات انفجار شرايين المخ، التي غالباً ما تكون أسبابها الرئيسية ضعف وتصلب هذه الشرايين[٢].

يقول صاحب «روائع الطب الإسلامي»: «فالإسلام عندما فرض الصلاة فإن ما فيها من ركوع وسجود، يعتبره العلماء اليوم من أروع الإجراءات الطبية الحاسمة لتأمين نشاط عالٍ للشرايين الدماغية، والتي يمكن أن تعمر طويلاً، وتكون وقاية من التراجع العقلي بفقدان قابليات المخ مع تقدم السن.

كما إن المرونة التي تحصل عليها الشرايين الدماغية عند المصلي تقيه من حوادث الإغماء، وفقد الوعي الفجائي عند تغير الوضعية، أو النهوض الفجائي رافعاً رأسه بسرعة، والتي تحصل عند الأشخاص العاديين لنقص كتلة الدم في التلافيف الدماغية»[٣].

---

(١) الدقر، نزار، «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٢٩).

(٢) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٤٤، ٢٤٥).

(٣) **كذلك فإن الغدة النخامية**: وهي غدة صماء مهمة جداً، موجودة في حفرة مسماة باسمها وسط قاعدة الجمجمة من سطحها العلوي المواجه للمخ طولها ٨ مليمترات وعرضها ١٢ ملليمتر، تستفيد من تيار الدم =

ويتابع قائلاً: «وهكذا فإن حركة السجود تعتبر بتكرارها اليومي من أروع الرياضات لجهاز الدوران في الدماغ، والذي تزوِّده بكميات إضافية من الدم فتضاعف قدراته الذهنية والفكرية»[١].

٢ ـ المحافظة على المفاصل وعلى مرونة العمود الفقري:

نتيجة لتكرار حركات السجود يومياً على الأقل ٢٤ مرة خلال الصلوات الخمس، تزداد مرونة العمود الفقري فيتمدد وتتباعد فقراته، ويزداد طوله حوالي ٨ ـ ١٠ سم عن وضع الوقوف أو الجلوس، وتزداد قوة ومرونة الأربطة العضلية، وبذلك تصبح حركات السجود وقاية وعلاجاً لحالات تصلُّب المفاصل، وآلام الظهر، والانزلاق الغضروفي، سواء العنقي أو القطني، وتحصل جميع مفاصل الجسم على حرِّية الحركة وزيادة درجة المرونة[٢].

= الوارد إلى الدماغ فيتنشط عملها، وهي تعتبر أهم الغدد الصماء، ومسؤولة عن وظائف عدَّة في جسم الإنسان خاصَّة التَّحكم في النمو العام، وخصوصاً أعضاء التناسل، والتَّحكم في انقباض العضلات غير الإرادية، مثل: عضلات جدران الأوعية الدموية، فَتُنظِّم ضغط الدم، وجدران الشعب الرئوية، وجدران الأمعاء في التَّبرُّز، وجدران المثانة في التبول، وعضلات الرحم والطحال. عبد الملك، شفيق «مبادئ علم التشريح ووظائف الأعضاء»: (ص٢٧٣ ـ ٤٣٦)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٣٧).

(١) قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٢٩).

(٢) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٤٤)، =

٣ ـ تنشيط عمل الرئتين وزيادة مرونة الصدر:

إن وضعية السجود تساعد على تفريغ هواء الزفير، حيث تكون الشعب الهوائية المتصلة بالقسم الأسفل من الرِّئة في وضع أعلى من مستوى القصبة الهوائية، وبهذا تنحدر أي تجمُّعات للإفرازات المخاطية أو الصدرية من هذه الشعب إلى القصبة الهوائية، ومنها تخرج مع البصاق مما يتيح للرئتين النظافة من الإفرازات، والقدرة على الامتلاء بالهواء النقي.

كما أن خبراء الطب الطبيعي يرون أن وضعية السجود هي الأفضل للتخلص من التجمعات الصدرية، وخروجها من الرئة بمساعدة الجاذبية الأرضية إلى القصبة الهوائية، ومنها إلى الفم، ثم إلى الخارج عند الأشخاص المصابين بِخُرَّاجٍ في الرِّئة[1].

ومن هنا نلاحظ: أن المصلي عندما يسجد فإن أحشاء بطنه تضغط على عضلة الحجاب الحاجز ـ التي تفصل بين الصدر والبطن ـ وذلك باتجاه جوف الصدر، فتضغط بدورها على الرئتين فيحصل من جرَّاء ذلك زفير قَسْرِيٌّ، يُخْرِج كل الهواء الفاسد المتبقي فيهما، ليحل محله هواء جديد مشبع بالأوكسجين اللازم لحياة الجسم؛ وبه يتم تغذية القلب الذي يقوم بدوره بتغذية وتجهيز جميع أجهزة الجسم

= الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٣٨)، الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٢٨).

(١) سالم، مختار، م ـ س: (ص٢٤٥)، الدقر، نزار، م ـ س: (ص١٣٠).

وأعضائه بالدم النقي الغني[١]. فيقل احتمال تَعَرُّضِه للإصابة بأمراض الرئتين.

٤ ـ تقوية الجهاز الهضمي والكبد:

عندما يميل المصلي بجذعه للسجود تنغمز المعدة والأمعاء، وتتقلَّص عضلات جدار البطن الأمامية، فتكون بمثابة تدليك ذاتي لتنشيط وتقوية عضلات جدار البطن، والكبد، والبنكرياس، مما يساعد على زيادة حركة المعدة والأمعاء، وإفراز المرارة، فتتحسن حالة الهضم، والقولون، وتمنع الإصابة بالإمساك، وتقلل من تراكم الدهون حول البطن والأرداف.

وبذلك يعتبر السجود من أروع الأوضاع والتمرينات فائدة للإنسان، وأعظم من تدريبات اليوغا التي استمدَّت من السجود أحد أوضاع تدريباتها.

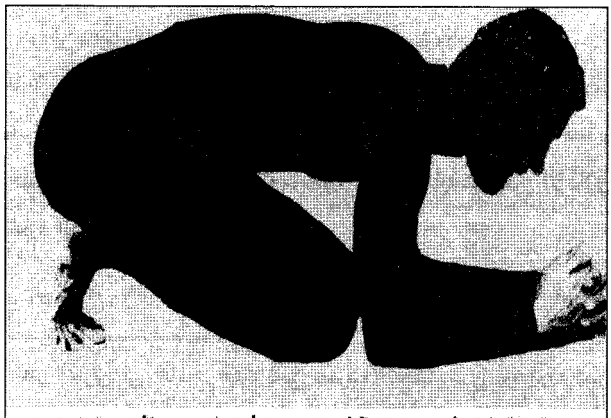

المرحلة الاعدادية من تمرين « سير الزانا » التي تحضر الجسم لوضع الرأس الفضلي ؛ ويبدو وكأن المتمرن في وضع الصلاة.

---

(١) علوان، فارس «وفي الصلاة صحة ووقاية»: (ص١٢٥ ـ ١٢٩)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٤٠).

٥ ـ تقوية الدورة الدموية:

إن وضعية السجود تجعل الدورة الدموية تعمل في اتجاه الجاذبية الأرضية، والذي حُرِمَت منه غالباً؛ لأن غالبية حياة الإنسان في وضعية الانتصاب. وفي ذلك تيسير على تدفق الدم نحو الرأس والقلب، ويزيد في ذلك قبض وانشداد العضلات الظهرية مما يؤدي إلى عصر الدماء داخل أنسجتها؛ متدفقة بغزارة إلى الأوعية الكبيرة. كما يحدث انقباض نسبي في عضلات جدار البطن، تزيد معه درجة الضغط داخل تجويفه؛ مؤدِّياً إلى سرعة سحب الدماء ودفعها إلى القلب[١].

٦ ـ تقوية مضخات الأوردة:

إن السجود ينشِّط المضخة الوريدية في البطن إلى أقصى درجة ممكنة، كما يزيد قدرة مضخات الأوردة في الساقين على تفريغ الأوردة السطحية ودفع الدم إلى الأوردة العميقة. مما يقي من الإصابة بالاحتقانات بالأوردة، وخاصة الموجودة في الساقين. والتي تؤدِّي إلى حدوث الجلطة.

يقول مختار سالم: «ومن الملاحظ في المجال الطبي أن الإصابة بجلطة أوردة الساقين، أو الجلطة التي تؤدي إلى انسداد الشريان الرئوي، ليست من الأمراض المعروفة بين المسلمين المواظبين على الصلاة، بينما تُشكِّل هذه الحالات نسبة خمسة في الألف بين المرضى الذين تجرى لهم عمليات جراحية من غير

---

(١) سالم، مختار «الصلاة رياضة النفس والجسد»، نقلاً عن: الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٣٠).

المسلمين في أمريكا وأوروبا»[١].

تاسعاً: فائدة هيئة الجلوس بين السجدتين وفي التشهد والسلام

عند الجلوس بين السجدتين أو للتشهد والسلام، نلاحظ أن الجسم يتخذ وضع جلوس الجثو، كما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ: «... **فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الآخرة قدَّم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته**»[٢]. كذلك فإنه «**كان يطيل المكث بين السجدتين حتى يقول القائل قد نسي**»[٣].

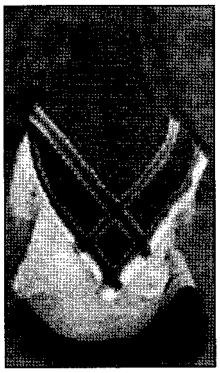

جلوس الافتراش

جلوس التورك

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٤٥)، الدقر، نزار، م ـ س.

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب سنة الجلوس في التشهد: (ح٨٢٨).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب المكث بين السجدتين: (ح٨٢١).

يتكرر هذا الجلوس في اليوم الواحد ٢٦ مرة إذا كان المصلي مواظباً على الصلوات الخمس فقط دون السنن، و٥٥ مرة إذا كان يؤدي السنن مع الفرائض. كما يظهر من خلال الجدول التالي:

جدول عدد مرات تكرار هيئة الجلوس في الصلاة:

الركعة الواحدة: مرة واحدة بالإضافة إلى التشهد الأول، والتشهد الأخير.

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٣	٣	٦
الظهر	٦	٩	١٥
العصر	٦	٦	١٢
المغرب	٥	٣	٨
العشاء	٦	٨	١٤
المجموع	٢٦	٢٩	٥٥

المجموع الكلي في اليوم هو ٥٥ مرة.

❐ فوائد تكرار هيئة الجلوس:

ونتيجة لتكرار هذه الهيئة هذا العدد؛ يحصل الجسم على جملة فوائد، منها:

١ ـ تخفيف وإزالة التيبس في الركبتين وفي رسغي القدمين.

٢ ـ زيادة مرونة عضلات الفخذ الأمامية وعضلات القدمين.

٣ ـ زيادة أربطة الركبتين والقدمين.

٤ ـ تُخلِّص الأطراف السفلية من ركودة الدم أو تباطئه في الأوردة بسبب الانثناء الكامل للركبتين؛ مع ضغط ثقل الجسم كله فوق المقعدة التي تضغط بدورها على جميع عضلات الساقين؛ التي نجد فيها الكعبين ملاصقين للمقعدة. حيث يتم تفريغ الدم الزائد من أوردة وشرايين الساقين، مما يؤدي إلى التخلص من حالات الاحتقان الدموي. وبذلك يصبح وضع الجلوس للتشهد من أفضل أنواع التمرينات الوقائية لحالات جلطة أوردة وشرايين الساقين[١].

٥ ـ استرخاء عضلات اليدين، فحينما يضع المصلي يديه على فخذيه ملصقاً براحتيه عليهما؛ يحصل استرخاء تام في العضلات الإرادية، وتتحول الطاقة ـ في الحال ـ إلى الأجزاء اللاإرادية[٢]. وهذا التحول الأساسي في الطاقة بالفعل الإرادي؛ ينجم عنه التوازن الضروري لتجديد النشاط واستعادة القوة[٣].

وللاسترخاء الذي يتحقق بهيئة الجلوس في الصلاة فوائد بدنية أخرى، يحصل عليها المصلي، منها:

أ ـ تحسين عمل القلب مع تقليل حِمْل العمل الواقع عليه.

ب ـ تحسين عمل الجهازين العصبي والعضلي.

---

(١) سالم، مختار «الطب بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٤٦)، الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٤٣، ١٤٤).

(٢) **الأجزاء اللاإرادية**: أي: التي ليست تحت سيطرة الإنسان: كالقلب، والمعدة، والكُلْيتين. الطرشة، عدنان، م ـ ن: (ص١٤٥).

(٣) يوجندرا، شري «اليوغا تطيل عمرك»، نقلاً عن: الطرشة، عدنان، م ـ ن، الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٣١).

ج ـ يؤدِّي هذا الاسترخاء إلى هبوطٍ سريعٍ في ضغط الدم.

د ـ يُوجِدُ اعتدالاً في الأنشطة التنفسية.

هـ ـ يُزِيلُ التوتر من كل الجسم[١].

عاشراً: فائدة النهوض من السجود إلى الوقوف

يقوم المصلي من سجوده ليقف دافعاً الأرض بكلتا يديه؛ حتى يتم اعتداله واقفاً بشكل كامل. ويشارك لإتمام هذه الحركة: عضلات اليدين، والفخذين، وعضلات الظهر الكبيرة، وبهذا تعتبر هذه الحركة من أفضل أنواع التدريبات البدنية وأيسرها من أجل تنمية وتقوية هذه العضلات والأربطة المفصلية العاملة، وإكساب معظم المفاصل مرونة ورشاقة. مما يساعد في المحافظة على سلامة القوام واعتداله[٢].

حادي عشر: فائدة التسليم

التسليم آخر ركن في الصلاة، وهو تَحْلِيلُها، كما قال ﷺ: «**مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ**»[٣].

---

(١) الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٤٥، ١٤٦).

(٢) سالم، مختار «الصلاة رياضة الروح والجسد»، نقلاً عن: الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٣١).

(٣) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الطهارة، باب فرض =

وكان رسول الله ﷺ: «**يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده**»(١).

فإذاً يخرج المسلم من صلاته بعد التشهد الأخير بالسلام، فَيُلِيْنُ رقبته يميناً، ثم شمالاً لإلقاء السلام. إعلاناً بانتهاء الصلاة.

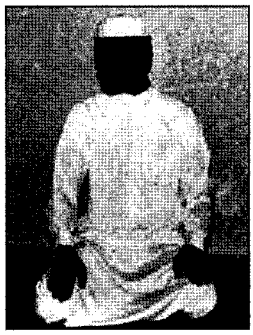

لف الرأس للجهة اليمنى

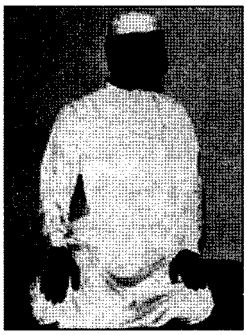

لف الرأس للجهة اليسرى

يستخدم من أجل تنفيذ هذه الحركة مجموعة كبيرة من العضلات. كما يظهر في الرسم التالي:

= الوضوء: (ح٦١)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في تحريم الصلاة وتحليلها: (ح٢٣٨). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ. ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطهارة، باب مفتاح الصلاة الطهور: (ح٢٧٥).

(١) عن عامر بن سعد عن أبيه قال: كنت أرى رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه، وعن يساره حتى أرى بياض خده. ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، باب السلام للتحليل من الصلاة عند فراغها وكيفيته: (ح١٣١٥).

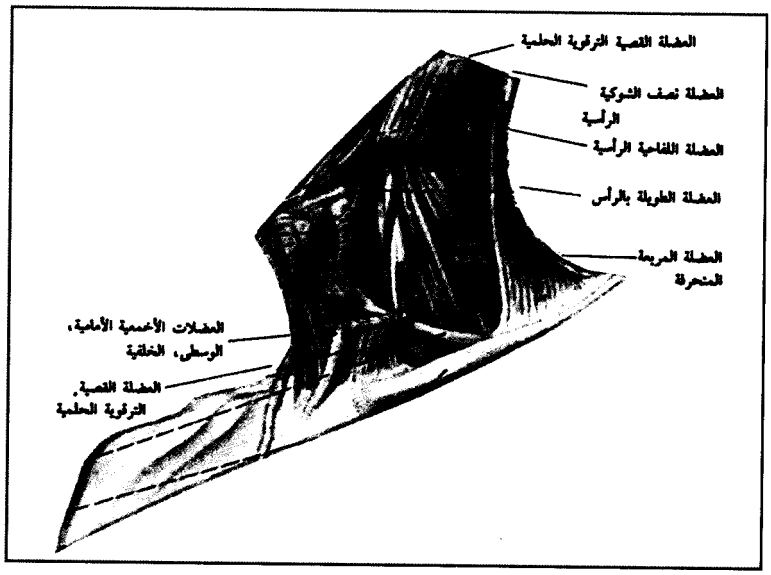

مواقع العضلات العاملة في حركة التسليم[1]

وتتكرر حركة التسليم في اليوم الواحد ٣٠ مرة؛ إذا كان المصلي مواظباً مع الفرائض على السنن.

كما يظهر من خلال الجدول التالي:

الفريضة	العدد في الفرائض	العدد في السنن	المجموع
الفجر	٢	٢	٤
الظهر	٢	٦	٨
العصر	٢	٤	٦
المغرب	٢	٢	٤
العشاء	٢	٦	٨
المجموع	١٠	٢٠	٣٠

المجموع الكلي في اليوم هو ٣٠ مرة.

(١) مصور عن كتاب: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٣٤٢).

❐ الفوائد الصحية لحركة التسليم في الصلاة:

يعتبر التسليم تمريناً واضحاً لعضلات الرقبة والعنق، وتقوية للعضلات العاملة وزيادة مرونتها، وتحسين نغمتها العضلية، وتخليص الرقبة من التيبس والتوتر[١].

كما إن هذه الحركة تساعد على زيادة مرونة فقرات العمود الفقري العليا في الرقبة، وتمنع تصلبها والتصاقاتها، وتعمل هذه الحركة على تحرير عروق الدم الكبيرة في الرقبة مثل: الشريان السباتي المشترك بفرعيه الباطن والظاهر[٢]، والوريد الوداجي برافديه[٣]، فيخلِّصها التسليم مما قد يعيق وظيفتها، ويثبِّط دوران الدم فيها من ثني أو ضغط من الأعضاء المجاورة. وهذا الالتفات

---

(١) تحت عنوان: الرقبة سبب كل صداع، كتب دونالد نورفولك يقول: «إن ٩٠ في المئة من حالات الصداع المزمن تعود إلى توتر في عضلات الرقبة... وينهي كلامه قائلاً: بأن هناك ثمة تمارين بسيطة وسهلة التنفيذ تُسَرِّع في تخفيض التوتر عن عضلات الرقبة، وإزالة الصداع الناجم عنه...». ومن التمارين الرياضية المعروفة للرقبة: تمرين مطابق تماماً للتسليم؛ أي: لف الرأس يميناً ويساراً. الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٥٠).

(٢) **الشريان السباتي المشترك**: يسير في جانب العنق محاذياً للقصبة الهوائية، وينقسم إلى فرعين: الباطن: وهو يغذي كل ما بباطن الجمجمة؛ أي: المخ وأغشيته. والظاهر: وهو الذي يغذِّي أنسجة العنق والوجه وكل الأنسجة الأخرى خارج الجمجمة؛ بالاشتراك مع الشريان الفقاري.

(٣) **الوريد الوداجي**: بواسطته يرجع الدم الوريدي إلى المخ وأغشيته داخل الجمجمة.

المنظَّم الموقوت إلى اليمين واليسار في التسليم، يحفظ مرونة جدر الأوعية الدموية، ويعينها على القيام بوظيفتها أحسن القيام؛ حينما تنفتل العروق قليلاً في الجهة المتقلصة من الرقبة، وتتمدد عروق الجهة المقابلة منها[١].

❁ ❁ ❁

(١) علوان، فارس «وفي الصلاة صحة ووقاية»: (ص١٥١)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص١٥٠، ١٥١)، حامد، أحمد «رحلة الإيمان في جسم الإنسان»: (ص٤٩٥).

المبحث الخامس

حكمة الصلاة في علاج الأمراض

تمهيد

وبعد هذا العرض ـ الذي تقدم ـ؛ وما تناوله من تفصيل لفوائد حركات الصلاة الصحية، وإظهار الحِكمة من مشروعيتها، نأتي على بيان حِكمة الصلاة في علاج بعض الأمراض التي تصيب الإنسان، أو الوقاية منها، وذلك من خلال العناوين التالية:

١ ـ حِكمة الصلاة في علاج الضمور العظمي.

٢ ـ حِكمة الصلاة في الوقاية من دوالي الساقين.

٣ ـ حِكمة الصلاة في إنقاص الوزن.

أولاً: حِكمة الصلاة في علاج الضمور العظمي

يمر العظم بمرحلتين متعاقبتين بصفة مستمرة طوال حياة الإنسان، مرحلة البناء، ثم مرحلة الهدم، التي تليها أيضاً مرحلة البناء، وهكذا... فإذا ما كان الشخص في طور النمو والشباب، يكون البناء أكثر من الهدم، فتزداد العظام طولاً ومتانة وقوة.

وبعد مرحلة البلوغ والنضج يتفوق الهدم، وتأخذ كمية العظام في التناقص، فيصبح العظم ضعيفاً قابلاً للكسر، كما يتقوس العمود الفقري؛ بسبب انهيارات الفقرات وتقلص طولها ومتانتها[١].

ويرجع نشاط العظام وقوتها بشكل عام، إلى قوى الضغط والجذب التي تمارسها العضلات وأوتارها أثناء انقباضها وانبساطها، حيث إن هذه العضلات والأوتار ملتصقة وملتحمة بالعظام.

وقد ثبت حالياً أنه يوجد داخل العظم تيار كهربي ذو قطبين مختلفين، يؤثر في توزيع وظائف خلايا العظم حسب اختصاصها، خلايا بناء أو خلايا هدم، كما يحدد درجة نشاط هذه الخلايا.

وقد أثبتت التجارب: أن في حالة الخمول والراحة، يقل هذا التيار الكهربي مما يُفْقِدُ العظام موادها المكوِّنة لها، فتصبح رقيقة ضعيفة، كما تم إثبات ذلك أيضاً في غياب الجاذبية التام في السفرات الفضائية. حيث لا تقاوم العضلات عبء الجاذبية الأرضية.

فمن هذا نستخلص: أن الراحة التامة تصيب العظام بضمور عام. ذلك أن فقدان الحركة يؤدي إلى نشاط الخلايا الهدَّامة، وضعف خلايا البناء، مما يؤدي إلى نقص المادة العظمية، وإصابة

---

(١) ويرجع هذا النقص في كمية العظم عند التقدم في السن، إلى نقص البناء العظمي، بينما يبقى الهدم في معدله الطبيعي، مما ينتج عنه هدم متفوق على البناء، وبالتالي تناقص في كمية العظم. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١١٤).

نخاع العظام المنتج لخلايا العظم الأصلية بالضعف والضمور، من جراء الراحة والخمول.

وهنا يقرر الأطباء: أن تقوية هذه العظام الخاملة لا يكون بالأدوية فقط، ولكن بالعودة إلى الحركة والنشاط أيضاً[١]. ونلاحظ أن الإسلام سبق الطب الحديث في علاج الضمور العظمي، سواء كان الضمور طبيعياً بسبب التقدم في السن، أو كان بسبب الخمول.

إن أداء (١٧) ركعة يومياً في صلاة الفرض، وعدد أكثر من هذا في صلاة النفل، لا يمكن إلا أن يجعل الإنسان ملتزماً بأداء حركات جسمية متوسطة الجهد، لا يقل زمنه عن ساعتين يومياً.

وهكذا طيلة الحياة يقوم المسلم كل يوم بأداء الصلاة التي تكون سبباً في تقوية عظامه، وجعلها سليمة متينة.

يقول صاحب كتاب «الاستشفاء بالصلاة»: «وهذا ما نلاحظه في المجتمعات المحافظة على الصلاة، حيث يقل التقوس الظهري، الذي يحدث عادة عند الكبر بسبب ضمور عظام الفقرات الظهرية، أو القطنية[٢].

---

(١) من خلال عمل هذه العضلات، يكون التيار الكهربائي المنشِّط للنسيج العظمي؛ إلى جانب قوى الضغط والجذب التي تمارسها العضلات وأوتارها على مراكز التحامها بالعظام، مما يزيد أيضاً من نشاط البناء العظمي ومتانة تركيبه. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١١٨).

(٢) قرامي، زهير، م ـ ن: (ص١١٩).

◻ حِكمة أمر الأطفال (الجدِّي) بالصلاة في العاشرة:

وإذا ما علمنا أن بداية التناقص العظمي تحدث عندما يبلغ الإنسان (٢٠) سنة من العمر، فإننا نفهم الحِكمة من أمر الإسلام الأطفال بالالتزام الجدي بالصلاة منذ سن العاشرة، مما يعني أن العظام تدخل في مرحلة التنشيط والحيوية، واكتساب القوة والمتانة[١].

وقد أكدت الدراسات في بلاد الغرب، أن الإنسان يفقد (٣٠٪) من العظم الموجود في سن العشرين، وذلك فيما بين ٢٠ و٨٠ سنة.

ونحن المسلمين بحاجة إلى قياسات وأبحاث خاصة بالمجتمع المسلم، كي نتأكد ونؤكد لجميع الناس أن نسبة النقص هي أقل بكثير. وهذا ما تؤيده المشاهدة الظاهرة، من قلة التقوس الظهري عند كبار السن الملتزمين بالصلاة[٢].

ولعل ما وصل إليه العلم اليوم هو خير شاهد على حِكمة تشريع الصلاة، ومدى أهميتها في علاج الجسم الإنساني، ويؤكد سبق الإسلام في تشريعاته جميع الاكتشافات المعاصرة.

---

(١) فإذا ما واظب الشاب المُسلِم على الصلاة إضافة إلى نشاطه اليومي العادي مثل أقرانه، فإنه يقوِّي عظامه أكثر، وهذه وقاية من ضمور العظام في السن المتأخرة. قرامي، زهير، «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١١٩).

(٢) قرامي، زهير، م ـ ن: (ص١١٣ ـ ١١٩)، بتصرف يسير.

ثانياً: حِكمَة الصلاة في الوقاية من دوالي الساقين[١]

تقوم الصلاة بأهم دور في الوقاية من مرض دوالي الساقين، وهذا ما أكده بحث علميٌّ حديث أظهر النتائج التالية[٢]:

١ ـ نسبة المصلين في مجموعة من المرضى المصابين بدوالي الساقين بلغت (١٠٪) فقط من المرضى.

بينما مثَّل غير المصلين النسبة الباقية، وهي الغالبية الساحقة البالغة (٩٠٪) من المرضى.

---

(١) **دوالي الساقين**: هو خلل شائع في أوردة الساقين، يتمثل في ظهور أوردة غليظة، ومتعرِّجة، وممتلئة بالدماء المتغيرة اللون على طول الطرفين السفليين. وهو مرض ينجم عن عوامل عديدة، منها:
ـ الأسباب الوراثية والعيوب الخِلْقية.
ـ الوقوف طويلاً: خاصة الذين تتطلب أعمالهم الوقوف لفترات طويلة.
ـ السمنة، وتقدم السن.
ـ التدخين. وغير ذلك من الأسباب.
علوان، توفيق «معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين»: (ص١٠٩)، نقلاً عن: الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٢٣٩).

دوالي الساقين

مصور عن رابح، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٩٩).

(٢) وهذه حقيقة علمية توصل إليها الباحث الدكتور توفيق علوان؛ وذلك في رسالة ماجستير قدمها إلى كلية الطب بجامعة الإسكندرية، سنة ١٩٨٦م.

٢ ـ لقد وقع قياس نسبة الهيدروكسي برولين[١] في جدار الوريد الصافن، لدى مجموعة مكوَّنة من ٢٠ شخصاً مصاباً بمرض الدوالي. فكانت نسبة هذا المكوِّن المهم للأوردة (الهيدروكسي برولين) تبلغ ٢٦,١٣ لدى من يصلون من المرضى، وعند غير المصلين ١٦,٤٣.

وهكذا نجد أن كلّاً من المجموعتين بقيت أقل من المعدل الطبيعي لقوة (جدار) الوريد، إلا أن النتائج بيَّنت قصوراً واضحاً في جدران أوردة التاركين للصلاة. إذا ما قورنت بجدران أولئك المداومين عليها.

ولكن المفاجأة المثيرة هي عند إجراء قياس هذه المادة المسؤولة عن قوة جدران الأوردة؛ في مجموعة من الأشخاص السليمين من مرضى الدوالي.

فقد كانت نسبة الهيدروكسي برولين في جدران الوريد الصافن عند المحافظين على الصلاة قد بلغت ٨٠,٩٣. أما في الفريق الذي لا يؤدي الصلاة ضمن نفس المجموعة السليمة، كانت نسبة الهيدروكسي برولين ٦٣,٤٠ فقط[٢].

---

(١) **الهيدروكسي برولين**: هو المادة المسؤولة عن قوة جدران الأوردة. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٩٨).

(٢) قرامي، زهير، م ـ ن: (ص٩٨). وهذا نقص مدهش! مما يثير تساؤلاً كبيراً ـ كما يعبر الدكتور توفيق علوان ـ حول الدور العظيم لهذه الفريضة في تقوية جدران الأوردة.

٣ ـ أظهر قياس الضغط على جدار الوريد الصافن أثناء مراحل الصلاة لدى ١٥ حالة غير مصابة بالدوالي ما يلي:

أ ـ كان متوسط الضغط الواقع على جدران الوريد الصافن أثناء القيام يساوي ٩٣,٠٣ سم/ماء.

ب ـ عقب زمن قدره حوالي نصف دقيقة في وضع الركوع، كان الضغط الوريدي الواقع على ظاهر القدم ٤٩,١٣ سم/ماء؛ أي: انخفض الضغط عند الركوع إلى النصف تقريباً.

ج ـ عندما طُلب من الحالات أن تعتدل من الركوع مرة أخرى إلى القيام، والثبات على ذلك لمدة ثلاثين ثانية، سرعان ما بدأ الضغط يرتفع تارة أخرى إلى ٨٦,٨ سم/ماء.

د ـ ومن وضع القيام إلى وضع السجود، هوى الضغط بصورة حاسمة إلى قيمة متوسطة قدرها ٣ سم/ماء، وهكذا انعدم الضغط تقريباً على جدران الأوردة بالطرفين السفليين أثناء السجود.

وحين تحول الوضع من السجود إلى الجلوس المطمئن؛ عاد الضغط إلى الارتفاع إلى قيمة قدرها ١٦,٧٣ سم/ماء.

هـ ـ ولما أمرت الحالات بالسجود مرة ثانية في صورة مطابقة تماماً لما يفعلونه في الصلاة؛ بلغ الضغط ١,٣٣ سم/ماء، بحيث بلغ الضغط في السجود الثاني نصف الضغط في السجود الأول تقريباً[١].

---

(١) ووجد الباحث أنه بالمقارنة الإحصائية المعقدة بين القيم السابقة للضغوط، وجدت جميعها معبرة تماماً من الناحية العلمية، وذلك دليل =

وانخفاض الضغط لهذا المستوى ليس إلا راحة تامة للوريد.

❐ وسبب هذه العملية الصحية:

هو أنه عند السجود تنقبض بعض العضلات، مثل: العضلة الظهرية الناصبة التي تمتد منطقة عملها من العنق وحتى أسفل الظهر، وكذلك تنقبض عضلات الرقبة، وعضلات البطن، وعضلات أخرى في الرجلين، مما يجعل الدورة الدموية بكاملها تعمل في ذات الاتجاه الذي تعمل به الجاذبية الأرضية، فإذا بالدم الذي كان يعاني من الصعود عكس الجاذبية من القدمين والساقين إلى القلب أثناء الوضع الواقف للإنسان، يتدفق منسكباً في سلاسة ويسرٍ إلى القلب، وحتى وضع الأقدام منتصبة على أطراف الأصابع أثناء السجود يؤدي إلى انقباض المضخة الوريدية داخل أوعية القدم؛ مما يزيد في كفاءة ارتجاع الدماء الوريدية[1].

= قاطع على دور الصلاة في التخفيض المؤثر للضغوط الوريدية على جدار الوريد الصافن. قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٩٨، ١٠٠، ١٠١)، الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٢٤٠).

(١) وكما يقرر الدكتور علوان: «فإن للصلاة دوراً مهماً في عودة الدماء إلى القلب، بفضل حركات بالغة المرونة، تعاون تلك المضخة؛ بحيث يتعزز عملها على أكمل صورة. وكما رأينا فقد هبط الضغط عقب كل ركعة ليس إلى ٣٠ سم/ماء، بل أيضاً إلى ما هو قريب من درجة صفر سم/ماء. وهنا تتجلى حِكمة الصلاة في الوقاية من الإصابة بمرض دوالي الساقين، فهي رحمة للناس عموماً، ولمن يكابدون الوقوف المؤلم خصوصاً».
Corinne H. Robinson-Normal and Therapeutic Nutrition page: (123)، نقلاً عن: قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٠٢، ١٠٥، =

ثالثاً: حِكمة الصلاة في إنقاص الوزن

يستهلك المجهود العضلي طاقة مناسبة لقوة المجهود، وتقدر عدد الوحدات الحرارية في المجهود الخفيف بـ (٢٤٠) كيلو حرارية في الساعة للرجل، و(١٧٠) كيلو للمرأة[١].

= ١٠٦)، الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٢٤٠).

(١) حين تنقبض العضلة ينتج عن انقباضها طاقة حرارية تقدر بـ «الوحدة الحرارية»: (كالوري)؛ وتعرف هذه الوحدة بأنها كمية الحرارة اللازمة لرفع حرارة غرام واحد من الماء درجة واحدة من (١٥ ـ ١٦) درجة. ويطلق اسم كيلو كالوري على (١٠٠٠) كالوري، ويقابلها كيلو حُريرة لـ (١٠٠٠) حريرة.

وأمكن تحديد كمية الوحدات الحرارية لكل صنف من المجهود العضلي، أو في الحياة اليومية، من خلال جدول الطاقة المبذولة حسب الجهد اليومي التالي:

نوع الجهد	عدد الكيلو حريرات في الساعة	
	من	إلى
وضع الخمول: قراءة ـ كتابة ـ أكل ـ نظر للتلفزيون ـ سماع راديو ـ ضرب على آلة كاتبة ـ أعمال أخرى في وضع الجلوس مع قليل حركة في الذراعين.	٨٠	١٠٠
الجهد الخفيف: إعداد وطبخ الطعام ـ غسيل الملابس الخفيفة ـ كيّ الملابس ـ المشي ببطء ـ أعمال أخرى في وضع الجلوس مع تحريك خفيف للذراعين.	١١٠	١٦٠
الجهد المعتدل: إعداد السرير ـ تنظيف مع فرك وحك ـ كنس ـ غسيل ثياب في آلة الغسيل ـ نجارة وأعمال أخرى في وضع جلوس مع تحريك قوي للذراعين أو في وضع وقوف مع تحريك خفيف للذراعين.	١٧٠	٢٤٠

=

وإذا أمعنا النظر في الصلاة من ناحية نوع الحركات، التي يقوم بها المصلي أثناء صلاته، نجد أنها تتطلب مجهوداً من النوع المتوسط[١]. إذ هي عملية انقباض وارتخاء للعضلات، تتم في هدوء وتنقل الجسم إلى أوضاع مختلفة. وتنقسم هذه الحركات إلى سبعة أنواع:

١ ـ رفع اليدين حذو المنكبين للدخول في الصلاة مع خفضهما، والتزام وضع الوقوف المستقيم.

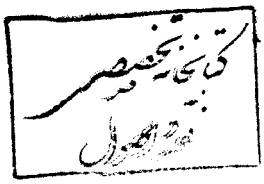

٢ ـ الركوع.

٣ ـ ثم الرجوع إلى وضع الوقوف.

٤ ـ يهوي المصلي إلى السجدة الأولى.

٥ ـ الاستواء في وضع الجلوس على ركبتين منثنيتين.

٦ ـ الرجوع إلى السجود مثل الوضع في السجود الأول.

٧ ـ الاستواء للجلوس للتشهد أو الاستعداد للوقوف للركعة التالية.

=

نوع الجهد	عدد الكيلو حريرات في الساعة	
	من	إلى
الجهد القوي: الفرك والحك القوي ـ غسيل باليد للملابس الثقيلة ـ المشي السريع.	٢٥٠	٣٥٠
الجهد الشاق: السباحة ـ لعب التنس ـ الجري ـ ركوب الدراجة ـ كرة القدم.	٣٥٠	فأكثر

انظر: قرامي، زهير «الاستشفاء بالصلاة»: (ص٩٧ ـ ١٠٢)، الطرشة، عدنان «الصلاة والرياضة والبدن»: (ص٢٣٩، ٢٤٠).

(١) انظر الجدول: (ص٤٠٩)، هامش (١).

وبما أن عدد الركعات المفروضة في اليوم والليلة هي سبع عشرة ركعة، يكون العدد الإجمالي للحركات أثناء الصلاة: (١١٩ حركة)، وهو حاصل ضرب (٧ × ١٧ = ١١٩) حركة مطمئنة في اليوم والليلة[١]. وإذا اعتبرنا أن كل حركة في الصلاة تستغرق نصف دقيقة ـ إذا وقع أداؤها بشروط السُّنَّة من اطمئنان للجوارح وسكينة ـ فإن كل الصلوات تستغرق تقريباً ساعة؛ من حاصل ضرب (١١٩ × ٣٠ ث) = ٣٥٧٠ ث ÷ ٦٠ د = ٥٩,٥ د. وحيث إن الصلاة هي مجهود متوسط، فهي تستهلك (٢٤٠) كيلو حرارية طيلة ساعة يومياً، وبهذه الصفة تسمح الصلاة بالتخلص من (٢٤٠) كيلو حرارية كل يوم على مدى الحياة[٢]. وهي بذلك تساعد على المحافظة على وزن معتدل. أما إذا أدى المسلم بقية النوافل (٣٣) ركعة، فإن عدد الركعات بين نافلة وفرض يصل إلى (٥٠) ركعة. وبما أن كل ركعة تحتوي على (٧) حركات، فيكون العدد الإجمالي للحركات (٣٥٠٠) حركة. من حاصل ضرب (٧ ×٥٠ = ٣٥٠٠) حركة. وإذا اعتبرنا أن كل حركة تستغرق نصف دقيقة، فإن الوقت اللازم لصلوات الفرض والنافلة (٣) ساعات تقريباً. وهذا يرفع الطاقة المستهلكة في الصلاة إلى (٧٢٠) كيلو حريرة يومياً، ويتخلص الجسم بذلك من الوزن الزائد.

---

(١) قرامي، زهير، «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٧٢، ١٧٣)، بتصرف يسير.

(٢) Normal Therapeutic Nutrition page: (123) نقلاً عن: قرامي، زهير، م ـ ن: (ص١٧٥).

ونلاحظ هنا: أن المسلم يمارس حياته بصفة عادية، ويستهلك نفس الطاقة التي يستهلكها أمثاله في أعمالهم اليومية. ولكن يتميز بصرف طاقة إضافية عند القيام بصلاته اليومية.

وإذا ما قارنا الطاقة المبذولة في الصلاة (٧٢٠ كيلو حريرة) بغيرها من الأنشطة العضلية، نجد أن ما يقابلها هو ساعتين يومياً من السباحة أو الجري[١]. مع أفضلية المجهود على خمس فترات أثناء الصلوات الخمس، وكذلك أفضلية المجهود المعتدل على المجهود الشاق الذي تتطلبه الرياضات القوية كالسباحة، والعدو مثلاً[٢].

وفي ختام هذا الفصل نجد أن الحكمة الكامنة في مشروعية الصلاة، والمقصد الأسمى فيها، توجيه الإنسان بكلِّيته إلى ربه ومولاه، ظاهراً وباطناً، جسماً، وعقلاً، وروحاً.

فالصلاة ليست مجرد حركات رياضية بالجسم. وليست مجرد توجيه صوفي بالروح.

إنها تلخص فكرة الإسلام الأساسية عن الحياة.

فالإسلام يعترف بالإنسان جسماً، وعقلاً، وروحاً في كيان؛ ولا يفترض أن هناك تعارضاً بين نشاط هذه القوى المكوِّنة في مجموعها للإنسان ـ كما رأينا في ثنايا هذا الفصل ـ ولا يحاول أن

---

(١) قرامي، زهير، «الاستشفاء بالصلاة»: (ص١٧٥، ١٧٦).

(٢) علوان، توفيق «معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين»: (ص١٢٣)، نقلاً عن: قرامي، زهير، م ـ ن: (ص١٧٦).

يكبت الجسم لتنطلق الروح؛ لأن هذا الكبت ليس ضرورياً لانطلاق الروح. ومن ثم يجعل عبادته الكبرى ـ الصلاة ـ مظهراً لنشاط قواه الثلاث، وتوجهها إلى خالقها جميعاً في ترابطٍ واتساق.

يجعلها قياماً، وركوعاً، وسجوداً، تحقيقاً لحركة الجسد.

ويجعلها قراءةً، وتدبراً، وتفكيراً في المعنى والمبنى؛ تحقيقاً لنشاط العقل.

ويجعلها توجّهاً واستسلاماً لله؛ تحقيقاً لنشاط الروح.. كلها في آن...

وإقامة الصلاة على هذا النحو تذكر بفكرة الإسلام كلها عن الحياة، وتحقق فكرة الإسلام كلها عن الحياة.. في كل ركعة وفي كل صلاة[1].

(١) مقتبس من: قطب، سيد «في ظلال القرآن»: (١/ ١٦٠)، دار الشروق، القاهرة، ط٣٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

المبحث السادس

شهادة غير المسلمين في الصلاة

تمهيد

إن الصلاة الإسلامية العظيمة، بما تشتمل عليه من قيامٍ، وقعودٍ، وحركاتٍ أثبت العلم الحديث ـ كما بيَّنا ـ فوائدها البدنية، كانت محطَّ عناية واهتمام غير المسلمين؛ فدرسوا حركاتها، واعترفوا بفوائدها، وأشادوا بمشروعيتها...

١ ـ الأستاذ فارس عازوري:

يقول الدكتور فارس عازوري[(١)]: «إن الصلاة عند المسلمين وما تحتويه من الركوع والسجود تقوِّي عضلات الظهر، وتُليِّن تحركات فقرات السلسلة الظهرية، وخصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سن مبكر، ويترتب على ذلك مناعة ضد الأمراض التي تنتج عن ضعفٍ في العضلات التي تجاوز العمود الفقري؛ والتي ينشأ من ضعفها أنواعٌ من أمراضٍ تسبب الآلام الشديدة والتَّشنُّجَ في العضلات»[(٢)].

---

(١) اختصاصي في الأمراض العصبية والمفاصل من جامعات أمريكا.

(٢)
- http://vb.arabseyes.com/t6665.html.
- http://vb.arabseyes.com/t6665.html.

٢ ـ الأستاذ فيليب حتي:

ويقول فيليب حِتِّي[١]: «وإذا نظرت إلى العالم الإسلامي في ساعة الصلاة بعين طائر في الفضاء وقدّر لك أن تستوعب جميع أنحائه بقطع النظر عن خطوط الطول والعرض لرأيت دوائر عديدة من المتعبدين تدور حول مركز واحد وهو الكعبة وتنتشر في مساحة تزداد قدراً وحجماً»[٢].

وتحدث الدكتور فيليب حِتِّي عن إعجابه بصلاة الجمعة فقال: «... وليس من شكل للصلاة المشتركة يفوق صلاةَ الجمعة قيمةً؛ من حيث الجلال والروعة والبساطة والترتيب. ففيها ينتصب العابدون في صفوف ذات اتّساق خاص، داخلَ المسجد، ممتثلين لقيادة الإمام بدقّة وخشوع، حتى غدت مشاهدة جَمْع المصلين تحرِّكُ أسمى العواطف في أعماق الصدور[٣].

---

(١) فيليب حِتِّي: مؤرخ العرب والحضارة الإسلامية. ولد في بلدة شملان التابعة لمحافظة جبل لبنان سنة ١٨٨٦م. التحق بجامعة كولومبيا في أمريكا، وحصل منها على درجة الدكتوراه سنة ١٩١٥م. وتقديراً لنبوغه عينته الجامعة مدرساً في قسم الدراسات الشرقية. (ت: سنة ١٩٧٨م). http://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) منتهية من ساراليونه في الغرب إلى كانتون في الشرق ومن توبولسك في الشمال إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب. حِتِّي، فيليب «تاريخ العرب»: (ص١٨٦)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط١٣، ٢٠٠٩م.

(٣) ويتابع قائلاً: «وما لبثت هذه الصلاة العامة التي أصبحت أداة توحيد لصفوف المسلمين، من أبناء البادية ذوي النفوس الفخورة، المشبعة =

٣ ـ الأستاذ رينان:

يقول رينان[١]: «ما دخلت مسجداً قط دون أن تهزني عاطفة حارة، أو بعبارة أخرى دون أن يصيبني أسف على أنني لم أكن مسلماً».

ولذا كانت الصلاة سبب انتشار الإسلام في كثير من بلدان العالم.

٤ ـ الأستاذ بودير:

ويقول ميشيل بودير: «إن الخشوع الذي نراه على المسلمين أثناء أدائهم الصلاة، والذي يدعو إليه كل دين سماوي، نجده في الواقع يخجل منه كل قسِّيس وقح من روَّاد الكنائس»[٢].

٥ ـ الأستاذ فاريا:

ويقول خوسيه فاريا[٣]: «... وكذلك من دراستي للحركة التي

= بالروح الفردية أن غرست فيهم المساواة الاجتماعية، وأنشأت في أفئدتهم فكرة الشعور الموحد، وربتهم على أخوة الإيمان التي أرادها محمد [ﷺ] بديلاً لصلة الأرحام وعلاقة الدم. هكذا أصبح مقر الصلاة الساحة الأولى لتدريب جيوش المسلمين». حِتِّي، فيليب «تاريخ العرب»: (ص١٨٧، ١٨٨).

(١) إرنست رينان: مؤرخ ومستشرق وباحث وناقد فرنساوي كبير يعتبر من أعظم رواد حركة الاستشراق، ولد سنة (١٨٢٣م)، تلقى تعليمه في المدارس اللاهوتيه، وتعلم العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، زار المشرق، وعاش في لبنان فترة من الزمن، واهتم بالعقيدة الإسلامية. توفي سنة (١٨٩٢م).

• http://mrs.8k.com/oriental/02.2html.

(٢) http://www.alshia.org/html/ara/mostashrequn/index.php?mod=araaid=65

(٣) خوسيه فاريا: مدرب كرة قدم برازيلي دخل في الإسلام وأصبح اسمه =

يقوم بها المصلِّي وجدت أنها حركة رياضية مفيدة جدّاً للجسم، بالإضافة إلى ما تضيفه الصلاة من قوة إيمانٍ، وشفافيةٍ عظيمةٍ أعظم ألف مرة من أي تدريب لليوجا».

٦ ـ الأستاذ سعيد بن الحسن:

أما سعيد بن الحسن[١] فيقول: «إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى بني إسرائيل في كل العصور، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة، وأيقنت في نفسي أني خلقت لأكون مسلماً»[٢].

هذا بعضٌ مما قاله ويقوله علماء غير المسلمين، الذين لا يصح اتهامهم بالمبالغة والإغراق في أمرٍ لا تعود منه عليهم ولا على أقوامهم أيةُ مفخرة. وإثباتنا لهذه الأقوال ليس لجهلنا بها، أو زيادة ليقيننا، وإنما لِنؤكِّد على أن في الإسلام روحاً تبعث الآحاد والجماعات إلى ارتقاءٍ لا يوجد له نظيرٌ في التعاليم البشرية.

وفي هذا حجةٌ واضحة على أن الإسلام وحيٌ إلٰهيٌّ لا من صنع البشر.

❁ ❁ ❁

= بعد إسلامه «مهدي إسلام» بعد أن كان اسمه «خوسيه فاريا» وعمره خمسون عاماً.

• http://vb.islam2all.com/showthread.php?t=47900.

(١) سعيد بن الحسن: كان من يهود الإسكندرية، ثمّ اعتنق الإسلام.

(٢) • http://mcdialogue.org/vb/showthread.php?t=251.

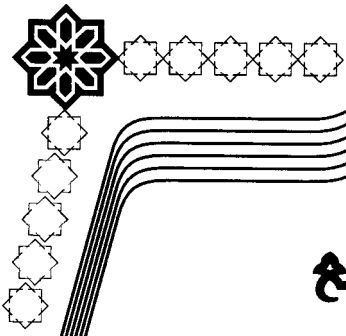

الفصل الرابع

في

حِكمة

تشريع الزكاة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الزكاة وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام.

المبحث الثاني: حِكمة تشريع الزكاة.

المبحث الثالث: حِكمة تشريع زكاة الفطر.

المبحث الرابع: سر عناية القرآن بمصارف الزكاة.

المبحث الخامس: شهادة غير المسلمين بالزكاة.

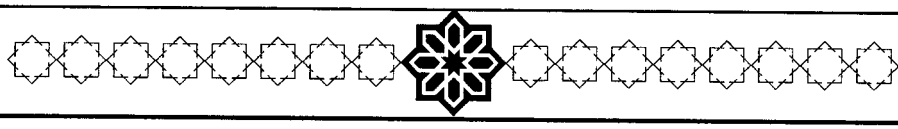

تمهيد

لا تزال قضية العدالة الاجتماعية نقطة الارتكاز؛ وخط البداية لكل من ينشد الإصلاح أو التغيير في المجتمع، ولا شك أن التفاوت المادي الهائل بين طبقات المجتمع، يُمثِّل عقبةً كأداء في وجه أي إصلاح أو تغيير، حيث ينقسم الناس إلى طبقتين: فقيرة حاقدة، وموسِرة متسلِّطة، وهذا يؤدي إلى خلل عظيم في تكوين المجتمع السليم الصالح، وفي بناء الفرد والأسرة والجماعة المتماسكة.

وفي تشريع الزكاة علاج لهذا الخلل الاجتماعي، على المستوى الفردي، والأسري، والاجتماعي، وعلى المستوى الاقتصادي، والنفسي.

فالزكاة أول نظام عرفته البشرية لتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث يعاد جزء من ثروات الأغنياء، على الطبقات الفقيرة والمحتاجين. مما يُسْهِم في زيادة تماسك المجتمع، وتضامن أفراده على أسس حضارية راقية.

ليس هذا فحسب؛ فإن للزكاة حكماً بالغةً، وأهدافاً ساميةً، نتعرض لها في هذا الفصل إن شاء الله.

المبحث الأول

تعريف الزكاة وأدلتها وشروطها ومكانتها في الإسلام

أولاً: تعريف الزكاة

أ ـ الزكاة لغةً:

النماء، والزيادة، والرَّيع، يقال: زكا الزرع يزكو زكاء؛ أي: نما[(١)].

والزكاة في أصل اللغة مشتركة بين الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح[(٢)].

---

(١) الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٤٥٤)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٤/ ٣٥٨)، الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٥٢).

(٢) قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]؛ أي: طهرها من الآثام.
وفي معنى النماء والبركة، جاء قوله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].
وبمعنى المدح، قوله ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ...﴾ [النجم: ٣٢]؛ =

ومنه الزكاة لما يُخْرِج الإنسان من حق الله ﷻ إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها رجاء البركة، أو لتزكية النفس؛ أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعاً، فإن الخيرين موجودان فيها(١).

ب ـ الزكاة اصطلاحاً:

للزكاة عدة تعريفات متقاربة، نختار منها التعريف التالي: حق واجب في مال مخصوص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص(٢).

= أي: فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب.

وتأتي الزكاة بمعنى الصلاح أيضاً: قال الله ﷻ: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]. ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٤/٣٥٨).

(١) الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات ألفاظ القرآن»: (ص٢٣٨).

وقال النسفي: وسميت الزكاة زكاة لأنه يزكو بها المال بالبركة، ويطهر بها المرء بالمغفرة. النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص٣٩).

(٢) ويرجع سبب اختيار هذا التعريف كونه يتضمن الركائز الأساسية للزكاة وهي:

أ ـ اعتبار الزكاة نقل ملكية وليست منّة، أو فضلاً، أو هبة؛ من صاحب المال لمستحقيها.

ب ـ تتمثل الزكاة في جزء معين معلوم من الأموال، يحدد وِفْقاً لقواعد معينة. يؤيد ذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]. =

ج ـ المناسبة بين المعنى اللغوي للزكاة والمعنى الشرعي:

بعد النظر في كلٍّ من التعريفين اللغوي والشرعي للزكاة؛ نجد أن هناك مناسبة قوية بينهما. ذلك أن معاني الزكاة في اللغة الطهارة، والنماء، والمدح، والصلاح، والبركة، وكلها موجودة في المعنى الشرعي؛ لأنها تطهر مؤديها من الذنوب ومن صفة البخل، والمال بإنفاق بعضه وتنميِّه بالخلف[1]؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ...﴾ [سبأ: ٣٩].

ويُمْدَح بها الدَّافِع ويُثْنى عليه بالجميل، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤].

ثانياً: أدلة وجوب الزكاة

ثبت وجوب الزكاة بأدلة من الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والمعقول:

= ج ـ هناك شروط معينة لا بد من تحقيقها لتجب الزكاة في المال، فليس كل مال تجب فيه الزكاة.

د ـ اشترط النصاب في المال لوجوب الزكاة فيه، تحقيقاً للعدالة الاجتماعية.

هـ ـ تُوَجَّهُ حصيلة الزكاة إلى مصارف معينة محدَّدة، وفقاً لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا...﴾ [التوبة: ٦٠]. البهوتي، منصور «كشاف القناع»: (٢/ ١٩١).

(١) ابن عابدين، محمد أمين، «حاشية رد المحتار على الدر المختار»: (٢/ ٢٧٨).

أ ـ من الكتاب:

قوله ﷻ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ب ـ من السُّنَّة:

١ ـ قوله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

٢ ـ قوله ﷺ في حديث معاذ حيث بعثه إلى اليمن: «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**»(٢).

ج ـ من الإجماع:

فقد أجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوبها(٣)، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها(٤).

---

(١) سبق تخريجه: (ص٢٩٨)، هامش (١).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب وجوب الصدقة: (ح١٣٩٥)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام: (ح١٢١).

(٣) نقل الإجماع: ابن المنذر، محمد «الإجماع»، كتاب الزكاة: (ص١١، ١٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٣/ ٣٧٨).

(٤) حديث قتال مانعي الزكاة أخرجه: البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة: (ح١٣٩٩، ١٤٠٠).

د ـ أما المعقول:

فمن وجوه:

أحدها: أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف، وإغاثة اللهيف، وإقدار العاجز، وتقويته على أداء ما افترض الله ﷻ عليه من التوحيد والعبادات، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض.

الثاني: أن الزكاة تُطَهِّرُ نفس المؤدِّي عن أنجاس الذنوب، وتزكِّي أخلاقه بتخلُّقِ الجود والكرم، وتَرْكِ الشُّحِّ والضنِّ، إذ الأنفس مجبولة على الضنِّ بالمال، فتتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، وقد تضمن ذلك كله قوله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾ [التوبة: ١٠٣].

الثالث: أن الله ﷻ قد أنعم على الأغنياء، وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية، وخصَّهم بها، فيتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش، وشكر النعمة فرضٌ عقلاً، وشرعاً، وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة؛ فكان فرضاً[1].

ثالثاً: شروط وجوب الزكاة

أ ـ شَرْطُ وجوب الزكاة في المزكِّي:

هناك شروط يجب توافرها فيمن تجب عليه الزكاة، وهي:

١ ـ الإسلام: لأن الزكاة عبادة، والعبادة تفتقر إلى نية، وغير المسلم ليس أهلاً للنية.

---

(١) الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (٢/ ٤).

٢ ـ **الحرية**: لأن العبد وما ملكت يداه لسيده.

٣ ـ **ملك النصاب**[١].

٤ ـ **تمام الملك**.

٥ ـ **حولان الحول**[٢]. إلا في الخارج من الأرض.

ب ـ شروط وجوب الزكاة في المال:

١ ـ كون المال نامياً؛ أي: معد للاستنماء.

٢ ـ الإسامة في الحيوان.

٣ ـ نية التجارة في أموال التجارة[٣].

ج ـ شروط صحة أداء الزكاة:

النية: يشترط في صحة أداء الزكاة النية، وذلك لما يلي:

---

(١) النصاب كل مالٍ لا يجب فيما دونه الزكاة. النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة»: (ص٣٩). **ويشترط في النصاب**:
أ ـ أن يكون خالياً من دين له مطالب من العباد.
ب ـ أن يكون زائداً عن حاجاته الأصلية.
ج ـ أن تكون يده على المال يد ملك.
د ـ أن يوجد النصاب في طرفي الحول. أوَّلِهِ وآخِرِهِ.

(٢) واشترط الحنفية: البلوغ، والعقل، خلافاً للجمهور، فلا زكاة على صبي ومجنون في مالهما. الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» (٣/ ٥، ٦، ٧، ٨، ٩)، ابن قدامة، عبد الله «المغني والشرح الكبير»: (٣/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠٧)، ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (٣/ ٥٨).

(٣) الكاساني، أبو بكر، م ـ س: (٣/ ١٦، ١٧).

١ ـ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[١] وأداؤها عمل.

٢ ـ ولأنها عبادة فتتنوع إلى فرض، ونفل، فافتقرت إلى النية كالصلاة[٢].

د ـ أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة:

تجب الزكاة في جميع الأموال المعدة للنماء والزيادة، وذلك يرجع إلى أنواع خمسة:

١ ـ الذهب والفضة.

٢ ـ عروض التجارة[٣].

٣ ـ النعم (الإبل، والبقر، والغنم).

٤ ـ الركاز والمعادن.

٥ ـ الزروع والثمار[٤].

رابعاً: مكانة الزكاة في الإسلام

إن شأن الزكاة في الإسلام عظيم، وفضلها ظاهر مبين، فهي أحد أركان الإسلام[٥]، ومبانيه العظام، الذي لا يقوم بناؤه إلا بها،

---

(١) سبق تخريجه: (ص٢٧٦)، هامش (٥).

(٢) الكاساني، أبو بكر، «بدائع لصنائع في ترتيب الشرائع»: (٣/ ٥٩)، ابن قدامة، عبد الله، «المغني والشرح الكبير»: (٣/ ٤٧٠).

(٣) ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (٤/ ٥).

(٤) ابن رشد، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (٣/ ٧١ ـ ١١٥).

(٥) سبق تخريجه: (ص٢٩٨)، هامش (١).

ولا يرتكز إلا عليها، وأداؤها مع إقامة الصلاة علامة لصحة الإسلام وأحكامه، ودخول الرجل في السِّلم مع الله، والإخاء مع المسلمين.

قال الله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وقال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١].

وقال رسول الله ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ. وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**(١).

خامساً: أهمية الزكاة

وقد بيَّن النبي ﷺ أهمية الزكاة في دين الله ﷻ، ورغَّب في أدائها، ورهَّب من منعها بأحاديث متعددة، منها:

١ ـ أن النبي ﷺ بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: **«إِنَّكَ تَأْتِي قَوماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة: (ح١٣٩٩)، بلفظ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»**، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله: (ح١٢٩).

وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ...»[(١)].

فنلاحظ هنا: أن النبي ﷺ اقتصر على الصلاة والزكاة لشدة اهتمام الشارع بهما، وخاصة إذا كان المقام مقام الدعوة إلى الإسلام، فيكتفي بهما مع الشهادة، كما في قوله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

٢ ـ ومن الأحاديث التي أنذرت مانعي الزكاة بالعذاب الأليم في الآخرة، قوله ﷺ: **«مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ[(٢)] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ؛ يَعْنِي: شِدْقَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ»**، ثم تلا النبي ﷺ الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠][(٣)].

---

(١) سبق تخريجه: (ص٤٢٦)، هامش (٢).

(٢) يُطَوَّقُهُ: بضم أوله وفتح الواو الثقيلة، أي يصير له ذلك الثعبان طوقاً. ابن حجر، أحمد، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: (٣/ ٣١٧).

(٣) والحديث أخرجه البخاري، محمد «صحيح البخاري»، باب إثم مانع الزكاة: (ح١٤٠٣)، وأخرجه مسلم من حديث طويل وفيه: **«...وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَيُقَالُ هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ...»**. النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة: (ح٩٨٨).

فمن هذا الحديث يتبين لنا شدة اهتمام النبي ﷺ بالزكاة، حيث أنذر مانعي الزكاة بالعذاب الشديد، وتوعَّدهم بالعقاب الأليم، لتتنبه القلوب الغافلة، وتتحرك النفوس الشحيحة إلى البذل.

ولا عجب أن نرى شدة اهتمام الشريعة بهذه الفريضة العظيمة، لما لها من أثر كبير في بناء المجتمع الإنساني، وعلاج مشكلاته وأمراضه[1]؛ لأنه دين إنساني، جاء بتكريم الإنسان وتحريره، ففيه تتعانق المعاني الروحية، والمعاني الإنسانية، وتسيران جنباً إلى جنب[2].

فالزكاة هي أول نظام عرفته البشرية لتحقيق الرعاية للمحتاجين، والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث يعاد جزء من ثروات الأغنياء على الطبقات الفقيرة والمحتاجين؛ مما يؤدي إلى زيادة تماسك المجتمع، وتكافل أفراده، والقضاء على الفقر وما يرتبط به من مشاكل اجتماعية، واقتصادية، وأخلاقية، إذا أُحسِنَ استغلال أموال الزكاة وصرفها لمستحقيها.

❁ ❁ ❁

(١) كما سنبين فيما يأتي إن شاء الله.

(٢) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (١/ ٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني

حِكمة تشريع الزكاة

تمهيد

إن الإسلام دين هداية ورحمة، يحقق لأتباعه السعادة والراحة في الدنيا والآخرة. قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والإسلام دين يدعو إلى التراحم والتعاون والتكافل، قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وإذا تأملنا ثمرة هذه الدعوة ـ أي: الدعوة إلى التكافل والتراحم ـ وجدناها في تشريع الزكاة.

فالزكاة تمثل نظاماً اقتصادياً دقيقاً، يتلاءم وما ينبغي أن يكون عليه الناس من تكافل اجتماعي، وتعاون على الخير، وهي عبادة مالية صاغها الدين الإسلامي؛ بطريقة تحقق مصلحة الفقير والغني على حد سواء.

وتشريع الزكاة ينطوي على حِكَمٍ شرعيَّة وإنسانيَّة نبيلة، ومقاصد أخلاقيَّة جليلة، وقيم روحية رفيعة، وأهداف اجتماعية سامية، وفوائد اقتصادية عالية إجمالية وتفصيلية، لها آثارها الإيجابية في الفرد والمجتمع والأمة، قصد الإسلام تحقيقها وتثبيتها حين

فرض الزكاة[١]. نبرزها من خلال ما يأتي:

أولاً: حِكمة الزكاة الإجمالية

١ ـ حِكمة شرعية

فالزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وركن من أركانه العظام، وهي مما علم من الدين بالضرورة، والمحافظة على أدائها، يُحَقِّقُ مقصِداً شرعياً، هدفت الشريعة إلى الحفاظ عليه. فنحن نعلم أن الشريعة جاءت بالحفاظ على الضروريات الخمس[٢]، والتي منها حفظ الدين، وأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين[٣].

ولا شك أن الزكاة ـ كما بيَّنّا ـ هي الركن الثالث من أركان الإسلام، فالمحافظة عليها وأداؤها يحقق غاية من غايات الشريعة، وهي حفظ الدين من جانب الوجود.

فالمسلم مطالب بأداء هذه الفريضة العظيمة، وإقامة هذا الركن الأساسي في الإسلام، طاعة لله ﷻ بامتثال أمره، واستجابة لطلبه. يقول الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣][٤].

---

(١) حين طبق المسلمون في العصور الزاهية فريضة الزكاة كما شرعها الله ورسوله، تحققت حِكَمها الجليلة، وبرزت مقاصدها العظيمة في حياة الفرد، والمجتمع، والأمة.

(٢) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/ ٨).

(٣) الشاطبي، إبراهيم، م ـ ن: (٢/ ٧).

(٤) قطب، سيد «في ظلال القرآن»: (١/ ١٥٩، ١٦٠).

فإخراج الزكاة مع تعلق النفس الشديد بالمال، والحرص عليه، يمثِّل أسمى غايات العبودية والاستسلام لله ﷻ، والانقياد لأوامره، والخضوع لحُكْمه. وهو دليل على صدق إيمانه. فأداء الزكاة إنما هو امتحان لإيمان الفرد بالله ﷻ.

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: «يمتحن الله بالزكاة درجة المحبِّ بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق؛ لأنها أداة تمتعهم بالدنيا، وبسببها يأنسون بهذا العالم، وينفرون عن الموت، مع أن فيه لقاء المحبوب. فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب، واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم»[(١)].

وبهذا تظهر الحِكمة الشرعية من فرضية الزكاة؛ في تعويد المسلم الاستجابة لأوامر الله ﷻ وطاعته، وتقوية إيمانه، وتربيته على البذل والإيثار وعدم التعلق بالمال.

٢ ـ حِكمة روحية

إن من يتأمل ما شرعه الله ﷻ لعباده من تكاليف، وما سَنَّه لهم رسوله من أحكام، يجد أنها تهدِف إلى تمرين الروح؛ لتسمو بها إلى مصافِّ الملائكة المقرَّبين، وتَصِلُها بالأفق الأعلى حتى تبلغ بالروح درجة الصفاء، والتجرد، والخلوص لله ﷻ.

إن إيجاب الزكاة في أموال الموسرين، لمن أبلغ التمرينات

---

(١) الغزالي، محمد «إحياء علوم الدين»، كتاب أسرار الزكاة (١/ ٢٥٣).

الروحية، إذ هي في حقيقتها: «انعتاق للروح من حبِّ المال الذي يَقْبِضُ الأيدي عن الإنفاق، ويَقْبِضُ النفوس عن الأريحية، ويَقْبِضُ الأرواح عن الانطلاق، فهي قيمة روحية، وقيمة شعورية، أن يَبْسُطَ الإنسان يده وروحه فيما يحب من مال».

إن هذا الشعور، وهذا المعنى يصدِّقه قوله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. فالزكاة طهارة للروح، وتزكية للنفس، وراحة للجسد المعنَّى الذي أوبقه حب المال، وأتعبه.

«والزكاة تُخلِّق صاحبها بخلق من أخلاق الله ﷻ: فإن إفاضة الخير والرحمة من صفاته ﷻ. فمن اتصف بهذه الصفات الجليلة قدر طاقته، فقد تخلَّق بخلق من أخلاق ربه، التي هي منتهى الكمالات الإنسانية، وبلغ ذروة السعادة الروحية».

ولعمر الله إن بلوغ هذه الغاية أسمى المنى، وهو بمحصِّلته ثمرة التغلب على الهوى، بامتثال أمر الله جل وعلا[1].

٣ ـ حِكمة نفسية

معلوم أن هناك علاقة ما بين سمو الروح وصفائها، وإشراق النفس وانشراحها، فكل واحدة تعتبر نتيجة لازمة للأخرى، ولهاتين أيضاً ـ أي: الروح والنفس ـ انعكاس على وجه الإنسان، وجسده، وأدائه، لا يخفى.

---

(١) للتوسع في هذا المعنى ينظر: أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية»: (ص١١٩).

وقد بيَّنّا أثر إخراج الزكاة على الروح، ونبين هنا أثر ذلك على النفس، من خلال إبراز الأمور التالية:

أ ـ حِكمة الزكاة وأثرها في نفس المعطِي:

١ ـ تطهير النفس عن دنس البخل والطمع[١]:

فالزكاة تعد من أهمِّ العلاجات النافعة لأمراض البخل، والطمع، والأنانية، فهي مدرسة في تربية النفس على الإنفاق، والبذل، والجود، والسخاء، فالنفس ميَّالة إلى الحرص بطبعها. حتى إن الرضيع إذا أرضعت ظِئره رضيعاً غيره تألمت نفسه، وحاول جهده إبعاد ذلك الرضيع الآخر، حتى ولو بالبكاء الذي هو عنوان تألمه. وكذلك الحال في الحيوانات[٢].

وهنا تظهر حِكمة الزكاة بترويض النفس وتمرينها على الإنفاق والبذل، حتى يصير الجود طبعاً لها، والكرم سجية فيها[٣]. وهذا

---

(١) الغزالي، محمد «إحياء علوم الدين»، كتاب أسرار الزكاة (١/ ٢٥٤).

(٢) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١١٤). إن دافع التملك من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان في الأغلب أثناء نشأته الاجتماعية. فالإنسان يكتسب من ثقافة المحيط، ومن خبراته الذاتية، وحبه لامتلاك المال والعقار، الذي يشعره بالأمن من الفقر، ويمده بالنفوذ والقوة والسلطة السياسية في المجتمع، يقول الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ...﴾ [آل عمران: ١٤]. المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٣٠٧)، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٣) وهو أحد علامات المتقين، وقد وصف القرآن الكريم ذلك في قوله ﷻ: =

أعظم ابتلاء للإنسان؛ لأن المال من أعز الأشياء على النفس، قال الله ﷻ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]. وقد قدَّم الله ﷻ المال على البنين في كتابه المبين بقوله ﷻ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]. فالإنسان يميل بطبعه إلى المال، أكثر من ميله إلى أي شيء آخر.

ولعل السر في هيمنة حب المال على القلب الإنساني ما بيَّنه الفخر الرازي[1] بقوله:

«إن كثرة المال، توجب شدة القوة وكمال القدرة، وتزايد المال يوجب تزايد القدرة، وتزايد القدرة يوجب تزايد الالتذاذ بتلك القدرة؛ وتزايد تلك اللذات يدعو الإنسان إلى أن يسعى في تحصيل المال؛ الذي صار سبباً لحصول هذه اللذات المتزايدة، وبهذا الطريق تسير المسألة مسألة الدور؛ لأنه إذا بالغ في السعي ازداد المال، وذلك يوجب ازدياد القدرة، وهو يوجب

= ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

(١) الرازي: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين، البكري، التيمي، الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المفسِّر، المتكلم، الشافعي، ولد سنة (٥٤٤هـ) بالري، أخذ عن الكمال السمناني، والمجد الجيلي، وغيرهم، من مؤلفاته: «مفاتيح الغيب»، و«المحصول في علم أصول الفقه»، (ت: سنة ٦٠٦هـ) بمدينة هراة. ابن خلكان، أحمد «وفيات الأعيان»: (٤/ ٢٥٠، ٢٥٢)، ابن السبكي، عبد الوهاب «طبقات الشافعية الكبرى»: (٥/ ٣٣، ٣٥، ٣٩).

ازدياد اللذة، وهو يحمل الإنسان على أن يزيد في طلب المال. . .»[١].

ولما كان أثر المال في النفس على هذا النحو، كان لا بد أن يستعلي المسلم على هذه النوازع، وأن يُخَلِّصَ نفسه من الشُّحِّ، ببذل جزء يسيرٍ من ماله، لينعتق من خضوع سلطة المال.

ففي إخراج المسلم الزكاة التي أمره الله بها، ومجاهدة نفسه، وتمرينها على الجود والبذل، صيانة النفس من الشُّحِّ، وحفظ العرض من أن يدنَّس بأخبث وصمة هي البخل[٢].

يقول الدهلوي[٣]: «إن عمدة ما روعي في الزكاة مصلحتان: مصلحة ترجع إلى تهذيب النفس، وهي أنها أحضرت الشُّحِّ، والشُّحُّ أقبح الأخلاق ضار بها، ومن تمرَّن بالزكاة وأزال الشُّحَّ من نفسه، كان ذلك نافعاً له. . .»[٤].

---

(١) الرازي، محمد «التفسير الكبير»: (١٦/ ٨١).

(٢) مقتبس من: الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١١٤).

(٣) الدهلوي: أحمد بن عبد الرحيم، الفاروقي، الدَّهلوي، الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب بـ «شاه ولي الدين»، فقيه حنفي من المحدثين، من أهل دلهي بالهند، ولد سنة (١١١٠هـ)، (ت: سنة ١١٧٦هـ). من كتبه: «حجة الله البالغة» «الإنصاف في أسباب الاختلاف» «الإرشاد في مهمات الإسناد». الزركلي، خير الدين «الأعلام»: (١/ ١٤٩).

(٤) الدهلوي، أحمد «حجة الله البالغة»: (٢/ ١٠٠). يقول القرضاوي: «الشُّحُّ آفة خطرة على الفرد وعلى المجتمع، إنها قد تدفع من اتصف بها إلى الدم فيسفكه، وإلى الشرف فيدوسه، وإلى الدين فيبيعه، وإلى الوطن فيخونه». القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٨٥٨).

٢ ـ في الزكاة كبح لجماح النفس، وتربيتها على التذلل والافتقار إلى الله ﷻ:

لأن النفس إذا شعرت بالغنى بطرت وربما طغت، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧].

لذا كان في الزكاة قهراً لهذه النفس، وترويضاً لها على التمسك بالمال والحرص عليه، واستعلاء على نوازع الأثرة، والأنانية في النفس، وانتصاراً على نزعة الشُّحِّ ببواعث الإيمان.

٣ ـ إن في إعطاء الزكاة لمستحقيها تربية للنفس على خلق نبيل وهو الشفقة على عباد الله، والرحمة بهم، والإحسان لهم، ودرء المفسدة عنهم حسب الوسع والطاقة.

يقول الرازي: «إن النفس لها قوتان: نظرية وعملية؛ فالقوة النظرية كمالها في التعظيم لأمر الله، والقوة العملية كمالها في الشفقة على خلق الله؛ فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال، وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق، ساعياً في إيصال الخيرات إليهم، دافعاً للآفات عنهم»[(١)]. وهكذا تتضح حِكمة الزكاة في تهذيب النفس، وتطهيرها من الشُّحِّ والحرص بالترغيب والتحذير، وترويضها على الجود والبذل، وصدق الله القائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. فالزكاة طهرة للنفس وتزكية لها.

---

(١) الرازي، محمد «التفسير الكبير»: (١٦/ ٨١).

٤ ـ تنمية شخصية المزكي:

وفي الزكاة تحقق النماء والزيادة لشخصية المزكي وكيانه المعنوي، فالإنسان الذي يُسْدِي الخير، ويصنع المعروف، ويبذل من ذات نفسه ويده لينهض بإخوانه المسلمين، ويقوم بحق الله عليه، يشَعْر بامتداد في نفسه، وانشراح واتساع في صدره، ويحس بالانتصار على ضعفه وأثرته، وشيطان شحِّه وهواه[١].

ب ـ حِكمة الزكاة وأثرها في نفس الآخذ:

١ ـ التحرير من ذي الحاجة:

وهي أُولى الحِكم والأهداف التي يتحسسها الإنسان في هذه الشعيرة. ففرض الله الزكاة، وجعلها من دعائم الإسلام، تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء، فيقضي بها الفقير حاجاته المادية: كالمأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، وحاجاته النفسية الحيوية: كالزواج، وحاجاته المعنوية: ككتب العلم لمن كان من أهله. وبهذا يشعر الفقير أنه عضو حي في جسم المجتمع، يشارك في الحياة، ويقوم بواجبه في طاعة الله. وفي هذا كسب كبير لشخصيته، وانشراح لصدره، وزكاة لنفسه، وارتقاء لروحه[٢].

٢ ـ تطهير النفس من الحسد والحقد والبغضاء:

وفي الزكاة تطهير لقلوب الفقراء من الحقد والحسد، وتزكية

---

(١) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٨٦٦).

(٢) القرضاوي، يوسف، م ـ ن: (٢/ ٨٧٤، ٨٧٥) بتصرف.

لنفوسهم من الغل، والدَّغل الذي يتولد بسبب الحرمان مع وطأة الحاجة، وما يتبع ذلك من أفعال ظاهرية قد تُلْحِقُ الضرر بالأغنياء. وبذلك حافظ الإسلام على تقوية الشعور بالانتماء الاجتماعي، مما يجعله يشعر بالرضا عن نفسه، وهو أمر له أهمية كبيرة في صحة الإنسان النفسية.

فإن تطهير نفوس الأغنياء من مرض البخل والشُّحِّ، وتطهير قلوب الفقراء من الحسد والحقد، عالجهما الإسلام عن طريق الزكاة، حيث يقول الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

فالطهارة والتزكية كما تكون لنفوس الأغنياء، تكون لقلوب الفقراء[(١)]. ولعل الدافع الأساسي لظهور النظام الرأسمالي الغربي، هو الجشع والشُّحُّ بحقوق الفقراء والأجراء.

كما إن الدافع الأساسي لظهور النظام الشيوعي الشرقي، هو ما أصاب قلوب الفقراء والأجراء من أمراض الحسد، والحقد، بسبب الحرمان[(٢)].

---

(١) فَتُرْبة الشح والأنانية لا تُنْبِت إلا الحقد والحسد لكل ذي نعمة، والحسد والبغضاء داء فتَّاك، وآفة قاتلة، وخسارة مدمرة للفرد والمجتمع. فعندما ينال الفقير حقه من الغني تطهر نفسه من الحسد والبغض، حيث إن الإحسان يستميل القلوب، ويستل الأحقاد، ويقضي على بواعث الشحناء والبغضاء، ويجعل الناس إخوة متحابين، رحماء متعاطفين.

(٢) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٣١٠، ٣١١)، بتصرف يسير.

٤ ـ حِكمة الزكاة التربوية والأخلاقية

يهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالجانب الأخلاقي والتربوي للمسلم، فالتربية والأخلاق تشكِّل ركناً أساسياً في بناء الفرد في الإسلام.

وللزكاة دور بارز في إقامة هذا الركن، وتأصيل هذا الخلق وتعميقه في النفس، وتنمية سلوكه التربوي وفق مُثُلٍ أخلاقيةٍ رفيعةٍ، وقيمٍ تربويةٍ بديعةٍ، نبرزها من خلال العناوين التالية:

أ ـ الشعور برضا الله ﷻ:

فعندما يبادر المسلم بإخراج الزكاة، ودفعها لمستحقيها، فإنه يشعر برضا ربه عنه لطاعته وامتثال أمره، فتتربى نفسه على الطاعة والانقياد لأوامر الله ﷻ، لتبقى في شعور دائم برضا المولى ﷻ.

ب ـ تزكية النفس وتطهيرها:

فالزكاة تطهر نفس المؤدي من أنجاس الذنوب، وتزكِّي أخلاقه بتخلُّق الجود والكرم، وتَرْكِ الشُّحِّ والضنِّ.

ج ـ تعوّد السماحة وارتياض أداء الأمانات، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها:

فمما لا خلاف فيه بين علماء التربية والأخلاق، أن للعادة أثرها العميق في خلق الإنسان وسلوكه وتوجيهه، ولهذا قيل: «العادة طبيعة ثانية»[1].

---

(١) حيث إن الإنسان يميل إلى طغيان المال. ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ =

فالمسلم الذي يتعود الإنفاق وإخراج زكاة ماله كلما حال عليه الحول؛ يصبح الإعطاء والإنفاق صفة أصيلة من صفاته، وخلقاً عريقاً من أخلاقه[١].

د ـ تطهر المجتمع من التحاسد والتباغض:

فكما أن الزكاة تطهر الفرد من تلك الرذائل الأخلاقية، كذلك تطهر المجتمع من التلوث الذي يتولد نتيجة الفقر والتفاوت الطبقي؛ الذي يؤدي إلى وجود طبقة محرومة من الامتيازات.

هـ ـ تربية النفس:

فالزكاة تساعد على تربية النفس عن طريق الشعور بآلام الآخرين، والإحسان إليهم، والسعي في إيصال الخير إليهم، ودفع النكبات والآفات عنهم[٢].

و ـ تربية النفس على الأمانة ومراقبة الله ﷻ:

ففي الزكاة تنمية لخلق الأمانة، وتعويد على مراقبة الله ﷻ، فالمزكِّي يحصي أمواله، ويخرج المتوجِّب عليه، طواعية ورغبة، مستشعراً رقابة الله عليه، فتصبح المراقبة طبعاً له وسجية وملكة فيه.

= ﴿ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧]. المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٣٠٣).

(١) المصطفى، حسين، م ـ ن: (ص٣٠٣، ٣٠٤).

(٢) المصطفى، حسين، م ـ ن: (ص٣٠٤).

وبهذا تتضح حِكمة الزكاة التربوية والأخلاقية، التي قصد الإسلام تحقيقها من وراء فرضها وتشريعها.

٥ ـ حِكمة الزكاة الاجتماعية

إن من يستقرئ أحكام الشريعة الإسلامية، ويقف على حِكمها وغاياتها، يلاحظ أنها جميعها تَهدِف إلى إقامة العلاقة بين الناس، على أساس من الإخاء المتين، والمحبة الصادقة[1]، فالأخوة في الإسلام فرع الإيمان. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وإذا تأملنا حِكمة الزكاة وجدنا أنها من أهم الأمور التي تقوِّي العلاقات الاجتماعية، وتوطِّد أواصر الأخوة، وتنشر الألفة والمحبة والسلام بين أبناء المجتمع الواحد، فللزكاة دور أساسي في بناء المجتمع الإسلامي، وتثبيت الأمن في جنباته، وإشاعة المحبة بين

(١) فصلاة الجماعة: توطِّد العلاقة بين الناس، وتزيد المحبة بين المصلين، حيث ينتظمون في الصلاة متساوين لا تمايز بينهم، وفي الزكاة: يأخذ الغني بيد الفقير فيسد حاجته، وينفِّس كربه فتقوى العلاقة بين أفراد المجتمع، وتزداد الألفة بينهم، وفي الصيام: حيث يشترك الجميع في الامتناع عن الطعام، وفي وقت الإفطار، وصلاة التراويح مع ما يصاحب الصيام من المواساة، وإشاعة المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، وفي الحج: نرى الجميع يقومون بأداء مناسك الحج كأنهم كتلة بشرية واحدة، انصهرت الفوارق فلم تعد ترى إلا المساواة تعم الجميع، والرحمة تظلل الضعيف. فيغدو الجميع كأنهم أسرة واحدة.

أبنائه، ولها فوائد إنسانية عميقة، ومقاصد اجتماعية جليلة، نبرزها من خلال العناوين التالية:

أ ـ تحقيق الكفاية لكل مجتمع:

فالزكاة مظهر تفيض به القلوب المؤمنة من إحساس بالمسؤولية الاجتماعية، وشعور بالتضامن والارتباط، فتعمل على تحقيق الكفاية لكل محتاج؛ في المطعم والملبس والمسكن، وسائر حاجات الحياة لنفس الشخص، أو من يعولهم دون إسراف أو تقصير.

يقول الدهلوي: «... ومصلحة ترجع إلى المدينة، وهي أنها تجمع لا محالة الضعفاء وذوي الحاجة، وتلك الحوادث تغدو على قوم، وتروح على آخرين، فلو لم تكن السُّنَّة بينهم مواساة الفقراء وأهل الحاجات لهلكوا وماتوا جوعاً. وأيضاً فنظام المدينة يتوقف على مال يكون به قوام معيشة الحفظة[1]؛ من الجنود الذَابِّين عنها والمدبرين السائسين لها...»[2].

ب ـ إشاعة المحبة بين الناس:

فالزكاة تؤدِّي إلى نقاء المجتمع وتطهيره من ظواهر: الكره، والتحاسد، والتباغض، وهي آفات خطيرة إذا وجدت في مجتمع قوَّضت أركانه، وصدَّعت بنيانه. فالحسد والكراهية داء اجتماعي، كما هو داء نفسي أيضاً، إنه يؤدِّي إلى الإصابة بأمراض وبيلة،

---

(١) أي: كالغزاة.

(٢) الدهلوي، أحمد «حجة الله البالغة»: (٢/ ١٠١).

كقرحة المعدة، وضغط الدم. والحسد والكراهية يضران بإنتاج المجتمع واقتصاده، فالحاسد إنسان معقَّد ضعيف الإنتاج؛ إن لم يكن عقيمه.

لذا فإن الزكاة تقوم بدور بارز في القضاء على هذه الآفات في المجتمع المسلم، وتغرس مكانها المحبة بين الفقراء والأغنياء، وتُوَطِّد العلاقة بينهم. فإن الناس وبخاصة الفقراء، إذا علموا أن الغني يعطيهم ولا يبخل عليهم، وأنه كلما زاد ماله كلما وسَّع عليهم، فإنهم لن يتوانوا عن الدعاء له بسعة الرزق، وطول العمر، وسلامة العافية، فقد جُبِلَتِ القلوب على حبِّ من أحسن إليها. وفي هذا الجوِّ المتضامن تنمو بذور المحبة، وتقوى صلات الإخاء، فتثمر تماسكاً اجتماعياً يقهر الصعاب.

ج ـ القضاء على الفوارق الطبقية:

«فعندما يعمل الإسلام على توسيع قاعدة التملُّك، وتحويل أكبر عدد ممكن من الفقراء إلى مالكين لكفايتهم، فإنما يقوم بعدالة التوزيع، ويقارب بين الطبقات، مما يضفي على المجتمع التماسك بين طبقاته، منعاً لنشوء أي صراع بينها»[1].

د ـ القضاء على ظاهرة التسول في المجتمع بمعالجتها عن طريق:

«١ ـ تهيئة العمل المناسب لكل عاطل قادر على العمل.

---

(١) قباني، مروان «الزكاة أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة»: (ص٣٢)، ط ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، د.ط.

٢ ـ وضمان المعيشة الملائمة لكل عاجز عن اكتساب ما يكفيه»[١].

هـ ـ تحصين الشبان والشابات:

عن طريق مساعدة الراغب بالزواج. فمن فضل الله وعونه الذي وعد به كل مؤمن يريد إعفاف نفسه بالزواج: أن يمد المجتمع المسلم ـ ممثلاً في الحكومة أو مؤسسة الزواج ـ يده إليه بالمساعدة في المهر، ونفقات الزواج إن كان من أهل الحاجة[٢]. ولا يخفى ما لمساعدة الشباب من آثارٍ إيجابية على المجتمع، ففي الزواج إعانة على غضِّ البصر، وإحصان الفرج، وإقامة الأسرة المسلمة، وفي هذا تحصين للمجتمع من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانحطاط الأخلاقي.

و ـ إصلاح ذات البين:

وللزكاة دورها الريادي في معالجة أي نزاع أو مخاصمة، قد تطرأ بين أبناء المجتمع.

وذلك بتكوين (لجان المصالحات) في كل جهة أو قرية، يكون من سلطتها التدخل لفضِّ الخصومة، والتَّعْفِيَةِ عن آثارها بكل الوسائل.

ولما كانت بعض النزاعات يحتاج حلّها وحسم الخلاف فيها إلى مالٍ، كما إذا كان هناك ديات، أو غرامات على أحد الطرفين،

---

(١) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٨٩٤، ٨٩٧).

(٢) القرضاوي، يوسف، م ـ ن: (٢/ ٩١١).

أو على كليهما للآخر؛ لا يستطيع دفعها؛ ولم يسامح فيها الطرف الآخر؛ فإن في الزكاة حلاً لمثل هذه القضايا من «سهم الغارمين»، أصحاب القلوب الكبيرة التي تلتزم دفع ما يقتضيه الصلح، من ديات وغرامات لتخمد نار الفتنة، وتُقِّر السكينة والسلام في أنحاء المجتمع[١]. وبهذا يتحقق هدف أصيل، ومقصِد عظيم، من مقاصد الإسلام.

ز ـ تقليل معدل الجريمة:

للزكاة دور كبير في حفظ أمن المجتمع واستقراره. فهي تعمل على مساعدة الفقراء والمساكين، وذوي الحاجات والمنكوبين، فتقل الجرائم اللصوصية، والقتل بقصد السلب، ويحل محلها الأمن والاستقرار، فكثير من الذين ارتكبوا جرائم، وقضي عليهم بالشقاء والسجن وحبس الحرِّية، ربما كانوا مساقين إلى ارتكاب جرائمهم الفظيعة بدافع الفقر والفاقة. وتتجلى هنا حِكمة الإسلام بتشريع الزكاة حمايةً لأمن المجتمع، وصيانة لأرواح وأموال أهله.

فالمجتمع ليس إلا مجموعة أفراده، فكل ما ينمِّي شخصية الفرد، وينمِّي مواهبه وطاقاته المادية والمعنوية، هو من غير شك تقوية للمجتمع وترقية له. وكل ما يؤثِّر في المجتمع بصفة عامة يؤثر في أفراده[٢].

---

(١) مقتبس من: القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٩٠٤).

(٢) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٨٨٠).

٦ ـ حِكمة الزكاة الصحية

قد يبدو الحديث عن حِكمة الزكاة الصحية لافتاً بعض الشيء. إذا الزكاة في جوهرها أداء مال من جهة المعطي، وقبض من جهة الآخذ. فما علاقة ذلك بالصحة؟

إننا إذا أنعمنا النظر في أثر الزكاة على الصحة الجسدية، لاح لنا من الفوائد العظيمة، والأسرار البديعة ما يدهش العقول:

فالزكاة ـ كما بيَّنَّا ـ فيها تطهير للنفس: من الشُّحِّ، والطمع، والأنانية ـ وهي أدواء فتَّاكة ـ، وفيها تدريب على الإنفاق، والبذل، وشكر للنعمة، واعتراف بالجميل، وعلاج للقلب من حب الدنيا، ونماء لشخصية المزكِّي، وجلب المحبة والدعاء له... ولا ريب أن هذه صفات تحقق السعادة للإنسان[1]، وتبعث في النفس الاطمئنان،

---

(١) فالغنى ليس هو سر السعادة...

جاء في دراسة علمية جديدة (صحيفة ذي إندبندنت): أن بعض علماء النفس توصلوا إلى أن أعمال البر؛ يمكن أن تكون أقصر الطرق للوصول إلى السعادة.

ففي محاولة لتفسير تناقض الحياة المعاصرة ـ لماذا تكاثر الأموال لا يجعل الناس بالضرورة أسعد حالاً؟ ـ اكتشف العلماء أن كل ما ينفقه الناس من مالهم مهم بنفس الكم الذي يكسبونه، وأن أعظم المتع على الإطلاق يمكن أن تتحقق بالتبرع بالمال، إما لشخصٍ تعرفه، أو للجمعيات الخيرية.

وبينت الدراسات: أن أغنى الدول ليستْ أسعد الشعوب دائماً.

وتوصل العلماء إلى أن الذين ينفقون أموالهم على الآخرين كانوا أسعد؛ بينما أولئك الذين أنفقوا أموالهم على ملذاتهم الشخصية لم يشعروا بسعادة تذكر. =

وفي الصدر الانشراح، وفي القلب السكينة والارتياح؛ فينعكس أثر ذلك على الجسد صحة، وراحة، ونشاطاً، وحيوية. إذ الصفاء والاطمئنان النفسي له انعكاس إيجابي كبير على الجسد أقوى من العقاقير الدوائية[1]. **هذا من جانب المعطي.**

أما من جانب الآخذ: فأثر الزكاة على صحة الفقير أوضح وأوسع، وأعمق أثراً وأبلغ. فمشكلة المرض مرتبطة بالفقر إلى حدٍّ كبير؛ فالفقر والحاجة داء فتَّاك، وآفة مهلكة لقوى الإنسان، يؤدي إلى الإصابة بأمراض وبيلة. فالغضب والانفعال والتوتر نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية، وعدم القدرة على توفير الاحتياجات الضرورية، «يؤدي إلى زيادة إفراز الأدرينالين في الدم زيادة كبيرة، فيضطرب هضم الغذاء وامتصاصه في الجسد، زيادة على الاضطراب العام في جميع أجهزة الجسم، ذلك لأن الأدرينالين يعمل على

= واستنتج العلماء من التجربة: أن مجرد تغيرات طفيفة في مخصصات الإنفاق، حتى ولو كانت خمس دولارات، قد تكون كافية لتحقيق مكاسب حقيقية في السعادة في يوم معين.
ونحن نجد أن في تشريع الزكاة، ما يحقق السعادة للإنسان، ويُكْسِبُه رضا الرحمٰن، وبهذا يعد تشريع الزكاة إعجازاً تشريعياً، وسبقاً علمياً، سبقت به شريعتنا كل الاكتشافات والدراسات المعاصرة.

(١) وهذا أمر مشاهد ومحسوس، فالغالب أن من تشبَّع بهذه الصفات، لا يساوره قلق، ولا يعتريه اضطراب، ولا يتعرض لارتفاع الضغط والسكري، وتقلّص الشرايين، والنوبات القلبية، فلا يوجد شيء يدعوه إلى التوتر. فالمال مال الله، وهو يسعى على توزيعه على عيال الله، فهو مستخلف على المال ليس إلا.

ارتخاء العضلات الملساء في الجهاز الهضمي، ويقلل من تقلّصات المرارة، ويعمل على تضييق الأوعية الدموية الطرفية، وتوسيع الأوعية التاجية، كما يرفع الضغط الدموي الشرياني، ويزيد كمية الدم الواردة إلى القلب، وعدد دقاته.

وارتفاع الأدرينالين قد يؤدي لنوبات قلبية، أو موت الفجاءة عند بعض الأشخاص المهيَّئين لذلك؛ نتيجة لارتفاع ضغط الدم، وارتفاع حاجة عضلة القلب للأوكسجين، من جراء ازدياد سرعته، وقد يتسبب الغضب والانزعاج في النوبات الدماغية؛ لدى المصابين بارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين».

كما إن ارتفاع الأدرينالين نتيجة للضغط النفسي، يزيد في تكون الكوليسترول من الدهن البروتيني منخفض الكثافة، والذي ثبتت علاقته بمرض تصلب الشرايين[١].

كذلك فإن الاكتئاب النفسي، الذي يعتري الفقير الذي لا يجد حاجته وحاجة أبنائه، قد يؤدي إلى ضعف جهاز المناعة، الذي يتأثر تأثراً مباشراً بسوء الحالة النفسية، وهذا له انعكاس على كافة أعضاء الجسم الحيوية[٢].

---

(١) الصاوي، عبد الجواد «الصيام معجزة علمية»: (ص١٣٣، ١٣٤).

(٢) في الحقيقة إن تفشِّي الأمراض في البيئات الفقيرة نتيجة الضغوطات، وسوء التغذية، وعدم القدرة على حصول المسكن الصحي، أمر مشاهد وخطير، فقد جاء في تقرير لخالد منصور (مدير وحدة الإعلام بالمكتب الإقليمي لبرنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة بالقاهرة): =

وهنا تتجلى حِكمة الزكاة الصحية في المحافظة على صحة الإنسان، من خلال تأمين ضرورات الحياة المادية، وسد حاجاته، وإبعاده عن أسباب التوتر والقلق والاضطراب، فإذا شعر الفقير «أنه عضو حي في جسم المجتمع، وأنه ليس شيئاً ضائعاً ولا كمًّاً مهملاً، وإنما هو في مجتمع إنساني كريم يُعنى به ويرعاه، ويأخذ بيده، ويقدم له المساعدة، في صورة كريمة، لا منَّ فيها ولا أذى، بل يتقبلها وهو عزيز النفس، رافع الرأس موفور الكرامة؛ لأنه إنما يأخذ حقه المعلوم ورزقه المقسوم»[(١)].

وأيضاً فإن في الزكاة رفع لمستوى المعيشة «فإذا ارتفع مستوى المعيشة، وتوافر لدى جمهور الناس حُسْن التغذية، والمسكن الصحي، والقدرة على العلاج عند طروء المرض. ونحو ذلك حصر المرض في أضيق نطاق»[(٢)].

وبهذا تتضح حِكمة تشريع الزكاة، في المحافظة على صحة الإنسان، وحماية طاقات المجتمع من الإنهاك، فليس ثمة حاجة ـ مع الزكاة ـ إلى القلق، والغضب، والتوتر، والخوف، والانفعال، فيقي جسده، ويحافظ على صحته، ويخفف بذلك عن الدولة والمجتمع عبء استشفائه.

= أن هناك ٨٥٠ مليون جائع في العالم؛ يموت منهم ١٠٠٠ شخص كل ساعة. www.al-jazirha.com.

(١) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٨٧٥).

(٢) القرضاوي، يوسف «الزكاة دورها في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: (ص٣٢).

وصدق الله القائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. فهي طهارة للضمير والذمة، وهي طهارة للنفس والقلب، وهي طهارة للجسد والأعضاء.

ثانياً: حِكمة الزكاة التفصيلية

١ ـ حِكمة تشريع الزكاة في حماية العقيدة:

إن الفقر من أخطر الآفات على العقيدة الدينية، وبخاصة الفقر المدْقِع الذي بجانبه ثراء فاحش، وبذخ صارخ، وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح، والمترف هو المتبطل القاعد[١].

كما هو الحال اليوم في العالم، إذ تؤكد الأبحاث والدراسات الغربية إحصاءاتٍ وأرقاماً خطيرة. فهناك ٣٥٨ شخصاً في العالم يملكون ثروة تعادل ما يملكه ٢,٥ مليار نسمة، و٢٠٪ من دول العالم تملك ٨٠٪ من الناتج العالمي وتستهلك أكثر من ٨٠٪ من مجموع الاستثمارات.

وهكذا أصبحنا أمام منظومة ٢٠٪ يملكون، و٨٠٪ لا يملكون، و٨٠٪ يعملون، و٢٠٪ لا يعملون[٢]. وللأسف فإن الصورة تزداد سوءاً في عالمنا الإسلامي.

---

(١) القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٤).

(٢) العوضي، رفعت «الزكاة خندق المسلمين لمواجهة العولمة»، موقع طريق الإسلام نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام:

- http://www.islamway.com/?iw_s=Articleiw_a=viewarticle_id=2012.

وبطبيعة الحال فإن هذه الصورة، قد تجعل الفقر عند بعض الناس مدعاة للشك في حِكمة التنظيم الإلٰهي للرزق، وإذا لم يؤدِّ إلى مثل هذا الضلال البعيد، أدى إلى نظرة جبرية قائمة على أساس أن التفاوت في الأرزاق، والتباين في الأحوال، أمر جبري قدَّره الله، لا يُجْدِي معه الطب والدواء، ففقر الفقير، وغنى الغني بمشيئة الله وقدره، فقد يسعى القوي ولا ينال بسعيه حظاً، وقد يحظى العاجز والبطَّال.

هذا الانحراف العقدي الذي نشأ من الفقر، الناشئ من سوء التوزيع، هو الذي جعل بعض السلف يقول: «إذا ذهب الفقر إلى بلد قال الكفر خذني معك»[(١)].

ولذا رأينا رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من شرِّ الفقر، مقترناً بالكفر في سياق واحد، وذلك حيث يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ**»[(٢)]. ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ**»[(٣)].

---

(١) مقتبس من: القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٤).

(٢) النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الصلاة، باب التعوذ في دبر الصلاة: (ح١٣٤٨)، الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين»، كتاب الإيمان، باب التعوذ من الكفر والفقر وعذاب القبر، عن أبي بكرة: (١/ ٣٥). وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقال الذهبي في «التلخيص»: صحيح على شرط مسلم.

(٣) «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ**». السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب سجود القرآن، باب في الاستعاذة: (ح١٥٤٤)، النسائي، أحمد =

وقد رأينا في وقتنا الراهن، ما يُؤَكِّد هذا الكلام ويصدِّقه، فها هي الإرساليات التبشيرية تَنْشَط في كثير من الدول الفقيرة، وخاصة إفريقيا وشرق آسيا، حيث تشير إحصائية ١٩٧٦م إلى أن الكنيسة الكاثوليكية، تملك في أفريقيا الجنوبية حوالي مليون ونصف مليون كنيسة. ومجموع الإرساليات الموجودة في ٣٨ بلداً إفريقياً يبلغ (١١١٠٠٠) إرسالية، شاهرة سلاح المال في مواجهة عقيدة المسلمين، يُعِينها الفقر المدْقِع، والجهل، والمرض، الذي يؤمن له سهولة التحرك لتحقيق الهدف. حيث إن ٣٩٪ من سكان إفريقيا يعانون من سوء التغذية، وهي أكبر نسبة في العالم.

وقد أدرك أعداء الله من المنصِّرين هذا الأمر، وأدركوا الحاجة الماسَّة التي يعانيها كثير من أهالي قارَّة أفريقيا، فعملوا على تنصير الناس من خلال تقديم المساعدات المالية، والاحتياجات العينية، وإقامة المراكز الصحية المجانية، وإنشاء المدارس التعليمية شبه المجانية، التي تعيد تشكيل أدمغة الطلاب المسلمين لتتقبل الديانة النصرانية.

وقد تنبه الإسلام إلى هذه الثغرة ـ الفقر ـ التي يمكن أن يدلِف أعداء الدين منها للنفاذ إلى عقيدة بعض المسلمين، وعمل على سدِّها من خلال تشريع فريضة الزكاة، التي تُسْهِم في حل كثير من مشكلات الفقراء، وتقرر حقاً للمحتاجين في أموال الأغنياء،

= «سنن النسائي»، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الذلة: (ح٥٤٦٢، ٥٤٦٤).

ليتحرروا من العبودية للمادة والمال، ويقوموا بالعبودية الخالصة لله ﷻ، دون أن تستعبدهم الضروريات والحاجيات، أو يستذلهم غيرهم من أصحاب الأموال.

وإمعاناً في تأكيد حق الفقراء وإلزام الأغنياء بتأدية الزكاة لهم، بدأت آية توزيع الصدقات بهم، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠]. وأوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل برد الزكاة إليهم، حيث قال: «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**»(١).

وقد ربط الإسلام هذه الفريضة العظيمة بالدين من جهات ثلاث:

أ ـ أنها تشريع إلٰهي لا وضعي، مفروضة من قبل الله ﷻ رب الجميع، أغنياء وفقراء لمصلحتهم جميعاً دون هوى أو تحيّز.

ب ـ أن تحقق «الإسلام» متوقف على طاعته المطلقة بخصوصها، إقراراً وأداء.

ج ـ أن المسلم محاسب على هذا الإقرار والأداء في الدنيا والآخرة، عقاباً وثواباً(٢).

وهكذا نجد أن الزكاة تشريع اقتصادي، عقائدي، يأتي في

---

(١) سبق تخريجه: (ص٤٢٦)، هامش (٢).

(٢) الطحاوي، إبراهيم «الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً»، دراسة مقارنة (١/١٥٦، ١٥٧)، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

مرتبة الإيمان والتصديق، يهدف إلى سدِّ خلّة المسلمين، وإغناء الفقراء والمساكين[١].

كما يهدف إلى حماية عقديتهم من الشك، أو الانحراف، أو التبديل.

وهذا إعجاز تشريعي يقف المرء أمامه متعجِّباً، فلا يمكن لهذا التشريع الحكيم، والتنظيم الدقيق، والنظر العميق في أبعاد النفس البشرية، وسبل تحصينها أن يكون من عند بشر.

وبهذا تتضح حِكمة التشريع، وتتجلى بعض أسراره العظيمة، ومقاصِده النبيلة، في تخفيف حدة الفقر، وحماية العقيدة.

٢ ـ حِكمة تشريع الزكاة في حماية الأخلاق والسلوك:

إن من مقاصد الزكاة العالية، وأهدافها السامية، وغايتها النبيلة، وحِكمتها الأصيلة، تعديل السلوك الإنساني، وتهذيب الأخلاق، وتعزيز الفضيلة، وليس في هذا مبالغة «فإن الفقير المحروم كثيراً ما يدفعه بؤسه وحرمانه ـ وخاصة إذا كان إلى جواره الطامعون الناعمون ـ إلى سلوك ما لَا ترضاه الفضيلة والخلق

---

(١) بلغت حصيلة الزكاة في السودان عام ٢٠٠٠م (٩، ١١ مليار جنيه). وهذا مبلغ لا يستهان به على الإطلاق يمكن أن يحل مشكلات كثيرة، ويُحْدِثُ تغيرات كبيرة في مجتمع مزَّقته الحروب الداخلية والمؤامرات الخارجية. ولكن كيف سيكون الحال إذا كانت الدولة من الدول الغنية؟ الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي:

- http://isegs.com/forum/showthread.php?t=10.

الكريم، ولهذا قالوا: «صوت المعدة أقوى من صوت الضمير. وكم في السجون من أشخاص يقبعون خلف القضبان كان سبب انحرافهم فقرهم، وقصر ذات يدهم».

وقد بيَّن النبي ﷺ أثر الدَّيْن على المستدِين وكيف يؤثِّر في سلوكه؛ فقال: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ** ـ أي استدان ـ **حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»(١). وفي هذا إشارة واضحة إلى علاقة الفقر والغنى بالفضائل والرذائل(٢). حيث إن الكذب وإخلاف الوعد؛ من أحط الصفات التي يتصف بها إنسان.

وفي الزكاة، إغناء لهذا الفقير البائس، ووفاء لديونه، وقضاء لحاجته، وتهذيب لسلوكه، وبرهان ذلك حديث المصطفى ﷺ ـ عن الرجل الذي تصدق بالليل ـ قَالَ: «**قَالَ رَجُلٌ: لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ! لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ. قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى غَنِيٍّ!**

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام: (ح٨٣٢)، النيسابوري، مسلم كتاب المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر... ومن المأثم والمغرم بين التشهد والتسليم: (ح١٣٢٥).

(٢) مقتبس من: القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٥).

لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ وَعَلَى سَارِقٍ! فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ؛ أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»[1].

فظهر بهذا أثر الغنى في استعفاف الرجل عن السرقة وتعديل سلوكه، واستعفاف المرأة عن الفاحشة وتهذيب خلقها، وإيقاظ ضميرها. وبهذا تتضح حِكمة تشريع الزكاة في تعديل السلوك، وتهذيب الأخلاق، وانعكاس ذلك على استقرار المجتمع وأمنه. فالزكاة تستهدف الطبقة الفقيرة بشكل أساس؛ فتعمل على تحصينها وحماية أخلاقها.

٣ ـ حِكمة تشريع الزكاة في حماية الفكر الإنساني:

قد يبدو العنوان غريباً بعض الشيء، إذ كيف للزكاة أن تحمي ما يجول في الخاطر، وما يختزنه الفؤاد؟ وبيان ذلك: أن سلطان الفقر وأثره ليس مقصوراً على الجانب الروحي والخلقي للإنسان، وإنما يشمل أيضاً الجانب الفكري منه! إذ الفقير الذي لا يجد

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم: (ح١٤٢١)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في غير أهلها: (ح١٠٢٢).

ضرورات الحياة وحاجاتها لنفسه، وأهله، وولده، كيف يستطيع أن يفكِّر تفكيراً دقيقاً، أو يبدع إبداعاً جديداً؟ وخاصة إذا كان مَنْ حوله من أصحاب الجِدَة واليسار، يكتنزون الأموال، وتعج دورهم بأصناف النعيم والخيرات[١]. حينها سيكون مُشَتَّتَ الفكر، مشغول البال، بعيداً عن الفكر السديد، والحكم الرشيد، همّه الوحيد تأمين حاجاته، وتسديد أقساطه، وراحة عياله[٢]. ولهذا المعنى جاء في الحديث النهي عن البدء بالصلاة مع حضور الطعام، وقال ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ وَحَضَرَ الْعَشَاءُ فَابْدَؤُوا بِالْعَشَاءِ**»[٣]. وواضح أن حِكمة النهي عن البدء بالصلاة في هذه الحالة؛ لأن المصلي سيكون مُشَتَّتَ الفكر، ومشغول البال بالطعام، وذلك أن الانفعال النفسي يؤثِّر على سلامة الإدراك، كما يقرر علماء النفس.

ومن هنا كان محظوراً على القاضي أن يقضي وهو غضبان[٤]؛

---

(١) روي عن أبي حنيفة أنه قال: «لا تستشر من ليس في بيته دقيق»؛ أي: لأنه مشتت الفكر. القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر كيف عالجها الإسلام»: (ص١٦).

(٢) مقتبس من: القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر كيف عالجها الإسلام»: (ص١٦).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة: (ح٦٧١)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال: (ح٥٥٧).

(٤) قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأحكام، باب هل يقضي =

لأن الانفعال الحاد سيؤثِّر على صحة الرأي، وصوابية الحكم. والجوع كذلك.

وهنا تبرز حِكمة الزكاة في جمع الفكر، وراحة البال، وتهدئة النفس القلقة، من خلال إعطاء الفقير مبلغاً من المال يسد عوزه، ويؤمن حاجاته، دون تفضل أو منَّة من أحد. فما يصل إليه هو حقه الذي فرضه الله له، فينطلق في ميدان الحياة عاملاً نشيطاً، ومبدعاً قديراً، ومفكراً جديراً.

٤ ـ حِكمة الزكاة في المحافظة على الأسرة:

وإن من الأهداف التي تحققها فريضة الزكاة: الحفاظ على الأسرة، ورعايتها وتماسكها.

فالأسرة تعتبر النواة الأولى في المجتمع، وهي دعامة رقيِّه وتطوره، ومظهر التزامه وتديُّنه، وعنوان نمائه وحضارته. ولذا اهتم الإسلام بتكوين الأسرة، واعتنى بإنشائها، فحثَّ على الزواج والإنجاب[١]، ووجه إلى حسن اختيار الزوجة[٢]، وأرشد أولياء

= الحاكم أو يفتي وهو غضبان: (ح٧١٥٨).

(١) عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات جمال وحسب، وأنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «**لا**»، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**». السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء: (ح٢٠٥٠)، النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم: (ح٣٢٢٩).

(٢) قال ﷺ: «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**». البخاري، محمد «صحيح =

الأمور إلى حسن اختيار الأزواج لبناتهن[١].

ولما كانت الأسرة بالمنزلة التي ذكرنا، كان لا بد من رعاية الشريعة لشأنها، والاهتمام بأمرها من نواحٍ عديدة، أهمها:

أ ـ الاهتمام بتكوينها.

ب ـ الحفاظ على استمرارها.

ج ـ التأكيد على تماسكها.

ففي تكوين الأسرة نجد أن الفقر مانع من أكبر الموانع التي تحول بين الشباب وبين الزواج؛ لما يتطلبه من أعباء المهر والنفقة والاستقلال الاقتصادي، كما نرى بعض الفتيات وأوليائهن من يُعرِضون عن راغب الزواج إذا كان رقيق الحال قليل المال[٢].

وفي تشريع الزكاة، وصرف جزء من المال الواجب على الغني ما يؤمن مورداً مهماً، يعين هذا الشاب الفقير، في تأمين سكن

= البخاري»، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين: (ح٥٠٩٠)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين: (ح١٤٦٦).

(١) قال ﷺ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ**». الترمذي، محمد، كتاب النكاح، باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه: (ح١٠٨٥). قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة قد خولف عبد الحميد بن سليمان في هذا الحديث، ورواه الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مرسلاً. ابن ماجه، محمد « «سنن ابن ماجه»، كتاب النكاح، باب الأكفاء: (ح١٩٦٧).

(٢) القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٧).

الزوجية وتأثيثه، ويساعده في دفع المهر، والنفقات المترتبة عليه.

فالحديث دليل على أن إعطاء النبي لهم في نفقات النكاح كان معروفاً لهم، ولهذا قال: «**مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ**»[١]. وقد أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز[٢] من ينادي في الناس كل يوم: أين المساكين؟ أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين اليتامى؟ حتى أغني كلاً من هؤلاء[٣].

وبهذا تؤدِّي الزكاة هدفها، وتحقق مقصدها وغايتها في

---

(١) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٥٦٩). عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال: «**عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟**»، قال: على أربع أواق.
فقال له النبي ﷺ: «**عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟! كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ**» قال: فبعث بعثاً إلى بني عبس، بعث ذلك الرجل فيهم.
ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب النكاح، باب ندب من أراد نكاح امرأة أن ينظر إلى وجهها وكفيها قبل الخطبة: (ح٣٤٨٦).

(٢) عمر بن عبد العزيز: بن مروان الأموي. أمير المؤمنين، أبو حفص، من تابعي أهل المدينة، ولد سنة (٦٣هـ)، ولي المدينة سنة ٨٧هـ، عُهِدَ إليه بالخلافة سنة ٩٧هـ. فلما وليها قام برد المظالم من لدن معاوية إلى أن استخلف، توفي بخُناصرة (١٠١هـ) وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام. ومات وهو ابن ٣٩ سنة ودفن بدير سمعان من أرض حمص. ابن سعد، محمد «الطبقات الكبرى»: (٥/ ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٣)، الذهبي، محمد «سير أعلام النبلاء»: (٥/ ٥٧٦)..

(٣) ابن كثير، إسماعيل «البداية والنهاية»: (٩/ ٢٢٥).
دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

المساعدة على تكوين الأسرة، وتظهر حِكمتها البالغة في تحصين الشباب والشابات، من الوقوع في الانحراف والرذيلة.

وأما من ناحية استمرار الأسرة: فإن الفقر والعوز، ربما غلب الدوافع الأخلاقية، ففرَّق بين المرء وزوجته على كره منه وربما كره منها، حيث لا تسمح حالته المادية؛ بتأمين متطلبات الأسرة وتوفير احتياجاتها. وهنا تبرز حِكمة الزكاة في حماية الأسرة من التفكك والتصدع، وذلك عن طريق دعم هذه الأسرة بما يقيم أَوَدَها، ويسد خلتها، ويؤمن استمرارها.

وليس هذا فحسب، بل تهدف الزكاة إلى حماية الأسرة من كل ما من شأنه أن يكدر صفاءها، أو يمزق أواصر المحبة بينها، فكم من أُسَرٍ غابت سعادتها، واختفت بسمتها، وتقطعت أواصر المحبة بينها، بسبب الفقر والقلة[1]، ولا شك أن الزكاة تبعث في نفس الفقير الأمل الذي يدفعه إلى التمسك بأسرته، وإعادة البهجة والسعادة إليها، طالما أن هناك حقاً في مال الغني سيصله.

---

(١) لقد سجَّل القرآن الكريم حقيقة تاريخية رهيبة، وهي أن بعض الآباء قتلوا أولادهم وفلذات أكبادهم تحت وطأة الفقر المدقع، أو خشية الفقر المتوقع. قال الله ﷻ محذراً من هذه الجريمة النكراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].
وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. **والإملاق**: هو الفقر. القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٧). وفي المدنيَّة المعاصرة لا يوجد للأسرة مكاناً عندها.

وبهذا تتجلى حِكمة تشريع الزكاة في المحافظة على الأسرة تكويناً، واستمراراً، وتماسكاً.

٥ ـ حِكمة تشريع الزكاة في حفظ أمن المجتمع واستقراره:

إن الأمن مطلب عزيز، وأمنية غالية، تطلّع إليه المجتمعات البشرية، وتنادي به المنظمات العالمية، والإسلام في طليعة من ينادي بذلك، فهو في تشريعاته يَلْحَظُ سبل توفير الأمن والاستقرار.

فمن المقاصد الشرعية التي تهدِف فريضة الزكاة إلى تحقيقها:

توفير الأمن في المجتمع، وإشاعة الطمأنينة بين الناس، ودوام الاستقرار.

إذ غياب الأمن عن المجتمع يُؤْذِن بذهاب الأموال، وإزهاق الأرواح، وبغي بعض الناس على بعض. وفي هذا تنغيص للحياة، وإساءة للإنسانية. ومن المقاصد الكلية حفظ النفس[1].

وهنا نحن نسمع ونرى كيف تنهدم دعائم الأمن والاستقرار، بسبب انتشار الجريمة، والسرقة، والسطو، والغش، والاحتيال.

فلم يعد يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم، حتى إن رئيس الدولة ورجال الحكم، أصبحوا في دائرة الخطر والاستهداف، فلا يخرجون إلا بمؤازرةٍ أمنيةٍ، خوفاً على حياتهم من هذه العصابات.

وهنا يأتي السؤال: ما الباعث لهؤلاء اللصوص على

---

(١) الشاطبي، إبراهيم «الموافقات في أصول الشريعة»: (٢/٨).

اللصوصية، التي يتسبب عنها في أغلب الأحيان القتل وإزهاق الأرواح؟ الجواب: حتماً إنه الفقر والفاقة!.

يقول صاحب كتاب «حِكمة التشريع»: «إننا إذا دخلنا السجون وذهبنا إلى النفي الإداري وسألنا هؤلاء الذين قضى عليهم الزمن بالشقاء، وحبس الحرِّية، والبعد عن الأهل والوطن، وصَدَقُوا في الجواب لرأيناهم مساقين إلى ارتكاب هذه الجرائم الفظيعة بدافع الفقر والفاقة»[1].

وهنا سر خفي يغيب عن ذهن أغلب الناس في سبب انتشار اللصوصية؛ وهو أن الفقير إذا تلصَّص وتأصَّلت فيه عادة اللصوصية للفقر المستديم، وسرت هذه العادة في أولادهم، فينشأون على ما نشأ عليه آباؤهم. وهكذا تكون هذه العادة فيهم بالوراثة، حتى لقد يفخرون بالسلب والنهب والقتل، وتأليف العصابات، وإقلاق الراحة العمومية، وهذا أمر مشاهد ومحسوس في القرى وبلاد الأرياف، حتى في العواصم الكبيرة.

وتتجلى هنا حِكمة تشريع الزكاة في حفظ الأنفس والأموال، ووقاية المجتمع من التفكك والانحلال، كونها تُسْهِمُ مساهمة فاعلة في إغناء هؤلاء الفقراء وسدِّ حاجاتهم، واستمالة قلوبهم، ولها دور

---

(١) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١١٩، ١٢٠). **قلت:** الفقر هو السبب الرئيسي في دفع هؤلاء إلى السرقة، ولكن قد يوجد من يسرق وهو ميسور لدوافع خاصة؛ كتكثير الثروة، أو الإضرار بالناس... إلخ.

فاعل في القضاء على الأحقاد، والشحناء، والبغضاء، ونشر التآخي في المجتمع، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض معدلات الجريمة، وتلاشي عمليات السرقة، والسطو... ولو أن الحكومات فَقِهَت وعرفت أن الباعث على اللصوصية وارتكاب الجرائم الفظيعة: الفقر والفاقة؛ لعمَّمَت المراسيم والمنشورات والنصائح في كل البلاد تنصح الأغنياء بأن يجودوا على الفقراء والمساكين؛ بما لَا يؤثر على ثروتهم، وتُفَهِّمُهم أنهم هم الذين في يدهم زمام الأمن؛ واتحاد الرعية، وسعادة وهناء الهيئتين الحاكمة والمحكومة[1]. ولو تأملنا ذكر الأمن في القرآن الكريم لرأيناه يأتي دائماً في سياق الحديث عن سَعَةِ الرِّزق ورغد العيش، فكأن هناك تلازم بين الأمن وبحبوحة الرزق[2].

وهكذا نرى في الزكاة إعجازاً تشريعياً، واستقراراً اجتماعياً، وسبقاً أمنياً، سبقت به شريعتنا الغراء كافة النظم، في وضع نظم ترعى شؤون الناس، وتحفظ دماءهم وأموالهم، وتنقِّي ضمائرهم وتصفِّي نفوسهم.

---

(١) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١١٩).

(٢) قال الله ﷻ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ١ ـ ٤]، وقال ﷻ على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ...﴾ [النحل: ١١٢].

٦ ـ حِكمة الزكاة في حفظ سيادة الأمة وحريتها واستقلالها:

تعتمد الدول في حماية أوطانها وسدِّ ثغورها؛ على الجند الذين غالباً ما يكونون من الطبقات الفقيرة، وذات الدخل المحدود، إذ الأغنياء عادة وأبناء المتنفِّذين غالباً، لا يخدمون في هذه المواقع التي تكون نائية وعرضة لهجمات الأعداء. كما أن الجاسوسية التي تستهدف الأمن والاستقرار؛ من الصعب عليها أن تخترق الموسرين وأهل الجِدَةِ. إذ هي تنفذ من خلال الإغراءات المادية، التي يضعف أمام بريقها أصحاب الحاجات والمحرمون.

يقول الدكتور القرضاوي: «إن الفقر خطر على سيادة الأمة وحرِّيتها واستقلالها، فالبائس المحتاج لا يجد في صدره حماسة للدفاع عن وطنه، والذود عن حرمات أمته، فإن وطنه لم يطعمه من جوع، ولم يؤمنه من خوف، وأمَّتُه لم تمد إليه يد العون لتنتشله من وهدة الشقاء»[1].

والزكاة تهدِف إلى العناية بالفقراء والمساكين وسدِّ حاجاتهم، وتنفيس كرباتهم، ومد يد العون إليهم فتقوى صلتهم بوطنهم، وينمو حب التضحية والفداء في صدورهم، وتشتد قناتهم فلا تلين أمام هجمات الأعداء الطامعين، ولا تضعف نفوسهم أمام إغراءات المستغلِّين. وبهذا تحقق الزكاة أمن الوطن بالدفاع عنه، وتظهر

---

(١) إنه لا يبعد أن يضِنَّ بدمه في سبيل وطن قسا عليه، وأشاح بوجهه عنه، ولماذا يكون عليه هو واجب الدفاع، ولأناسٍ غيره حق الاستمتاع؟! وكيف يُدعى في غرم الوطن ويُنْسى في غنمه؟ القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٩).

حِكمتها في تحصين النفوس[١].

٧ ـ حِكمة الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي:

يقصد الإسلام في بنائه للمجتمعات إلى إقامة روابط الإخاء بين أفراد المجتمع؛ على أساس التكافل والتعاون والرحمة والمودة.

ومن أجل ذلك دعا الإسلام إلى توظيف كل الإمكانيات، وكل السبل، للقضاء على الآثار التي توهن المجتمع وتقوِّض بنيانه، ألا وهي: ثلاثية الجهل، والجوع، والمرض.

وجعل التكافل بين المسلمين والرعاية الاجتماعية دِعامة من دعائم الإيمان، وعلامة من علامات الإسلام الصحيح، وثمرة من ثمار تأثر المسلم بتعاليم دينه[٢].

قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقد كان التكافل هو حال صحابة رسول الله ﷺ. وقد شهد ﷻ على ذلك بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) الحامل على التجسس لصالح العدو في الغالب الفقر والقِلَّة، ولكن يوجد من يتجسس وهو ميسور الحال لدوافع خاصة. ولو أن الحكومات اليوم فقهت الباعث لشبكات التجسس على تجسسهم، والتي يتسبب عنها الاغتيالات وتدبير المؤامرات، لأصدرت القرارات التي توسِّع على الفقراء والمساكين، بدلاً من زيادة شراء الأسلحة.

(٢) الحصري، أحمد «السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي»: (ص٤٧).

ويقول رسول الله ﷺ في وصف تكافل المسلم للمسلم: **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ، وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كانَ فِي حاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللهُ فِي حاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[(١)].

فالتكافل ضرب من ضروب العبادة، يتقرَّب بها المسلم إلى ربه. «والزكاة لون من ألوان العبادات التي فرضها الله ﷻ، ورتب عليها آثارها الاجتماعية الكبيرة من عطف ورحمة، ومحبة ومودَّة»[(٢)]، والزكاة جزء من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام، وهي تساعد الأفراد. والأفراد هم المكوِّنون للمجتمع[(٣)].

وقد سدَّ الله ﷻ بالزكاة جوانب عديدة في المجتمع الإسلامي، فاليتيم الذي لا أهل له ولا مال عنده، والفقير الذي لا يجد له ولا لزوجه ولا لأولاده ما يسدُّ حاجتهم، والمدين الذي أعضلته الديون ولا سداد عنه، والمجاهدون والحجاج وطلبة العلم

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلم: (ح٢٤٤٢)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب: «الآداب» البر والصلة والآداب، باب: تحرير الظلم: (ح٦٥٢١).

(٢) الطيار، عبد الله «الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة»: (ص٦٨).

(٣) وكل ما يقوي شخصية الفرد، وينمِّي مواهبه وطاقاته المادية والمعنوية؛ هو من غير شك تقوية للمجتمع وترقية له، وهذا الجزء من التكافل الاجتماعي له أثر هام في تحقيق هذا المبدأ. قباني، مروان «أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة»: (ص٢٦).

المنقطعون له ولا يجدون ما ينفقون، كل هؤلاء قد ينظرون إلى أموال الأغنياء بنفوس حاقدة، وقلوب مُنْكِرَة، ورغبات مدمِّرة إذا لم يعطهم الأغنياء حقهم الذي فرضه الله ﷻ لهم.

أما حين توزع أنصبة الزكاة على مستحقيها، ويستغني الفقير، واليتيم، والمحروم، وذو الحاجة، فإنّ هؤلاء سيشعرون بانتمائهم إلى مجتمع الجسد الواحد، وتَتَمَتَّنُ العلاقات بين الأفراد، وتزول الفوارق بين طبقات المجتمع، ويبعده عن كثير من المشاكل والأزمات الاجتماعية والاقتصادية، التي تحل بها عند غياب التضامن والتراحم بين أفراده[١].

«فالزكاة بذلك تعد أول تشريع منظَّم في سبيل ضمانٍ اجتماعيٍّ[٢]؛ لا يعتمد على الصدقات الفردية التطوعية، بل يقوم على مساعدات حكومية دوريَّة منتظمة، ومساعدات غايتها تحقيق

---

(١) الطيار، عبد الله «الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة»: (ص٣٨)، بتصرف.

(٢) عرَّفت منظمة العمل الدولية نظام الضمان الاجتماعي بأنه: «مجموعة الشروط التي تتيح الحصول على مساعدات تقدم لفئات محددة، لمواجهة طوارئ محددة، بما في ذلك الولادة (مساعدات مادية) وتربية الأطفال، والظروف التي تتطلب الرعاية الطبية، والحفاظ على الصحة العامة، وعدم القدرة على العمل، والبطالة، والشيخوخة، وموت العائل».

ILo: Summary of national legislation on social security (Geneva, 1949), P: (9)، نقلاً عن: مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية، والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣٩٥)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

الكفاية لكل محتاج: الكفاية في المطعم، والملبس، والمسكن، وسائر حاجات الحياة لنفس الشخص ولمن يعوله في غير إسراف ولا تقتير»[(١)].

وتشمل الزكاة جميع أفراد المجتمع، طالما تعرَّض أحدهم لأزمة أو عارض، أخرجه عما توفَّر له من مستوى الكفاية.

وتبرز حِكمة الزكاة في مجال التكافل الاجتماعي من خلال

---

(١) القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٠٥). هذا هو **الضمان الاجتماعي**: الذي لم تفكِّر فيه الدول الغربية إلا منذ وقت قريب، ولم تصل به إلى مستوى ضمان الإسلام في شموله لكل محتاج، وتحقيق الكفاية الكاملة له ولأسرته. ومع هذا لم تفكر فيه إخلاصاً لله، ولا رحمة بالضعفاء، ولكن دفعتها إليه الثورات، وموجات المذاهب الشيوعية والاشتراكية، كما دفعتها إليه الحرب العالمية الأخيرة؛ ورغبتها في استرضاء شعوبها، وحثهم على استمرار النضال.

وكان أول مظهر رسمي لهذا الضمان في سنة ١٩٤١م، حين اجتمعت كلمة انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية في ميثاق الأطلنطي، على وجوب تحقيق الضمان الاجتماعي للأفراد. مهدي، صادق «الضمان الاجتماعي»: (ص١٢٦). نقلاً عن: القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٠٥، ١٠٦).

يقول الدكتور القرضاوي: «والعجب أن يسبق الإسلام هذه الدول بقرون عديدة، في إقامة ضمان اجتماعي يفرضه الدين، وتنظِّمه الدولة، وتقام من أجله الحروب، استخلاصاً لحقوق الفقراء من براثن الأغنياء، ومع هذا نجد من الكاتبين من يُرجِع فضل الضمان الاجتماعي إلى أوروبا. أما تاريخنا وتراثنا فيهال عليه التراب». القرضاوي، يوسف، م ـ ن: (ص١٠٦).

حالتين هما: كفالة المنكوب بكارثة، وكفالة الغارم. وهما صفتان لا تشملهما أنواع التكافل الحديثة[١] كما سنبين فيما يلي:

أولاً: حِكمة تشريع الزكاة في كفالة المنكوب بكارثة:

إن من مصارف الزكاة «الغارمين». وأَخَصُّ من ينطبق عليه هذا الوصف أولئك الذين فاجأتهم كوارث الحياة، ونزلت بهم جوائح اجتاحت مالهم؛ فاضطرتهم الحاجة إلى الاستدانة لأنفسهم وأهليهم[٢].

ويدخل في هذا السهم: الذين ذهب السيل، أو الحريق، أو الأوبئة، أو العوارض السماوية أو نحوها بمالهم ـ من زرع، أو ماشية، أو تجارة، أو مسكن، أو أمتعة، أو نحوها من ضروب المال ـ[٣].

وقد جاء في الأثر ما يبين ذلك: «**ثَلاثَةٌ مِنَ الْغَارِمِينَ: رَجُلٌ ذَهَبَ السَّيْلُ بِمَالِهِ، وَرَجُلٌ أَصَابَهُ حَرِيقٌ فَذَهَبَ بِمالِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ عِيَالٌ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ، فَهُوَ يَدَّانُ وَيُنْفِقُ عَلَى عِيالِهِ**»[٤].

---

(١) قباني، مروان «أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة»: (ص٣٠)، مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٤١٨).

(٢) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٦٢٣).

(٣) الخولي، البهي «الثروة في ظل الإسلام»: (ص٢٨٩)، نقلاً عن: مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٤١٨).

(٤) ابن أبي شيبة، عبد الله «المصنف في الأحاديث والآثار»، كتاب الزكاة، باب ما قالوا في الغارمين من هم (٣/ ٩٧).

ويتضح من ذلك، أن تشريع الزكاة قد انفرد بكفالة المنكوب اقتصادياً أو صحياً. على أن يتم تعويضه بما يصل به إلى حالته قبل الأزمة، طالما في موارد الزكاة سعة[١].

ثانياً: حِكمة تشريع الزكاة في كفالة الغارم بدين:

الزكاة كفيلة للغارم بدين، سواء أكان هذا الدين لشخصه، أم للمجتمع في تَصَرُّفٍ مباح، لقول النبي ﷺ: «**الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلَّا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش** ـ أو قال: **سداداً من عيش** ـ. **ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلَّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش** ـ أو قال: **سداداً من عيش...**»[٢].

ويعتبر هذا المصرف لأموال الزكاة التكافلية فريداً، لم يفطن إليه نظام تأمين في الدنيا[٣].

«وبذلك يكون الإسلام قد سبق الإنسانية كلها سبقاً بعيداً؛ لأنه لا يوجد قانون ولا نظام تؤدِّي فيه الدولة الديون، إذا عجز

---

(١) مشهور، نعمت، «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٤١٩).

(٢) الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة: (ح١٠٤٤).

(٣) وهو أن يتم القضاء عمَّن تحمَّل دين في سبيل منع إراقة الدماء، ورأب الصدع في المجتمع. وذلك من الأزمات غير الاقتصادية، ولكنها قد تكون وخيمة الآثار على المجتمع ككل. مشهور، نعمت، م ـ س: (ص٤٢٠).

المديونون عن السداد. ويكفي أن نذكر أن القانون الروماني كان يسوِّغ للدائن أن يسترقَّ المدين. وتابعته بذلك كل القوانين، حيث يتمكن الدائن من سجن المدين؛ ولو كان الدين لسعي في خيرٍ، أو لسداد حاجةٍ؛ ضمن ظروف تخرج عن إرادة المدين»[١].

كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاته: «أن اقضوا عن الغارمين. فكتب إليه أحدهم يقول: إنا نجد الرجل له المسكن، وله الخادم، والفرش والأثاث (أي: وهو مع ذلك غارم). فكتب إليه عمر: إنه لا بد للمرء المسلم من مسكنٍ يسكنه، وخادمٍ يكفيه مهنته، وفرسٍ يجاهد عليه عدوه، ومن أن يكون له الأثاث في بيته؛ نعم فاقضوا عنه، فإنه غارم»[٢].

حِكمة الإسلام من مساعدة الغارمين:

ولكن لماذا يحرص الإسلام على قضاء ديون الغارمين؟

يقول الدكتور القرضاوي: «الواقع أن الإسلام يرمي من وراء ذلك إلى تحقيق جملة أهدافٍ كبيرة:

الأول: يتعلق بالمدين الذي أثقله الدين، وغَشِيَهُ من أجله همّ الليل وذل النهار، وأصبح معرَّضاً بسببه للمطالبة والحبس والعقوبة وسوء السُّمعة في المجتمع. فإذا قُضِيَ عنه دينه، فقد كُفي ما أهمه، واستعاد ثقته بنفسه، وبالمجتمع، وبالحياة، ورجع إلى

---

(١) قباني، مروان «الزكاة، أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة»: (ص٣١).

(٢) أبو عبيد، القاسم «الأموال»: (ص٥٥٢، ٥٥٣، فقرة ١٧٥٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م

الساحة من جديد يعمل. وبهذا تستمر المؤسسات العاملة في فروع الإنتاج المختلفة، ولا تنهار لمجرد خسارة تصيبها أو دين يثقلها.

الثاني: يتعلق بالدائن، الذي أقرض المدين، وأعانه على مصلحته المشروعة. وقد تكون هذه المصلحة عملاً من أعمال الإنتاج والتنمية، التي تنفع المجتمع كله. فالشريعة حينما تساعد على الوفاء بدينه من مال الزكاة؛ تملأ صدور المقرضين طمأنينة على أن قروضهم لن تضيع؛ ما دام في صندوق الزكاة سعة. وبهذا تعمل على إشاعة وتثبيت أخلاق المروءة، والتعاون والقرض الحسن. كما تُسْهِمُ من هذا الجانب في محاربة الربا.

الثالث: أنه في جوّ الثقة والطمأنينة والأمل، تزداد حركة الأموال، وحركة الأيدي، وحركة العقول، وتعمل كل الطَّاقات لتنمية إنتاج الأمة وزيادة ثروتها وخيراتها. وفي هذا العمل العقلي والبدني خيرٌ؛ وخير للمجتمع والأمة».

إن الزكاة حين تقوم بدورها في مساعدة من تصيبهم الخسائر، وتحيط بهم الديون، من رجال المشروعات الصناعية، والزراعية، والتجارية، إنما تشد أزر العاملين في حقول الإنتاج المختلفة، وتقوّي من عزائمهم إذا علموا أن المجتمع لن يضيِّعهم، ولن يتخلى عنهم في ساعة العسرة، بل يمد يده إليهم حتى ينهضوا ويقفوا على أقدامهم[1].

---

(١) القرضاوي، يوسف «الزكاة، دورها في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: (ص٤٥، ٤٦).

وبهذا تتضح حِكمة الزكاة في كفالة الغارمين بدين، وتظهر آثارها العظيمة، وغاياتها النبيلة.

٨ ـ حِكمة تشريع الزكاة في تحقيق التكافل بين المناطق الإسلامية:

الأصل أن تفرَّق الزكاة في البلد الذي وجبت فيه[١]. ولكن من المتفق عليه بين الفقهاء أن أهل البلد إذا استغنوا عن الزكاة كلها أو بعضها؛ لانعدام الأصناف المستحقة، أو لقلة عددها ووفرة مال الزكاة، جاز نقلها إلى غيرهم[٢].

وفي ذلك أسمى آيات التكافل ليس بين أفراد المجتمع الواحد، والبلد الواحد فحسب، وإنما بين المسلمين كافَّة، فإنهم إخوة في الدين، لا يجوز ظلم أحدهم والتقاعس عن كفالته، إذا ما نزلت به حاجة شديدة[٣].

---

(١) لقوله ﷺ في حديث معاذ حين بعثه إلى اليمن: «**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**». سبق تخريجه (ص٤٢٦)، هامش (٢).

(٢) ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٣/٥٠٦)، النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (٢/١٩٣)، القرضاوي، يوسف «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»: (ص١٠٤، ١٠٥).

(٣) يقول الشيخ رشيد رضا: «... إن الإسلام يمتاز على جميع الأديان والشرائع بفرض الزكاة فيه، كما يعترف له بهذا حكماء جميع الأمم وعقلاؤها، ولو أقام المسلمون هذا الركن من دينهم، لما وُجِدَ فيهم ـ بعد أن أكثرهم الله ووسع عليهم في الرزق ـ فقير مدقع ولا ذو غرمٍ =

وهكذا نجد في الزكاة إعجازاً تشريعياً، يتفوَّق على كل ما ارتقى إليه تطور الأفكار، والأنظمة الإدارية، والسياسية، والمالية، المعمول بها اليوم. فالزكاة أول مؤسسة كاملة للتكافل الاجتماعي، فهي كفيل كل من تعرَّض لأزمة خاصة أو عامة، اقتصادية أو غير اقتصادية[1].

كما أنها تعمل على تحقيق التكافل بين المناطق الإسلامية، طالما في أموالها التكافلية سعة. وتتميز مؤسسة الزكاة التكافلية، بأنها لا تقتصر على توفير حد الكفاف لمن يستحقون المساعدة، وإنما تعمل أساساً على المحافظة على مستوى الكفاية، الذي هو حق لكل فرد في المجتمع الإسلامي.

٩ ـ حِكمة الزكاة في تأمين الاستقرار الاقتصادي من التقلبات:

إن اتجاه الجانب الأكبر من الدخل إلى الأغنياء، يؤدِّي إلى انخفاض الميل للاستهلاك بصفة عامة في المجتمع. حيث تكون الميول الحدِّية للاستهلاك عند الأغنياء؛ أقل منها لدى الفقراء. كما يؤدِّي أيضاً إلى زيادة الميل إلى الاكتناز، نظراً لعدم توافر فرص

= مفجع...». رضا، محمد رشيد «تفسير المنار»: (١٠/٤٤٣)، القرضاوي، يوسف «الزكاة، دورها في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: (ص٤٥، ٤٦).

(١) ومنهم صنفان لم يشملهما نظام التأمينات قط، هما: الغارم بدين، والمنكوب بكارثة خاصة. كما سبق بيانه عند الحديث عن حِكمة الزكاة في كفالة المنكوب بكارثة وكفالة الغارم بدين: (ص٤٧٤، ٤٧٥).

الاستثمار اللازمة لفوائض دخول الأغنياء الكبيرة[١]. ممَّا يؤدِّي إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية.

وهنا تظهر حِكمة الزكاة في حماية الاقتصاد الإسلامي من التقلبات، وتوفير قدر أكبر من الاستقرار الاقتصادي، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١ ـ إعادة توزيع المدخول:

تعمل الزكاة على إعادة توزيع المدخول، لصالح الطبقات ذات الميل المرتفع للاستهلاك، وهي تمثِّل الشطر الأكبر من أسهم الزكاة الثمانية، مما يكون له أثره في زيادة القوة الشرائية لهذه الفئات الكبيرة العدد، وبالتالي زيادة الطلب الفعلي على السِّلع الاستهلاكية، وزيادة الإنتاج في مختلف مجالاته، مع ارتفاع مستويات التشغيل.

كذلك فإن تكرار إخراج الزكاة سنوياً، أو في نهاية كل موسم زراعي، يتيح للاقتصاد الإسلامي، الإفادة من هذا الأثر الإنعاشي

---

(١) ويؤدِّي الكساد إلى انخفاض المدخول فيرتفع الميل للاستهلاك، ويزداد الاستمرار بالتالي ـ بفعل المعجَّل ـ فيتجه الاقتصاد نحو الرخاء. وقد يحدث الرخاء نتيجة زيادة الاستثمار، فيدفع بالاقتصاد ـ بفعل المضاعف ـ إلى الرخاء. وهكذا تحدث الدورات الاقتصادية. وبفعل المضاعف والمعجَّل، يتعرض الاستثمار والاستهلاك للحركات الصعودية والهبوطية، مما يؤدي إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية. مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣٢١، ٣٢٢).

بصفة منتظمة، مما يحميه من مضار الدورات الاقتصادية، ويقيه مخاطر التردي في أزمات الكساد الاقتصادي.

وهكذا نجد في تطبيق فريضة الزكاة، وما يؤدِّي إليه من إعادة توزيع الثروات باستمرار، ما يُسْهِمُ في آلية الحركة في الاقتصاد الإسلامي عند مستويات عالية من النشاط الاقتصادي. وبهذا تحقِّق الزكاة هدفاً من أهدافها في توفير الاستقرار الاقتصادي. وهو ما تتوق إليه المجتمعات الرأسمالية اليوم.

٢ ـ تحويل الادخار إلى استثمار:

إن تطبيق فريضة الزكاة، يجعل الثروة لا تستطيع أن تمر إلا من خلال قناتين وحيدتين، هما قناة الإنفاق على رفاه وصلاح المجتمع، وقناة الاستثمار في النشاط الاقتصادي. فلا مجال في الاقتصاد الإسلامي للاكتناز، ويدعم ذلك إلغاء سعر الفائدة، مما يجعل الادخار مساوٍ للاستثمار. فيتحول كل ادخار إلى استثمار، كما ينخفض تفضيل السيولة إلى أقل مستوى ممكن له، وفي ذلك زيادة في الطلب الاستثماري. كما يزداد بالتالي الطلب الكلي في المجتمع باستمرار، من خلال زيادة الطلب الاستهلاكي لمصارف الزكاة، الذي يتيح ـ بفعل المعجَّل ـ فرصاً مواتية للاستثمار المربح وزيادة الإنتاج، ويدعمه نمو السكان، والاتجاه إلى مستويات فنية أفضل في المجال الإنتاجي.

وعلى ذلك: فإن تطبيق فريضة الزكاة يقلل من فرص حدوث الأزمات الاقتصادية، التي يسببها فائض الادخار على الاستثمار،

ويجنِّب الاقتصاد الإسلامي ما يترتب على هذا الوضع من دورات اقتصادية تضر بمستوى النشاط الاقتصادي[١]. وهذا يبين حِكمة تشريع الزكاة.

٣ ـ اكتمال الدورة النقدية في الاقتصاد الإسلامي:

إن ديمومة الزكاة، وتجددها كل حول قمري، يكون له أثره في اكتمال الدورة النقدية في الاقتصاد الإسلامي، ذلك لأن الزكاة تمثل تياراً دائماً بين من يملكون ومن لا يملكون، قد يضيق أو يتسع، إلا أنه لا ينقطع أبداً. ومثل هذا التيار يكون ضماناً من مخاطر الركود الاقتصادي، وعاملاً فعَّالاً في استمرار الرواج باكتمال الدورة النقدية. فما يقع في أيدي من لا يملكون، يُنفق في شراء سلع وخدمات هي إنتاج من يملكون، فيعيد هؤلاء استثماره مرة أخرى. وهكذا يصبح دخل المجتمع ونفقاته الإجمالية، في حركة دائرية مستمرة، مما يحمي الاقتصاد من التعرض لفترات ركود، ويضمن له الرواج مع التوازن، بعيداً عن الدورات والأزمات الاقتصادية[٢].

وبهذا تتضح حِكمة تشريع الزكاة في اكتمال الدورة النقدية في الاقتصاد الإسلامي.

---

(١) مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣٢٢).

(٢) مشهور، نعمت، م ـ س: (ص٣٢٤).

١٠ ـ حِكمة الزكاة في تمويل التنمية[١] بشكل منتظم:

تظهر حِكمة تشريع الزكاة جليَّة بتفوقها على موارد التمويل الأخرى[٢]، فالزكاة تمثِّل موردِاً منتظماً وافر الحصيلة، يفي باحتياجات تمويل التنمية بدرجة كبيرة[٣].

---

(١) **التنمية**: لغة من النماء: وهي الزيادة. ابن منظور، محمد « لسان العرب»: (١٥/ ٣٤١). والتنمية هي العمل على إحداث النماء. **والتنمية في المفهوم الإسلامي**: عملية عقائدية تتسم بالشمول، والتوازن، وتهدف إلى توفير حد الكفاية لجميع أفراد المجتمع. مشهور، نعمت، «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص١٠٩).

(٢) **أهم نماذج وضعية مطبقة للتنمية هي:**

أ ـ النموذج الرأسمالي.

ب ـ النموذج الاشتراكي.

فالنموذج الرأسمالي متمثل في التجربة الانجليزية: التي تعمل على مبدأ المشروع الفردي الحر، وإقرار المنافسة الحرة بين الأفراد في سبيل كسب معاشهم.

كما يتمثل أيضاً بالتجربة اليابانية: فقد اتسمت التنمية بطابع القومية، والاعتماد على المشروعات الصغيرة بصفة رئيسية، والتعاون بين القطاع العام والخاص، وخصوصاً في المجال الزراعي.

أما النموذج الاشتراكي: فقد قام على أساس المركزية في التخطيط والتوجيه، وملكية الدولة لكل أدوات الإنتاج. مشهور، نعمت، م ـ ن: (ص٩٨، ٩٩، ١٠٠)، قباني، مروان «الزكاة أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة»: (ص٣٨).

(٣) ينفرد الاقتصاد الإسلامي بهذا المورد الهام، حيث لا يوجد له أي مثيل في أي من الاقتصاديات الوضعية. مشهور، نعمت م ـ ن: (ص٢٢٩).

وتعتبر الزكاة الأداة المالية التي يقدمها الاقتصاد الإسلامي؛ علاجاً لما تعانيه المجتمعات الإنسانية من اختلال في توزيع الثروة والدخل؛ ومن عدم قدرة على تحقيق الاستغلال الأمثل؛ لما قد يكون لديها من فائض إذ بالإضافة إلى ثباتها واستمرارها سنوياً ـ مما يوفر للتنمية مورداً مالياً هاماً ـ فإن الزكاة تمثِّل مورِداً فريداً، يساهم في تمويل المتطلبات التنموية للمجتمع، دون حاجةٍ مُلِحَّةٍ ـ إلا عند الضرورة ـ للالتجاء إلى الخارج.

والزكاة تكليف مالي عقائدي، يدخل في صميم الأعمال الإيمانية، والتي يقوم عليها إسلام المرء. فهي الفريضة الواجبة بعد الصلاة مباشرة. ومن هنا تكتسب الزكاة حرمة دينية، لا تتوافر لأي نوع من أنواع الموارد المالية[1]. ولعل ما يضمن بقاء الزكاة مورداً وافر الحصيلة، هو انخفاض نفقات الجباية إلى أقل الحدود، دون إسراف أو تبذير. فقد وضع الشارع مبادئ وقواعد لم يتوصل إليها علماء الفكر المحاسبي أو الضريبي المعاصر إلا حديثاً. وهي إعطاء الحوافز لمحصِّلي الزكاة، حتى يقتصدوا في نفقات الجباية من جهة، ولينشطوا في التحصيل من جهة أخرى[2].

---

(١) مشهور، نعمت، «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٢٢٩، ٢٣٠).

(٢) جعل الشارع للعاملين عليها مصرفاً من مصارف الزكاة الشرعية، ليشعرهم أنهم يقومون بعمل ديني يستحقون عليه جزءاً من الحصيلة في دنياهم، فضلاً عن الثواب في الآخرة، مما يدفعهم إلى تقوى الله والإحسان في الجمع. وليس هناك حافزٌ أعمق يضمن تنفيذ مبادئ استقصاء الزكاة كاملة، في أمانة تامة، دون أي زيادة في نفقات الجباية. =

وهكذا نجد حِكمة تشريع الزكاة واضحة المعالم، بيِّنة الأهداف في تأمين موارد التمويل، ومانعة من اختلال توزيع الثروة والدخل.

١١ ـ حِكمة الزكاة في معالجة مشكلة البطالة وزيادة التشغيل:

البطالة مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية، ذات خطر عظيم. فإذا لم تجد العلاج الناجع تفاقم خطرها على الفرد، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع.

فهي خطر على الفرد:

أ ـ اقتصاديّاً: حيث يفقد الدخل.

ب ـ وصحيّاً: حيث يفقد الحركة.

ج ـ ونفسيّاً: حيث يعيش في فراغ.

د ـ واجتماعيّاً: حيث ينقم على غيره.

وهي كذلك خطر على الأسرة:

حيث يفقد العائل شعوره بالقدرة على تحمل المسؤولية، وتفقد العائلة شعورها بالاطمئنان إلى مقدرة العائل والثقة به، ويواجه الجميع حالة من التوتر، والقلق، والخوف من الغد المجهول.

وهي كذلك خطر على المجتمع بأسره:

ـ **خطر على اقتصاده:** لما وراءها من تعطيل طاقات قادرة على الإنتاج.

= مشهور، نعمت، «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٢٣٤، ٢٣٥). قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠].

- **خطر على تماسكه**: لما وراءها من إثارة فئة تشعر بالضياع ضد الفئات الأخرى.
- **خطر على أخلاقه**: لأن تربة الفراغ والقلق، لا تُنْبِتُ إلا الشرور والجرائم.

ومن ثَمَّ فقد كَرِهَ الإسلام البطالة، وحثَّ على العمل والمشي في مناكب الأرض، واعتبر العمل عبادة وجهاداً في سبيل الله إذا صحت فيه النية، وروعيت الأمانة والإتقان، ولم يبال الرسول ﷺ أن يكون هذا العمل مما يستهين به الناس، أو ينظرون إليه نظرة استخفاف وازدراء، مثل: الاحتطاب. المهم أن يكون حلالاً وأن يكفَّ وجه صاحبه عن ذل السؤال[1].

وتتجلى حِكمة الزكاة في الرفع من مستوى التشغيل، من خلال:

١ ـ التمويل اللازم لكل من:

أ ـ صاحب حرفة، يحتاج إلى آلات وأدوات لازمة لمهنته ولا يجد مالاً يشتري به ما يريد.

ب ـ أو صاحب تجارة، ولكنه يفتقر إلى رأس المال الذي تدور به تجارته.

ج ـ أو صاحب زراعة، ولكنه لا يجد أدوات الحرث، أو آلات الري، وربما لا يجد الأرض إلا بمال يدفعه مقدماً.

فالزكاة تقوم بدور المموِّل لكل ما ذُكِر، وهذا يؤدِّي حتماً إلى

---

(١) القرضاوي، يوسف «دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: (ص٩، ١٠).

رفع مستوى التشغيل، وزيادة الطاقة الإنتاجية، وخلق فرص عديدة في مجالات إنتاجية بعيدة عن المجالات التقليدية. وبذلك تسهم الزكاة في القضاء على البطالة، أو التخفيف الكبير منها.

٢ ـ التأثير في كل من العوامل المتعلقة بجانب العرض وجانب الطلب:

فالبطالة المقنَّعة[١] المنتشرة في الاقتصاديات الفقيرة، تنشأ نتيجة انخفاض عرض عناصر الإنتاج المتعاونة مع عنصر العمل، وهي: العمل، والأرض، ورأس المال، بالإضافة إلى ما يتسم به العنصر البشري في هذه الاقتصاديات من انخفاض الإنتاجية، نظراً لما يعانيه الأفراد من انخفاض المستوى الصحي، والتعليمي، والثقافي، وعدم القدرة على التكيُّف مع وسائل الإنتاج المتطورة[٢]. مما يؤدي إلى تكدس قوة العمل في قطاعات الإنتاج الزراعية والحكومية، حيث تكون الإنتاجية الحدِّية لنسبة كبيرة من الأفراد قريبة من الصفر، أو مساوية له. وتسهم الزكاة في التخفيف من هذا النوع

---

(١) **البطالة المقنعة:** هي وجود أعداد من القوة العاملة تزيد عن حاجة مستوى الإنتاج السائدة، مما يترتب عليه أن تصبح الإنتاجية لهذه القوة العاملة الفائضة مساوية للصفر.

Nurkse: Problems of Capital for mation; op. cit. P: (36) نقلاً عن: مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣٠٦).

(٢) Myrdal: Asian Drama; op. cit. p: (1603) نقلاً عن: مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣١١).

من البطالة، عن طريق زيادة عناصر الإنتاج المتعاونة مع عنصر العمل. وقد وقفنا على دور الزكاة في زيادة الحافز على الاستثمار[١]، وزيادة مستوى الاستثمارات في المجتمع، مع المحافظة على الاستثمارات الموجودة فعلاً[٢].

أما بالنسبة للعنصر البشري: فإن تطبيق الزكاة يرفع من مستوى إنتاجيته، فضلاً عن أنه يزيد من إقباله على العمل. إن سهم الفقراء والمساكين؛ يسهم في زيادة مستوى التشغيل والارتفاع بنوعيته من خلال:

أ ـ عدم أحقية الزكاة للأقوياء القادرين على العمل، ويعني ذلك محاربة الزكاة للبطالة الاختيارية[٣].

---

(١) سيأتي الحديث عن حِكمة الزكاة في الحث على الاستثمار: (ص٤٩٥).

(٢) وتشمل هذه الاستثمارات كلّاً من عنصر رأس المال والأرض، مما يؤدي إلى زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد، وخلق فرص عديدة في مجالات انتاجية بعيدة عن المجالات التقليدية المتميزة، وبانخفاض الإنتاجية الحدية للعامل. مشهور، نعمت، «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣١١).

(٣) **المقصود بالبطالة الاختيارية**: بطالة من يقدرون على العمل، ولكنهم يجنحون إلى القعود، ويستمرئون الراحة، ويؤثرون أن يعيشوا عالة على غيرهم. فالإسلام يقاوم هؤلاء ولا يرضى عن مسلكهم. فالفقير العاطل عن العمل وهو قادر عليه، لا يجوز أن يجري عليه رزق دائم، أو راتب دوري من أموال الزكاة؛ لأن في ذلك تشجيعاً للبطالة، وتعطيلاً لعنصر قادرٍ على الإنتاج من جانب، ومزاحمة لأهل الزكاة الحقيقين من الضعفاء، والزمنى، والعاجزين عن الكسب في خاصة حقوقهم من جانب آخر. وفي الحديث: «**لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**». السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الزكاة، باب =

ب ـ تحقيق المستوى المعيشي المناسب، الذي يوفِّر للفقراء والمساكين متطلبات الغذاء، والكساء، والعلاج، والمسكن، مما يسهم في تحسين مستوى أفراد القوة الإنتاجية، وزيادة قدرتهم على العمل المنتج. كذلك فإن سهم (العاملين عليها) يوفِّر العديد من فرص العمل لمن تتوفر فيهم شروطه[1].

جهاز إدارة الزكاة:

ويحتاج إلى جهاز كامل من الخبراء، وأهل الاختصاص،

= من يعطي من الصدقة وحدُ الغنى: (ح١٦٣٤)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الزكاة، باب ما جاء من لا تحل له الصدقة: (ح٦٥٢). قال أبو عيسى: حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن. النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الزكاة، باب إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها: (ح٢٥٩٧)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الزكاة، باب من سأل عن ظهر غنى: (ح١٨٣٩).
وفي هذا رد على ما قد يتوهمه البعض من أن الزكاة قد تغري بالتَبَطُّلِ، أو تعين عليه، ما دام أهل البطالة يجدون في صندوق الزكاة عوناً ومدداً وهم قاعدون مستريحون! وهو وهم لا أساس له من تعاليم الإسلام. القرضاوي، يوسف «الزكاة، دورها في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: (ص١٠، ١٣).

(١) فيجب على الإمام بعث السعاة لأخذ الصداقات، ويدخل في اسم العامل: الساعي ـ الذي يبعثه الإمام لأخذ الزكوات ـ، فالكاتب ـ وهو من يكتب ما يُؤْخَذ ويُدْفَع ـ، والقسَّام، والحاشر ـ وهو الذي يجمع أرباب الأموال ـ، والعريف ـ وهو الذي يعرف أرباب الاستحقاق ـ كالنقيب للقبيلة ـ، والحاسب، وحافظ المال. النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (٢/ ١٧٥). وهكذا فإن «سهم العاملين» عليها يوفِّر فرصاً عديدةً للعمل.

ومن يعاونهم[١]. وهذا من شأنه أن يوفِّر فرص عمل جديدة، مما

---

(١) يقول القرضاوي: ويمكن تقسيم هذا الجهاز في وقتنا الحاضر إلى إدارتين رئيسيتين، تتبع كل إدارة فروع وأقسام:
الأولى: إدارة تحصيل الزكاة.
الثانية: إدارة توزيع الزكاة.
١ ـ إدارة تحصيل الزكاة واختصاصاتها: أما عمل القائمين على التحصيل فهو عمل (ضرائبي) فمن وظيفتهم إحصاء الممولين (من تجب عليهم الزكاة) وأنواع أموالهم، ومقادير ما يجب عليهم فيها ورصد ذلك، وجمعه من أهله والقيام على حفظه بعد جمعه، حتى تتسلمه إدارة صرف الزكاة وتوزيعها. والمفروض أن يكون لها فروع في مختلف المراكز والمناطق. ويمكن أن ينشأ لكل نوع من الأموال قسم يختص به ويقوم بكافة شؤونه:
أ ـ قسم للركائز والمعادن. وهو ما يجب فيه الخمس ٢٠٪.
ب ـ قسم للحبوب والثمار. وهو ما يجب فيه العشر أو نصفه ١٠٪ أو ٥٪.
ج ـ قسم للماشية من إبل وبقر وغنم ولها حساب خاص بها.
د ـ قسم للنقود وأموال التجارة. وهو ما يجب فيه ربع العشر ٢,٥٪.
٢ ـ إدارة توزيع الزكاة واختصاصاتها: وهذه الإدارة أقرب ما تكون إلى هيئات (الضمان الاجتماعي) في عصرنا. وعليها اختيار أفضل الطرق لمعرفة المستحقين للزكاة وحصرهم، والتأكد من استحقاقهم ومقدار حاجاتهم. ويجب أن يكون لهذه الإدارة فروع أيضاً في كل منطقة، ويمكن أن تنقسم هذه الإدارة إلى عدة أقسام:
أ ـ قسم للفقراء بسبب العجز عن العمل.
ب ـ قسم لذوي الدخل القاصر عن كفايتهم. وهم الذين يكتسبون ولكن كسبهم لا يكفيهم.
ج ـ قسم للغارمين. =

يسهم في التخفيف من البطالة. إن الوقوف على دور الزكاة في رفع مستوى التشغيل، والتخفيف من البطالة الاختيارية، والمقنَّعة، والإجبارية[١] بأنواعها، يؤكد حِكمة تشريع الزكاة الذي يهدف إلى التقريب بين المستوى الأمثل، والمستوى الفعلي للتشغيل وذلك في أقل فترة ممكنة، حيث تتكرر بانتظام سنوياً، وعند كل حصاد[٢].

١٢ ـ حِكمة الزكاة في محاربة الاكتناز:

يعتبر الاكتناز من أهم العقبات في سبيل التنمية الشاملة المستمرة. وذلك لما يؤدي إليه من تقييد لمستوى النشاط الاقتصادي، وتعطيل للموارد الإنتاجية. وللزكاة دورها في محاربة الاكتناز وإطلاق الجهود التنموية.

= د ـ قسم لإعانة المهاجرين والمشردين واللاجئين... الذين فروا من ديار الكفر، وأيضاً الطلاب المبعوثين إلى بلاد أخرى في خدمة الإسلام. وهو (ابن السبيل).

هـ ـ قسم لهيئات نشر الإسلام في بلاد الكفر، والدعوة إليه وإبلاغ رسالته إلى العالم. وهو مصرف في سبيل الله. القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٣).

(١) هي وجود جزء من القوة العاملة قادرة وراغبة في العمل، وراضية بمعادلات الأجور السائدة، ومن ثمَّ فهي تسعى للحصول على عمل، ولكنها تعجز عن تحقيق ذلك. لذلك فهي مجبرة على أن تكون في حالة بطالة. مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣٠٤).

(٢) غانم، حسين، «نحو نموذج إسلامي للنمو الاقتصادي»، في مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، العدد الأول (٢/ ١٠٩)، نقلاً عن: مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٣١٢).

فالإسلام لم يكتف بتحريم الاكتناز، وتوعد المكتنزين بالعذاب في الدار الآخرة والبوار في الدنيا، وإنما اتخذ الإسلام سبيلاً إيجابياً يضمن مشاركة المال ـ على اختلاف صوره ـ في النشاط الاقتصادي، ويمنع عرقلته لهذا النشاط.

هذه الأداة الإيجابية هي الزكاة، التي تُخْرِج إلزاماً شطراً من المال سنوياً، من ثروة من تجب عليهم بشروطها من أفراد الأمة. وتهدد الزكاة رأس المال المكتنز بالفناء في مدة لا تتجاوز أربعين سنة، وذلك إن لم يشارك في النشاط الاقتصادي الجاري، وينمو حلالاً نتيجة هذه المشاركة، وفقاً لما حدد الشارع من مصارف[1].

وهذه أمثل خطة للقضاء على حبس النقود واكتنازها، ذلك الداء الوبيل الذي حار علماء الاقتصاد في علاجه، حتى اقترح بعضهم أن تكون النقود غير قابلة للاكتناز؛ بأن يحدد لها تاريخ إصدار، ومن ثم تنفذ قيمتها بعد مضي مدة معينة من الزمان، فتبطل صلاحيتها للادخار والكنز. وتسمى هذه العملية المقترحة (النقود الذائبة)[2].

---

(١) مشهور، نعمت، «الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٢٥٥).

(٢) مرعي، عبد العزيز «النظم النقدية والمصرفية»: (ص٣١)، نقلاً عن: القرضاوي، يوسف «الزكاة دورها في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها»: (ص٥٥). وقام بعض رجال الغرب الاقتصاديين بتنفيذ فكرة أخرى، وهي فرض رسم «دمغة شهرية» على كل ورقة نقدية، حتى يحاول كل من يحوزها في يده التخلص منها قبل نهاية الشهر؛ ليدفع الرسم غيره، وهذا يؤدي إلى نشاط التبادل، واتساع حركة التداول، وانتعاش الاقتصاد بوجه عام. القرضاوي، يوسف، م ـ ن.

وهذه الوسائل ـ ما اقترح منها وما نُفِّذَ فعلاً ـ تلابسها صعوبات وتعقيدات كثيرة. ولكنها على أي حال تؤيد وجهة النظر الإسلامية في النقود، ومقاومة اكتنازها بطريقة أبسط وأيسر من تلك الطرق، وهي فرض ٢,٥٪ عليها سنوياً. مما يحفِّز الإنسان حفزاً إلى تنميتها واستغلالها، حتى تنمَّى بالفعل، وتدر دخلاً منتظماً. وإلا أكلتها الزكاة بمرور الأيام.

وإذا كانت نسبة النقود هي ٢,٥٪، فالواجب أن تكون تنميتها بطريقة تدر ربحاً أكثر من هذه النسب. وهذا من شأنه أن يدفع العقول الاقتصادية المفكِّرة؛ لتفتِّش عن آفاق جديدة للتنمية والتثمير، وتبحث عن أفضل الوسائل للكسب المشروع، الذي يتسع لإخراج الزكاة، وسد أبواب النفقات الشخصية، والتكاليف العائلية، والإسهام في أعباء المجتمع الأخرى[1].

ونلاحظ أن الزكاة تمارس دورها في محاربة الاكتناز؛ من خلال معالجة النواحي النفسية والاجتماعية للمكتنزين، فهي تعمل على تخليصهم مما يرنو على قلوبهم من قسوة نحو أقرانهم نتيجة ما يكنزونه من الثروات، وتعمل على تخليص النفوس من الشُّحِّ الذي يُعتَبرُ من المهلكات.

---

(١) وهذا أبلغ رد على الذين يدعون إلى استغلال النقود المدَّخرة بفوائد معتدلة السعر، فإن نتيجة هذه الفوائد المعتدلة ـ على افتراض التسليم بها ـ ستبتلعها الزكاة، وبذلك تأخذ منهم باليمين ما كسبوه بالشمال. القرضاوي، يوسف، م ـ ن: (ص٥٥، ٥٦).

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وتزول هذه الصفة بالممارسة على بذل المال.

وتحارِبُ الزكاة الاكتناز من ناحية الجباية، فوجوبها على المال يؤدِّي إلى تحريكها بالاستثمار، وبدون هذا التحريك تؤدي إلى القضاء على المال. كما أن انتقال جزء من الأموال من فئة إلى أخرى يؤدي إلى حركة مهمَّة كما ورد في قوله ﷻ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]. كما أن انخفاض النصاب يعني حث الثروات الصغيرة على الاشتراك في عملية الإنتاج.

وتحارب الزكاة الاكتناز من ناحية تنوع المصارف، فإعطاؤها بشكل أساسي إلى الفقراء والمساكين؛ يعني: وصولها إلى أيدي الطبقة التي هي بأشد الحاجة إلى الإنفاق الاستهلاكي، وبقية المستحقين هم أيضاً ممن لا يميلون إلى الاكتناز[1].

كما نجد أن الزكاة تحارب الاكتناز بالقضاء على الأسباب الشخصية التي تدعو إليه، أو الإقلال منها إلى أدنى حد، وهو ما لم تهتم به النظريات الوضعية.

إن تطبيق الزكاة كأداة اقتصادية أساسية في المجتمع الإسلامي، يؤثِّر في معظم الدوافع الإنسانية للاحتفاظ بالمال دون استثماره؛ أي: اكتنازه. إذ إن دافع تكوين احتياطي لمواجهة حوادث

---

(١) مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٢٥٥، ٢٦٥)، قباني، مروان «الزكاة أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة»: (ص٤١).

غير متوقعة، ودافع الاحتراس ضد حوادث متوقعة، قد تزيد من الأعباء المستَقِلَّة أو تقلِّل من الدخل المستقبل، مثل: الشيخوخة، أو تعليم الأطفال أو تزويجهم، دافعان قائمان في المجتمع الإسلامي، ولكن يقلِّل من حجمها عاملان:

الأول: أن الاحتفاظ بجزء كبير من النقود ولمدة طويلة، يعرِّضه لفريضة الزكاة.

الثاني: أن وجود الزكاة يعتبر عنصر تأمين للفرد ضد أي حدث يُلْحِق الضرر به مستقبلاً، وذلك من خلال سهم الغارمين، وسهم الفقراء والمساكين[1].

١٣ ـ حِكمة الزكاة في الحث على الاستثمار:

إن إسقاط شبهة الاكتناز عن الأموال القابلة للنماء ـ متى بلغت النصاب ـ يستلزم إخراج زكاتها. فإذا قرر أحد المدَّخِرين عدم استثمار أمواله واكتنازها في أي شكل من الأشكال، فإن عليه تأدية فريضة هذه الأموال؛ أي: الزكاة. وتوالي إخراج الزكاة عن المال المستحَقَّة فيه ـ عاماً بعد آخر ـ يهدد بفنائه.

وهذا يعني: أن فريضة الزكاة تشجع المدَّخِرين على تشغيل مدخراتهم ـ أي: استثمارها ـ، مما يؤدي إلى زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد. وبذلك يكون الحافز على الاستثمار في الاقتصاد

---

(١) مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٢٥٩).

الإسلامي؛ أقوى منه في اقتصاد غير إسلامي بسبب فريضة الزكاة[١].

كذلك فإن تشجيع الزكاة على استثمار الأموال؛ يؤدي إلى إخراج هذه الفريضة من عائد الاستثمار ـ الأرباح ـ، والمحافظة على أصول رؤوس الأموال، مع تنميتها[٢].

١٤ ـ حِكمة الزكاة في معالجة التضخم والوقاية منه:

تظهر حِكمة الزكاة في معالجة التضخم في حالة زيادة الطلب عن العرض، حيث تكون النقود المتاحة داخل المجتمع أكبر من قيمة السلع المعروضة، وهو ما يدفع الأسعار للزيادة؛ فترتفع الأجور لتلبية زيادة الأسعار. وهكذا دواليك.

وتحقق الزكاة هدفها في كبح جماح التضخم من خلال ما يأتي:

أ ـ توفير التدفقات النقدية:

فانتظام انسياب حصيلة الزكاة مع بداية كل حول قمري، يوفِّر كميات النقد اللازمة للتداول، دون الحاجة إلى لجوء السلطات النقدية لعمليات الإصدار النقدي.

ب ـ ضبط الطلب الكلي:

فتطبيق فريضة الزكاة يضمن توفير حدِّ الكفاية لجميع أفراد

---

(١) متولي، مختار «التوازن العام والسياسات الاقتصادية الكلية»: (ص٨)، نقلاً عن: مشهور، نعمت «الزكاة الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي»: (ص٢٧٥).

(٢) صقر، محمد «الاقتصاد الإسلامي، مفاهيم ومرتكزات»: (ص٣٢)، نقلاً عن: مشهور، نعمت، م ـ س.

المجتمع، ويتجه المجتمع بصفة عامة للإقبال على السلع الأساسية، ويحول هذا دون ارتفاع مستويات الطلب على الاستهلاك الكمالي. كذلك فإن توزيع زكاة الزروع والثمار والماشية في صورتها العينية، يسهم إلى درجة كبيرة في الاحتفاظ للنقود بقيمتها الشرائية دون تدهور.

كما أن فرض الزكاة كنفقة واجبة الاستحقاق على رأس المال النامي فعلاً أو تقديراً، يدفع بأصحاب رؤوس الأموال إلى الاستمرار في الاستثمار، حتى لو كان المعدل المتوقع للربح أقل من نسبة الزكاة ٢,٥ في المائة.

وتعد التكلفة الناجمة عن احتساب سعر الفائدة عن الأموال المقترضة، أحد عناصر تكاليف الإنتاج. لذا فإن التقلبات التي تطرأ على هذا السعر، يكون لها تأثيرها في سعر المُنْتَج، وفقاً لأهمية هذا العنصر في هيكل التكاليف، حيث يؤدي ارتفاع سعر الفائدة المَدِيْنَة إلى إضافة عنصر جديد إلى عناصر تضخم التكاليف. بينما يؤدي فرض الزكاة على الرساميل النامية فعلاً أو تقديراً، واحتسابها عند سعر منخفض «ربع العشر» ـ في مقابل سعر للفائدة المَدِيْنَة يراوح بين ١١ و١٦ في المائة ـ على الرساميل المعدَّة للتجارة والاستثمار وعائدها وأرباحها؛ إلى تخفيض هذه النفقة من هيكل النفقات.

كذلك فإن الغارمين الذين عليهم ديون، هم من مصارف الزكاة الثمانية، وفي دفع الزكاة لهم تسديد لديونهم، وحماية من اللجوء إلى تراكم الديون، واحتساب الفوائد في بعض الحالات؛ التي تعد

الأسباب الرئيسية للتضخم النقدي[١].

وهكذا نجد حِكمة تشريع الزكاة واضحة جلية؛ في معالجة التضخم النقدي والدافع منه والقضاء على آثاره السيئة.

❁ ❁ ❁

(١) http://islamfin.go-forum.net/t106-topic

المبحث الثالث

حِكمة تشريع زكاة الفطر[١]

لعل الحِكمة من مشروعية زكاة الفطر، أن الصائم الذي قضى شهر رمضان المُعَظَّم، صائماً موفَّقاً إلى الخيرات وأداء هذة الفريضة، قد طهَّر نفسة بإبعادها عن المحرمات. فلأجل أن تكون الطهارة على أكمل الوجوه التي شرعت؛ فرضت زكاة الفطر حتى يكون الأجر أعظم والثواب أنفع[٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**فرضَ رسولُ الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ من اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً**

---

(١) أي: الزكاة التي سببها الفطر من رمضان. وتسمى أيضاً صدقة الفطر. قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن صدقة الفطر فرض. لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: «**فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً من شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ من الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ**». ابن المنذر، محمد «الإجماع»: (ص١٣)، البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، أبواب صدقة الفطر، باب فرض صدقة الفطر: (ح١٥٠٣)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير: (ح٩٨٤، ٩٨٦)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٤/ ٣٣)، القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٢١٧).

(٢) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٢٨).

لِلْمَسَاكِينِ»[١]. فقد دل الحديث على أن الحِكمة مركبة من أمرين:

الأمر الأول: يتعلق بالصائمين في شهر رمضان، وما عسى أن يكون قد شاب صيامهم من لغو القول، ورفث الكلام. والصيام الكامل الذي يصوم فيه اللسان والجوارح، كما يصوم البطن والفرج. فلا يسمح الصائم للسانه، ولا لأذنه، ولا لعينه، ولا ليده، أو رجله، أن تتلوث بما نهى الله ورسوله عنه من قول أو فعل. وقلما يسلم صائم من مقارفة شيء من ذلك، بحكم الضعف البشري الغالب، فجاءت هذه الزكاة في ختام الشهر، بمثابة غسل أو «حمام» يتطهر به من أوضار ما شاب نفسه، أو كدَّر صومه، وتجبر ما فيه من قصور. فإن الحسنات يذهبن السيئات[٢].

وأما الأمر الثاني: فيتعلق بالمجتمع وإشاعة المحبة والمسرَّة في جميع أنحائه، وخاصة المساكين وأهل الحاجة فيه. فالعيد يوم فرح

---

(١) (... **فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات**). ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر: (ح١٨٢٧).

(٢) كما جعل الشارع السنن الرواتب مع الصلوات الخمس جبراً لما قد يحدث فيها: من غفلة، أو خلل، أو إخلال ببعض الآداب. الرملي، محمد «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٣/ ١١٠)، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م. وشبهها بعض الأئمة بسجود السهو. قال وكيع بن الجراح: «زكاة الفطر لشهر رمضان، كسجدة السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم، كما يجبر السجود نقصان الصلاة». القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٩٢٢).

وسرور عام، فينبغي تعميم السرور على كل أبناء المجتمع المسلم، ولن يفرح المسكين ويسرُّ إذا رأى الموسرين والقادرين يأكلون ما لذَّ وطاب، وهو لا يجد قوت يومه في يوم عيد المسلمين. فاقتضت حِكمة الشارع أن يُفْرَضَ له في هذا اليوم ما يغنيه عن الحاجة وذل السؤال. ويُشْعِره بأن المجتمع لم يهمل أمره، ولم ينسه في أيام سروره وبهجته، ولهذا ورد في الحديث: «**أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ**»(١).

كما إن في إسهام الفقير في إخراج هذه الزكاة تعويد لنفسه على البذل، وتمرين له على الجود، ولئلا يخلو الزمان عن وقت يكون فيه المسلم باذلاً، ومنفقاً، ومسهماً في عمارة المجتمع.

وهكذا يتضح لنا سر تشريع زكاة الفطر، وتظهر مقاصدها العظيمة، وفوائدها التي تعود على الفرد والمجتمع.

حِكمة توزيع الزكاة على الأصناف الثمانية

لقد اعتنى القرآن الكريم عناية خاصة ببيان الجهات التي تصرف لها وفيها الزكاة، دفعاً عن التصرُّفِ الشخصي لها، فلم يدع

---

(١) الدارقطني، علي «سنن الدارقطني»، كتاب زكاة الفطر: (ح٢١١٤)، وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمٰن السندي ضعيف. ابن حجر، أحمد «تقريب التهذيب»: (ص٩٩٨). وعند البيهقي بلفظ: «**أَغْنُوهُمْ عَنْ طَوَافِ هَذَا الْيَوْمِ**». البيهقي، أحمد، «السنن الكبرى»، كتاب الزكاة، باب وقت إخراج زكاة الفطر: (ح٧٧٣٩)، (٤/ ٢٩٢)، ابن سعد، محمد «الطبقات الكبرى»، باب ذكر فرض شهر رمضان وزكاة الفطر: (١/ ٢١٤)، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

لأحدٍ تقسيمها وِفْقاً لرأيٍ له قاصرٍ، أو هوىً متسلِّطٍ، أو عصبيَّةٍ جاهليَّةٍ[١].

وعلى ضوء ما جاء في القرآن الكريم من قوله ﷻ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. يمكن تقسيم مستحقِّي الزكاة إلى ثمانية أصناف[٢].

(١) كما لم يدعها طعمة لمطامع الطامعين من ذوي الأنفس النهمة، والأعين الشرهة، فأشار إلى بعض هؤلاء بقوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

(٢) ومن جميل البلاغة القرآنية: أن خصَّصت الآية الكريمة الأصناف الأربعة الأولى بـ (اللام) الدالة على الملك، فكانت الأموال الزكوية مِلْكاً لهم، كما خصَّت الأصناف الأخرى بـ (في) لأنها تصرف في مصالحهم، من عتق رقابهم، وإيفاء ديونهم، وكذلك ما يصرف في سبيل الله في الجهاد، فإنهم لا يملكونها كما هو الحال في الأصناف المتقدمة. مهدي، نجف «أحكام الزكاة في الشريعة الإسلامية»، بحث مقدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة الثامنة عشرة، كوالالمبور (ماليزيا)»: (ص٥).

المبحث الرابع

سر عناية القرآن بمصارف الزكاة

ولعل سر عناية القرآن الكريم بمصارف الزكاة: هو التأكيد على أن المهم ليس هو جباية الأموال وتحصيلها، فقد تستطيع الحكومات بوسائل شتى الحصول على ضرائب مباشرة وغير مباشرة. وقد يكون ذلك مع رعاية العدل والنَّصَفَةِ، ولكن الأهمَّ من ذلك هو: أين تصرف هذه الأموال بعد تحصيلها؟

فهنا قد يميل الميزان، وتلعب الأهواء، ويأخذ المال من لا يستحقه، ويحرم منه من يستحقه، كما نبه على ذلك العلماء الاقتصاديون والاجتماعيون، فلا عجب بعد ذلك أن يهتم القرآن الكريم بهذا الأمر ولا يدعه مجملاً[1].

وإذا نظرنا لمصارف الزكاة الثمانية نظرة سريعة، ثم قمنا بتحليل هذه الأصناف الثمانية، لخرجنا بنتيجة مؤدَّاها أنها لا توجد حاجة في المجتمع تخرج عن هذه الأصناف الثمانية، وهذا إعجاز يقف أمامه العقل البشري مشدوهاً.

فلا توجد حاجة في المجتمع تخرج عن هذه الأصناف

---

(١) القرضاوي، يوسف «فقه الزكاة»: (٢/ ٥٤٣).

الثمانية، فالفقير والمسكين، والعامل على الزكاة، يمكن تحديده بسهولة والوصول إليه، بينما يمكن أن يدخل في المؤلَّفة قلوبهم بالإضافة إلى من يرجى بعطائهم الإسلام، ومَنْ دخل حديثاً في الإسلام؛ قوم من المسلمين في الثغور. مثل: المسلمين داخل البلاد المعادية، ومثل: الأقليات الإسلامية[1]، وسهم في الرقاب: يدخل فيه كل مسلم سُلِبت إرادته السياسية مثل الأسير المسلم، والشعوب الإسلامية التي ترزح تحت الاحتلال، والأقليات الإسلامية.

وهكذا نجد أن الزكاة أهم وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية، وهي أمضى سلاحٍ يُشْهَرُ في وجه الفوضى الاجتماعية المسبَّبَةِ عن الفقر، والبطالة، والعِوز، وهي أكبر عون لحل مشكلات العباد والبلاد، من خلال توزيعها على الأصناف الثمانية، والتي ليست وراءها حاجة تذكر، وليس أمامها معضلة تثبت.

وبهذا تتضح حِكمة تشريع الزكاة، وتُحَقِّقُ أهدافَها، وتصل إلى مقاصِدها وغايتها.

❁ ❁ ❁

(١) يقول الدكتور القرضاوي: وقد يكون بإعطاء مساعدات لبعض الحكومات غير المسلمة لتقف في صف المسلمين، أو معونة بعض الهيئات والجمعيات والقبائل؛ ترغيباً لها في الإسلام أو مساندة أهله، أو شراء بعض الأقلام والألسنة للدفاع عن الإسلام، وقضايا أمته ضد المفترين عليه. القرضاوي، يوسف، م ـ ن: (٢/ ٦٠٩).

المبحث الخامس

شهادة غير المسلمين بالزكاة

ينوِّه كثيرٌ من الكُتَّاب والباحثين الغربيين بالزكاة. ويشيدون بفضل الإسلام في شرعيتها.

يقول «ليو دوروش»: «... ولقد وجدت فيه ـ أي: في الإسلام ـ حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طُرَّاً:

الأولى: قول القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية.

الثانية: فرض الزكاة على كل ذي مال...»[(١)].

وينقل صاحب كتاب «الإسلام والحضارة العربية» عن أحد المستشرقين قوله: «وكانت هذه الضريبة فرضاً دينياً يتحتم على الجميع أداؤه، وفضلاً عن هذه الصفة الدينية، فالزكاة نظام اجتماعي عام، ومصدر تدَّخر به الدولة المحمدية ما تمد به الفقراء وتعينهم.

---

(١) وهذا دواء الفوضوية. كرد علي، محمد «الإسلام والحضارة العربية»: (١/ ٩١)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م. «ولو أن هذا الدين وجد رجالاً يعلمونه للناس حق التعليم، ويفسرونه حق التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين».

• ww.vb.alhilal.com/t115563.html

وذلك على طريقة نظامية قومية، لا استبدادية تحكمية، ولا عرضية طارئة. وهذا النظام البديع كان الإسلام أول من وضع أساسه في تاريخ البشرية عامة، فضريبة الزكاة التي كانت تجبر طبقات الملاك والتجار والأغنياء على دفعها؛ لتصرف الدولة على المعوزين والعاجزين من أفرادها؛ هدمت السياج الذي كان يفصل بين جماعات الدولة الواحدة، ووحدت الأمة في دائرة اجتماعية عادلة. وبذلك برهن هذا النظام الإسلامي على أنه لا يقوم على أساس الأثرة البغيضة»[١].

ويقول مستشرقٌ آخر:

«إن لدين الإسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة، وذلك بفرض الزكاة التي يدفعها كل فرد لبيت المال، وهو يناهض الديون الربوية، والضرائب الغير مباشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية. ويقف في نفس الوقت إلى جانب الملكية الفردية، ورأس المال التجاري، وبذلك يحل الإسلام مرة أخرى مكاناً وسطاً بين نظريات الرأسمالية البرجوازية، ونظريات البلشفية الشيوعية»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) كرد علي، محمد، «الإسلام والحضارة العربية»: (١/ ٩٢).

(٢) القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٢٦٣، ٢٦٤)، ونسبه إلى: ماسينيون المستشرق الشهير. كرد علي، محمد «الإسلام والحضارة العربية (١/ ٩١، ٩٢).

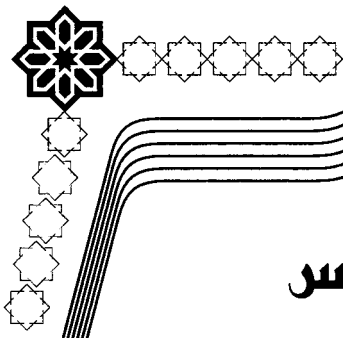

الفصل الخامس

في

حِكمة

تشريع الصوم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصوم، وأدلته، وشروطه.

المبحث الثاني: أنواع الصوم، وحِكمته.

المبحث الثالث: أهمية الصوم.

المبحث الرابع: حِكمة تشريع الصوم.

المبحث الخامس: شهادة غير المسلمين بالصوم.

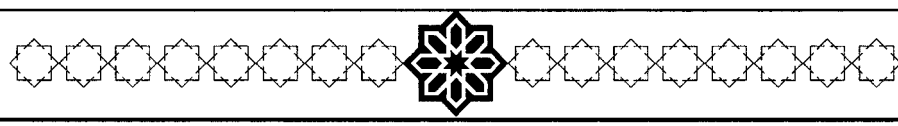

تمهيد

الإنسان بنيان الله، خلقه وِفق نظامٍ مُحْكَمٍ بديعٍ لا يعرف دقائق سنن خَلْقِهِ ولا يحيط بها وبتدبيرها إلا هو ﷻ القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فالله وحده الذي يعلم على وجه الدِّقة والشمول والإحاطة، ما يُصْلِحُ هذا المخلوق الفذ وما يفسده، وما يصحه وما يمرضه، ففرض الله ﷻ الصيام علينا وعلى كل الأمم والشعوب قبلنا، لا لكونه أمراً تعبدياً للخالق العظيم جل وعلا فحسب، ولكن لفوائده المحققة لجسم الإنسان وروحه.

وفي هذا الزمان: يظن كثير من الناس أن الصوم هو حرمان الجسم بأنسجته وخلاياه من عناصر التغذية في الطعام والشراب، وأن الجسم البشري كالآلة الصماء التي تعمل بالوقود، فإن حرمت منه توقفت عن العمل والحركة، كما يخلط بعض الأطباء بين التجويع المطلق، وبين الصيام الإسلامي، فيحمِّلون الثاني كل آثار الأول وأخطاره[1].

---

(١) ذلك لأن المدرسة الطبية الغربية؛ وعلى نهجها تسير المدارس العربية والإسلامية، لا تُدَرِّس في مناهجها الا التجويع (Starvation)، وتسمِّيه أحياناً الصيام (Fasting)، ولا تشير من قريب أو بعيد إلى الصيام =

وبهذا الظن والخلط شكك الجهلاء في حِكمة الصيام وفوائده، وفرَّط ضعاف الإيمان في الالتزام به، وأعطيت التوجيهات الطبية لبعض المرضى في شهر الصيام بغير ضوابط علمية مستيقنة، ولكن الحقيقة التي ثبتت بيقين بعد تقدم العلوم المذهل هذا الزمان، أن للجسم البشري مخازن هائلة للطاقة تتيح له العمل والحركة لعدة أيام، والبقاء لعدة شهور من غير أن يتناول فيها أي طعام قط، كما أن الصيام الإسلامي يفترق عن التجويع في أمور كثيرة وجوهرية؛ تجعله صياماً متميزاً، سهلاً، ميسوراً، لا يشكل أي مشقة أو شدة على الجسم، بل له من الحِكم والفوائد والأسرار الشرعية، والروحية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، والأخلاقية، والعلاجية لعدد من الأمراض الجسدية، والنفسية؛ مما يحتِّم كونه ضرورة حيوية للجسم، والنفس البشرية، ويجعله معجزة من معجزات التشريع الإسلامي الذي جاء به الرسول محمد ﷺ.

وسأستعرض في ثنايا هذا الفصل إن شاء الله هذه الحكم، والفوائد، والأسرار، بأدلة علمية، واكتشافات طبية، تزيد المؤمن إيماناً، والمشكِّك بهتاناً.

= الإسلامي. الصاوي، عبد الجواد «الصيام معجزة علمية»: (ص١٣).

المبحث الأول

تعريف الصوم وأدلته وشروطه

تعريف الصوم

◻ أولاً: الصوم لغةً:

الإمساك عن الشيء والترك له مطلقاً، سواء كان مطعماً، أو كلاماً، أو مشياً.

يقال: صام عن الكلام؛ أي: أمسك عنه. قال الله ﷻ إخباراً عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦][1]؛ أي: صَمْتَاً. وقال العرب: صامت الشمس عند انتصاف النهار، إذا قامت ولم تبرح مكانها. وصام الفرس صوماً؛ أي: قام على غير اعتلاف. وصام النهار، إذا وقف سير الشمس وسط النهار عند الظهيرة[2].

---

(١) بدلالة قوله ﷻ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

(٢) قال النابغة الذبياني:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجُما

وأراد بالصائمة الممسكة عن الصهيل. الذبياني، النابغة، «ديوان النابغة الذبياني»، دار المعارف، بيروت، ط٢، د.ت، الجوهري، إسماعيل «معجم الصحاح»: (ص٦٠٨)، الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات =

◻ ثانياً: الصوم شرعاً:

هو الإمساك عن المفطرات حقيقة أو حكماً، في وقت مخصوص، بنية من أهلها[١].

شرح التعريف: الإمساك عن المفطرات:

- **حقيقة:** سواء كان الأكل، أو الشرب، أو الجماع ودواعيه؛ إذا أمنى، أو ما يدخل الجوف من منفذ خِلْقِي غذاء كان، أو دواء، أو غير ذلك.
- **حكماً:** فمن أكل أو شرب أو أتى شيئاً من المفطرات الأخرى؛ ناسياً غير ذاكر للصوم، فإنه يعد مفطراً قياساً، غير أنه يعد صائماً في حكم الله ﷻ وتقديره. فضلاً من الله ورحمة.
- **بنيَّة من أهلها:** بأن يكون مسلماً، إذ إن غير المسلم ليس أهلاً للنيَّة، وكذا الحائض والنفساء ليستا أهلاً للصيام أثناء العذر، والمراد بالنيَّة: عزم القلب على إيجاد الفعل جزماً بدون تردد، لتمييز العبادة عن العادة[٢].

= ألفاظ القرآن»: (ص٣٢٤)، ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (١٢/ ٣٥٠، ٣٥١)، الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٧٨).

(١) **في وقت مخصوص:** نهاراً من طلوع الفجر الصادق المستطير في الأفق، إلى غروب الشمس حقيقة. الغنيمي، عبد الغني «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ١٦٢)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٤/ ١٢٧)، الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٧٨).

(٢) طهماز، عبد الحميد «الفقه الحنفي في ثوبه الجديد»: (١/ ٣٨١، =

◻ ثالثاً: المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للصوم:

من خلال النظر بين المعنى اللغوي والشرعي للصوم؛ نجد أن المناسبة بينهما هي: أن في كل منهما إمساكاً.

فالصوم في المعنى الشرعي: إمساك عن الأكل، والشرب، والجماع وما في معناها، ويتميز عن الإمساك اللغوي بأنه لا بد أن يكون طاعة لله تعالى، وأن يكون الممسِك صالحاً للصوم، والزمن صالحاً لأن يُصام فيه.

وأما الصوم في اللغة: فهو ـ كما سبق ـ الإمساك مطلقاً عن الأكل، والشرب، والحركة، والكلام، ومنه قوله تعالى إخباراً عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]؛ أي: إمساكاً عن الكلام.

أدلة فرضية الصوم

صوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام، وفرض من فروضه العظام.

ثبتت فرضيته بأدلة من الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع[1]:

= ٣٨٢)، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، الزحيلي، وهبة الفقه الإسلامي وأدلته (٢/٥٦٦)، غاوجي، وهبي «أركان الإسلام»: (٢/ ٥٤٠)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(١) ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٤/ ١٢٥، ١٢٦).

◻ أولاً: من الكتاب:

أ ـ قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ب ـ وقوله ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

◻ ثانياً: من السُّنَّة:

أ ـ قوله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

ب ـ جاء رجل إلى النبي ﷺ ثائر الرأس... فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصيام؟ قال: «**شَهْرَ رَمَضَانَ**» قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئاً**»(٢).

◻ ثالثاً: من الإجماع:

فإن المسلمين قد أجمعوا على وجوب صوم شهر رمضان(٣).

---

(١) سبق تخريجه: (ص٢٩٨)، هامش (١).

(٢) الحديث عند البخاري ومسلم: عن طلحة بن عبيد الله، وفي آخره قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله! لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. قال رسول ﷺ الله: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام: (ح٤٦) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام: (ح١٠٠).

(٣) ابن عبد البر، يوسف «الإجماع»: (ص١٢٦) ابن قدامة، عبد الله =

شروط الصوم

أ ـ شروط وجوب التكليف:

اشترط الفقهاء لوجوب الصوم شروطاً خمسة هي ما يأتي:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ العقل.

٣ ـ البلوغ.

٤ ـ القدرة (أو الصحة من المرض).

٥ ـ العلم بالوجوب لمن أسلم بدار الحرب[١].

ب ـ شروط وجوب أداء الصوم:

يشترط لوجوب أدائه شرطان:

١ ـ **الصحة من مرض:** لأن المريض يصح له ترك الصيام في رمضان إلى أيام أُخَر.

٢ ـ **الإقامة:** لأن المسافر يصح له ترك الصيام في رمضان إلى أيام أُخَر[٢].

= «المغني»: (٤/ ١٢٦).

(١) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/ ٣٠٢)، الشرنبلالي، حسن «نور الإيضاح»: (ص١٩٠)، النووي، يحيى «روضة الطالبين»: (٢/ ٢٣١)، الزحيلي، وهبة «الفقه الإسلامي وأدلته»: (٢/ ٦١٠، ٦١٢، ٦١٥).

(٢) قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ابن الهمام، محمد، م ـ س، الشرنبلالي، حسن، م ـ س.

ج ـ شروط صحة الصوم:

يشترط لصحة أداء الصوم ما يأتي:

١ ـ النية.

٢ ـ الخلو عما ينافيه من حيض ونفاس.

٣ ـ الخلو عما يفسد الصيام[١].

د ـ ركن الصوم[٢]:

الكف[٣] عن قضاء شهوتي البطن والفرج. وما ألحق بها[٤].

هـ ـ سبب وجوب الصوم:

سبب وجوب صوم رمضان شهود جزء منه، وكل يوم منه سبب لوجوب أدائه[٥].

و ـ أثر الصوم:

سقوط الواجب عن الذمة، والثواب في الآخرة[٦].

---

(١) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/ ٣٠٢)، الشرنبلالي، حسن «نور الإيضاح»: (ص١٩٠)، طهماز، عبد الحميد «الفقه الحنفي في ثوبه الجديد»: (١/ ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٨).

(٢) ابن الهمام، محمد، م ـ س، الشرنبلالي، حسن، م ـ س.

(٣) أي: الترك والامتناع. عبد الحميد، محيي الدين «سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح»: (ص١٩٠). دار البيروتي، دمشق، د.ت.

(٤) المراد بما ألحق بها نحو التداوي. الشرنبلالي، حسن، م ـ س.

(٥) ابن الهمام، محمد، م ـ س.

(٦) ابن الهمام، محمد، م ـ س.

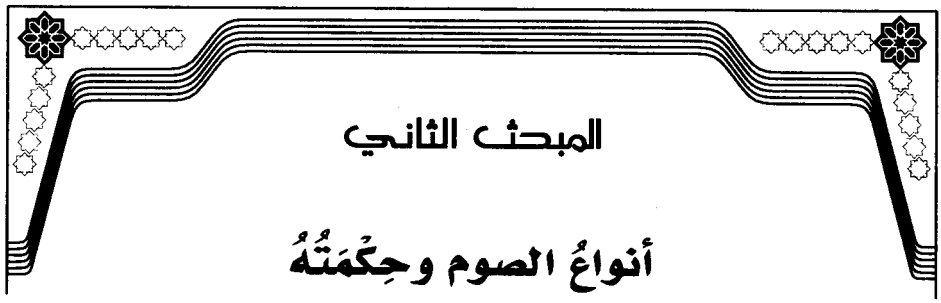

المبحث الثاني

أنواعُ الصوم وحِكْمَتُهُ

الصوم أنواع:

أ ـ الفرض

وهو قسمان:

١ ـ فرض معين:

وهو صيام رمضان في كل عام من أهله.

حِكمة تخصيص شهر رمضان بالصيام:

يمكن تَلَمُّس حِكمة تخصيص شهر رمضان بالصيام: بأنه لما فرض الشارع الحكيم الصوم، وهو شهر كامل ناسب أن يكون على حسب الشهور القمرية، حيث إن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بحوالي أحد عشر يوماً، فعلى هذا يتقدم رمضان كل عام عنه في السنة الماضية عشرة أيام بالنسبة للسنة الشمسية، وعلى هذا ففي خلال ستة وثلاثين عاماً لا يبقى يوم من أيام السنة إلا وقد صامه المسلم. اليوم الطويل في السنة، واليوم

القصير، اليوم الحار، واليوم البارد، وبذلك يتساوى المسلمون في كل أقطارهم في مقدار الصيام وشدَّته؛ كل دورة من هذه الدورات.

وحيث إن تعيين الشهر إذا فوِّض إلى الأمة يكون داعياً للاختلاف في الصوم. إذ كل بلد يختار الشهر الذي يسهل عليه صومه. من أجل ذلك اختار الشارع الحكيم أن يُؤَدَّى الفرض في شهر واحد معلوم، حتى يكون المسلمون متحدين متآلفين. وإذا كان الأمر كذلك، فلا أفضل من أن يكون هذا الشهر هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفيه تحقق ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فصيام هذا الشهر إذن تخليداً لذكرى ينبغي أن تبقى حيَّةً في نفس المسلم؛ شعورِيًّاً، وعملِيًّاً[١].

٢ ـ فرض غير معين:

مثل:

ـ قضاء رمضان لمن لم يصمه في رمضان. لعذر ولغير عذر.

ـ الكفارات، مثل: كفارة الظهار، والقتل، وكفارة اليمين، وجزاء الصيد، وفدية الأذى في الإحرام، لثبوت هذه بالقاطع سنداً ومتناً، والإجماع عليها[٢].

---

(١) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٥٠)، حوى، سعيد «الإسلام»: (ص١٦٨).

(٢) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/٣٠٣).

ب ـ الوجوب

وهو أقسام:

١ ـ صوم النذر:

سواء كان مطلقاً، أو علق الصيام على وقوع أمر ووقع ذلك الأمر، وجب الصيام، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ»**(١).

٢ ـ صوم النفل في حق من أفسده، بغير العذر المانع من الصوم:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

ولقوله ﷺ لعائشة وحفصة لما أفطرتا من أجل طعام اشتهينه: **«اقْضِيَا يَوْماً آخَرَ مَكَانَهُ»**(٢).

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة: (ح٦٦٩٦).

(٢) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصيام، باب من رأى عليه القضاء، بلفظ: **«لَا عَلَيْكُمَا صُوما يَوماً آخَرَ مَكَانَهُ»**: (ح٢٤٥٤). قال أبو داود: قال أبو سعيد بن الأعرابي: هذا الحديث لا يثبت. الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الصوم، باب ما جاء في إيجاب القضاء عليه: (ح٧٣٥). قال أبو عيسى: وروى صالح بن أبي الأخضر، =

ج ـ صوم السُّنَّة

١ ـ صوم الإثنين والخميس:

قال رسول الله ﷺ: «**تُعْرضُ الأعمالُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فأُحِبُّ أَنْ يُعرضَ عَمَلي وأنا صائمٌ**»(١).

٢ ـ صوم يوم عرفة:

قال رسول الله ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»(٢).

حِكمة صيام يوم عرفة:

يوم عرفة أفضل الأيام، وهو يوم مغفرة الذنوب والتجاوز

= ومحمد بن أبي حفصة هذا الحديث عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، مثل هذا. ورواه مالك بن أنس ومعمر، وعبيد الله بن عمر، وزياد بن سعد، وغير واحد من الحفاظ عن الزهري، عن عائشة مرسلاً؛ ولم يذكروا فيه عن (عروة) وهذا أصح.

(١) السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب الصيام، باب في صوم الإثنين والخميس: (ح٢٤٣٦)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس: (ح٧٤٧). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسن. النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الصيام، باب صوم النبي: (ح٢٣٦٠).

(٢) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس: (ح٢٧٤٦).

عنها، والعتق من النار، يوم تنزل فيه الرحمة على الحجاج. فالصائم متشبِّه في الطاعة، متشوِّق لما هم فيه من الخير، متعرِّض لما ينزل عليهم من الرحمة والخير.

«ولما كان صائم عاشوراء، متعرِّضاً لرحمة ماضية، وصائم عرفة منغمراً في لجة من الرحمة حاضرة، كان الأول كفارة لذنوب السنة الماضية، والثاني لذنوب الماضية والآتية»[١].

٣ ـ صوم يوم عاشوراء[٢]:

أي: العاشر من محرم.

قال رسول الله ﷺ: «... **وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»[٣].

حِكمة صيام يوم عاشوراء:

سرُّ الترغيب في صيام يوم عاشوراء؛ أنه يومٌ نصر الله فيه موسى عليه السلام فصامه شكراً لربه، فمن صامه فقد شارك كليم الله في الشكر، وتعرض لرحمة الرب. وأيضاً: فإن فيه تربية النفس على الشعور بوحدة الدين، وبأخوة الأنبياء، ويعمِّق مفهوم الإيمان بالأنبياء السابقين.

---

(١) أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة»: (ص١٣٤).

(٢) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/ ٣٠٣).

(٣) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس: (ح٢٧٣٨).

٤ ـ صوم ثلاثة أيام من كل شهر[١]:

قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذَرٍّ إذا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاث عَشْرَةَ وأَرْبَعَ عَشْرَةَ وخَمْسَ عَشْرَةَ**»[٢].

حِكمة صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

إن صيام ثلاثة أيام من كل شهر (بتصيير الحسنة بعشر أمثالها) كصوم الدهر. وإن الثلاثة أول حدِّ الكثرة. والكثرة في مثل هذه المواطن محمودة مرغوب فيها[٣].

٥ ـ صوم ست من شوال:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»[٤].

حِكمة صيام الست من شوال:

الست من شوال بمنزلة الرواتب من الفرائض في الصلاة؛

---

(١) ابن الهمام، محمد، «شرح فتح القدير»: (٢/ ٣٠٣).

(٢) الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر: (ح٧٦١)، قال أبو عيسى: حديث أبي ذر حديثٌ حسن. النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على موسى بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من الشهر: (ح٢٤٢٦).

(٣) أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة»: (ص١٣٤).

(٤) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ستة أيام من شوال اتْبَاعاً لرمضان: (ح٢٧٥٨).

أي: أنها متمِّمَة لصوم رمضان بالنسبة لمن وقع في صومه خلل لا يبطله. وإنما كان اتباعها لرمضان كصيام الدهر: لأنها ورمضان ستة وثلاثون؛ والله ﷻ جعل الحسنة بعشر أمثالها. فإذا ضربنا عشرة في ستة وثلاثين، كان حاصل الضرب ثلاثمائة وستين يوماً هكذا: ١٠ × ٣٦ = ٣٦٠. وهو مجموع أيام السنة. ويكون ذلك كصوم الدهر[١].

د ـ الصوم المكروه

وهو نوعان: مكروه تنزيهاً، ومكروه تحريماً[٢].

□ أولاً: المكروه تنزيهاً:

١ ـ صوم يوم الجمعة مستقلاً:

قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**»[٣].

---

(١) أفندي، إبراهيم، «أسرار الشريعة»: (ص١٣٤)، الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٤٧، ١٤٨)، بتصرف.

(٢) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/٣٠٣).

(٣) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب كراهة صيام يوم الجمعة، منفرداً: (ح٢٦٧٩).

حِكمة النهي عن إفراد صيام يوم الجمعة:

أولاً: تحقيق معنى العيد، وفائدته إشعار المؤمنين بأن اجتماع يوم الجمعة من الاجتماعات التي يرغبون فيها بأنفسهم، من غير قهر ولا إلزام.

ثانياً: سد التعمق في الدين؛ لأن التنويه بفضله واختصاصه بأوراد وأذكار مظنة للتعمق والتحريف. كما في العيدين.

ثالثاً: الإعانة على القيام بالأذكار والأوراد المشروعة فيه؛ لأن الصوم قد يُضْعِف المرء عن القيام بذلك[١].

٢ ـ صوم يوم عاشوراء منفرداً عن التاسع[٢]:

قال رسول الله ﷺ: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»[٣].

حِكمة النهي عن صيام يوم العاشر دون التاسع:

لعل السبب في صوم التاسع مع العاشر؛ أن لا يتشبه المسلم باليهود في إفراد العاشر[٤].

---

(١) النووي، يحيى «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»: (٧/ ٢٥٤).

(٢) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/ ٣٠٣).

(٣) أي: مع العاشر، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء: (ح٢٦٦٧).

(٤) النووي، يحيى م ـ س: (٧/ ٢٥٤).

◻ ثانياً: المكروه تحريماً:

١ ـ صوم اليوم الأول من عيد الفطر واليوم الأول من عيد الأضحى[١]:

لأن النبي ﷺ: «**نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ**»[٢].

حِكمة النهي عن الصوم في يومي العيدين:

حرَّم علينا الشارع الحكيم الصوم في يومي العيدين:

- لأن المسلم فيهما يكون في مظهر من السرور والانشراح، وإعطاء النفس قسطها من الراحة، ومباشرة بعض الملاذ التي لم ينه عنها الشارع الحكيم. ولا لذة لصائم.
- وأيضاً يكون الإنسان ظاهراً بمظهر الجود والكرم على الفقراء والمساكين. فإذا صام الإنسان يومي العيدين؛ لم يُحَصِّل هذه المزية التي أقل ما فيها من الفائدة أنها تمرِّن على الجود والكرم.
- منع المسلمين من التنسُّك اليابس، والتعمق في الدين؛ لأن الله نوَّه بفضل هذه الأيام، وخصَّها بطاعاتٍ وعباداتٍ، فكان ذلك مظنَّةً لتعمق المتعمقين وتمسكهم بالصوم فيها.

---

(١) ابن الهمام، محمد، م ـ س: (٢/ ٢٠٣).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الصوم، باب صوم يوم الفطر: (ح١٩٩١)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب تحريم صوم يومي العيدين: (ح٢٦٧٤).

- التأدب مع ذي الجود والإحسان: فإنهم في ضيافته. وضيف الكريم لا يليق به أن يكون صائماً[١].

٢ - صوم أيام التشريق الثلاثة مطلقاً[٢]:

قال رسول الله ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ**»[٣].

حِكمة النهي عن الصوم أيام التشريق:

وحرَّم الصوم في أيام التشريق؛ لأن الحاج يكون في شغل في هذه الأماكن الطاهرة؛ ولأجل أنه مسافر. فعمَّم الشارع تحريم الصوم، ولم يخصِّص به الحاج، ليكون أداء العبادة على وتيرة واحدة.

وأيضاً فإن الإنسان بإفطاره هذه الأيام، يتذكر هؤلاء الحجاج، ويتشوَّق إليهم، ويتمنى أن يكون معهم في تلك الأماكن الطاهرة، فيفوز بما فازوا به من رؤية البيت الحرام، وزيارة قبر المصطفى ﷺ[٤].

٣ - صوم الدهر[٥]:

وحِكمة النهي:

أن الإسلام دين الاعتدال في كل شيء، حتى في العبادة،

---

(١) أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية وآدابها الباطنة»: (ص١٣١، ١٣٢)، بتصرف.

(٢) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/ ٣٠٣).

(٣) وفي رواية: «**وَذِكْرٍ للهِ**». ابن الحجاج، مسلم كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق: (ح٢٦٧٧، ٢٦٧٨).

(٤) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٤٩)، أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة»: (ص١٣١، ١٣٢).

(٥) لنهيه ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص عن ذلك لمَّا بلغه أنه يسرد =

فالنبي ﷺ لا يريد أن يوهِن المسلمون قوَّتهم، ويسيئوا إلى صحتهم بالصيام أو بغيره.

هذا عدا أن صيام الأبد يجعل الصائم يعتاد الصيام ولا يجد مشقَّة فيه، فتنتفي بذلك الحِكمة من الصيام، وهي: الشعور بفقر الفقراء، وجوع الجائعين، وحاجة المحتاجين، كما ينتفي تحمُّل الصبر على الجوع والظمأ، بعد أن يعتاد المرء عليهما بصومه المتواصل، فكأنه لا صام ولا أفطر(١).

٤ ـ صوم المرأة النفل بدون إذن زوجها:

قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»**(٢).

حِكمة نهي المرأة عن الصوم نفلاً دون إذن زوجها:

إن في صوم المرأة نفلاً دون إذن زوجها تفويتاً لبعض حق الرجل، وتَنْقِيْصَاً لفَكَاهَتِهَا وبشاشتها عليه. فالرجل الذي يرى امرأته بهيئةٍ بذْلَةٍ ربما نفر منها وأعرض عنها.

= الصوم. وقوله ﷺ: **«لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ»**. البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الصيام، باب حق الأهل في الصوم: (ح١٩٧٧)، ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر: (ح٢٧٢٦).

(١) الكيلاني، عبد الرزاق «الحقائق الطبية في الإسلام»: (ص٢٣٧).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه: (ح٥١٩٥).

لذا حرص النبي ﷺ من خلال نهيه المرأة عن صيام النفل دون إذن زوجها؛ إلى الارتقاء بالحياة الزوجية، وتوطيد العلاقة بين الزوجين على أساسٍ من الألفة والمحبة، وإبعاد كل ما من شأنه أن يصدِّع بنيان المحبة والمودة بينهما.

المبحث الثالث

مكانة الصوم وأهميته في الإسلام

مكانة الصوم

يتبوأ الصوم في الإسلام منزلة رفيعة، فهو من أعظم أركان الدين، وأوثق قوانين الشرع المتين، من واظب عليه كان من المتقين. وأبعد نفسه عن عذاب الله الأليم، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصوم يحقق التقوى: التي هي امتثال الأوامر الإلـٰهية، واجتناب النواهي. وقال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ... وصوم رمضان**»(١).

وفي الصيام تكفير للذنوب ومحو للخطايا، قال رسول الله ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(٢). والصوم سبب لمضاعفة

---

(١) سبق تخريجه: (ص٢٩٨)، هامش (١).

(٢) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الطهارة، باب الصلوات =

الحسنات، ورفع الدرجات، قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي...**»[(١)].

أهمية الصوم

وإن الصوم يهذِّب الروح، ويعين النفس على الاستقامة، ويعلِّم الأمانة ومراقبة الله ﷻ في السرِّ والعلن؛ لأن من شأن الإنسان في حال صيامه أن يكون أكثر مراقبة لله ﷻ، وخشية من عقابه، ورغبة في ثوابه.

يقول الإمام الغزالي: «الصيام زكاة النفس، ورياضة الجسم، وداع للبر، فهو للإنسان وقاية، وللجماعة صيانة، في جوع الجسم صفاء القلب، وإيقاد القريحة، وإنفاذ البصيرة؛ لأن الشبع يورث البلادة، ويعمي القلب...»[(٢)].

وقال الكمال ابن الهمام[(٣)]: الصوم ثالث أركان الإسلام بعد

= الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر: (ح٥٥٠).

(١) ابن الحجاج، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب فضل الصيام: (ح٢٧٠٠).

(٢) الغزالي، محمد «إحياء علوم الدين» (٣/ ٩١).

(٣) ابن الهمام: محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، الكمال بن همام الدين، السيواسي الأصل، ثم القاهري، الحنفي، المعروف بابن الهمام، ولد سنة (٧٩٠هـ) بالإسكندرية، أخذ عن أئمة منهم: يوسف الحميدي =

«لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله»، شرعه الله لفوائد أعظمها كونه موجباً أشياء:

١ ـ سكون النفس الأمارة، وكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح، من العين، واللسان، والأذن، والفرج، فإن به تضعف حركتها في محسوساتها، ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، وإذا شبعت جاعت كلها.

٢ ـ كونه موجباً للرحمة والعطف على المساكين، فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، ذَكَرَ مَنْ هذا حالهُ في عموم الأوقات، فتسارع إليه الرِّقة عليه، فينال بذلك ما عند الله ﷻ من حسن الجزاء.

٣ ـ ومنها: موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون أحياناً، وفي ذلك رفع حاله عند الله ﷻ[1].

= الحنفي، والجلال الهندي، له تصانيف، منها: «شرح الهداية» المسمى بفتح القدير و«التحرير» في أصول الفقه، مات بمصر سنة ٨٦١هـ. السخاوي، محمد «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»: (٨/١٠٨، ١٠٩ ـ ١١١، ١١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. اللكنوي، محمد «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»: (ص١٨٠، ١٨١).

(١) ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/٣٠٠، ٣٠١).

المبحث الرابع

حِكمة تشريع الصوم

من الحقائق الثابتة أن المولى ﷻ ما فرض من فريضة، وما نهى عن شيء إلا لحِكمة بيَّن العلم والواقع والإحصاءات أنها خير للمكلف ورحمة به، كما قال العز رَحِمَهُ اللَّهُ: «التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد»، وعلى علماء المسلمين، والطلبة الباحثين، استنباط حِكمة التشريع وشرحها ووضعها في متناول المكلفين.

والصوم رابع أركان الإسلام، يشتمل على حِكم عظيمةٍ، وأسرارٍ نفيسةٍ، وغاياتٍ حميدةٍ، نفصلها بما يأتي:

أولاً: حِكمة شرعية

تتجلى في الصيام أسمى غايات العبودية، إذ يؤدِّي المسلم الصوم امتثالاً لأمر الله ﷻ واستجابة لطلبه، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فهذه الآية تدعو المؤمن لتطبيق ما أُمِر به، والامتناع عن كل ما نهى الله عنه، ليصبح تقياً يخاف الله ويراقبه.

فالصوم يمثل تمام الطاعة والاستسلام لله ﷻ، حيث يترك الصائم طعامه وشرابه ومشتهاه الذي بين متناول يديه؛ لا رقيب عليه في ذلك إلا الله ﷻ. فإذا ترك الصائم شهواته التي تعرِض له أثناء الصوم امتثالاً لأمر الله ﷻ، وراض نفسه على الصبر كلما أغرتها الطيبات والشهوات؛ شعوراً منه بأن الله ﷻ يراقبه، وأنه مطَّلِعٌ على سر نفسه، وتكرر منه ذلك شهراً كاملاً، فلا جرَمَ أن يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحِبة للعمل، ملكة مراقبة الله ﷻ وخشيته، والحياء من الله أن يراه حيث نهاه، والقدرة على ترك ملذات يجمل به أن يتخلى عنها، كما أن مراقبة الله تؤهِّله لكل أعمال الخير، وتبعده عن الشر، فلا يَخْدَع، ولا يغش، ولا يظلم، ولا يهضم حقاً، ولا يسعى في الفساد بين الناس[1].

وهكذا نجد أن الصوم عمل عبادي يبتغي به العبد وجه الله وحده. فتتحقق بذلك الحِكمة الشرعية من فرضية الصوم؛ في تعويد المسلم الامتثال والمراقبة، والاستجابة لأوامر الله ﷻ، والخضوع لأحكامه.

---

(١) طبارة، عفيف «روح الدين الإسلامي»: (ص٢٥٤، ٢٥٥). ولو تملَّكت هذه المراقبة نفوس الناس جميعاً؛ لما وُجِدَ شيء من الجرائم، ولما استعبد القويُّ الضَّعيفَ. ولأصبحت الدنيا تُمَاثِل الفردوس في هنائها، وصفائها، وطهارة القلوب فيها. الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٣٦).

ثانياً: حِكمة روحية

إن في الصوم تشبيهاً بالروْحَانيين من ملائكة الله المقربين، فلا يكون الصائم مشغولاً بنفسه طول اليوم، بل بالله ﷻ فيكون ذاكراً، ومسبِّحاً، ومقدِّساً، أو مصَلِّياً، أو قارِئاً، أو مفكِّراً في خَلْقِ السماوات والأرض، أو مصالح العباد[١].

كما إن الصوم يهذب الروح، ويطهِّر القلب، ويعين النفس على الاستقامة والصفاء، ويساعد القلب على التطهر والنقاء، فالصوم جامعة روحية كبرى، يعوِّد الصبر ويقوِّي عليه، ويُوجِدُ في النَّفس ملكة التقوى ويربِّيها فيخاف الإنسان من ربه، ويراقب مولاه في السر والعلن خشية عقابه، ورغبة في ثوابه. فتسمو نفسه عن الماديات، وتلتحق روحه بالملأ الأعلى، ويصير أكثر وضوحاً في رؤيته. لذلك سمى البعض الصيام رياضة الروح[٢]. وهكذا: «فإن الصوم يحقق

---

(١) مقتبس من: الجرجاوي، علي، م ـ ن: (ص١٣٧).

(٢) وهذا ما ألفتت إليه توني برنز، من مدرسة كولومبيا للصحافة بقولها: «إنني أعتبر الصوم تجربة روحية أكثر منها جسدية، فعلى الرغم من أنني بدأت الصوم بهدف تخليص جسدي من الوزن الزائد، إلا أنني أدركت أن الصوم نافع جداً للفكر، فهو يساعد على الرؤية بوضوح أكبر، وذلك باستنباط أفكار جديدة وتركيز المشاعر، فلم أكد أمضي في صيامي بضعة أيام في «منتجع بولنج الصحي»، حتى شعرت أني أمر بتجربة سمو روحي هائلة».
وليس هذا فحسب، بل أصبح الصوم عند برنز يُحدِث تحوّلاً نوعياً في منهجيتها ورؤيتها، فتنتقل من تطهير جسدها بالصوم، إلى تطهير النفس =

أعظم الآثار نفعاً على مستوى الروح والإيمان؛ لأن الصائم يكون مشدوداً ومتعلِّقاً أكثر بخالقه ورازقه»[١].

ثالثاً: حِكمة نفسية

وإن للصوم آثاراً رائعة على النفس البشرية، ونظراً للعلاقة الوثيقة بين الاطمئنان النفسي وصِحَّة الجسد عموماً، فإن الآثار والفوائد النفسية التي يجنيها الصائم، لها مردودها الإيجابي في حسن سير الوظائف العضوية لكل أجهزة البدن.

فالصوم يساهم مساهمة فعَّالة في علاج الاضطرابات النفسية والعاطفية، وتقوية إرادة الصائم، وَرِقَّةِ مشاعره، وحبِّه للخير،

= من الذنوب، وهذا ما عبَّرت عنه بقولها: «لقد صمت إلى الآن مرات عديدة، لفترات تتراوح بين يوم واحد وستة أيام، وكان الدافع في البداية هو الرغبة في تطهير جسدي من آثار الطعام المفرط، غير أنني أصوم الآن رغبة في تطهير نفسي من كل ما علق بها خلال حياتي».

ثم تقول: «إنني عندما أصوم يختفي شوقي تماماً إلى الطعام، ويشعر جسمي براحة كبيرة، وأشعر بانصراف ذاتي عن أمور علقت بها، مثل الخوف والارتباك والشعور بالملل، كل هذا لا أجد له أثراً مع الصيام، إنني أشعر بتجاوب رائع مع سائر الناس أثناء الصيام، ولعل ما قلته هو السبب الذي جعل المسلمين وكما رأيتهم في تركيا وسوريا والقدس، يحتفلون بصيامهم لمدة شهر في السنة، احتفالاً جذَّاباً روحيّاً لم أجد له مثيلاً في أي مكان آخر في العالم». كوت، آلان «الصوم الطبي والنظام الغذائي الأمثل»: (ص١٤٨، ١٤٩)، دار الرشيد، دمشق، ط٣، د.ت.

(١) عثمان، محمد «صوموا تصحوا»: (ص٩٢، ٩٣).

والابتعاد عن الجدل والمشاكسة والميول العدوانية، وإحساسه بسمو روحه وأفكاره، وبالتالي تقوية وتدعيم شخصيته، وزيادة تحملها للمشاكل والأعباء، مما يؤثِّر بصورة تلقائية على صحة الإنسان.

«وقد أكَّدت الدِّراسات الطبية الحديثة: أن الصيام يملك تأثيرات عجيبة على النفس، ويعمل على زيادة تحمل الأعصاب للصدمات النفسية، بتنظيمه إفرازات الهرمونات، وتهدئة المشاعر النفسية. وتؤكِّد الدِّراسات: بأن صيامنا الإسلامي علاج شافٍ ضد التغيرات النفسية التي يولِّدها القلق، والمخاوف الوهمية أو الحقيقية، والأزمات العاطفية، حيث ينصح العلماء أمثال هؤلاء أن يمتنعوا عن الطعام؛ حتى زوال النوبة النفسية القاسية»[(١)].

وينمِّي الصيام الإخلاص في النفس لله ﷻ، فهو سر بين العبد وربه لا رقيب في صدق تنفيذه إلا الضمير الحي، والرغبة الصادقة في رضاء الله ﷻ[(٢)].

وعند الجوع يزول البطر، وتنكسر حدة الشهوات. وإن البطر والأشر هما مبدأ الطغيان والغفلة عن الله، فلا تنكسر النفس ولا تذل

---

(١) عثمان، محمد «صوموا تصحوا»: (ص٦٥).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**قال اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**،...». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الصوم، باب: هل يقول: إني صائم، إذا شُتِمْ: (ح١٩٠٤)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب فضل الصيام: (ح٢٧٠٦).

كما تذل بالجوع[١].

والجوع يساعد الصائم على السيطرة على نفسه، والصيام يؤدِّي إلى صفاء الذهن، وتقوية الإرادة، وترويض النفس على الصبر. قال رسول الله ﷺ: «**الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ**»[٢]. «فيكبح جماح النفوس الشاردة ويردها إلى حظيرة الخير والإيمان، فيهجر العاصون طريق الضلال، ويقلع المدمنون عن عاداتهم، وينسى ذوو الأمراض العصبية أوهامهم»[٣].

رابعاً: حِكمة تربوية أخلاقية

ويعتبر الصوم وسيلة من وسائل تهذيب الفرد، وتربيته تربية روحية تغرِس فيه خلق المراقبة، والصبر وقوة العزيمة، والجلد أمام حوادث الأيام، والتَّكيُّف على قِلَّة الطعام، والتخلي عن سيطرة العادات، حيث يترك الصائم كثيراً مما اعتاده من منوال الحياة اليومية، مثل: أوقات الاستيقاظ والنوم، والأكل والشرب، والعمل والراحة، فلا تسيطر عليه عادة مهما كان أثرها[٤]. ولا تستفِزه إساءة

---

(١) مقتبس من: النسيمي، محمود «الطب النبوي والعلم الحديث»: (١/ ٢٧٥).

(٢) الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الدعوات، باب: التسبيح نصف الميزان: (ح٣٥١٩)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسنٌ، الدارمي، عبد الله «سنن الدارمي»، كتاب الصلاة والطهارة، باب ما جاء في الطهور (١/ ١٦٧).

(٣) الجرجاوي، علي «حكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٤١).

(٤) فالصوم يضطر المدخن مثلاً إلى ترك التدخين ولو مؤقتاً على أمل تركه نهائياً.

مهما بلغ مداها، فنراه يقول لمن أساء إليه: إني صائم، وفي هذا هدي رباني، وإرشاد قدسي، وتوجيه كريم إلى سر من أسرار الصوم، الذي شُرِع تقويماً للخلق، وتزكية للنفس، ووجاء من ثورة الشهوة، ورداً لفورة الغضب، وسمواً بالروح إلى أرقى ما يتصوره عقل بشري من كمال، وإنها لحِكم وغايات في سعادة الفرد والمجتمع[1].

كذلك فإن في الصوم تربية النفس على النظام وحفظ الوعد، وما أحوج المسلم إلى النظام في تفكيره وعمله، وفي صِلاته بالناس، وما أحوجه إلى ضبط مواعيده بجميع أحواله فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس، فترى الصائم يُمْسِك مهما كان جائعاً عند طلوع الفجر، ويفطر مهما كان مشتغلاً عند دخول أول الليل. وفي تربية المسلم على هذا النظام خير عظيم.

«وفي الصوم تقوية وتربية لعاطفة من أنبل العواطف القومية الوطنية. فإن الصائم ينزل عن كثير مما اعتاده من مسار الحياة ومناهجها، وما أَلِفَ أن يترفَّه فيه ممَّا يَقْدِرُ عليه في غير عناء ولا تعب، وفي ذلك مواساة للسائل والمحروم في ظروف قاسية

---

(١) الجرجاوي، علي «حكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٤٣). إن جيل غرين صاحب مجلة «نيويورك» المترف، والذي يحب الصيام، يُلاحِظ أن الصائم صوماً طويلاً، يمر بحالة من المشاعر النبيلة، والسمو الخلقي، يغمره خلالها نوع من السعادة والهناءة، . . . إن صيام يوم الإثنين: بعد عطلة نهاية أسبوع عامرة بالمرح، أمر يصنع المعجزات. كوت، آلان «الصوم الطبي»: (ص٩٢، ٩٣).

عليهم، مؤلمة لهم، وفي ذلك توفير من كماليات الحياة؛ ليجد الناس ما تتطلع إليه نفوسهم من ضرورياتها؛ في أيامٍ تحاملت على الناس حادثاتها، ولم يعد ثمة ملجأ إلا روح الجماعة والشعور بتضامن الجماعة»[1].

وأخيراً فإن في الصوم تغليب حكم العقل على الشهوة، وقوة الإرادة على ضعفها، فإذا ارتاض الإنسان بذلك ارتياضاً تاماً، وأصبح السلطان للعقل لا للهوى، كان ذلك من قوة العزيمة التي تجعل صاحبها من خير الناس.

خامساً: حِكمة اجتماعية

وللصوم فوائد اجتماعية كثيرة تتجلى في الأمور التالية:

١ ـ النظام:

يمرن الصوم المسلم على النظام في حياته، وعلى الجماعية في معيشته، فالمسلم في أي وقت من ساعات النهار يجد الطعام يطفئ ظمأه ويسد جوعه، ولكنه يمسك عن تناول أي شيء قبل أن تأذن الشمس بالمغيب، وفي لحظة الغروب في جميع أقطار العالم الإسلامي ـ كل بحسب توقيت بلده ـ تعتبر لحظة انتهاء المنع العام، فيكون جميع المسلمين جالسين بين عوائلهم ينتظرون لحظة المغرب، إلى أن ينتهي النهار ويسود الليل، وينصتون بخشوع إلى

(١) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٣٩).

كلمة (الله أكبر) تنطلق من المآذن، أو صوت يصدر من المدافع، لِتُمَدَّ الأيدي في جميع البلاد[١] إلى الماء أو الزاد في لحظة واحدة، فيتركز في وجدان عامة المسلمين النظام الجماعي، الذي يرفض التمييز بين فرد وفرد، ويرفض التقديم أو التأخير ولو لحظة، أو أقل من ذلك.

٢ ـ المساواة:

تبرز أهمية الصوم الذي تفرضه الشريعة الإسلامية؛ في صبغ المسلمين (بالمساواة) التي تستل غريزة الاستئثار، دون أن تستل المواهب المتفوقة عن التفاعل والإنتاج.

فالصوم الذي يفرضه الإسلام يتساوى فيه جميع الناس في مواطنهم، ـ سواء من يملك الملايين ومن لا يملك شيئاً ـ كما يتساوى الجميع في صفوف الصلاة، وموقف الحج؛ ليشعر أصحاب الأموال، والأنساب، والمناصب بأن الناس ـ جميعاً ـ متساوون في اعتبارهم، كما أنهم متساوون في أجسامهم.

فهاهم الأغنياء والكبراء، وأولئك هم الفقراء والضعفاء، يجوعون ـ جميعاً ـ في وقت واحد، ويجمعهم شعور واحد، وحس مشترك، وطبيعة سارية، فيتعبدون بأمر عام من الله، فالله ﷻ فوق الجميع، والجميع متساوون أمامه.

---

(١) المراد: أن حالة الصائمين في كل أرجاء المعمورة هذا حالهم، ولكن تتفاوت أوقات الإفطار بين قطر وآخر، تبعاً للفارق الزمني.

٣ ـ الرحمة:

من الأمور المثبتة في علم النفس: أن الرحمة الإنسانية لا تنشأ إلا من الألم. فحين يشعر الأغنياء بوطأة الجوع تُفَتِّتُ أحشاءهم، يتذكَّرون أولئك الفقراء الذين هم أبداً بمنزلة الصائمين في الجوع والحرمان؛ فيفيضون عليهم بالرحمة والعطف والإحسان؛ فيطمئن كل منهما إلى صاحبه؛ فتخبو ثورة الفقير، كما تَذْوِي كبرياء الغني. فالرحمة حاجة الجميع ولا يستغني عنها أحد.

٤ ـ الحرية:

ينشر الصوم في المجتمع روح الحرية؛ لأن مفهوم الحرية هو: التخلص من أنواع الأسر، الذي يجعل الإنسان منقاداً لسلطة عليه إرادتها، ويدين لها بالطاعة. وهي كلمة تقابل العبودية.

ففي الصوم تحرر للإنسان من شهوات النفس التي ترقُّ صاحبها؛ فتجعله لا يباشر عملاً إيجابياً أو سلبيّاً إلا تلبية للوازع الداخلي، فإذا سيطرت عليه شهواته عاش أسيراً يخضع لنفوذها ويمتثل أمرها.

وفي الصوم سموٌّ لا يدركه إلا من مارس الصوم؛ فالصائم يسمو على جميع ما في الدنيا مما تشتهيه نفسه، حتى يصبح كبير النفس حقّاً يستطيع الاعتماد على نفسه لممارسة مهام الأمور، وتنمو في نفسه الثقة بالله، والثقة بالنفس، فينطلق إلى الأمور المصيرية يواجهها بحزم وعزم، فمن يستطيع أن يَقْهَر نفسه، يستطيع قَهْرَ كل ما يعترضه من صعاب.

٥ ـ الضِّمار[١]:

الصوم ـ بطبيعته ـ رياضة عنيفة في حدوده التي ترفض التلاعب ولو بمقدار لحظة واحدة، وهو رياضة للنفس بما يكبح من جماحها، ورياضة للبدن بما يحمله من تجربة قاسية، وهو تعبئة إعدادية عامة، وتُؤَهِّبُ القادرين على خوض معترك الحياة لاقتحامه كلما دعت الحاجة.

فالخيل تضمَّر قبل السباق، والجندي يدرَّب قبل المعركة، وكل صاحب مهنة أو وظيفة يجرَّب قبل أن تعهد إليه بمسؤوليته، ولكن ليس هنالك إعداد عام لحمل أعباء الحياة سوى الصيام، فهو الضِّمار للحياة.

٦ ـ اختبار سنوي:

وبعدما يحاول الصوم تأصيل القيم الاجتماعية السابقة، لا يتركها تحت رحمة الحوادث التي تُشْقِي كلما تأتي عليه، وإنما يغذِّيها ويرعاها باختبار سنوي دقيق؛ حتى يكملها إن نقصت، وينميها إن لم ينقص منها شيء. فالصوم اختبار للمنتمين إلى الدين الإسلامي، وامتحان لضمائرهم، وأعصابهم، وإيمانهم. إنه محطة في طريق الزمن، أو في طريق العمر، يقف فيها المسلم، ـ بعد أحد عشر شهراً ـ يسأل نفسه: أين أنت من دينك؟ وهل انصرمت هذه

---

(١) **الضِّمار**: من الضمور، وهو الهزال والضعف. ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٤/ ٤٩١). **والضَّمْرُ**: الرجل الهضيم البطن اللطيف الجسم. الجوهري، إسماعيل «الصحاح»: (ص٦٢٦).

الشهور من عمرك على نحو مرضٍ لضميرك الديني، أو هناك نواقص ـ فيك ـ تحتاج إلى الرَّتق والترميم؟[1].

سادساً: حِكمة اقتصادية

كذلك فإن الصوم ينمِّي في الإنسان المسلم ملكة الصبر، والقدرة على قهر النفوس وتعويدها تحمل الشدائد، ومتاعب الحياة ومصاعبها.

يقول صاحب كتاب «صوموا تصحوا»: «فاختصار وجبات الطعام اليومية من ثلاث وجبات، إلى وجبتين اثنتين؛ فرصة طيبة لخفض مستوى الاستهلاك، وهي فرصة مواتية لاقتصادنا. فنحن أمة مستهلكة، فقد أشارت كل الإحصاءات إلى أن أقطارنا تستهلك أكثر من إنتاجها، وتستورد أكثر من تصديرها، وما هذا الاستهلاك الزائد دائماً والاستيراد الزائد غالباً؛ إلا عاملان اقتصاديان خطيران، تشقى بويلاتهما الموازنات العامة وموازين المدفوعات، وتُهَدَّدُ بهما حياتنا الاقتصادية، وأمننا الوطني».

وشهر رمضان مناسبة طيبة وفرصة عظيمة لامتلاك إرادة التصدِّي لحالة الاستهلاك الشرهة، التي اعتاد الناس عليها. فيقوم به اقتصاد الأمة من داء الاستهلاك الدائم، من غير إنتاج كافٍ.

---

(١) مقتبس من: www.Alshirazi.com/compilations/library/h_shirazi، نوفل، عبد الرزاق «كيف ولماذا؟»: (ص٩٤، ٩٥)، طبارة، عفيف «روح الدين الإسلامي»: (ص٢٥٥).

«إن بعض معاني الصوم: الإمساك عن شهوة البطن، وبالمعنى الاقتصادي هو تخفيض للاستهلاك، أو على الأقل ضبطه»[١].

سابعاً: حِكمة صحية

والصوم ضروري لاستمرار الحياة السوية، والصحة القوية، يقول ابن القيم: «وفي الصوم الشرعي: من أسباب الصحة، ورياضة البدنِ، والنفسِ؛ ما لَا يدفعه صحيحُ الفطرة»[٢]. وإن الطب الحديث لم يعد يعتبر الصيام مجرد عملية إرادية، يجوز للإنسان ممارستها أو الامتناع عنها، فإنه وبعد الدراسات العلمية والأبحاث الدقيقة على جسم الإنسان ووظائفه الفسيولوجية، ثبت أن الصيام[٣] ظاهرة

---

(١) إن شهر رمضان محطة دورية يتعرف المسلم من خلاله على قائمة النفقات الواجبة بالمفهوم الاقتصادي وقائمة الاستبعاد الإنفاقي. ثم هو مناسبة لترتيب سلم الأوليات، ثم هو كذلك فرصة تُعَرِّفُ مستوى الفائض الممكن. عثمان، محمد «صوموا تصحوا»: (ص١١٢، ١١٣)، بتصرف.

(٢) ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٩٨).

(٣) **المراد بالصوم**: الصوم الطبي، وهو الامتناع الكلي أو الجزئي عن تناول المأكولات والمشروبات معاً، أو عن تناول المأكولات فقط. شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص١٥). ويلاحظ أن هذا المفهوم يختلف اختلافاً جوهرياً عن تعريف الصيام الإسلامي. ولا تذكر المراجع الطبية غالباً الصيام إلا تحت عنوان التجويع (Starvation)، وقد أصبح للتجويع مدرسة طبية وأقيمت له مصحات عالمية في كثير من بلدان العالم، يعالجون به عدداً من الأمراض المزمنة وقد سموه الصيام الكلي =

.....

= أو الطبي. وهناك أوجه اتفاق واختلاف بين الصيام الإسلامي وبين ما يعرف بالصيام الطبي. وتتيح أوجه الاتفاق بينهما مساحة مشتركة تجعل كل الفوائد الثابتة علمياً للصيام الطبي تتحقق بالصيام الإسلامي المثالي. وبناءً على ذلك فإننا سنستشهد ببعض الأبحاث التي أجريت على الصيام الطبي لعلاج بعض الأمراض، ولإثبات بعض الحقائق التي أخبر عنها النبي ﷺ في الصيام:

ويمكن تلخيص أوجه الاتفاق والاختلاف بين الصيام الطبي والصيام الإسلامي في النقاط التالية:

١ ـ يتفق الاثنان في تحقيق هدف مشترك، هو إراحة الجسم من هضم الغذاء، وإتاحة الفرصة لاستهلاك المدخر منه، وطرح السموم المتراكمة فيه، وتنشيط عمليات الاستقلاب الحيوية.

٢ ـ كلاهما يمتنع فيه عن تناول المواد الغذائية في فترة زمنية محددة.

٣ ـ ويختلفان في أن للصيام الإسلامي فترة زمنية محددة بنهار اليوم، ومتتابعة لمدة شهر، ودورية كل سنة على وجه الإلزام للمسلم، ولعدة أيام متفرقة في بقية العام على وجه الاختيار (صيام التطوع)، أما في الصيام الطبي: فهو امتناع عن الغذاء فترة زمنية متصلة تحدد لكل إنسان حسب ظروفه، أو مرضه، وهي على وجه الاختيار.

٤ ـ الصيام الإسلامي يستطيعه كل المكلفين الأصحاء في شتى الأقطار والأزمان، وهو سهل ميسور، وليس فيه أية أخطار على الجسم، ولا يمثل أية شدة والمسلمون يصومون طائعين، فرحين، محبين. أما الصوم الطبي فلا يستطيعه الناس جميعاً، وهو قهر شديد للنفس ولا يقبل عليه إلا من طغى عليهم مرض، أو استيقن بفائدة يجنيها من ممارسته، ويصوم محاطاً بالأطباء والممرضين.

٥ ـ للتجويع أخطار لا توجد في الصيام الإسلامي. مقتبس من: الصاوي، عبد الجواد «الصيام معجزة علمية»: (ص٨٣ ـ ١٠٣، ١٠٤).

طبيعية يجب للجسم أن يمارسها، حتى يتمكن من أداء وظائفه الحيوية بكفاءة، وأنه ضروري جداً لصحة الإنسان[١]، تماماً كالأكل، والتنفس، والحركة، والنوم...

كما أن العلوم الطبية العصرية: أثبتت أن الصوم وقاية وشفاء لكثير من أخطر أمراض العصر[٢]. جاء في كتاب «الجوع من أجل

---

(١) يعتقد كثير من الباحثين الموضوعيين: أن الصوم ضرورة من ضرورات الحياة، وأن أي مخلوق حي إذا امتنع عن الصوم لا بد وأن يصاب ببعض الأمراض... وقد أثبتت الوثائق التاريخية، والحقائق الدينية، والبراهين العلمية، هذه المقولة. وقد عرف الإنسان الصوم ومارسه منذ فجر البشرية، وأقدم وثائق تاريخية ثابتة هي صوم الفراعنة، الذين سجلوا في نقوشهم على جدران معابدهم، وعلى أوراق البردي أنهم كانوا يصومون بطريقة خاصة في أيام أعياد محددة، كما ثبت تاريخياً أيضاً أن الصليبيين القدماء مارسوا الصوم، وخاصة أيام الفتن حسب ما تمليه الشرائع الدينية. وللهنود والبراهمة والبوذيين تقاليدهم الخاصة في الصوم حددتها كتبهم المقدسة. ولعل هيبوقراط أشهر أطباء اليونان القدماء في القرن الخامس قبل الميلاد؛ هو أول من قام بتدوين طرق الصوم وأهميته العلاجية. وفي عهد البطالسة كان أطباء الإسكندرية ينصحون مرضاهم بالصوم تعجيلاً للشفاء.
كما أن كافة الأديان السماوية قد فرضت الصيام على أتباعها، كما يتبين من النص القرآني في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣)، الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٥٩، ١٦٠).

(٢) الصوم يوقف عملية امتصاص المواد المتبقية في الأمعاء، ويعمل على طرحها، والتي يمكن أن يؤدي طول مكثها إلى تحولها لنفايات سامة. =

الصحة»[١]: «أن على كل إنسان وخاصة سكان المدن الكبرى أن

= كذلك يؤدي الصوم إلى تخفيف العبء عن جهاز الدوران، وتهبط نسبة الدسم وحمض البول في الدم أثناء الصيام، فيقي البدن من تصلب الشرايين، وداء النقرس وغيرها من أمراض التغذية، والدوران، وآفات القلب. الدقر، نزار، «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٦٦، ١٦٧).

(١) للبروفسور بيلوي نيكولايف من موسكو. ومن الأسرار المدهشة التي توصل إليها الباحثون: أن الإنسان لا يصوم بمفرده، حيث تبين لعلماء الطبيعة أن جميع المخلوقات الحية تمر بفترة صوم اختياري مهما توفر الغذاء من حولها، فالحيوانات تصوم وتحجز نفسها أياماً وربما شهوراً متوالية في جحورها، تمتنع فيها عن الحركة والطعام، والطيور والأسماك والحشرات كلها تصوم. هناك بعض أنواع الطيور تصوم أثناء فترة التكاثر والنزوح، ومنها طائر البنغوان وذكر الأوز. كما أن سمك السلمون حين يبدأ بالهجرة من البحار نحو الأنهار للتكاثر؛ يصوم خلال فترة الهجرة والرحلة هذه التي قد تدوم بضعة أسابيع، وأحياناً عدة أشهر. شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص١٧، ١٨)، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وقد لاحظ العلماء أن هذه المخلوقات تخرج من فترة صيامها هذه، وهي أكثر نشاطاً وحيوية، - فالحيوان يجدد جلده وقواه، والطائر يكتسب ريشاً جديداً زاهياً، ويبدأ في التزاوج، والحشرات تخرج بعد صيامها لتأكل بنهم شديد، وتتكاثر بسرعة، والأغصان تبدأ بفقدان أوراقها حين قدوم الخريف، وتعيش فصل الشتاء شبه نائمة إلى حين حلول فصل الربيع. وبعض النباتات الأخرى تدخر في أجسامها كميات كبيرة من الغذاء، كاللفت، والبصل مثلاً. وهذه المدخرات تكفيها لتبقى حية فترة طويلة من الزمن دون غذاء.

كما أن معظمها يزداد نمواً وصحة بعد فترة الصوم هذه. وبهذا يتبين لنا أهمية الصوم في الحياة، ومدى العلاقة بين الحياة السوية والصحة =

يمارس الصوم بالامتناع عن الطعام لمدة ٣ ـ ٤ أسابيع كل سنة، كي يتمتع بالصحة الكاملة طيلة حياته».

وفي بحثٍ علميٍّ حديث ـ عن آثار الصوم ـ على البدن تبين: «أن الصوم ليس بلعبة سحرية عابرة، بل هو اليقين والضمان الوحيد من أجل صحة جيدة»[١].

وإننا نجد أن رسول الله ﷺ نبَّه إلى هذه الفوائد الصحية، والأسرار الخفية المنطوية في عبادة الصوم إيماء بقوله: «**صُوْمُوا تَصِحُّوا**»[٢]، وبقوله لأبي أمامة: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ**»[٣].

= القوية. يقول الباحث الغربي: هالبروك Holbrook: «ليس الصوم بلعبة سحرية عابرة، بل هو اليقين والضمان الوحيد من أجل صحة جيدة». الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٦٥، ١٦٦).
وإن أي مخلوق حي إذا امتنع عن الصوم لا بد وأن يصاب ببعض الأمراض؛ التي يعاف فيها عن الطعام إذا لم يصم من تلقاء نفسه؛ لأن الصوم يساعد الجسم على تنشيط وظيفة بيولوجية طبيعية؛ موجودة عند كل الكائنات الحية. وهنا تتجلى حِكمة التشريع، وتظهر أسراره الخفية بتشريع هذه العبادة، فالصيام يساعد العضوية على التكيُّف مع أقل ما يمكن من الغذاء. مع مزاولة حياة طبيعية. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣)، الدقر، نزار، م ـ س: (ص١٥٩، ١٦٠).

(١) الدقر، نزار، م ـ س: (ص١٦٠).

(٢) الطبراني، سليمان «المعجم الأوسط»: (٨/ ١٧٤).

(٣) النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب: (ح٢٢٢٢، ٢٢٢٣). البيهقي، أحمد «السنن الكبرى»، كتاب الصيام، باب من لم ير بأساً بِسَرْدِ الصيام إذا لم يخف =

وإننا إذ نحاول في بحثنا هذا تتبع واستقصاء حِكمة الصيام الصحية، مسترشدين بما توصل إليه العلم من اكتشافات وفوائد، إنما نهدف إلى إبراز محاسن هذه العبادة، وبيان أثرها على الصحة بعد الروح، وتأكيد مراعاة التدبير الإلٰهي لكيان هذا الإنسان جملة في كل ما يَفْرِضُ ويوجِّه إليه، لتكون هذه الفوائد الصحية لهذا الصوم عظات، تزيد المؤمن إيماناً بصدق مبلِّغ الشريعة ﷺ، وحبًّا بالخالق البارئ منزل هذا التشريع، وتكون حجة على الجاحدين، الذين لا يؤمنون إلا بالمادة والمحسوس؛ المؤيد بالشواهد العلمية، والبراهين العقلية.

وفيما يلي عرض لأهم هذه الفوائد الصحية للصوم:

١ ـ فائدة الصوم في تقوية وتنشيط عضلة القلب والدورة الدموية[١]:

إن عضلة القلب تعمل ليلَ نهار، طوال العام، ولا تتاح لها

= على نفسه ضعفاً، وأفطر الأيام التي نهي عن صومها: (ح٨٤٨٠)، (٤/ ٤٩٥)، الهيثمي، علي «مجمع الزوائد»، كتاب الصيام، باب في فضل الصوم (٣/ ١٨٢)، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح.

(١) هناك ثلاث فوائد هامة يستفيدها القلب من خلال الصوم، وهي:
١ ـ الصوم يحول دون المنبهات الدائمة للقلب.
٢ ـ الصوم يسمح للقلب بالراحة.
٣ ـ الصوم ينقِّي الدم، وبذلك يتاح للقلب أن يتغذى بدم نقي ونظيف.
شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص٣٦).

فرصة الحصول على راحة نسبية إلا خلال ساعات الصوم، الذي يمتد على مدى ثلاثين يوماً طوال شهر رمضان المبارك. حيث يتمكن القلب من الحصول على فرصة راحة نوعية أكبر من المعتاد خلال الصوم؛ لأنه أثناء الصوم يقل حجم الدم؛ نظراً لفقد بعض سوائل الجسم عن طريق العرق، والتبخر من على سطح الجسم، وإفراز البول والبراز، وذلك دون تعويض هذه السوائل المفقودة، فيصبح الجهد الواقع على القلب أقل[1]. يقول كارينغتون Carrington: «إن

---

(١) إذ إن القلب يضرب ٨٠ ضربة في الدقيقة الواحدة؛ أي: ما يعادل ١١٥٢٠٠ مرة في الـ ٢٤ ساعة، ولقد لُوحِظ في الأيام الأولى من الصوم تناقص في عدد ضربات القلب، بحيث تصل إلى أقل من ٦٠ ضربة بالدقيقة طيلة فترة الصوم. وإن هذا النقص في عدد دقات القلب يوفر ٢٨٨٠٠ دقة في الـ ٢٤ ساعة، وهذا معناه أن القلب يرتاح من ربع العمل الذي كان يقوم به. هذا من الناحية الكمية، أما من الناحية الكيفية، فالصوم يحسِّن قوة دقات القلب وشدتها. شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص٣٦)، عثمان، محمد «صوموا تصحوا»: (ص٧٨).

لأن كثيراً من الأعضاء والأجهزة الحيوية مثل الجهاز الهضمي وملحقاته، تكون في حالة راحة نسبية. وتحتاج إلى كمية قليلة من الدم الذي يضخه القلب... وبذلك يتيح الصوم لعضلة القلب فرصة لتجديد حيويتها وقوتها، وإزالة شوائب الدم الذي يصبح أكثر صفاء ونقاء. سالم، مختار «الطب بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٥).

ويوضح الدكتور الأمريكي (إدواردو بوي) تَقَوِّي القلب بالصوم، فيقول: «القلب يجد في الصوم نفعاً كبيراً؛ لأنه لا ينفق من قوته خلال عملية الصوم إلا خمسين بالمائة؛ بسبب أن الخلايا الضعيفة تندثر وتنقص =

الصوم هو ـ بدون شك ـ أكبر مقوٍّ للقلوب المتعبة أو الضعيفة. فهو العلاج الطبيعي الوحيد الذي تجد فيه تلك القلوب نجاعة. فالقلب يتقوى تدريجياً بفعل الصوم، ويكتسب مزيداً من النشاط[١]. كذلك فإن في الصوم علاجاً لأمراض القلب[٢]، فقد عالج شيلتون بالصوم عدداً من أمراض القلب المختلفة؛ من عضوية، ووظيفية، وتحقق الشفاء في حالات اعتقد أنها مستعصية.

وإن خبراء أمراض القلب يجمعون على أن الصوم مفيد جداً لكثير من حالات مرضى هبوط القلب[٣]، وارتشاح القلب، وخاصة

= ولا يبقى منها إلا ما كان قوياً سالماً، وأن الدم يتناقص تدريجياً ويخفف من عمل القلب، أما مرور الدم وخلوه من المواد الغذائية ففيه راحة للقلب كبيرة». أما بشأن الدورة الدموية، فيقول: «ولا يخفى ما يجري أثناء الصوم في الدورة الدموية من نقاوة من الغازات، والحوامض وأشباهها من السموم، التي كثيراً ما ينتعش القلب بنفاذها، فتتجدد قواه ويدفع الدم بصورة أنقى وأصح». عثمان، محمد، «صوموا تصحوا»: (ص٣٣).

(١) الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٣).

(٢) بوسرويل، د. هبري «معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية»: (ص٧٣، ٧٤، ٧٥)، دار أفنان، د.ت محمد سيد، عبد الباسط، «آفاق الروح»: (ص١٥١)، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع، مصر، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م، بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية يجدد الشباب ويشفي من الأمراض»: (ص٩٤)، ترجمة وإعداد: الدكتور ضاهر، محمد، دار البيروني، ط١، ٢٠٠٩م.

(٣) **هبوط عضلة القلب**: هو عدم قدرة عضلة القلب على ضخ الكمية المناسبة لاحتياجات الجسم من الدم. فالقلب يضخ ٥ ليتر دم في الدقيقة أو ٧،٣ ليتر لكل واحد م٢ من سطح الجسم. فإذا انخفض ضخ =

المصحوبة بتورم القدمين والساقين، وينصحون المرضى بضرورة الامتناع عن تناول السوائل؛ إلى أن تستطيع الكُلْيتان أن تفرزا كمية الماء المختزنة أو الزائدة عن حاجة الجسم، وكذلك بالنسبة لمرضى الارتشاح الرئوي[١].

٢ ـ فائدة الصوم في الوقاية من الجلطة:

يوصي الأطباء بضرورة اتباع أسلوب الصوم العلاجي لمرضى ارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب، فإن تقليل كمية الغذاء يصحبها هبوط نسبة الكوليسترول LDL في الدم[٢]. كذلك قلة كمية الملح التي يتناولها الفرد أثناء الصوم؛ مما يؤدي إلى راحة كبيرة جداً لمرضى الذبحة الصدرية، وقصور الدورة التاجية، وقصور الشرايين الطرفية، ومرضى هبوط القلب[٣].

لقد أصبح الصوم الجزئي من أحدث أساليب الطب المعاصر لأمراض القلب، والدورة الدموية، حيث نلاحظ أن معظم الأطباء

= الدم عن ٢،٤ ليتر في الدقيقة لكل واحد م٢ يعتبر هبوط في عضلة القلب. www.knol.google.com.

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٥).

(٢) ومن المعروف أن زيادة نسبة الكوليسترول في الدم تؤدي إلى ترسبها على جدران الشرايين، مما يسبب حدوث جلطة دموية في شرايين القلب أو المخ؛ مما يؤدي غالباً إلى وفاة الإنسان. كوت، آلان «الصوم الطبي النظام الغذائي الأمثل»: (ص٥٢).

(٣) سالم، مختار، م ـ س: (ص٢٩٥، ٢٩٦)، بوسرويل، د. هبري «معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية»: (ص٧٥).

الأخصائيين يمنعون مرضى ضغط الدم العالي من تناول ملح الطعام، ومرضى تصلب الشرايين من الدهنيات، ومرضى ارتشاح وهبوط القلب بعدم تناول السوائل لفترة محسوبة، وخاصةً في حالات زيادة كمية الماء بالجسم، حتى لا تؤدي إلى أعراض مَرَضِيَّة خطيرة[١].

والصوم يؤدِّي دوراً رائداً في مرضيَّة العوامل المضادة للتصلب التاجي، والمفيدة للشرايين. فقد أظهرت الدراسات العلمية المعاصرة: أن الصيام يُحرِّض نوعين من الأحماض: وهما حمض (EPA)، وحمض (DHP)، المشتقان من حمض لينولينيك Linolenique، وكلاهما أحماض دهنية يمتلكان خصائص وقائية قوية ضد الالتهاب العصادي، وأمراض القلب الوعائية، والأمراض الالتهابية. وللصيام دور كبير في هذا المجال، إذ إنه يحفِّز الخلايا على إفراز وتركيب هذه الحموض[٢]. التي تقوم بمهمة إعاقة ومنع تكاثر الخلايا السرطانية، وذلك بمنع تكوين المركَّب الذي ينذر بظهور مرض السرطان. وبشكل مفاجئ. وصار من الأكيد معرفة أنه خلال الصيام تنشِّط هذه المركبات الحمضية؛ من عملية إيقاف تكاثر

---

(١) سالم، مختار، «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٥، ٢٩٦)، بوسرويل، د. هبري، «معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية»: (ص٧٦ ـ ٨١)، محمد سيد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٥١)، بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص٩٤ ـ ١١١، ١١٢).

(٢) والظاهرة الأكثر غرابة التي يبرزها الصيام: هي في ظهور حموض PEA، والتي سيكون لها الدور في تحريض إفراز حمض PG12، الذي يشكل جسماً مضاداً في حالة السرطانات. بوسرويل، د. هبري، م ـ س: (ص٧٧).

وازدياد خطر الإصابة بتصلب الشرايين أو (التصلب العصيدي)[١].

٣ ـ فائدة الصوم في الوقاية من النوبات القلبية:

يوجه النبي ﷺ الصائم بالتزام الهدوء والبعد عن الشجار، ويوصيه بعدم الانجرار إلى الغضب، يقول ﷺ: «... **وإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»[٢].

ولعل الحِكمة من ذلك والسر فيه: وقاية الإنسان من النوبات القلبية التي تحدث نتيجة لارتفاع ضغط الدم. فإنه إذا اعترى الصائم غَضَبٌ وانْفَعَل وتوتَّر، ازداد إفراز الأدرينالين في دمه زيادة كبيرة، وقد يصل إلى ٢٠ أو ٣٠ ضعفاً عن معدله العادي أثناء الغضب الشديد أو العراك، فإن حدث هذا في أول الصوم أثناء فترة الهضم والامتصاص؛ اضطرب هضم الغذاء وامتصاصه زيادة على الاضطراب العام في جميع أجهزة الجسم، ذلك لأن الأدرينالين يعمل على ارتخاء العضلات الملساء في الجهاز الهضمي، ويقلل من تقلُّصات المرارة، ويعمل على تضييق الأوعية الدموية الطرفية، وتوسيع الأوعية التاجية، كما يرفع الضغط الدموي الشرياني، ويزيد

---

(١) بوسرويل، د. هبري «معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية»: (ص٧٦، ٧٧).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم: (ح١٩٠٤)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب فضل الصيام: (ح٢٧٠٦).

كمية الدم الواردة إلى القلب، وعدد دقاته.

وإن حدث الغضب والشجار في منتصف النهار، أو آخره، أثناء فترة ما بعد الامتصاص، تحلل ما تبقى من مخزون الجليكوجين في الكبد، وتحلل بروتين الجسم إلى أحماض أمينية، وتأكسد المزيد من الأحماض الدهنية، كل ذلك ليرتفع مستوى الجلوكوز في الدم، فيحترق ليمد الجسم بالطاقة اللازمة في الشجار والعراك، وبهذا تُسْتَهلك الطاقة بغير ترشيد، كما إن بعض الجلوكوز قد يفقد مع البول إن زاد عن المعدل الطبيعي، وبالتالي يفقد الجسم كمية من الطاقة الحيوية الهامة في غير فائدة تعود عليه، ويضطر إلى استهلاك الطاقة من الأحماض الدهنية التي يؤكسد المزيد منها، وقد تؤدي إلى تولد الأجسام الكيتونية الضارة في الدم.

كما أن الازدياد الشديد للأدرينالين في الدم يعمل على خروج كميات كبيرة من الماء من الجسم، بواسطة الإدرار البولي (**Diuresis**).

كما يرتفع معدل الاستقلاب الأساسي (**Basal Metabolic Rate**) عند الغضب والتوتر، نتيجة لارتفاع الأدرينالين والشد العضلي.

وارتفاع الأدرينالين قد يؤدي لنوبات قلبية، أو موت الفجاءة عند بعض الأشخاص المهيَّئين لذلك، نتيجة لارتفاع ضغط الدم، وارتفاع حاجة عضلة القلب للأوكسجين من جراء ازدياد سرعته، وقد يتسبب الغضب أيضاً في النوبات الدماغية، لدى المصابين بارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين.

كما إن ارتفاع الأدرينالين نتيجة للضغط النفسي في حالات

الغضب والتوتر، يزيد في تكون الكوليستيرول من الدهن البروتيني منخفض الكثافة، والذي قد يزداد أثناء الصوم، وثبتت علاقته بمرض تصلب الشرايين[١]. لهذا ولغيره مما عرف، ومما لم يعرف بعد، وصَّى النبي ﷺ الصائم بالسكينة، وعدم الصخب، والانفعال، أو الدخول في عراك مع الآخرين.

٤ ـ فائدة الصوم الصحية في معالجة مرضى السكري:

من المعروف طبيّاً أن معدل السكر في الدم يهبط بعد تناول الطعام بحوالي خمس ساعات إلى أقل الحد الطبيعي، وفي حالات الإصابة بالبول السكري الخفيف يهبط معدل السكر بعد الأكل بحوالي عشر ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي بكثير[٢]. وهذا يعطي غدَّة البنكرياس التي تفرز مادة الأنسولين فرصة للراحة[٣]. ولكن إذا زاد الطعام عن قدرة البنكرياس في إفراز مادة الأنسولين

---

(١) الصاوي، عبد الجواد، الصيام معجزة علمية»: (ص١٣٣، ١٣٤).

(٢) ولا يزال كبار الأطباء ينصحون المرضى باتباع أسلوب الصوم؛ مع بعض النظم الغذائية الخاصة، وقد أصبح هذا الأسلوب من أهم أنواع العلاج، وحتى بعد ظهور الأنسولين وغيره من علاجات مرض السكر، وخصوصاً إذا كان المريض يشكو زيادة الوزن. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٧).

(٣) **البنكرياس**: يفرز الأنسولين، المادة التي تؤثِّر بدورها على السكر في الدم، وتحوله إلى مواد نشوية ودهنية تترسب وتختزن في الأنسجة، فلما تهبط نسبة السكر في الدم يخف إفراز الأنسولين، وبالتالي يخف عمل البنكرياس ويستريح. النسيمي، محمود «الطب البشري والعلم الحديث»: (١/ ٢٧٩).

أصيب بالإرهاق والإعياء، ثم أخيراً بالعجز عن القيام بوظيفته، فيتراكم السكر في الدم، وتزداد نسبته تدريجيّاً يوماً بعد آخر حتى يظهر مرض السكر.

والعلاج لمثل هذه الحالات: هو الصوم لتقليل نسبة جلوكوز الدم، ولتنشيط عمل الكبد[١]، حيث إن الصيام يستدعي سكر الكبد ـ السكر المخزون ـ للتحرك، ومع تَحَرُّك هذا المخزون يتجدد نشاط الكبد[٢].

وبذلك يعتبر الصوم خير وقايةٍ من الإصابة بأمراض السكر، وإرهاق غدة البنكرياس[٣].

وهكذا تظهر الحِكمة الربانية الجليلة في تشريع الصوم، وجعله فريضة في الدين الإلٰهي الخاتم. فليهنأ المسلم بهذه الفوائد الصحية، وهذه العلاجات الوقائية التي تشتمل عليها عبادة الصوم.

---

(١) أما بالنسبة لداء السكري الذي يتم علاجه بالأنسولين، فالصيام مكروه لأنه يعرضه لخطر نقص السكر في الدم، الذي يسبب العرق البارد، والدوخة، وآلام في المعدة، وقد يؤدي في بعض الأحيان إلى الموت إذا لم يتم إسعاف المريض بإعطائه المواد السكرية فوراً. عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص٧٧).

(٢) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٧).

(٣) النابلسي، محمد «موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسُّنَّة ـ آيات الله في الإنسان»: (ص١٣٦)، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م. وقد نشرت إحدى المجلات أن ثلاثمائة قد برئوا من البول السكري بعلاج الصوم. عثمان، محمد عثمان «صوموا تصحوا»: (ص٧٧).

٥ ـ فائدة الصوم الصحية للجهاز الهضمي:

يقل أثناء الصيام إفراز العصارة المعدية، حيث يعتمد إفرازها على وجود طعام في الجهاز الهضمي، فتبطئ حركة الأمعاء، وتأخذ راحة ضرورية لتجديد نشاطها وحيويتها. ونظراً لارتباط الجوع مباشرة بجهاز الهضم، فإن لتناول الطعام والإمساك عنه علاقة وثيقة بأمراض المعدة والأمعاء.

وقد لوحظ أن الصوم المديد يخفف من تهيج مركز الشهية للطعام في الدماغ، ويؤمِّن ظروفاً أفضل لراحة المعدة المريضة، ولعملها بعد عودة المريض لتناول الطعام.

وقد أجمع الباحثون على أن التهابات المعدة، والأمعاء، والقولون المزمنة، كلها تستفيد من الصيام، وذلك لأن إبعاد غشائها المخاطي عن الطعام لفترة طويلة يساعد على ترميم الخلايا الملتهبة، ويقلل من إفرازاتها المرضية.

كذلك فإن الصوم يعمل على تخليص الجهاز الهضمي من الغازات والروائح الكريهة، الناتجة عن التخمة وسوء الهضم والتخمر في الأمعاء، بسبب عدم قدرتها على امتصاص الطعام أو التخلص منه، فتبارك الله العظيم ما أجل صنعه وما أحسن خلقه[1]، وما أعظم حِكمته.

---

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٧، ٢٩٨)، الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٨٠، ١٨١)، لاكوست، صوفي «أسرار العلاج بالصوم»: (ص٣٥)، دار الفراشة للطباعة والنشر =

٦ ـ فائدة الصوم في علاج الكلى والمسالك البولية:

إن خلايا قنوات الكلى حين يصيبها التلف الشديد، فإنها تتوقف عن إفراز البول، ويحدث تبعاً لذلك ارتفاع نسبة البولينا في الدم، وكذلك أملاح البوتاسيوم، مما يهدد حياة الإنسان تهديداً خطيراً. والسبيل الوحيد لإنقاذ حياة المريض في مثل هذه الحالات هو:

أ ـ الامتناع عن تناول كمية من السوائل، تزيد عما يفقده الجسم عن طريق العرق والتبخر من سطح الجلد، والبخار الذي يخرج مع هواء الزفير.

ب ـ الاقتصار في الغذاء على النشويات والدهنيات. وذلك للحد من ارتفاع البولينا التي تنشأ عن تناول المواد البروتينية في الغذاء.

ج ـ الامتناع عن الطعام والسوائل التي تحتوي على البوتاسيوم، لئلا ترتفع نسبة البوتاسيوم في الدم مما يهدد بحدوث سكتة قلبية.

ومن خلال ما تقدم نجد أن الصوم تتوفر فيه هذه الشروط؛ التي هي أساس العلاج في مثل هذه الحالات الخطيرة. هذا بالإضافة إلى أن الصوم في معظم الحالات: يعطي الفرصة لخلايا الكلى لتجد الظروف ملائمة للتجدد والنشاط؛ مما يؤدي إلى حالة

= والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م، عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص٧٧)، بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص٥١، ٥٢).

الشفاء. بحيث تستعيد الكلى القدرة على إفراز البول، ويقل تركيز البولينا والبوتاسيوم ليصل إلى المستوى الطبيعي.

٧ ـ فائدة الصوم لمرضى التهاب الكلى:

ومن خلال الأبحاث العلمية اتضح أن الصوم يفيد مرضى التهاب الكلى الحاد المزمن. خاصة المصحوب بتورم وارتشاح[١]... يقول الدكتور روبرت بارنولو: (الأمريكي الجنسية): إنه لا شك في أن الصوم من الوسائل الفعَّالة في التخلص من الميكروبات، وبينها ميكروب الزهري، لما يتضمن من إتلاف للخلايا، ثم إعادة بنائها من جديد[٢].

٨ ـ فائدة الصوم في تخفيف عمل الكلية:

إن الصوم يريح الكُلية من عملية تصفية الدم من المواد السامَّة التي تخرج عن طريق البول.

---

(١) مختار، سالم «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٨، ٢٩٩)، عثمان، محمد عثمان «صوموا تصحوا»: (ص٨١). محمد سيد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٤٧).

(٢) لقد سبق ابن سينا إلى الوصول إلى هذه الحقيقة الطبية، عندما كان يعالج حالات الزهري عن طريق الصوم؛ الذي أصبح اليوم ركناً أساسياً في علاج حالات زيادة نسبة الأملاح في البول والدم، والتي تترسب في الكلى وتؤدي إلى تكوين الحصوات، أو تترسب في المفاصل الصغيرة، وتسبب المزيد من الآلام الروماتيزمية وتورم المفاصل. سالم، مختار م ـ س: (ص٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠).

فعملية تصفية الدم بالكُلية تتكرر بمعدل ٣٦ مرة في اليوم، ويزيد هذا المقدار حسب تناول الوجبات الغذائية، وبما أن مرور الغذاء لا ينقطع في الأمعاء؛ فإن الكُلية لا تجد استراحة من عملها المستمر على مدى ٢٤ ساعة[١].

والصيام يمنح الكُلية فرصة طيبة تستريح فيها من عملها المستمر، لتستأنف عملها بجد ونشاط وحيويَّة.

كما أن العلماء لم يجدوا في بول الصائمين أي شائبة من مواد البروتين، والغلوكوز، والأستون، والدم، وغيرها من المركبات التي توجد في بول المرضى، وبهذا تكون هذه الأبحاث الحديثة قد ألغت جميع النظريات القديمة؛ التي تقول بأن انقطاع الشراب والطعام عن الصائمين يؤثِّر بشكل سلبي على الكُلية، بل على العكس فإن الصائم يحصل على كليتين زائدتين في حال الصيام[٢].

٩ ـ فائدة عدم شرب الماء في الصوم:

يشكِّل الماء حوالي ٦٠ ـ ٧٠٪ من وزن الجسم للبالغين، وينقسم إلى قسمين رئيسيين: قسم داخل الخلايا، وقسم خارجها بين الخلايا: في الأنسجة، والأوعية الدموية، والعصارات الهضمية وغير ذلك، وبين القسمين توازن دقيق، والتغير في تركيزات الأملاح

---

(١) إن الأبحاث العلمية الحديثة التي نشرت في المجلة العلمية الغذائية البريطانية BRI. J. NutRl تشيد بأن الصيام يخفف عمل الكلية في تصفية فضلات الغذاء من الدم.

(٢) عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية، الصحة والحياة»: (ص٧٩).

ـ وخصوصاً الصوديوم الذي يتركز وجوده في السائل خارج الخلايا ـ ينبِّه أو يثبِّط عمليتين حيويتين داخل الجسم، وهما آلية إفراز الهرمون المضاد لإدرار البول (ADH)، وآلية الإحساس بالعطش، واللتان تؤثر كل منهما في تهيئة الجسم للحفاظ على الماء داخله وقت الشدة، وذلك بتأثير الهرمون المضاد لإدرار البول على زيادة نفاذية الأنابيب الكلوية البعيدة، والأنابيب والقنوات الجامعة، حيث يُسَرِّع امتصاص الماء ويقلل من إخراجه، كما يتحكمان معاً في تركيزات الصوديوم خارج الخلايا، وكلما زاد تركيز الصوديوم زاد حفظ الماء داخل الجسم.

ولقد درس بعض الباحثين في السودان ـ سنة ١٩٧٨م ـ توازن الماء والأملاح في جسم الصائم، وقد ثبت من خلال هذا البحث أن الإخراج الكلي للصوديوم يقل. وخصوصاً أثناء النهار.

إن تناول الماء أثناء الامتناع عن الطعام (في الصيام) يؤدي إلى تخفيف التناضح (Osmolarity) في السائل خارج الخلايا، وهذا بدوره يؤدِّي إلى تثبيط إفراز الهرمون المضاد لإدرار البول، فيزداد الماء الخارج من الجسم في البول، مع ما يصاحبه من الصوديوم وبعض الأملاح الأخرى، وفي هذا تهديد لحياة الإنسان إن لم تعوَّض هذه الأملاح. حيث يعتبر الصوديوم عنصراً حيوياً في توطيد الجهد الكهربائي عبر جدر الخلايا العصبية وغير العصبية، كما أن له دوراً حيوياً في تنبيه وانقباض العضلات، وعند نقصانه يصاب الإنسان بضعف عام في جسمه.

وقد وُجِدت علاقة بين العطش وبين تحلل الجليكوجين، إذ يسبب العطش إفراز جرعات تتناسب وقوة العطش من هرموني الأنجوتنسين ٢ (**Angiotensin II**) والهرمون القابض للأوعية الدموية، (**Vasopressin**) واللذان يسببان تحلل الجليكوجين في إحدى مراحل تحلله بخلايا الكبد.

فكلما زاد العطش زاد إفراز هذين الهرمونين بكميات كبيرة، مما يساعد في إمداد الجسم بالطاقة وخصوصاً في نهاية اليوم.

كما أن زيادة الهرمون المضاد لإدرار البول (**ADH**) المستمر طوال فترة الصيام في شهر رمضان، قد يكون له دور هام في تحسين القدرة على التعلم وتقوية الذاكرة، وقد ثبت ذلك على حيوانات التجارب. لذلك فالقدرة العقلية قد تتحسن عند الصائمين بعكس ما يعتقد عامة الناس.

كما أن الحرمان من الماء أثناء الصيام، يسبب زيادة كبيرة في آليات تركيز البول في الكلى، مع ارتفاع في القوة الأزموزية البولية قد يصل من ١٠٠٠ إلى ١٢ ألف مل أزمو/كجم ماء، وهكذا تنشط هذه الآليات الهامة لسلامة وظائف الكلى.

كما أن عدم شرب الماء خلال نهار الصيام يقلل من حجمه داخل الأوعية الدموية، وهذا بدوره يؤدي إلى تنشيط الآليَّة المحلِّيَّة بتنظيم الأوعية، وزيادة إنتاج البروستاجلادين (**Prostaglandine**)، والذي له تأثيرات عديدة وبجرعات قليلة، إذ إن له دوراً في حيوية ونشاط خلايا الدم الحمراء، وله دور في التحكم في تنظيم قدرة هذه

الخلايا لتعبر من خلال جدران الشعيرات الدموية، وبعض أنواعه له دور في تقليل حموضة المعدة، ومن ثم تثبيط تكوُّن القرح المعدية، كما ثبت في حيوانات التجارب، كما أنَّ له دوراً في علاج العقم حيث يسبب تحلل الجسم الأصفر، ومن ثم فمن الممكن أن يؤدي دوراً في تنظيم دورة الحمل عند المرأة[١].

كما أن الله ﷻ جعل للجسم البشري مقدرة على صنع الماء من خلال العمليات والتحولات الكيمائية العديدة، التي تحدث في جميع خلايا الجسم، إذ يتكون أثناء عمليات استقلاب الغذاء، وتكوين الطاقة في الكبد، والكلى، والمخ، والدم، وسائر الخلايا

---

(١) كما يؤثر على عدة هرمونات داخل الجسم فينبه إفراز هرمون الرينين، وبعض الهرمونات الأخرى مثل الهرمون الحاث للقشرة الكظرية وغيره (ACTHوSH)، كما يزيد من قوة استجابة الغدة النخامية (Pitutary gland) للهرمونات المفرزة من منطقة تحت الوساد في المخ (Hypothalamus)، كما يؤثر على هرمون الجلوكاجون، والكاتيكولامين (الأدرينالين والنور أدرينالين)، وبقية الهرمونات التي تؤثر على إطلاق الأحماض الدهنية الحرة، كما يوجد البروستجلاندين في المخ، ومن ثم له تأثير في إفراز الناقلات للإشارات العصبية، كما إن له دوراً في التحكم في إنتاج أحادي فوسفات الأدينوزين الحلقي (CAMP) والتي يزداد مستواها لأسباب عديدة، وتؤدي دوراً هاماً في تحلل الدهن المختزن، لذلك فالعطش أثناء الصيام له فوائد عديدة بطريق مباشر أو غير مباشر نتيجة لزيادة مادة البروستجلاندين، حيث يمكن أن يحسِّن كفاءة خلايا الدم، ويحمي الجسم من قرحة المعدة، ويشارك في علاج العقم، ويسهِّل الولادة ويحسِّن الذاكرة، ويحسِّن آليات عمل الكلي، وغير ذلك.

تقريباً جزيئات ماء، وقد قدَّر العلماء كمية هذا الماء في اليوم من ثلث إلى نصف لتر، ويسمّى الماء الذاتي أو الداخلي (**Intrinsic Water**).

وكما خلق الله للإنسان ماء داخلياً، خلق له طعاماً داخلياً أيضاً فمن نفايات أكسدة الجلوكوز يصنّع الجلوكوز مرة أخرى، حيث يتحول كل من حمض اللاكتيك والبيروفيت، وهما نتاج أكسدة الجلوكوز إلى جلوكوز مرة أخرى، حيث تتوجه هذه النفايات إلى الكبد، فيجعلها وقوداً لتصنيع جلوكوز جديد في الكبد، ويتكون يومياً حوالي ٣٦ غراماً من هذا الجلوكوز الجديد من هذين الحمضين، غير الذي يتكون من الجليسرول والأحماض الأمينية[١].

وبهذا يمكن أن ندرك سر نهي النبي ﷺ الناس عن إكراه مرضاهم على الطعام والشراب، حيث كان معتقد الناس ـ وللأسف ما يزال ـ أن الجسم البشري كالآلة الصماء، لا تعمل إلا بالإمداد

---

(١) **الحمض الأميني Amino Acid**: الأحماض الأمينية هي لبنات البناء الرئيسية لبناء البروتين والببتيد في الجسم. إضافة إلى بناء الخلايا، وإصلاح الأنسجة، وهي تشكل مادة البناء الرئيسية للأجسام المضادة لمكافحة غزو البكتيريا والفيروسات، وهي تشكل جزءاً أساسياً من نظام الأنزيمات والهرمونات، وهي تبني البروتينات النووية رنا (الحمض النووي الريبي)، ودنا (الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين). كما تقوم الأحماض الأمينية بدور رئيسي بحمل الأوكسيجين إلى أنحاء الجسم المختلفة، وهي مكون أساسي للنشاط العضلي

• www.marefa.org/index.php

الدائم بالغذاء، وأن في الغذاء الخارجي فقط تكمن مقاومة ضعف المرض.

وأخبر ﷺ أن الله يطعمهم ويسقيهم، فقال ﷺ: «**لا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ**»[(١)].

١٠ ـ فائدة الصوم الصحية لمرضى الربو:

أثناء الصيام يقل نتاج البدن من الفضلات الغازية، وخاصة غاز الفحم **CO2** والذي ينطرح عن طريق الرئتين؛ مما يخفف العبء عنهما وإلى تخليصهما من عوامل الإثارة والتَّهيُّج؛ مما يجعل هذا الجهاز أكثر حيوية ونشاطاً في أداء مهمته.

وقد أشارت دراسات حديثة[(٢)]: إلى أن المصابين بالربو القصبي يستفيدون جداً من الصوم، وأن نُوَبَ الربو تختفي في اليوم ٥ ـ ٨ من الصوم المطلق «حمية مائية»، وإلى أن معاودة النُّوَبِ

---

(١) الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الطب، باب ما جاء لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب: (ح٢٠٤٠). قال أبو عيسى: هذا حديث حسنٌ غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب الطب، باب لا تكرهوا المريض على الطعام: (ح٣٤٤٤)، الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين»، كتاب الطب (٤/ ٤٥٥)، (ح٨٢٥٩). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، رواته كلهم مدنيون ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صحيح. الصاوي، عبد الجواد «الصيام معجزة علمية»: (ص١٣٦، ١٣٩).

(٢) دراسة مينيايلنكو. نقلاً عن: الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٤).

الربوية بعد العودة إلى الطعام تبقى نادرة، ويسهل إيقافه بمقادير منخفضة من العلاجات.

كما سُجِلَّت بعد فترة من الصيام امتدت من ١٥ ـ ٢٠ يوماً تحسن الأصوات التنفسية، وقلة الخراخر القصبية، وازدياد سعة الرئتين التنفسية[١].

١١ ـ فائدة الصوم الصحية في علاج الأمراض الجلدية:

وتؤكد الدراسات الطبية والأبحاث العلمية: وجود علاقة متينة بين التغذية والأمراض الجلدية. وقد وجدت حالات كثيرة متنوعة من هذه الأمراض؛ قد تحسنت عن طريق اتباع الصوم؛ لأن الامتناع عن تناول الغذاء والشراب فترة طويلة أثناء اليوم؛ يقلل من نسبة وجود الماء في الجسم والدم.

وهذا بدوره يؤدي إلى قلته في الجلد. وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض المُعْدِيَةِ والميكروبية[٢].

---

(١) وقد عالج كل من: موركوليس، **Moculis** وشيلتون، عدداً من الأمراض التنفسية وخاصة الربو، بالصيام؛ والذي أدى إلى تحسن بالغ في الوظيفة التنفسية. شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص٤٢)، لاكوست، صوفي «أسرار العلاج بالصوم»: (ص٢٣)، عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص٧٨).

(٢) تعتبر مقاومة الجسم في علاج الأمراض، هي العامل الأول الذي يعتمد عليه في سرعة الشفاء. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٣٠٠)، عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص٧٨).

ويؤكد الدكتور محمد الظواهري[١]: على أن علاقة التغذية بالأمراض الجلدية متينة، وأن الصيام يقلل من كمية الماء في الدم والأنسجة، وهذا يستدعي نقص سوائل الجلد، مما يقلل من نشاط وتكاثر الجراثيم فيه، وتزداد بذلك مقاومة الجلد للأمراض الجرثومية، ويخفف حِدَّة الأمراض الجلدية، والالتهابية، والمنتشرة[٢]. وفي أثناء الصيام يقل الوارد الغذائي إلى الأمعاء، مما يقلل نشاط تلك الميكروبات الموجودة بالمعدة، والأمعاء، والتي تسبب الكثير من الأمراض الجلدية. حيث إن الأمعاء تعتبر بؤرة خطرة من البؤر العفنة التي تشع سمومها[٣].

ويرى الدكتور حسن عبد العال: أن الصوم يؤدي إلى نقص المواد السكرية، والدهنية، فوق وتحت سطح الجلد، مما يساعد على شفاء مرضى حب الشباب[٤]، والآفات الجلدية الناجمة عن

---

(١) أستاذ الأمراض الجلدية في جامعة القاهرة.

(٢) لأن الجراثيم لا تجد بالأنسجة كمية كبيرة من الماء الذي يعتبر هو الوسط المناسب لانتشارها. فضلاً عن أن الصوم يجعل الجسم يهدم الأنسجة ذات الأهمية الأقل للحصول على الطاقة. ومنها، الأنسجة الضعيفة، أو المحتقنة. وبهذا يتكون مكانها أنسجة قوية نشطة، تقاوم محاولات الجراثيم لغزو الجسم. سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٣٠٠، ٣٠١).

(٣) سالم، مختار، م ـ ن، الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٥).

(٤) يذكر الدكتور شلتون حالة شاب عانى لأكثر من عشر سنوات من مشكلة البثور، وقد جرَّب كافة أنواع العلاجات الطبية الممكنة قبل أن يلجأ =

زيادة إفراز الأحماض الدهنية؛ كالتهابات فروة الرأس، وقشر الشعر، والجفون، وسقوط الشعر[١].

كما يستفيد مرضى الحساسية وخاصة الشَّرى من الصيام. فهي تصاحب غالباً اضطرابات الجهاز الهضمي، حيث تمتص بعض المواد البروتينية من الأمعاء، مؤدية بدخولها إلى الدم إلى تفاعلات تصادمية بين هذه الأجسام الغريبة ومضادات المناعة، وتنجم العوارض التحسسية عن مثل تلك التفاعلات. والصوم يشفي ـ بإذن الله ـ معظم هذه الحالات بكافة أنواعها[٢].

= إلى الصوم، وفي ظرف ٩ أيام عادت بشرته نقية، وخالية من الشوائب كبشرة الطفل الرضيع. لاكوست، صوفي «أسرار العلاج بالصوم»: (ص٢٢).
كما أننا نلاحظ أثناء الصوم يمكن أن يبدو الجلد شاحباً؛ لأنه يكون في سبات عميق. وما إن يبدأ استرجاع العافية، حتى تستعيد كل عمليات التحول الغذائي في الجسم نشاطها المدهش، فتعيد إنعاش الجلد وعضلاته التحتية. ويصبح الجلد جديداً، وناعماً، ومنتظماً، والسحنة منتعشة. كما يلاحظ من ناحية أخرى لدى الناس الذين شاخوا وصاموا بشكل منتظم، جلد فتي وقليل التجاعيد. بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص١١٠)، بتصرف يسير.

(١) في السويد، في مستشفى الجامعة في «لوند» شوهد مرضى مصابون بالصلع، من الرجال والنساء، تحسن وضعهم وبدأ شعرهم بالظهور بعد فترة صيام دامت عشرة أيام لا غير. كوت، آلان «دراسة حول الصوم الطبي»: (ص٥٤).

(٢) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٣٠١)، الدقر، نزار «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٥).

١٢ ـ فائدة الصوم في تجديد الشباب:

إن من فوائد الصيام العظيمة تجدد الشباب وزيادة القوة والنشاط. وهذه حقيقة ساطعة اعترف بها الكثير من العلماء والأطباء ـ غير المسلمين ـ، يقول العالم (آيتون سنكلير): «إن أكبر شيء يعطينا إياه الصيام هو مستوى جديد من الصحة، وهذا التجدد في الصحة يَنْعُمُ به الكبار في السن، والشباب على السواء، وبالنسبة ذاتها، وذلك أن البنية تتجدد بكاملها، فتتحسن وظائفها العديدة وتنشط. زد على ذلك أن الصوم يمنح الجسم الفرصة المثلى للتخلص من السموم والفضلات المتراكمة بين ثناياه، وفي صميم نسيجه العضوي، كما أنه بالإضافة إلى ذلك يعمل على طرد جميع العوامل المؤدِّية إلى الهرم، والشيخوخة، والاستحالة العضوية، وبذلك لن تكون نتيجة الصوم إلا صحة وفيرة وبأعلى مستوى»[١].

هذا وإن أثر التجدد العضوي والحيوي يبدو واضحاً جلياً على بشرة الإنسان، فالتجعدات الجلدية، والارتخاء، والبقع، والحبوب، تختفي تماماً بالصوم، كما إن الجلد يصبح أكثر نضارة وحيوية، ويكتسب لوناً صافياً، ويصبح أكثر نعومة، والعيون تصبح أكثر صفاء وبريقاً، وهكذا فإننا نبدو من خلال الصوم أكثر شباباً وأقل عمراً. والحقيقة: إن تحسناً شاملاً يعم الجسم بكامله. وعندما سئل أحد كبار المعمرين[٢] مرة عن السِّرِّ في صحته الجيدة، وتمتعه بنشاط غير

---

(١) نقلاً عن: عثمان، محمد «صوموا تصحوا»: (ص٤١).

(٢) ميشيل إنجلو شيخ المعمرين.

عادي بعد أن تجاوز سن الستين قال: «إنني أعزو احتفاظي بالصحة والقوة والنشاط في سنوات الكهولة؛ إلى أني أمارس الصوم بين حين وآخر، ففي كل عام أصوم شهراً، وفي كل شهر أصوم أسبوعاً، وفي كل أسبوع أصوم يوماً، وفي كل يوم آكل وجبتين بدلاً من ثلاث، وفي أثناء الصوم لا أتناول شيئاً غير الماء، وقد آخذ قليلاً من عصير الفاكهة، أو ملعقة صغيرة من عسل النحل، وذلك إذا وجدت أنني لم أعد قادراً على مواصلة العمل، وأداء واجباتي اليومية».

ويقول آخر[١]: «إن تقشفي في المعيشة وتمسكي بأبسط المأكولات، كان من أهم ما تتميز به حياتي عن حياة من كانوا يعيشون معي من الأقارب والأصدقاء، فعلى الرغم من ثرائي الوفير، وتوافر أسباب الحياة المنعَّمَة لي، إلا أني حييت حياة خالية من الإسراف في معظم أيامي، وكان غذائي المحبوب اللبن، والجزر، والتمر، والخبز الجاف، وكنت أصوم فترات متعددة من كل عام، فجنَّبت نفسي من ويلات المرض، ومتاعب الشيخوخة»[٢].

١٣ ـ فائدة الصوم في تجديد خلايا الجسم:

اقتضت حِكمة الله ﷻ أن يحدث التغيير والتبديل في كل شيء وفق سُنَّة ثابتة، فقد اقتضت هذه السُّنَّة في جسم الإنسان أن يتبدَّل

---

(١) **بنج**: وهو مجري، كان هو الآخر يتمتع بصحة جيدة بعد بلوغه سن المائة.

(٢) عبد السلام، حسن، الغذاء فيه الداء وفيه الدواء. نقلاً عن: عثمان، محمد «صوموا تصحوا»: (ص٤٠، ٤١).

محتوى خلاياه على الأقل كل ستة أشهر، وبعض الأنسجة تتجدد خلاياها في فترات قصيرة تعد بالأيام والأسابيع، مع الاحتفاظ بالشكل الخارجي الجيني، وتتغير خلايا جسم الإنسان وتتبدل، فتهرم خلايا ثم تموت، وتنشأ أخرى جديدة تواصل مسيرة الحياة، هكذا باضطراد، حتى يأتي أجل الإنسان، إن عدد الخلايا التي تموت في الثانية الواحدة في جسم الإنسان يصل إلى ١٢٥ مليون خلية، وأكثر من هذا العدد يتجدد يومياً في سن النمو، ومثله في وسط العمر، ثم يقل عدد الخلايا المتجددة مع تقدم السن.

وبما أن الأحماض الأمينية هي التي تشكل البنية الأساسية في الخلايا، ففي الصيام الإسلامي تتجمع هذه الأحماض القادمة من الغذاء مع الأحماض الناتجة من عملية الهدم، في مجمَّع الأحماض الأمينية في الكبد (**Amino Acid Pool**)، ويحدث فيها تحول داخلي واسع النطاق، وتدخل في دورة السترات (**Citrate Cycle**)، ويتم إعادة توزيعها بعد عملية التحول الداخلي (**Intercoversion**)، ودمجها في جزيئات أخرى[1]، ويصنع منها كل

---

(١) **كالبيورين (Purines)**: مركب أبيض متبلِّر، وهو أحد الأسس التي تدخل في تركيب المواد الوراثية في الخلية، (DNA وRNA)، بالاشتراك مع البيريميدين، ويتكون البيورين من حلقتين آرومتين مختلفتين متصلتين في التركيب البنائي، **والبيريميدين**: عبارة عن قاعدة عضوية متبلمرة (بالانجليزية **pyrimidine**) يكون أحد الوحدات الأساسية لبناء (DNA وRNA).

أنواع البروتينات الخلوية، وبروتين البلازما، والهرمونات، وغير ذلك من المركبات الحيوية، أما أثناء التجويع فتتحول معظم الأحماض الأمينية القادمة من العضلات وأغلبها حمض الألانين، تتحول إلى جلوكوز الدم، وقد يستعمل جزء منها لتركيب البروتين، أو يتم أكسدته لإنتاج الطاقة بعد أن يتحول إلى أحماض أُكسجينية (Oxoacids).

وهكذا نرى أنه أثناء الصيام يحدث تبدل وتحول واسع النطاق داخل الأحماض الأمينية المتجمعة من الغذاء، وعمليات الهدم للخلايا، بعد خلطها وإعادة تشكيلها ثم توزيعها حسب احتياجات خلايا الجسم، وهذا يتيح لبنات جديدة للخلايا ترمِّم بناءها، وترفع كفاءتها الوظيفية، مما يعود على الجسم البشري بالصحة، والنماء، والعافية.

كما أن للصوم الإسلامي أهمية كبيرة، وفائدة عظيمة، في تجديد خلايا الكبد التي تعتبر من أهم وأنشط خلايا الجسم. فخلايا الكبد التي تبلغ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ مليار خلية، تتجدد كل أربعة شهور، وتعتبر هذه الخلايا من أهم وأنشط خلايا الجسم، وتقدم أجل وأعظم الخدمات في تجديد وإصلاح خلايا الجسم كله، إذ تقوم بإنتاج بروتينات البلازما كلها تقريبا (من ٣٠ ـ ٥٠ جم يومياً) وتكوين الأحماض الأمينية المختلفة، بعمليات التحول الداخلي وتحويل البروتين والدهن والكربوهيدرات كل منها لآخر، وتقديمها لخلايا الجسم حسب احتياجها، وصناعة الجلوكوز وتخزينه لحفظ تركيزه في الدم، وأكسدة أحماض الجلوكوز الدهنية بمعدلات مرتفعة لإمداد الجسم وخلاياه بالطاقة اللازمة في البناء والتجديد، إذ تحتوي كل

خلية كبدية من الوحدات المولِّدة للطاقة (**Mitochondria**) حوالي ١٠٠٠ وحدة، كما تُكوِّن الخلايا الكبدية الكوليستيرول، والدهون الفوسفاتية، التي تدخل في تركيب جدر الخلايا، وفي المركبات الدقيقة داخل الخلية، وفي العديد من المركبات الكيميائية الهامة، واللازمة لوظيفة الخلية، كما تقوم خلايا الكبد بصناعة إنزيمات حيوية وهامة لخلايا الجسم، كخميرة الفوسفتاز القلوية (**Alkaline Phosphatase**)، والتي بدونها لا تستخدم الطاقة المتولدة من الجلوكوز والأوكسجين، ولا يتم عدد كثير من عمليات الخمائر والهرمونات وتبادل الشوارد، فيتأثر تجدد الخلايا وتضطرب وظائفها، كما تقدم خلايا الكبد خدمة جليلة في بناء الخلايا الجديدة، حيث تختزن في داخلها عدداً من المعادن والفيتامينات الهامة واللازمة في تجديد خلايا الجسم، كالحديد والنحاس وفيتامين أ، ب٢، ب١٢، وفيتامين د، وتقدم خلايا الكبد أيضا أعظم الخدمات في تجديد الخلايا، حيث تزيل من الجسم المواد السامة والتي تعرقل هذا التجديد، أو حتى تدمر الخلايا نفسها، كما في مادة الأمونيا والتي تسمِّم خلايا المخ، وتُدْخِلُ مريضَ تليُّف الكبد إلى غيبوبة تامة.

إن الصيام الإسلامي هو وحده النظام الغذائي الأمثل في تحسين الكفاءة الوظيفية للكبد، حيث يمده بالأحماض الدهنية، والأمينية الأساسية، خلال وجبتي الإفطار والسحور، فتتكون لبنات البروتين، والدهون الفوسفاتية، والكوليسترول وغيرها؛ لبناء الخلايا الجديدة، وتنظيف خلايا الكبد من الدهون التي تجمعت فيه بعد

الغذاء خلال نهار الصوم، فيستحيل بذلك أن يصاب الكبد بعطب التشمع الكبدي، أو تضطرب وظائفه، بعدم تكوين المادة الناقلة للدهون منه[١].

وعلى هذا يمكن أن نستنتج أن الصيام الإسلامي يمتلك دوراً فعالاً في الحفاظ على نشاط ووظائف خلايا الكبد، وبالتالي يؤثر بدرجة كبيرة في سرعة تجدد خلايا الكبد، وكل خلايا الجسد، وهو ما لَا يفعله الصيام الطبي، ولا الترف في الطعام الغني بالدهون[٢].

١٤ ـ فائدة الصوم في علاج التسمم الغذائي والدوائي:

يقرر خبراءُ الطب المعاصرون: أن للأغذية والأدوية دخلاً كبيراً في إصابة الأجسام بالأمراض المختلفة. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أمرين:

الأمر الأول: من ناحية الإفراط في تناولها وأخذها.

الأمر الثاني: من ناحية التسمم بالعناصر الداخلة في تركيبها أيضاً.

وقد أدرك القدماء[٣] العلاقة بين الإفراط في الأغذية والأدوية؛ والإصابة بحالات التسمم بالعناصر الداخلة في تركيبها؛ عندما

---

(١) وهي الدهن الشحمي منخفض الكثافة جداً (VLDL)، والذي يعرقل تكونها: التجويع، أو كثرة الأكل الغني بالدهون كما بينا.

(٢) الصاوي، عبد الجواد «الصيام معجزة علمية»: (ص١٢٦، ١٣٠).

(٣) هيبوقراط أبو الطب اليوناني القديم.

قالوا: «أَكَل الناس أَكْل السِّباع فمرضوا، فغذيناهم بغذاء الطيور فصحوا». لكن ما هي وسيلة العلاج الناجعة عندما يصاب الإنسان بهذه الحالة، أو بعضها ـ الإصابة بالأمراض والتسمم ـ؟

هنا يؤكد العلم الحديث أن الصوم لأيام متوالية، هو العلاج الناجع لمقاومة الظروف المترتبة على تراكم السموم في البدن، أيّاً كانت تلك السموم. فالصوم يمنح البدن الفرصة لإعادة توازنه وثوابته، ويسهل التخلص من السم المتبقي في الجسم[١]. إلا أنه من المؤكد أن الشفاء لن يحصل غالباً إلا بأمرين:

١ ـ أن يتوقف الشخص عن شحن نفسه بالمزيد من تلك السموم.

٢ ـ إخضاع نفسه لمحاولة التخلص من السموم الكامنة فيه[٢].

وإذا دققنا النظر بإمعان، نجد ولا شك أن الصوم يحقق هذين الشرطين اللذين يؤديان إلى حفظ الصحة، وسلامة الجسد، وبذلك تتحقق حِكمة التشريع في عبادة الصوم، ويتضح سر من أسراره العظيمة.

١٥ ـ فائدة الصوم في إزالة الأورام:

يقوم الجسد أثناء الصوم باستهلاك الطاقة اللازمة لحياته، من حَرْقِهِ للمواد الدُّهنيَّة المختزنة لديه، دون المساس بالبروتينات

---

(١) عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص٧٩)، محمد سيد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٤٧).

(٢) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٢)، الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٦).

المكوِّنة لعضلاته وأنسجته، وتشير الدراسات الحديثة: إلى أن أول الأعضاء التي يتغذى عليها جسم الإنسان أثناء الصوم؛ هي الأعضاء المصابة بالأمراض، أو الشيخوخة. وخاصَّة المحتقنة، والمتقيحة، والملتهبة، حيث تكون أول الخلايا المستهلكة، وأول ما يتأكسد من أنسجة الجسم ويحترق.

فالصوم يعمل على تحطيم وإتلاف الأنسجة المريضة الزائدة، أو الأورام المتشكلة هنا وهناك، ومن ثم يقوم بإعادة استعمال هذه المواد لإنعاش الأعضاء الحيويَّة وصيانتها[١]. يقول شيلتون: «يقوم الجسد خلال الصوم بجرد شمولي يحلِّل ويقوِّم فيه مختلف أنسجته، ثم يقوم بتفكيك وتحويل الزائد منها وغير الضروري، وما ينتج عنه من مواد أولية لترميم وصيانة الأعضاء الأكثر حيوية، ثم يلقي ما تبقى منها من نفايات خارج الجسم». ويؤكد شيلتون: «أن الورم الذي يختفي في الصوم لا ينكس أبداً، علاوة على أنه يخلِّص المريض من مخاطر العمل الجراحي»[٢].

وبذلك قد يعتبر الصوم في هذه الحالة بدلاً من مِشْرَطِ الجرَّاح، الذي يزيل الخلايا التالفة، والأورام والزوائد اللحمية، والأكياس الدهنية، والأورام الليفية. حيث تأكد الأطباء ـ كما تقدم ـ

---

(١) لاكوت، صوفي «أسرار العلاج بالصوم»: (ص٣٢)، نوفل، عبد الرزاق «كيف ولماذا؟»: (ص٩١، ٩٢)، عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص٨٧).

(٢) شلتون، هـ. م.، كتاب الصوم Lejeune، نقلاً عن: الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٧).

من خلال نتائج صور الأشعة التشخيصية، أن جميع هذه الزوائد والأورام يصغر حجمها أثناء فترة الصوم[١].

١٦ ـ فائدة الصوم للجهاز العصبي:

تؤكد الدراسات الحديثة: أن وظيفة الجهاز العصبي في السيطرة على أعضاء البدن تزداد صعوبة؛ نتيجة تراكم الشحوم فيه، أو عند تفاقم نسبة السموم المختلفة في الدم. إضافة إلى أن عمليات الهضم الكبيرة والمستمرَّة، وامتصاص الأغذية يُرْهِقُ الجهاز العصبي.

وهنا تتجلى حِكمة تشريع الصوم من الناحية الصحية، حيث يقدِّم الصوم راحة كبيرة لهذا الجهاز الذي يسترجع أنفاسه، ويتهيأ للعمل بعده بنشاط وحيوية، وتختفي العلل التي تصيب الجهاز العصبي نتيجة التراكم المفرط للسموم والدهنيات بفعل الصوم، الذي يعمل على إذابة المواد الدهنية المختزنة في البدن ليؤمِّن الطاقة اللازمة، والذي يخلِّص الجسد من السموم الكامنة فيه، فينعم الجهاز العصبي بالراحة، وتشفى كل علله تماماً ـ إن شاء الله ـ بفعل الصيام[٢].

فليهنأ المسلم المواظب على الصوم؛ بهذه الفائدة التي تنطوي عليها هذه العبادة العظيمة.

---

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٢).
(٢) الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧٧).

١٧ ـ فائدة الصوم الصحية في إزالة الشعور بالألم:

يعتبر الصوم من أعظم طرق الطب الطبيعي لإزالة حالات الشعور بالألم، أو تقليل حِدَّتِهِ، وقد تبين ذلك من خلال دراسات طبية حديثة، تؤكد أن مخ الإنسان يفرز مواد كيماوية، من أهمها:

- **مادة الفيلادين**: تعمل على ضبط الأعصاب، وتَهْدِئَةِ الإنسان دون اللجوء إلى المهدِّئات.
- **الإندروفرين**: تعمل على توقف استمرار الألم من العضو المصاب، ومنعه من الانتقال إلى النخاع الشوكي، اللتان يزداد إفرازهما في حالات تعرُّضِ الإنسان للتوترات العصبية، ومواجهة المواقف الصعبة.

وفي أثناء الصوم يجاهد الإنسان نفسه في كبح جماح شهواتها، والتحكم في انفعالاتها، والإصرار على الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، مما يؤدِّي إلى زيادة تدفق إفراز هذه المواد الفسيولوجية، التي تعمل على ضبط الأعصاب واستعادة توازنها، والتي توقف استمرار تيار الألم من العضو المصاب، ومنعه من الانتقال عبر الأنسجة الأوَّلِيَّةِ الداخلة في النخاع الشوكي، والمؤدية إلى الفص المخي ـ الثلام ـ وهو الجزء الموجود في المخ، والخاص بتفسير حالات الألم والإحساس به. من هنا كان الصوم من أعظم طرق الطب الطبيعي لإزالة حالات الشعور بالألم، أو تقليل حِدَّتِهِ.

يقول مختار سالم: «ولعل التفسير العلمي لظاهرة اختفاء

أو تقليل شدة الآلام عند المرضى الصائمين خلال شهر رمضان المُعَظَّم؛ هو زيادة تدفق مادة الأندروفرين العازلة لمرور تيار الألم»[١].

١٨ ـ فائدة الصوم في إزالة الإحباط النفسي:

إن حالات الإحباط النفسي والشعور بالضَّجر والسأم، تكون نتيجة لنقص نسبة تركيز مادة السيروتونين، وحامض الإيدروسين في المخ... وهذه المواد يمكن زيادة نسبتها أثناء الصوم، بالإضافة إلى زيادة إفراز مادة الفيلادين المانعة للشعور بالألم، مما يؤدي إلى مساعدة الإنسان على التخلص من حالات القلق، والإحباط النفسي، وتسهيل مأمورية الطاقة العضلية. وفي نفس الوقت تقوى إرادته، وتسارع الطاقة العضلية على إنجاز المزيد من الأعمال[٢].

١٩ ـ فائدة الصوم في تنمية التفكير عند الإنسان:

تتحسن جميع القوى العقلية والفكرية أثناء الصوم، وتزداد القدرة على المحاكمة أيضاً. وتقوى الذاكرة وتتحسن كذلك، كما لوحظ أن القوى الروحية كالعاطفة، والمحبة، والحَدْسِ، وقوة البديهة، تتحسن تحسُّنَاً ملحوظاً بفعل الصوم.

ويوصي الطب الحديث اليوم طبقة الأشخاص العازمين على

---

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٢٩٣، ٢٩٤).
(٢) سالم، مختار، م ـ ن: (ص٢٩٤).

الدخول في أمور هامة تستوجب صرف الفكر، وزيادة في التركيز الذهني، والعمق الفكري الذي يستوجب بجانب ذلك حضور الصفاء العقلي، والهدوء العصبي كجلسات معالجة المسائل الصعبة، والخوض في أبحاث معقدة، أو امتحانات[١]، أو مواقف تستدعي الانتباه والدِّقة في التفكير العميق، أو التفكير في أمور هامة تستوجب صرف الجهد الذهني الكبير، أن يستعينوا في ذلك بسلاح الصيام[٢].

---

(١) لقد أجريت تجارب عديدة على طلاب الجامعات، أثبتت أن الصوم لفترات قصيرة يزيد في قدرة هؤلاء الطلاب الذكائية والفكرية، وتجعلهم أكثر على استيعاب دروسهم وحفظها. شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص٤٦، ٤٧).

(٢) لقد ثبت علمياً أن عضو الدماغ تتضاعف قابليته (آلاته المفكرة) في دنيا الجد والنشاط الذهني؛ كلما أقبل إلى مراكز مستودعاته كميات كبيرة من التيارات الدموية المحمَّلة بعناصر الحياة اللازمة، إلا أن المراكز الدماغية والآلات المفكِّرة تفقد قابليتها النشطة، وفعاليتها الخليوية الفيزيولوجية في محيط التركيز الذهني والقوة الفكرية، إذا ما قل قدوم الدم إليها بالكميات المطلوبة، وتحرم خلايا المخ من الدم الكافي إذا ما كان الجهاز الهضمي مزدحماً بالطعام، إذ إن اتجاه التيارات الدموية يتغير عن المخ، وينصرف إلى الجهاز الهضمي، وينشغل القلب والدوران بهذا الجهاز الضخم الواسع الأطراف، ذو العمليات الشَّاقَّة المرهقة؛ الأمر الذي يؤدِّي إلى تقلص حجم الدم القادم إلى الأنسجة الدماغية. والظواهر الهامة التي تطرأ على مراكز الجهاز العصبي. نتيجة هذا التقلص الدموي: هي فقدان الأشخاص قابليتهم الفكرية، وقدرتهم على التركيز الذهني، مع شعور بثقل وتخدير في المخ، وميل إلى قطع النشاط الفكري، وإبعاد المراكز الدماغية عن القيام بالعمليات الذهنية؛ عند إعلان الجهاز الهضمي اكتفاءه الغذائي، ويؤدِّي الحال هذا إلى =

جاء في كتاب «أسرار العلاج بالصوم»: «إذا كنتم بحاجة إلى التفكير بتمعن، ومنطق، أو التركيز، أو تشغيل ذاكرتكم، من الأفضل لكم أن تختاروا الأوقات التي تكون فيها معدتكم خاوية، لا تلك التي تشغل فيها معدتكم بالهضم»[١].

إن الأشخاص الذين يدخلون أمثال هذه الأجواء، وهم مُحْتَمُونَ بالدِّرع الواقي (الصيام)، يُدْهَشُونَ فجأة مما يبعثه الصيام في أعماق النفس البشرية من المشاعر الغريبة، والأحاسيس المنعشة ـ التي تُكْسِبُ الفكر طاقة ذهنية عالية ـ، وزيادة الطاقة الفكرية، والقدرة العالية على السيطرة والتحكم في نقاط ومراكز جوهرية ثابتة. إن كبار العلماء والمفكرين يجدِّدون نشاطاتهم الدماغية؛ بعلاج الصيام يوماً واحداً كل أسبوع، وعلى مدار السنة[٢].

ولعل السبب في زيادة الصوم من طاقات الذكاء أمران:

الأول: يُعْتَقَدُ أن الصوم يتيح للجسم أن يتخلَّص من السُّمُومِ

= أن يميل الجسم إلى الجمود والكسل والنعاس.
وأجرى الطب الحديث تجاربه على أشخاص معيَّنين، اشتهروا بالنَّهم والشراهة المزمنة في تناول طعامهم اليومي، فوجد أن أدمغتهم مخدرة عاطلة كسولة، حسب ما أفادت التجارب العلمية المطبَّقة عليهم. عثمان، محمد عثمان «صوموا تصحوا»: (ص٥٧).

(١) لاكوست، صوفي «أسرار العلاج بالصوم»: (ص٣٧).

(٢) عثمان، محمد عثمان «صوموا تصحوا»: (ص٥٩، ٦٠)، بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص١٣١)، محمد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٥٤).

المتراكمة في داخله، الأمر الذي يوفِّر للدماغ الفرصة للتغذي بدمٍ نقيٍّ، وصافٍ، وخالٍ من هذه السموم.

الثاني: إن الراحة التي تحصل أثناء الصوم لجميع الوظائف الحيوية، تعطي الدماغ قوة أكبر للتفكير[١].

٢٠ ـ فائدة الصوم في معالجة الأمراض العقلية:

يقول الدكتور آلان كوت[٢]: «بدأت تجربتي بمعالجة المرضى عقلياً بالصوم في عام ١٩٧٠م وذلك لدى زيارتي الأولى لمعهد العلاج النفسي في موسكو. لقد ذهبت إلى هناك بناءً على دعوة الدكتور نيكولاييف مدير وحدة العلاج بالصوم، فكان أول من أشار إلى أن مرض (فصام الشخصية) يمكن أن ينتج عن اختلال توازن في كيمياء البيولوجيا، الأمر الذي يمكن تصحيحه من خلال الصوم».

وعندما كان يصوم الدكتور نيكولاييف يعترف بأنه كان يشعر بالتفوق العلمي، بالإضافة إلى السعادة الروحية الغامرة، وهو مولع بالمثل الألماني الذي يقول: «إن العِلَّةَ التي لا يمكن معالجتها بالصوم، لا يمكن أن تعالج بشيء آخر».

هذا ومن المفروغ منه أن الصوم يتيح للجسم المجال في المعالجة الذاتية للأمراض الجسمية، والعقلية على حَدٍّ سواء، ويقرر

---

(١) شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص٤٧).

(٢) مؤلف كتاب «الصوم الطبي». مشيراً إلى أولى تجاربه ومشاهداته الناجحة، في معالجة الأمراض العقلية بالصوم. كوت، آلان «الصوم الطبي»: (ص٧٩).

الدكتور نيكولاييف بأن مرضاه المصابين بالأمراض العقلية تجاوبوا مع العلاج بالصوم؛ بعد أن أخفقت كافة الطرق العلاجية الأخرى. علماً بأنه كانت أمراضهم مزمنة ولم يبق لهم أمل بالشفاء، حتى أن ٧٠٪ منهم قد تحسن وضعهم بشكل ملحوظ جداً.

ويذكر الدكتور نيكولاييف عن شاب من كندا، كان مصاباً بانهيار عصبي، بالإضافة إلى عدم قدرته على التفكير، وعجزه عن متابعة دراسته، على الرغم أنه وُصِفَتْ له الأدوية بأنواعها، بالإضافة إلى العلاج النفسي، والصدمة الكهربائية، إلا أن ذلك لم ينفعه، ولكن حالته تحسنت بعد اليوم الخامس من صيامه، وفي اليوم العاشر من الصوم بدأت المشاعر السعيدة تتسرب إلى نفسه، وامتد به الصيام وهو يقطف ثمار التحسن، وبعد مضي أربع سنوات ما يزال يشعر بالصحة، ويتصرف بفعالية تامة، وكتب أخيراً إلى الدكتور نيكولاييف يقول: «لم يبق هناك أي تشويش في ذهني، وإنني أشعر مرة أخرى بأنني إنسان».

كما أن أحد علماء الذرة فقد ذاكرته فقداناً كاملاً، غير أنه بعد فترة صوم طويلة استرد ذاكرته تماماً، وصار قادراً على التحكم بقواه الفكرية تماماً[1].

---

(١) ونظراً للنجاح المنقطع النظير الذي لاقته المعالجة بالصوم، فإن كثيراً من المرضى كانوا يطلبون من الدكتور المشرف أن يسمح لهم بالصيام بعد الفترة المحددة لهم للعلاج، ذلك لأن فرحة التحسن قد غمرتهم، ثم ولَّدت فيهم الرغبة ليتأكدوا من الشفاء التام. كوت، آلان «الصوم الطبي»: (ص٧٩، ٨٠، ٨١).

٢١ ـ فائدة الصوم الصحية في علاج الضعف الجنسي:

تحدث أثناء العملية الجنسية لأجهزة الجسم الحيوية عدَّةَ تغيُّرات فسيولوجية عميقة؛ نتيجة لإفراز عدة هرمونات كالأدرينالين[١]، والكورتيزون[٢]، والبروستاجلاندين[٣]، والسيروتينين[٤]، مع زيادة ارتفاع ضغط الدم عن المعدل الطبيعي، واتساع حدقتي العين، وزيادة سرعة النبض والتنفس، وقوة انقباض عضلة القلب، ليرتفع معدل ضخ الدم في الشرايين، نظراً لأن رفع درجة كفاءة الدورة الدموية هي الركيزة الأولى لكي تتم العملية الجنسية على الوجه الأكمل.

وأثناء الصيام يمنع المسلم من الممارسة الجنسية المشروعة طيلة ساعات الصوم، على مدار شهر رمضان، فتقل الرغبة الجنسية، وبالتالي تقل فرصة اللقاءات الجنسية أيضاً. فتصبح هناك فرصة لجميع أجهزة الجسم الحيويَّة لتحصل فيها على المزيد من الراحة،

---

(١) سبق تعريفه (ص٢٨٢).

(٢) سبق تعريفه (ص٣٤٢).

(٣) **البروستاجلاندين**: مجموعة مركبات كيميائية مهمَّة موجودة في كل الأجسام البشرية والحيوانية، تنظم عدة وظائف مثل: إفراز المعدة للحموض، وضغط الدم، ودرجة حرارة الجسم، ونشاط العضلات في أعضاء مثل الشُّعب الهوائية، والأمعاء، والرحم. وتقوم بدورٍ كبير في التكاثر. http://mousou3a.educdz.com

(٤) سبق تعريفه (ص٣٤٥).

والهدوء لمدة شهر كامل في السنة، لِتُجَدِّدَ شبابها ونشاطها وحيويتها[١].

يقول شيلتون: «إن الصوم يضعف الرَّغبة الجنسيَّة بصفة مؤقتة لدى كل من الرجل والمرأة، لكنها تعود بقوة بعد انتهاء فترة الصيام». وذكر حالة رجل بقي عِنِّيناً لعدة سنوات، وأنه عالجه بالصوم لمدة شهر واحد، استرجع الرجل إثره كامل قواه الجنسية.

كما أن الصوم يحسِّن عند المرأة جهازها التناسلي من الناحيتين: الحيويَّة، والعضوية، وهذا ما يحسِّن إمكانية الإخصاب الجيد عندها[٢].

وقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة: أن الصيام يهدِّئ المشاعر الجنسية[٣]، وله تأثير هام على العقل الباطن؛ نتيجة الانعكاسات العصبية، والتفاعلات النفسية (لدى المسلم)، والتي تحدث في الجسم أثناء الصوم.

فالصوم يخفض الهرمونات الجنسيَّة في الدم؛ إلى درجة تؤدِّي إلى هدوء سريع في المراكز الحسيَّة العصبيَّة الدِّماغية[٤].

---

(١) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٣٠١، ٣٠٢).

(٢) شيلتون، هـ.م. «التداوي بالصوم»: (ص٥٧، ٥٨).

(٣) بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص١١٧).

(٤) عبد الحليم، سمير «الموسوعة الصحية»: (ص٧٧)، محمد سيد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٤٧).

ويزيد صيامنا الإسلامي بتأثيره على النفس البشرية، حيث يجعلها حسَّاسَةً فطنةً تتحاشى الوقوع في مكائد المثيرات الجنسيَّة، ويُحْدِثُ رد فعل شديد في باطن العقل، يجعله يشعر بسمو الروح وينبذ الرذيلة.

فالإسلام أول من كشف تأثير الصيام على نسبة الهرمونات الجنسيَّة المنطلقة في الدم، وأعلنها حقيقة علمية ثابتة في دنيا الطب؛ عندما أصدر نبي الإسلام ﷺ هذا البلاغ الهام في دنيا الجنس والعلوم البشرية، ليعلنها قاعدة طبية هامة، ودستوراً خالداً يهدي به الأجيال، مبيناً كيف يؤثِّر الصيام كعلاج فعَّال لحل مشاكل العالم، والتي تنجم عن الفوضى الجنسية، والافتقار إلى تهذيب هذه الغرائز.

وذلك عندما خاطب الشباب قائلاً: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ من اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء**»[(١)].

وقد كشفت الأبحاث الحديثة وجه الإعجاز في هذا الحديث الشريف[(٢)]، في قول النبي ﷺ: «**فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء**» من وجهين:

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٩) هامش (٢)، وانظر في المسألة: الراوي، إبراهيم «حضارة الإسلام»، استشارات طبية في ضوء الإسلام نقلاً عن: الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٨١، ١٨٢).

(٢) وقد وُجِد أن الإكثار من الصوم، مع الاعتدال في الطعام والشراب، وبذل الجهد المعتاد يقترب من الصيام المتواصل، ويجني الشاب فائدته في تثبيط غرائزه المتأججة بيسر، كما لا يتعرف إلى أخطار هذا النوع من الصيام.

الأول: الإشارة إلى أن الخصيتين هما مكان إنتاج عوامل الإثارة الجنسية[١].

وقد ثبت أن في الخصيتين خلايا متخصِّصة في إنتاج هرمون التستوستيرون. **Testosterone** وهو الهرمون المحرِّك والمثير للرغبة الجنسيْة، وأن قطع الخصيتين (الخصي) يذهب هذه الرَّغبة ويقلِّلها.

الثاني: أن الإكثار من الصوم مثبِّط للرَّغبة الجنسيَّة، وكابح لها.

وقد ثبت في هذه الأبحاث هبوط مستوى هرمون الذكورة (التيستوستيرون) هبوطاً كبيراً أثناء الصيام المتواصل، بل وبعد إعادة التغذية بثلاثة أيام، ثم ارتفع ارتفاعاً كبيراً بعد ذلك، وهذا ما يؤكِّد أن الصيام له القدرة على كبح الرَّغبة الجنسيَّة مع تحسينها بعد ذلك، وهذا يؤكِّد فائدة الصوم في زيادة الخصوبة عند الرجل بعد الإفطار[٢].

فالصيام علاج ناجع سبق به الإسلام العلوم الطبيَّة الحديثة؛ بما اشتمل عليه من فوائد صحية.

---

(١) حيث إن معنى الوجاء: أن تُرَضَّ أنثيا الفحل (خصيتاه) رضّاً شديداً يُذهب شهوة الجماع. محمد سيد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٤٨، ١٤٩).

(٢) محمد سيد، عبد الباسط «آفاق الروح»: (ص١٤٨، ١٤٩).

وبهذا التوجيه النبوي العظيم، تتجلى عظمة الإسلام، وتظهر حِكمته الباهرة في تشريع هذه العبادة ـ الصيام ـ؛ التي تنطوي على حِكمٍ روحيةٍ، وأسرارٍ خفيةٍ، تنكشف يوماً بعد يوم، وفوائد صحيَّةٍ تقوِّي الجسد، وتُسْعِدُ الروح، وتَمْنَعُ طغيان الشهوة.

٢٢ ـ فائدة الصوم الصحية في معالجة السمنة:

تشكِّل السُّمنة المفرطة وازدياد تراكم الشحوم في البدن؛ خطراً حقيقياً على حياة الشخص من جراء تَعرُّضِهِ للإصابة بالعديد من الأمراض: كتصلُّب الشرايين، وارتفاع الضغط الدموي، وتشمُّع الكبد، والعنانة[١]، والداء السكري، والتهاب المرارة وحصواتها، والتهاب المفاصل، والكلى، والقلب، وصعوبات الجهاز التنفسي، وزيادة المضاعفات للعمليات الجراحية، وزيادة حالات السرطانات[٢].

كما تسبِّب السُّمنة إحباطاً نفسياً لدى الشخص السمين، حيث إن المجتمع ينظر إليه على أنه نَهِمٌ وأكوول، كذلك فإن السُّمنة تعيق صاحبها عن القيام بكثير من الأعمال، التي تحتاج

---

(١) **العنانة**: العِنِّين: وهو من لا يقدر على الجماع. القونوي، قاسم «أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء»: (ص٥٨، ٥٩)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) البار، محمد «الصوم وأمراض السمنة»: (ص٢٢)، دار القارئ العربي، مصر، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

إلى خِفَّةٍ ورشاقةٍ؛ الأمر الذي يجعل السمين مرغوباً عن التعامل معه[١].

والصوم الإسلامي يوفِّر لهؤلاء المصابين بالسُّمنة عمل حمية لإنقاص الوزن طيلة شهر رمضان، حيث إن من الثابت علمياً أن الصوم يعمل على تقليل الوزن، ونسبة الأملاح بالجسم، وطرد النفايات السامة للمساعدة في علاج الكثير من الأمراض الناتجة عن السُّمنة[٢].

ويرجع السبب في ذلك إلى أنه في حالة الصوم، وممارسة الأعمال اليومية العادية، فإن الجسم سيحصل على طاقته الحرارية من كمية الغذاء الأقل من المعدل اليومي، وبالتالي سيكون بحاجة إلى مصدر آخر لتزويده بالطاقة الحرارية، فيأخذها من الدهون المتراكمة تحت الجلد وبالعضلات والأنسجة الأخرى. وبذلك يعتبر الصوم بمثابة عملية صيانة دورية[٣] غير مؤذية، ولا تفضي إلى النتائج

---

(١) ولذا رأينا اليوم أن عيادات المتخصِّصين بإنقاص الوزن ونحافة الجسم تغص بالمرضى.

(٢) تقول نيكول بودرو: «إن فقدان الماء المخزَّن في الأنسجة، واستنفاد السكر في الكبد والعضلات، يؤديان إلى فقدان الوزن في الأيام الأولى، والذي يمكن أن يصل إلى ٤ كلغ في أيام من الصيام». بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص١٠٣).

(٣) سالم، مختار «الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع»: (ص٣٠٢، ٣٠٣)، النسيمي، محمود «الطب النبوي والعلم الحديث»: (ص٢٨٨)، البار، محمد «الصوم وأمراض السمنة»: (ص٢٢).

الوخيمة المشاهدة عند استعمال الهرمونات، ومثبطات الشهية، التي يهرع إليها البدينون بغية إنقاص وزنهم[١]. يقول الدكتور آلان كوت: «يعد الصوم ـ صحياً ـ أفضل طريقة لتقليل الوزن، إذا ما قورنت بالنظم الغذائية التي تُلزم بطعام واحد، أو بمجموعة غير متوازنة من الأطعمة»[٢].

٢٣ ـ حِكمة الصوم في تقوية جهاز المناعة:

للصوم أثر إيجابي حاسم على بعض وظائفنا المناعية. وقد أظهرت الأبحاث العلمية الحديثة: زيادة في تركيب الأجسام المضادة، كردَّة فعل للأنتيجين (Antigene)[٣]. إذا تجرعنا هذا الأنتيجين في اليوم العشر للصوم[٤].

وأظهرت دراسات أخرى زيادة في تلك الأجسام. وكذلك ارتفاع

---

(١) الدقر، محمد «روائع الطب الإسلامي»: (ص١٧١).

(٢) وقد ورد في مجلة (المختار العلمية) الصادرة في الولايات المتحدة: أن الصوم يمكن أن يكون أسهل أسلوب لتنقيص الوزن، مما هو عليه الحال في أنظمة الحمية الغذائية المعتمدة على أسلوب الحريرات المخفضة. وورد في المجلة الطبية البريطانية: أن المعالجة بالصوم تُبْرِزُ ملامح إيجابية، أهمها فقدان الوزن السريع، وهذا شيء مشجِّع للمريض. كوت، آلان «الصوم الطبي»: (ص٢٩، ١٢٤).

(٣) مادة تُثير ردات فعل الدفاعات الجسمية. بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص٥٦).

(٤) أما إذا أُخذ في بداية الصوم فإن نسبة إنتاج الأجسام المضادة لا تتغير. بودرو، نيكول، م ـ ن.

القدرة التدميرية للبكتيريا في بعض خلايا الدماغ (Monocytes)[١].

إن عمليات الصوم لفترات قصيرة، تساعد أيضاً على تخفيض فترة استمرار الجائحات المرضية المعدية؛ إذ إن قوى الجسم الدفاعية تتنشَّط، وتتملَّك القدرة على الصراع مع الأمراض بفاعلية أكبر[٢].

ونلاحظ: أثناء الصوم أيضاً تحسُّناً سريريّاً عند بعض مرضى التهاب المفاصل: فالكريات البيضاء تهاجر بسهولة أكثر نحو الأنسجة الملتهبة، لتقضي فيها على الفضلات والأنتيجين (مولد الأجسام المضادة)، لكن هذه السهولة تتراجع بسهولة بعد ثلاثة أيام من نهاية الصوم.

كما أن الخلايا الدفاعية التي تنفُذُ إلى الأنسجة بواسطة الدورة الدموية، لديها أيضاً منفذ سهل إلى الأنسجة الملتهبة في جسمٍ نُظِّفَتْ أوعيته بالانحلال الذاتي. فعملية الشفاء ـ لدى المرضى ـ تتم إذن بفاعلية أكبر. وتربط زيادة الزنك في الدم؛ بتقوية ردات الفعل المناعية؛ لأنها تسِّهل نشاط «الرُّسُل» الكيماوية للجسم؛ التي تنشِّط ردات الفعل الدفاعية (هرمون الغدة السعترية ـ الليمفوكين)، كما يُسَهِّلُ الزنك تجزئة خلايا الدفاع[٣].

❁ ❁ ❁

(١) يقول الدكتور نيكولاييف: «إن فترات صوم قصيرة ومنتظمة، يمكنها أن ترفع قدرات الجسم الدفاعية، وأن تساعده على أداء ردود الفعل المناسبة». كوت، آلان «الصوم الطبي»: (ص٨٢).

(٢) كوت، آلان، م ـ ن: (ص٨٣).

(٣) بودرو، نيكول «الصيام متعة روحية وجسدية»: (ص٥٦، ٥٧).

المبحث الخامس

شهادة غير المسلمين بالصوم

جعل الله صحة الأبدان من الجزاء العاجل للصوم. كما قال ﷻ: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وصحة الأبدان من ذلك الجزاء والخير العاجل الذي تحدثت عنه العديد من المصادر الطبية. وأكَّدته التجارب العلمية، والاكتشافات العصرية، ونطقت به ألسنة المنصفين من غير المسلمين.

يقول العالم الأمريكي: «آيتون سنكلير»: «إن أكبر شيء يعطينا إياه الصوم هو مستوى جديد من الصحة، وهذا التجدد في الصحة يَنْعُمُ به الكبار في السن والشباب على حَدٍّ سواء، وبالنسبة ذاتها، وذلك أن البنية تتجدد بكاملها فتتحسَّنُ وظائفها العديدة وتَنْشَطُ»[(١)].

ويقول الدكتور ألكسيس كاريل: «إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة أدت دوراً عظيما في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة التكيُّف على قلة الطعام، ولذلك كان الناس يلتزمون الصيام أحياناً».

ويقول: «قد يحدث للصائم أول الأمر الشعور بالجوع والتهيُّج العصبي ربَّما؛ ثم يعقب ذلك شعور بالضعف، غير أنه يحدث إلى

---

(١) شلتون، هـ. م. «التداوي بالصوم»: (ص٥٩).

جانب ذلك أمور خفيَّة أهم بكثير منه، فإن سكَّر الكبد سيتحرك ويتحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد، وبروتينات العضل، والغدد وخلايا الكبد، وتضحِّي جميع الأعضاء بمادتها الخاصة للإبقاء على كمال الوسط الداخلي وسلامة القلب، وإن الصوم لَيُنَظِّفُ ويبدِّلُ أنسجتنا»[١].

ويؤكِّد ذلك أيضاً الدكتور ماك فادون[٢] بقوله: «إن كل إنسان يحتاج إلى الصيام، وإن لم يكن مريضاً؛ لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض، وتثقله ويقل نشاطه، فإذا صام خفَّ وزنه، وتحلَّلت هذه السموم من جسمه وذهبت عنه ليصفو بعد ذلك صفاء تاماً، ويستطيع أن يستردَّ وزنه ويجدِّد جسمه في مدة لا تزيد على العشرين يوماً بعد الإفطار؛ ولكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل»[٣].

وقد كتب الدكتور روبرت بارتولو[٤] قائلاً: «لا شك أن الصوم من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات ومنها ميكروب الزهري لما يتضمنه من إتلاف للخلايا ثم إعادة بنائها من جديد» وتلك هي «نظرية التجويع في علاج الزهري» المشهورة طبياً.

ولا بد من الإشارة في ختام هذا الفصل إلى أن كل ما تقدم من فوائد للصيام، وكل ما جاء على لسان هؤلاء العلماء والأطباء إنما هو امتدادٌ وتوضيحٌ للحقيقة الكبرى التي جاءت على لسان الطبيب الأول سيدنا محمد ﷺ عندما قال: «**صُوْمُوا تَصِحُّوا**»[٥].

---

(١) http://ebaa.net/sehha-hiyat/018/018.htm

(٢) أحد علماء الصحة الكبار في أمريكا، http://www.elwdad.com/vb/t23399.

(٣) شلتون، هـ. م. «التداوي بالصوم»: (ص٥٩).

(٤) طبيب أمريكي من أنصار العلاج الدوائي للزهري.

(٥) سبق تخريجه: (ص٥٤٩)، هامش (٢).

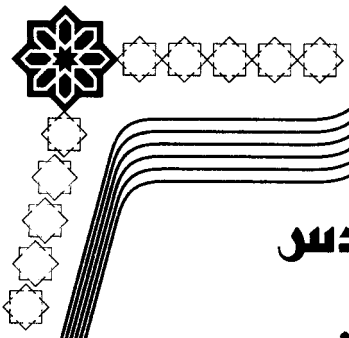

الفصل السادس

في حِكمة

تشريع الحج، والعمرة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحج، وأدلته، وشروطه، وأركانه، ومكانته، وأهميته في الإسلام.

المبحث الثاني: حِكمة تشريع الحج.

المبحث الثالث: حِكمة المواقيت، والإحرام، والتلبية، ومحظورات الإحرام، والطواف، والسعي، والتوجه إلى منى يوم التروية، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار، وذبح الهدي، والحلق، والمبيت بمنى، وطواف الوداع، والتفريق بين المناسك.

المبحث الرابع: تعريف العمرة، وفضلها، وحِكمة تشريعها.

المبحث الخامس: حِكمة زيارة المدينة المنورة.

المبحث السادس: شهادة غير المسلمين بالحج.

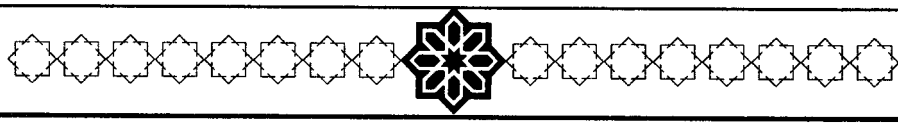

تمهيد

إن فهم أسرار الحج، وسبر أغواره، وتتبع حِكمه وغاياته، والوقوف على مقاصده وأهدافه، وإظهار ما ينطوي عليه الحج من مزايا جليلة، وغاياتٍ حميدة، وفوائد فريدة، ومواقف جميلة، لهو أعظم المنافع وأغلاها، وأمنية النفس ومناها، وقد قدم الله ﷻ شهود هذه المنافع على ذكره ﷻ فقال: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

ونلاحظ أن كلمة [منافع] نكرة لا تحديد لمعناها، فهي شاملة لجميع المنافع العظيمة، معنوية، ومادية، فردية كانت، أو اجتماعية، سياسية، أو اقتصادية، تربوية، أو أخلاقية، أو صحية، . . .، وعليه فإن هذه الكلمة ـ منافع ـ هي الحِكمة التي ينشدها المسلم في سفره إلى مكة.

وهنا تتجلى أهمية الغوص وراء حِكم الحج ومقاصِده، وتتبع فوائده ومنافعه، وبيان فضائله ومحاسنه، حيث يزاد المسلم بصيرة ورضاً أثناء قيامه بأداء فريضة الحج.

كما أن غير المسلمين الذين يتساءلون عن مغزى هذه العبادة حيناً، ويحاولون تشكيك بعض المسلمين بعقيدتهم حيناً آخر، من خلال إثارة التساؤلات الماكرة عن معنى الطواف حول بناء

حجري، وفائدة السعي، واستلام الحجر، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار؛ إلى غير ذلك من مناسك الحج. سيجدون في ثنايا هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ ما يدهش عقولهم، ويعقد ألسنتهم، بمنطق قويم، وأسلوب حكيم، مؤيداً بالبراهين العلمية، والاحتجاجات الشرعية.

المبحث الأول

تعريف الحج، وأدلته وشروطه، وأركانه، ومكانته، وأهميته في الإسلام

تعريف الحج

◻ الحج لغةً:

القصد[١] إلى الشيء المعظم.

---

(١) بفتح الحاء وكسرها لغتان: يقال: حَجَّ إلينا فلانٌ؛ أي: قَدِمَ، وحجَّهُ يحُجُّهُ حَجَّاً: قصده.

وحججتُ فلاناً واعتمدته؛ أي: قصدته. ورجل محجوجٌ؛ أي: مقصود. وقيل: هو الزيارة. وقيل: هو إطالة الاختلاف إلى الشيء. وقد حج بنو فلان فلاناً. إذا أطالوا الاختلاف إليه، قال المخبَّل السعدي:

وأشهد من عوفٍ حلولاً كثيرة يَحُجُّونَ سِبَّ الزبرقان المزعفرا

أي: يقصدونه ويزورونه.

ابن منظور، محمد «لسان العرب»: (٢/٢٢٦)، النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص٦٤)، الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١١١).

◻ الحج اصطلاحاً:

زيارة مكان مخصوص، في زمن مخصوص، بفعل مخصوص[(١)].

◻ المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

إذا أمعنا النظر في معنى الحج في اللغة، ومعناه في الاصطلاح؛ وجدنا المناسبة الشديدة، والعلاقة الوطيدة بينهما ظاهرة. فالحج في اللغة القصد، والزيارة إلى مُعظَّم، وإطالة الاختلاف والتردد إلى الشيء. وهي معان موجودة في الحج بمعناه الشرعي. فاشتمال الحج على القصد والتعظيم، حقيقة شرعية لا يصح الحج بدونها.

وكذلك الاختلاف والتردد إلى الشيء، أمر لا بد للحاج منه. فالحاج يعود إلى الطواف بالبيت مرة بعد مرة أثناء تأدية النسك. وهكذا تتضح العلاقة بين المعنين: اللغوي، والشرعي، وتظهر المناسبة.

أدلة فرضية الحج

ثبتت فرضية الحج بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والمعقول:

◻ أولاً: من الكتاب:

أ ـ قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

---

(١) الغنيمي، عبد الغني «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ١٧٨). وقال الجرجاني: الحج قصد لبيت الله ﷻ بصفة مخصوصة، في وقت مخصوص، بشرائط مخصوصة. الجرجاني، علي، «التعريفات»: (ص١١١).

وجه الاستدلال بالآية على وجوب الحج من وجهين:

- **الوجه الأول:** أنه قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾. و«على» كلمة إيجاب!
- **الوجه الثاني:** أنه قال ﷻ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾؛ أي: ومن كفر بالحج، فلم ير حجه بِرّاً ولا تركه مأثماً. كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ب - ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

◻ ثانياً: من السُّنَّة:

أ - قوله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،...**»[(١)]، وذكر فيها الحج.

ب - قوله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**»[(٢)].

◻ ثالثاً: من الإجماع:

فقد أجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع

---

(١) سبق تخريجه: (ص٢٩٨)، هامش (١).

(٢) فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثم قال: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**». النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب فرضية الحج مرة في العمر: (ح١٣٣٧).

في العمر مرة واحدة[١].

◻ رابعاً: من المعقول:

فالعبادات وجبت لحق العبودية، أو لحق شكر النعمة، إذ كل ذلك لازم في العقول، وفي الحج إظهار العبودية، وشكر النعمة:

أ ـ أما إظهار العبودية:

فلأن إظهار العبودية هو إظهار التذلل للمعبود، وفي الحج ذلك؛ لأن الحاج في حال إحرامه يُظْهِرُ الشعث، ويرفض أسباب التزين والارتفاق، ويتصور بصورة عبد سخط عليه مولاه؛ فيتعرض بسوء حاله لعطف مولاه ومرحمته إياه، وفي حال وقوفه بعرفة بمنزلة عبد عصى مولاه، فوقف بين يديه متضرعاً، حامداً له، مثنياً عليه، مستغفراً لزلاته، مستقيلاً لعثراته، وبالطواف حول البيت يلازم المكان المنسوب إلى ربه. بمنزلة عبد معتكف على باب مولاه لائذ بجنابه.

ب ـ وأما شكر النعمة:

فلأن العبادات بعضها بدنية، وبعضها مالية، والحج عبادة لا تقوم إلا بالبدن والمال، ولهذا لا يجب إلا عند وجود المال وصحة البدن، فكان فيه شكر النعمتين، وشكر النعمة ليس إلا استعمالها في طاعة المنْعِم، وشكر النعمة واجب عقلاً وشرعاً[٢].

---

(١) الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (٢/ ١٧٩)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٤/ ٣٢٨).

(٢) الكاساني، أبو بكر، م ـ س: (٢/ ١٧٩، ١٨٠).

شروط وجوب الحج[1]

١ ـ الإسلام.

٢ ـ العقل.

٣ ـ البلوغ.

٤ ـ الحرية.

٥ ـ الاستطاعة[2].

---

(١) **تنقسم شروط الحج إلى ثلاثة أقسام:**

منها: ما هو شرط للوجوب والصحة، وهو الإسلام، والعقل، فلم يجب على كافر ولا مجنون ولا تصح منهما؛ لأنهما ليسا من أهل العبادات.

ومنها: ما هو شرط للوجوب والإجزاء، وهو البلوغ، والحرية، وليس بشرط للصحة. فلو حج الصبي والعبد صح حجهما ولم يجزئهما عن حجة الإسلام.

ومنها: ما هو شرط للوجوب فقط، وهو الاستطاعة. ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٤/ ٣٢٩).

(٢) **الاستطاعة نوعان:**

أ ـ استطاعة بدنية: فلا حج على المريض، والزمِنِ، والمقعد، والمفلوج، والشيخ الكبير الذي لا يثبت على الراحلة بنفسه، والمحبوس والممنوع من قبل السلطان الجائر عن الخروج إلى الحج؛ لأن الله ﷻ شَرَطَ الاستطاعة لوجوب الحج، والمراد منها، استطاعة التكليف، وهي سلامة الأسباب والآلات. ومن جملة الأسباب سلامة البدن؛ لأن الحج عبادة بدنية فلا بد من سلامة البدن، ولا سلامة مع المانع.

ب ـ مالية: وتكون بملك الزاد والراحلة وما لَا بد منه، ونفقة عياله إلى حين عوده. الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: =

٦ ـ الوقت[١].

٧ ـ أمن الطريق[٢].

أركان الحج

وأما ركن الحج فشيئان:

أحدهما: الوقوف بعرفة[٣].

= (٢/ ١٨٤)، الغنيمي، عبد الغني «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ١٧٨).

(١) فلا يجب قبل أشهر الحج، فمن ملك مالاً قبل أشهر الحج ثم ذهب ذلك المال، فلا يجب عليه الحج قبل دخول أشهر الحج. ابن الهمام، محمد «شرح فتح القدير»: (٢/ ٤٠٩).

(٢) وقيل: إنه من شرائط الأداء لا من شرائط الوجوب. الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (٢/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦)، الغنيمي، عبد الغني «اللباب في شرح الكتاب»: (١/ ١٧٨)، ابن قدامة، عبد الله «المغني»: (٤/ ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢)، غاوجي، وهبي «أركان الإسلام، فقه العبادات»: (ص٧٠٣).

وهناك شرطان يختصان بالنساء وهما:

الأول: أن يكون معها زوجها أو محرم لها. فإن لم يوجد أحدهما لا يجب عليها الحج؛ خلافاً للشافعي إذا كان معها رفقة ثقات.

الثاني: أن لا تكون معتدة عن طلاق أو وفاة؛ لأن الله نهى المعتدات عن الخروج بقوله ﷻ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ [الطلاق: ١]. الكاساني، أبو بكر، م ـ س: (٢/ ١٨٧، ١٨٨)، ابن قدامة، عبد الله، م ـ س: (٤/ ٣٦٧، ٣٧٣).

(٣) قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. =

الثاني: طواف الزيارة[١].

= ثم فسَّر النبي ﷺ الحج بقوله: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**». الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بِجَمْعٍ فقد أدرك الحج: (ح٨٨٩). قال أبو عيسى: والعمل عليه عند أهل العلم من الصحابة وغيرهم: (ص١٧٣٥). النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب المناسك، باب فرض الوقوف بعرفة: (ح٣٠١٩)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جَمْعٍ: (ح٣٠١٥)، ابن حنبل، أحمد «المسند»، مسند عبد الرحمٰن بن يعمر الدِّيلي: (ح١٨٠٢٣)، السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب المناسك (الحج) باب من لم يدرك عرفة: (ح١٩٤٩)، الحاكم، محمد «المستدرك على الصحيحين مع التلخيص»: (ح١٧٣٨)، (٢/ ٢٥)، قال الذهبي: صحيح، ابن حجر، أحمد «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير»: (ح١٠٤٦)، (٢/ ٤٥٩) دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م؛ أي: الحج: الوقوف بعرفة، إذ الحج فعل وعرفة مكان فلا يكون حجاً، فكان الوقوف مضمراً فيه، فكان تقديره الحج الوقوف بعرفة.

(١) قال الله ﷻ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. والمراد منه: طواف الزيارة بالإجماع، ولأنه ﷻ أمر الكل بالطواف فيقتضي الوجوب على الكل، وطواف القدوم لا يجب أصلاً، وطواف الصدر لا يجب على الكل لأنه لا يجب على أهل مكة؛ فيتعين طواف الزيارة مراداً بالآية، وقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والحج في اللغة: هو القصد، وفي عرف **الشع**: هو زيارة البيت. الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (٢/ ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣).

مكانة الحج وأهميته في الإسلام

الحج من جلائل أعمال الدين، وهو ثروة المتقين، ورأس مال العابدين، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام العظيم، يتعلق بالبدن والمال، ولم يفرضه الله ﷻ إلا مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً(١).

ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام، قال: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**»(٢).

فالحج من العبادات العظيمة، التي لها منافع كبيرة في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٣).

---

(١) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: (ح٩٣).

(٢) البخاري، إسماعيل «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد، باب جهاد النساء: (٢٨٧٥).

(٣) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب قول الله ﷻ: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة: ١٩٧]: (ح١٨١٩)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة: (ح٣٢٩٢). وفي لفظ: «**مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»: (ح٣٢٩٣).

والحج جهاد بالنفس، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال: «**جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ**»(١).

وتظهر أهمية الحج في كونه يتضمن: الصلاة، والصيام، والصدقة، والذكر، والدعاء...(٢).

فالحج قائم على كافة ألوان العبادة التي تشمل القلب والقالب، وتتمكن من النفس والجوارح، وتنطلق من الإخلاص والتسليم المطلق لله رب العالمين.

فتأدية الحج على الوجه المشروع سبب لرفع الدرجات، وتكفير الخطيئات، وإرضاء لرب البريَّات، وهي التعبير الصحيح لخضوع الإنسان، نفساً، وبدناً لخالقه الأعظم.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد، باب جهاد النساء: (ح٢٨٧٥).

(٢) فمن المشروع أداء ركعتين خلف مقام إبراهيم بعد الطواف، لقوله ﷻ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. ومن كفارات الحج: الصيام، والهدي، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾ [البقرة: ١٩٦]. المسير، محمد «العبادات في الإسلام»: (ص٢٥٢، ٢٥٣)، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.

المبحث الثاني

حِكمة تشريع الحج

وقفنا في الفصول السابقة على بعض حكم وأسرار تشريع الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحجُ خامس أركان الإسلام، فيه من الحكم والفوائد والأسرار؛ ما يؤهِّله لأن يكون تاجاً للعبادات، كيف وهو الركن الخامس الذي تجتمع فيه أمَّاتُ العبادات كلها، من جهدٍ بدني، وإنفاقٍ مالي، وصلاةٍ، وصيامٍ، وقراءة قرآنٍ، وذكرٍ، وهَدْيٍ. فكأني بالمسلم الذي واظب على أداء ما افترضه الله عليه مما تقدم، وتشبَّعت نفسه بالعبادات ومعاني الإسلام، يأتي مكة، ليضع التاج على أنواع العبادات جميعها.

ليس هذا فحسب، بل هناك حِكمٌ جليلة، وأسرارٌ عظيمة، وغاياتٌ حميدة، ومنافع مفيدة، سأجتهد في تتبعهما واستكشاف ما يلوح لي منها، وإبرازها من خلال العناوين التالية:

أولاً: حِكمة شرعية

تتجلى حِكمة تشريع الحج الشرعية في أمور عديدة، أهمها ما يلي:

١ ـ تحقيق العبودية لله:

فالغاية الأولى من كل الفروض العبادية هي تحقيق العبودية لله،

وامتثال أوامره، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وفي الحج تتحقق العبودية الكاملة لله ﷻ، وتظهر آثارها في كل أعمال الحج، فالحاج يستهل حجه بالتلبية، ويطوف بالبيت، ويخرج إلى منى، وعرفة، ومزدلفة، ويرمي الجمار، ويذبح الهدي، ويقوم بجميع أعمال الحج في خضوع لله وتسليم، وتعظيم لشعائر الله، وإخلاص لله ومحبة، فتتحقق له العبودية من خلال تأديته مناسك الحج التي يتحقق فيها من الذل والخضوع لله ما لَا يتحقق في غيرها، ولهذا كان فيه من الأفعال ما لَا يقصد فيه إلا مجرد الذل لله والعبادة له؛ كالسعي، ورمي الجمار، قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. فالمقصود تقوى القلوب لله، وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له، فتحقيق العبودية لله في الصلاة، والنسك، والمحيا والممات، هو الأصل الذي تبنى عليه سائر العبادات من حج وغيره. فمن أعظم المنافع التي يستفيدها الحاج في حجه: أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وتحقيق العبودية لله بالاستجابة لأمره. وبهذا تتحقق حِكمة تشريع الحج، وتظهر فائدتها الشرعية، ومقاصدها الربانية[1].

٢ ـ تحقيق التقوى:

فقد أمر الله ﷻ عباده بالتزام تقواه في أداء فريضة الحج على

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره وظواهر الانحراف»: (ص٢٣)، دار نداء الإسلام للنشر والتوزيع، القصيم ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

الوجه الأكمل، فإنه لا يتم لهم حجهم كاملاً إلا بتقوى الله ومراقبته، لا سيما في تحصيل المنافع إذا عملوا على تحصيلها في الحج كملت هدايتهم، وحصلوا على السعادة بالوحدة، والتضامن، والتراحم، والتعاطف، والتفاهم، لا بالتسابق والازدحام وسوء المعاملة مما يُحْدِثُ النفرة، فالحاج يتقي ربه في أخوَّته للمسلم المشارك له في أداء الشعيرة المباركة، ويتقي الحاج ربه في ترك الزحام خصوصاً للنساء، ويتقي ربه باجتناب البخل وسوء الظن، ويتقي ربه بحفظ لسانه، وغض بصره، ويتقي ربه برحمة الأعمى والضعيف، وتوقير الكبير ورحمة الصغير، ويتقي الله بتعليم الجاهل وإرشاد الضال، ويتقي ربه بصيانة حجه من الرفث والفسوق والجدال، ويتقي الله بحفظ وقته عن كل إسفاف... ويتقي الله في جميع أعمال الحج، دون تساهل في أي شيء منها... وقد أكثر الله في آيات الحج على قلتها من وصيته لعباده بالتقوى؛ لأنه يحصل في الحج من أسباب التقوى ما لَا يحصل لغيره، وذلك مع الوعي الصحيح لحقيقة الحج ومغزاه. ولهذا نجد الله يخاطب الواعين بقوله: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ يعني: يا من له لب وعقل يفكر به؛ فليستنر بعقله في تلك المشاعر العظيمة ليستفيد منها تقوى الله. وختم الله آيات الحج بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقر: ٢٠٣][1].

---

(١) الدوسري، عبد الرحمٰن «الحج: أحكامه، أسراره، منافعه»: (ص٥٧ ـ ٦٦)، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٣ ـ زيادة الإيمان ورفعة الدرجات:

ومن حِكم تشريع الحج العظيمة، ومقاصده الجليلة، أنه يمنح الحاج فرصة عظيمة للتزود فيه من زاد الآخرة؛ بالتوبة والإنابة، والإقبال على طاعته، والسعي في مرضاته، «فتزداد قيمة إطاعته كما تزداد قيمة متاعه وأموال تجارية، يقرأ القرآن فيكون كل ختمة بكذا كذا ختمة، ويتصدق فيضاعف ثوابه، ويتحمل الأذى عن أصحابه فيضاعف في ثوابه»[(١)]. وإذا علم الحاج أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة[(٢)]، وأن من حج ولم يرفث خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[(٣)]. وطَّنَ نفسه على فعل الخيرات، واكتساب الحسنات، وفي ذلك من الخير ما فيه.

فالحج مدرسة تربوية إيمانية عظيمة، يتخرج فيها المؤمنون المتقون، فيشهدون في حجهم المنافع العظيمة والدرر المتنوعة، والعظات المؤثرة، فتحيا بذلك القلوب ويتقوى الإيمان[(٤)].

٤ ـ غفران الذنوب:

وفي الحج منافع دينية ودنيوية، إلا أن ما يحصِّله الحاج

---

(١) البخاري، محمد «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»: (ص٢٩).

(٢) يقول ﷺ: «**الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها: (ح١٧٧٣)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة: (ح٣٢٨٩).

(٣) سبق تخريجه (ص٦٠٨)، هامش (٣).

(٤) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٤٣).

من منافع دينية في حجه لا تقارن بالمنافع الدنيوية، «إذ في الحج من الأجور العظيمة والثواب الجزيل، ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات، وغير ذلك مما لا يحصى من الفوائد الدينية العظيمة التي ينالها الحاج إن كان متقياً لله في حجه؛ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأي خير أعظم وأي ربح أجل من أن يخرج الحاج من حجه كيوم ولدته أمه بلا إثم ولا خطيئة... ولا ريب أن هذه فضيلة عظيمة ومنفعة جليلة، تتسارع في نيلها القلوب المؤمنة، وتطمع في تحصيلها النفوس الصادقة، فللَّه ما أجلَّها من فضيلة، وأعظمها من منفعة عندما ينقلب الحاج إلى بلده بعد قضائه لحجه وذنبه مغفور، قد خرج من ذنوبه وآثامه، طاهراً نقياً كيوم ولدته أمه»[(١)]. بل إن الرب ﷻ من عظيم كرمه وجميل إحسانه بعباده الحجيج، يباهي ملائكته بحجاج بيته الحرام عندما يقفون جميعهم على صعيد عرفة، ويقول: «**انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي؛ أَتَوْنِي شُعْثاً غُبْراً ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ؛ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**»[(٢)]. وعن أبي هريرة قال: سمعت النبي يقول: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[(٣)].

---

(١) البدر، عبد الرزاق «دروس عقدية مستفادة من الحج»: (ص٢١)، نقلاً عن: الفوزان، محمد (ص٣٤٤).

(٢) ابن خزيمة، محمد «صحيح ابن خزيمة»، كتاب الحج، باب جماع أبواب ذكر أفعال اختلف الناس في إباحته: (١٠/ ٢٢٧)، (ح٢٦٢٦).

(٣) سبق تخريجه (ص٦٠٨)، هامش (٣).

ثانياً: حِكمة روحية

فالحج شُحْنَةٌ روحية كبيرة، يتزود بها المسلم فتملأ جوانحه خشية الله وتقى لله، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، وتُغذِّي فيه عاطفة الحب لله ﷻ ولرسول الله ﷺ، ولمن عزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وتوقِظ فيه مشاعر الأخوَّة لأبناء دينه في كل مكان، وتوقد في صدره شعلة الحماسة لدينه، والغيرة على حرماته.

إن الأرض المقدسة وما لها من ذكريات، وشعائر الحج وما لها من أثر في النفس، وقوة الجماعة وما لها من إيحاء في الفكر والسلوك... كل هذا يترك أثره واضحاً في أعماق المسلم، فيعود من رحلته أصفى قلباً، وأطهر مَسْلكاً، وأقوى عزيمة على الخير، وأصلب عوداً أمام مغريات الشر.

وكلَّما كان حجه مبروراً خالصاً لله، كان أثره في حياته المستقبلية يقيناً لا ريب فيه، فإن هذه الشحنة الروحية العاطفية، تهز كيانه المعنوي هزَّاً، بل تنشئه خلقاً آخر، وتعيده كأنما هو مولود جديد يستقبل الحياة وكله طُهْر ونقاء. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

كذلك فإن الحج بما فيه من الإخلاص والخشوع والتضرع والتذلل للخالق ﷻ، تتحقق به العبودية الحقة لله، ويملأ العبد جوانبه

---

(١) سبق تخريجه: (ص٦٠٨)، هامش (٣)، القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٢٨٧).

بزاد روحي يُكْسِبُهُ قدرة على القيام بالواجبات وترك المنهيات.

كما إن في الحج مواقف رسالية أجراها الله تبارك وتعالى على لسان الصفوة من أنبيائه ورسله وأصفيائه، مما تجعل من هذه الفريضة عبادة مهمة لبناء الإنسان، فتثير فيه الاهتمام الكبير بمواقف الأنبياء والمرسلين السابقين؛ وما تشحنه هذه المواقف من معنويات شاخصة، خاصة في شخصيتي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومحمد المصطفى ﷺ، وما بذلاه من جهود وتضحيات شاقة لإسقاط الصنمية السائدة في وعي المجتمع الجاهلي، من خلال ترسيخ جذور التوحيد الإلـٰهي الأصيل، التي نادى بها إبراهيم من قبل، وثبتها من بعده سيدنا محمد ﷺ وقاسى من أجلها المحن العظمى. فتكون هذه المُشَخَّصَاتُ: منطلقاً وتمهيداً لثورة روحية على الأوضاع التي جذَّرها أذناب الاستعمار في أذهان المسلمين[1].

ثالثاً: حِكمة نفسية

١ ـ وإن من حِكم الحج الرائعة:

حمل النفس على تذكر الله ﷻ وخنوعها لعظمته وجلاله:

فإن رؤية شعائر الله ﷻ، والتزام الهيئات المشعرة بتعظيمه، والوقوف عند الحدود المفروضة لإجلاله، كل ذلك يُنبِّه النفس تنبيهاً عظيماً، ويحملها على ذكر الله والرهبة من قدرته، والخضوع

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤١٤).

لجلاله وعظمته[١].

والحاج من شأنه أن يذلل نفسه لله ﷻ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رجل إلى النبي ﷺ، فقال: من الحاجُّ يا رسول الله؟ قال: «**الشَّعِثُ التَّفِلُ**»...[٢]، «ففي الحج تقوية للإيمان، وتهذيب للنفس، وتكفير للذنب! لأن المؤمن يتفرغ فيه للعبادة، والتفكر، وذكر الله ﷻ، لا تشغله هموم الحياة، ولا تفتنه بهارجها الزائلة؛ لأنه عندما يُقْبِلُ على الكعبة المشرَّفة، وتلك البقاع الطاهرة وهو متجرد عن زينة الدنيا، حاسر الرأس، بادي القدم، مشتمل الإزار، يهزه جلال الموقف، ويغمر الخشوع قلبه، وتفيض بالدمع عيناه، ويتوجه إلى الله ﷻ داعياً متضرعاً تائباً مستغفراً، وعندما يشاهد الحاج الجموع الحاشدة الضارعة الملبية في عرفات، يذكِّره هذا المشهد بذلك الموقف الرهيب، يوم يُعرض الناس على ربهم لا تخفى منهم خافية»[٣]، فيرق قلبه، وتدمع عينه، وتذل نفسه لله ﷻ فتتخلَّص من نوازع الشر، وتصفو من الرذائل.

---

(١) أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية»: (ص١٤٤).

(٢) الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران: (ح٢٩٩٨). قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه [من حديث ابن عمر] إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخُوزِي المكي. وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه. ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج: (ح٢٨٩٦)، الهيثمي، علي «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، كتاب الحج، باب الطيب عند الإحرام، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك: (٣/ ٢١٨).

(٣) غاوجي، وهبي «أركان الإسلام، فقه العبادات»: (ص٧٨٧).

٢ ـ ومن حِكمته: حرمة الجدال في الحج:

فيُربِّي الإنسان على تجاوز الذات وعدم اندفاعات النفس إلى رغباتها. فيقلل ظلم النفوس ويكبح جماحها، ولهذا خصَّ الله أزمنة الحجِّ وأمكنته بمزيد الاحترام المفضي إلى تضعيف الثواب وتغليظ العقاب، ليكون الامتناع فيها عن الظلم والطغيان، والتمسك بالعدل والإحسان مؤدِّياً إلى تقليل الظلم، وكبح جماح النفوس[١].

٣ ـ وفي الحج كسر لشهوات النفس وتدريب على ضبطها:

فالحج: «أعظم رادع للشهوة الجنسية، حيث لا يجوز الجماع ولا مقدماته إلا بعد التحلل الثاني، ومن جامع قبل التحلل الأول فسد حجه، ويجب عليه الاستمرار فيه حتى يتم، وعليه ذبح بدنة،

---

(١) بل ربما كان ذلك سبباً لمنع كثير ممن وفَّقهم الله ﷻ عن اقتراف الآثام أبداً لسببين:

أولهما: أن تَلَبّس المرء بالأمر في بعض الأحيان قد يصيِّره عادة له، فإن امتنع الإنسان عن الجرائم في بعض الأزمنة أو الأمكنة، فراراً من تغليظ الجزاء، صار ذلك عادة له مألوفة، وسجية ثابتة.

وثانيهما: أن العامل العاقل يتجنب إفساد عمله، ويتمسك ما أمكنه بكل ما يحفظه من تطرق الخلل إليه. ولعلم المؤمن أن المعصية تبطل الطاعة، وأن الله نهى عن ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فإذا عمل في بعض الأزمنة أو الأمكنة طاعة رجاء مضاعفة ثوابها صانها عن الفساد بالمعصية، وتحرَّج من اجتراح السيئات. فكان ذلك داعياً إلى اجتناب المعاصي والبعد عن الآثام. أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية»: (ص١٤٥).

وقضاء الحج في العام القادم، كما لا يجوز للمحرم أن يَنْكِحَ ولا يُنْكَحُ ولا يَخْطُبُ»[١].

٤ ـ وفي الحج بذل الجهد والمال:

وفيه عنوان بارز لعملية الإيثار وكسر الأنانية في النفس، «ونزع مادة الشحِّ عن صدر الشحيح. فإن من شحَّ على نفسه؛ فإذا خرج إلى هذا السفر لا يمكنه أن يبخل على نفسه لخوف التلف؛ فيعتاد الجود على نفسه؛ فيتعدى عادته منه إلى غيره فينال محمدة الأسخياء»[٢].

كذلك فإن فيه بذل الأضحية وما تحويه من إحساس بالمسؤولية، وتمرين النفس على الانضباط الدقيق أمام الحق ورقابته الغيبية، يقول عز جلاله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢][٣].

٥ ـ ومن حكمته: بناء الشخصية القوية، وتعزيز الثقة بالنفس، والاعتماد على الذات في قضاء حوائج النفس:

فالحج وما فيه من توحيد لله، وما يشتمل عليه: من لبس

---

(١) الخطيب، محمد «ذكريات عن الحج والعج والثج»: (ص٣١ ـ ٣٦)، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) وهذا أمر معتاد أن من كان من أبخل الناس متى خرج في هذا السفر: يعتاد الجود. البخاري، محمد «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»: (ص٢٨).

(٣) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤١٤).

الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف، والمبيت، كل ذلك أعمال لا تقبل الإنابة. بل لا بد من قيامه هو بها، وفي هذا ترويض للنفس، وتمرين لها للاعتماد على الذات وجعلها طيِّعة لقبول الأوامر الإلٰهية، والعمل بها على مدى الزمان.

رابعاً: حِكمة اجتماعية

تبدو في عبادة الحج أجلى مظاهر الأخوة الإنسانية، وأبرز دلائل الوحدة البشرية، فالوحدة في شريعة الإسلام ظاهرة أصيلة، حيث ينطلق المسلم في أموره وشؤونه كفرد في هذه الأمة، وتتأصَّل هذه المعاني في صلاة الجماعة، والجمعة، والعيدين، ويترقَّى هذا التَّأصيل في صورة الانفتاح على الله في خلوات الدعاء والمناجاة، حيث يتأكد ذكر المؤمنين في تلك الأدعية والمناجاة[١].

وهو اهتمام رفيع من الشريعة الغرَّاء، يهدف إلى تأكيد أولوية النهوض والسعي لحل مشاكل إخواننا المسلمين، ولذا فإن علماء الاجتماع يؤكِّدون على أهمية الشعائر الدينية في توليد التماسك، والوحدة الاجتماعية[٢].

---

(١) قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

(٢) وقد قاموا ببحوث تبين أهمية الدين في توليد التماسك الاجتماعي، والسيطرة على سلوك الفرد. المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤١٨).

وإن مفهوم الوحدة في الحج ليزداد تعمقاً من خلال التوجه إلى قداسة مركز الاتجاه الحسي والمعنوي، حيث يرتبط توجه العباد إلى معبودهم تبارك وتعالى من خلال قنوات القداسة، فتؤدَّى هذه المناسك المقدسة ضمن فعاليات الأمة الواحدة، ويتحرك الفرد معها، ويقف معها، ويشهد المشاعر الإلٰهية معها، فيدرك المسلم أنه لا هوية له إلا بهوية هذه الأمة المباركة، ولا كيان له إلا بكيانها أيضاً.

كما إن حركة الحجَّاج في إطار هذه المناسك تعبِّر عن مسيرة جماعية، تَوحَّدتْ في مسيرتها نحو هدفها السامي بصورة منسَّقَة منتظمة، فتزول معها الفوارق الطبيعية، والعنصرية، والحواجز الإقليمية، والقومية، والعرقية، تغمرهم مشاعر ركَّزها الشارع في صورتها الحسية والمعنوية.

وفي موسم الحج تُصْقَل الخبرات الاجتماعية عند المسلمين، فيكتسب الحجاج: ثقافة علمية، وتاريخية، وتقويمية، واقتصادية، وسياسية. يساعد على ذلك: هذا التوحُّد المنتظم في المكان والزمان والشروط، فيتعلم المسلمون الوافدون من أنحاء الأرض العادات والتقاليد الاجتماعية؛ التي تؤدِّي حتماً إلى تقارب وجهات النظر الفردية والجماعية. ويَعْقِدُونَ العزم على التواصل والتعاون على البر والتقوى.

ونلاحظ عند استعراض آيات الحج في القرآن الكريم منذ أن رفع الخليل إبراهيم عليه الصلاة والتسليم القواعد من البيت، اهتماماً كبيراً بحضور الناس في هذا البيت وفي هذا الموسم، وأبلغ ما في

ذلك تعبير القرآن الكريم عن بيت الله بأنه بيت الناس: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وفي دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والتسليم نجد أن الخليل عندما أودع أهله وذريته بهذا الوادي القاحل غير ذي زرع، دعا الله أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

يقول صاحب كتاب «فلسفة العبادات»: «وهنا ندرك الجزء الأهم وهو: أن من غير الممكن أن يتجاوز الإنسان الأنا في عزلة من الناس. وهو شرط أساس في الحركة إلى الله ﷻ...».

والإنسان قد يتصور أنه إذا اعتزل الناس، وابتعد عن الحياة الاجتماعية، يتحرر من الهوى والشهوات والرغبات، ولكنه يخطئ كثيراً، فإن نزعات الأنانية تبقى مطوية في خبايا نفسه، من دون أن يشعر بها، فإذا دخل الحياة الاجتماعية واحتك بالناس، برزت هذه النَّزَعَاتِ الكامنة.

وبطبيعة الحال فإن هذه النزعات لا يمكن أن نستأصلها؛ إلا من خلال صراع مرير مع النفس في وسط الحياة الاجتماعية. ثم إن حركة الإنسان إلى الله حركة شاقة عسيرة وصعبة، ولا يستطيع الإنسان أن يطوي هذا الطريق وحده، فإذا انصهر في وسط الأمة

هان عليه السير، واستطاع أن يطوي معهم هذا الطريق بكفاءة[١].

وفي الحج تدريب عملي على التأقلم على ترك العزلة، وعلى مخالطة الناس في القول والعمل.

وهكذا تتجلى حِكمة تشريع الحج الاجتماعية في تقوية الأواصر بين المسلمين. وتتضح أهدافها ومقاصِدها في غرس المبادئ والقيم في مظاهر الحياة الإنسانية: في النفس، والمجتمع، في القول، والعمل، في الخُلُقِ، والسلوك.

خامساً: حِكمة الحج الثقافية والتربوية

يتوافد الحجاج على بيت الله الحرام كل عام، يأتون من أنحاء مختلفة، ومن أماكن متفرقة، كل فئة منهم تحمل عناصر ومقومات مختلفة، مما يهيِّئ الملتقى الخصب لتلاقح الأفكار والثقافات المختلفة.

والحج فرصة ثمينة لتواجد فقهاء ومفكري العالم الإسلامي، الذين يحملون آلام وآمال الأمة الإسلامية، فتعقد المؤتمرات الثقافية بوجه عالمي، وتتلاقح الثقافات التي شتتها الوهم الجغرافي والعِرْقي[٢].

فالحج يتيح للمسلم أن يشهد أعظم مؤتمر سنوي إسلامي،

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤١٧ ـ ٤٢٠)، بتصرف يسير، غاوجي، وهبي «أركان الإسلام، فقه العبادات»: (ص٧٨٨، ٧٨٩).

(٢) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٣٣)، بتصرف يسير.

تظهر فيه الوحدة الكبرى للمسلمين[١]. ويتجه إليه رجال العلم والرأي، ورجال التربية والثقافة، ورجال النظام والإدارة، ورجال المال والاقتصاد، ورجال الشرع والدين، ورجال السياسة والحكم، «فما أجدرهم وقد التقوا على هدف واحد ـ أن يتعارفوا ويتفاهموا ويتعاونوا على تدبير أفضل الخطط، وأحسن الوسائل، ليبلغوا الأهداف ويحقِّقوا الآمال.

ولقد عرف علماء الإسلام قيمة هذا المؤتمر الثقافية، والتربوية، فاتخذوا منه فرصة لتبادل الآراء، وتعارف الأفكار، ورواية الأحاديث والأخبار.

كما عرف الخلفاء قيمة هذا الموسم العالمي، فجعلوا منه ساحة لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كل فج عميق، وبينهم وبين ولاتهم في الأقاليم»[٢].

---

(١) ولا شك أن أهمية أي مؤتمر تؤخذ من أهمية موضوعه، وعدد حضوره، والمحافظة على تاريخ انعقاده وعصمته من الإلغاء أو التأخير، والحج مؤتمر دعوي لا يدانيه أي مؤتمر آخر، أما موضوعه: فالتوحيد والعبادة، وأما حضوره: فالملايين من المسلمين، فيهم الملك والأمير والوزير ورئيس القبيلة وشيخ العشيرة وغيرهم من عِلية القوم، وفيهم من هم دون ذلك، وأما وقته: فلا يجوز إلغاؤه أو تأخيره عن زمنه المحدد لأي سبب كان، ولا يملك بشر ـ أياً كان ـ القدرة على إلغائه أو تأخيره. السماوي، إبراهيم «الفوائد التربوية في الحج»: (ص٢٥)، نقلاً عن: الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٣٩، ٣٤٠).

(٢) القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٤٣٣)، بتصرف يسير.

كذلك فإن الحج ميدان خصب للدعاة الذين يغتنمون فرصة لقائهم بوفود الحجيج لنشر التعاليم الشرعية، والتوجيهات النبوية، والثقافة الإسلامية، وكشف الشبهات التي يثيرها أصحاب الأفكار المسمومة، والأقلام المأجورة، وفي هذا توسيع لأفق المسلم الثقافي، والمعرفي، والديني، ويؤكد أهمية موسم الحج في تنمية مسيرة الحركة العلمية، وفي كونه ملتقًى فكرياً، ورافداً ثقافياً، وبهذا تتضح حِكمة تشريع الحج الثقافية، والتربوية.

سادساً: حِكمة الحج الاقتصادية

جاء فيما سبق أن المسلمين يجتمعون في زمن الحج في صعيد واحد، على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ولغاتهم وبُعد بلادهم وأقطارهم الشاسعة، ولا شك أن هذا التجمع فرصة لتبادل التجارب والخبرات في المجال الاقتصادي، وتنويع المنتوجات حسب العرض والطلب في السوق المالية في ديار الإسلام، ولا شك أن هذا التجمع الكبير فرصة لبحث أوجه النقص لدى بعض البلاد الإسلامية، ليتم التكامل مع بعض البلاد الأخرى، وهذا من المنافع التي أمرنا الله أن نشهدها في الحج[1]. كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن

(١) الطيار، عبد الله «الحج وصف لرحلة الحج من البداية إلى النهاية»: (ص٢٤ ـ ٢٧)، نقلاً عن: «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٣٨).

﴿رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]؛ أي: لا حرج عليكم في الشراء والبيع، قبل الإحرام وبعده[١].

فالحج موسم جليل يجتمع فيه الحجيج من كل بلاد المعمورة، وكل بلد تعرض نموذج تجارتها وصناعتها بين أهل البلدان الأخرى؛ التي لا يمكن التوصل إليها إما بسبب البعد، أو لأمر سياسي آخر. فيكون الحج كالمَعْرِضِ العام لمنتوجاتهم وجَلُوْبَاتِهم ممَّا يُحَصِّلُ انتفاع بعضهم بما ينتجه البعض الآخر؛ من مصنوع أو مزروع، وإنعاش بعضهم البعض وتشجيع بعضهم البعض. ولذا نرى الأمم المتحضرة اليوم تُقيم المعارض على اختلاف أنواعها في بلدها كل عام، وتدعو لها الأمم الأخرى. وما ذاك إلا لأجل بث الدعوة في نشر سوق التجارة، والصناعة، والزراعة؛ بين الوافدين إلى هذه المعارض. ولا يبلغ مقدار المشاهدين عُشْرَ حجَّاجِ بيت الله الحرام[٢].

وبهذا نتبين أن الحج لا يقتصر على منافعه المعنوية فقط، بل يحتوي على منافع مادية يعود نفعها على المسلمين، كوضع أسس سوق مشتركة إسلامية خلال اجتماع الحج الكبير، على غرار السوق الأوروبية المشتركة، ليوسِّع المسلمون مجال التبادل التجاري فيما بينهم لتحرير اقتصادهم من التبعية للأجنبي.

---

(١) الطبري، محمد «جامع البيان» (٢/ ٢٨٢).

(٢) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٣٨)، الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٦٤، ١٦٥).

كما أن إقامة هذه المبادلات التجارية في موسم الحج؛ ليحس المسلم أنه منضوٍ تحت أبعادٍ عبادية وأخلاقية لا يمكنه أن يتغافل عنها، بل تعوِّده على كسب الحصانة لمراقبة نفسه في معاملاته، إذ المحور الظاهر للدين هو المعاملة[1].

ونحن نلاحظ هنا أن إباحة التجارة، وتبادل المنافع في الحج أمر ينسجم مع فطرة الإنسان التي تميل إلى التملك والتمليك، وجمع المال. فليس في تعاليم الإسلام ما يضاد الفطرة، أو يعترض طريق سعادة الإنسان.

كما نلاحظ أسبقية الشريعة الغراء كل النظم الوضعية الاقتصادية التي تقيم المعارض لمنتوجاتها، والأسواق المشتركة لترويجها. فالإسلام نبه على هذا بل حث عليه قبل قرون عديدة؛ من خلال إباحة التجارة في الحج.

وبهذا تتجلى حِكمة تشريع الحج الاقتصادية، فالحج كما هو موسم ديني فكذلك هو موسم اقتصادي، وتجاري، من أعظم مواسم الدنيا.

سابعاً: حِكمة الحج الصحية

الحج وإن كان جوهره العبادة التي توصل ـ إن شاء الله ـ إلى النعيم في الآخرة، والفوز بالجنة، حيث لا عين رأت ولا أذن

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٤٣).

سمعت. فهو كذلك وسيلة للتمتع بحالة صحية جيدة، وحالة نفسية وجسدية راقية في الحياة الدنيا. وهذا ربما يغيب عن بال الكثير ممن يقومون بأداء هذه العبادة الربانية. فقد أكدت الدراسات العلمية، والاكتشافات الطبية، المبنية على الحقائق والبراهين العلمية، أن للحج فوائد طبية جمَّة، ومكتسبات صحية عظيمة نفصلها حسب الآتي:

١ ـ الحج ارتقاء باللياقة الصحية والجسدية:

إن الاستعداد لتأدية مناسك الحج يرفع مستوى اللياقة الصحية. يقول ابن القيم: «... وكذلك الحج، وفعل المناسك... وهذا أقل ما فيه الرياضة المعينة على حفظ الصحة، ودفع الفضلات»[١]. فأداء الفريضة تدريب للنفس والجسد على المشقَّات، والتضحية بالراحة والدَّعة، وذلك تدريب للمسلم على أن يكون في وضع استعداد لمواجهة الشدائد، والصبر على المكاره، ومواجهة الحياة كما فطرها الله بأزهارها وأشواكها، وبشهدها ومرِّها.

ويلتقي أداء فريضة الحج مع بقية العبادات في تربية المسلم: صحياً، وجسدياً، ونفسياً، لإعداده للجهاد الأصغر والأكبر، وبذلك يقوى على مقاومة رغبات النفس في التطلع لحياة الدعة والرفاهية والخمول؛ الذي ينتج عنه الإصابة بما يعرف بأمراض العصر؛ التي ترهق الجسد وتحبط النفس وتعطل الصحة.

---

(١) ابن القيم، محمد «الطب النبوي»: (ص١٩٨).

٢ ـ الحج وقاية من أمراض العصر:

طبيعة حياة العصر الذي نعيشه تُلحِقُ بالإنسان أمراضاً كثيرة أشهرها: التهاب المفاصل أو ما يعرف بخشونة المفاصل التي تصيب مفاصل الركبتين، ومفاصل الظهر والعنق.

وتصاب العضلات والأربطة حول هذه المفاصل بالتَّيَبُّسِ نتيجة قلة الحركة؛ لأن المشي لم يعد وسيلة الإنسان في الانتقال حيث حلَّت السيارة محل المشي في الانتقال، وأصبحت المصاعد الكهربائية وسيلة للصعود[١]. وحياة الدعة والرفاهية والخمول هذه؛ نشأ عنها ارتفاع الدهون الثلاثية في الدم (TG)، وارتفاع السكر في الدم، وزيادة الوزن الذي يؤدي إلى الإصابة بمقاومة الأنسولين، الذي هو سبب رئيسي في الإصابة بالنوع الثاني لمرض السكري.

كل هذه العوامل تؤدي إلى الإصابة: بتصلُّب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم، وزيادة نسبة الكوليسترول، وكلها تمثل عوامل الخطورة في الإصابة بأمراض القلب والشرايين؛ من ذبحة صدرية، وأزمات قلبية، وكذلك الإصابة بالسكتة الدماغية. ومن أمراض العصر ما يعرف بالأمراض النفسجسمانية (سيكوسوماتيك)؛ أي: الأمراض العضوية ذات المنشأ النفسي، وهي كثيرة فعلى سبيل المثال: قرحة المعدة، والإثني عشر، والقولون العصبي، والربو

---

(١) http://forum.stop55.com/278006.html. فضلاً عن مكيفات الهواء الباردة التي أصابت المفاصل بالخشونة.

الشعبي، وكثير من الأمراض الجلدية، تزداد حدة بسوء الحالة النفسية[١].

٣ ـ الحج وقاية وعلاج للأمراض النفسية:

وفي الحج اعتماد كبير على النفس من تجهيز حاجيات الإنسان. ولباس الإحرام فيه راحة للجسد، ويشعره بالمساواة بين البشر، وأنهم متساوون أمام رب العالمين، ولا ينفع الإنسان إلا عمله الصالح. ولبس الإحرام يذكِّر الإنسان بالكفن الذي يرسِّخ في وجدانه أنه لن ينفع الإنسان سلطانه، وثروته، وجاهه، وأولاده. إلا من أتى الله بقلب سليم. وهذا الشعور يخفف عن الإنسان إحساسه بالإخفاق والفشل في تحقيق مآربه الدنيوية، والذي يولِّد الحقد والضغينة. وهما أم الأمراض النفسية.

وفي الالتزام بالإحرام تدريب للنفس على الطاعة والإلتزام، وتقوية الإرادة وتنميتها، وبذلك تكون في مأمن من الإصابة بالأمراض النفسية؛ لأن النفس التي تملك الإرادة القوية؛ لا تصاب بالأمراض النفسية. ولبيك اللَّهُمَّ لبيك فيها راحة للنفس القلقة، وتهدئة للأعصاب المتوتِّرة، ومناجاة الله ﷻ تشفي النفوس المُتَأَزِّمَة، وتُفَرِّجُ كروب الصدور. وشعور الحاج بأنه بين يدي الله يغفر ذنوبه

---

(١) وعند القيام بأداء المناسك من: رَمَلٍ أثناء الطواف، وهرولة في السعي، يكتشف الإنسان مدى ما لحق بصحته من تدهورٍ وتدنٍ في مستوى لياقته البدنية، ويكتشف أنه في احتياج كبير عند عودته من أداء فريضة الحج إلى عمل برنامج تأهيلي، لاستعادة لياقته وصحته وعافيته.

التي أثقلت نفسه بالمعاناة، والندم على ارتكاب المعاصي والذنوب، فينشرح صدر المسلم بالغفران، فتحل الطمأنينة والسعادة محل القلق والخوف والندم والحزن. وبذلك يعود المسلم بعد تأدية المناسك بنفس مطمئنة، ليكتسب مناعة ضد الأمراض العصبية والنفسية[١].

٤ ـ الاستشفاء بماء زمزم:

وفي الحج يعتمد الحجاج على ماء زمزم في ريِّ عطشهم، ولهذا الماء فوائد عديدة[٢]، ومنافع كثيرة تعود عليهم بالصحة والعافية، حيث تؤكد الدراسيات الطبية الحديثة: أن ماء زمزم لا يُعْرَفُ في الدنيا ماء له هذه الخواص، فهو ماء غازي متميز في صفاته الطبيعية والكيميائية، غني بالعناصر والمركَّبات الكيميائية النافعة، التي تقدر بحوالي ٢٠٠٠ ملليجرام بكل لتر، ويكثر فيه ملح الصوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والكلور، وحامض

---

(١) يقول عالم الطب النفسي: «النفس المطمئنة تملك الوقاية من الأمراض العصبية والنفسية، كذلك تعود كل هذه المكتسبات النفسية بالصحة على الجسد، وتقيها من أمراض العصر، والأمراض النفسجسمانية».

- http://www.Kl28.com/forums/t6512.html.

(٢) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ، فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذاً عَاذَكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ**». قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا شَرِبَ مَاءَ زَمْزَمَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً وَاسِعاً، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ. الحاكم، محمد «المستدرك»، كتاب الحج، باب أول كتاب المناسك: (١/٦٤٦)، (ح١٧٣٩). وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْجَارُودِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

الكبريتيك، وحامض الأزوتيك[١]. وكل مركب من هذه المركبات الكيميائية له دوره المهم في النشاط الحيوي لخلايا جسم الإنسان، وفي تعويض الناقص منها في داخل تلك الخلايا، ومن الثابت أن هناك علاقة وطيدة بين اختلال التركيب الكيميائي لجسم الإنسان والعديد من الأمراض.

وأوضحت الدراسات الطبية الحديثة: أن هذه النِّسب من الأملاح الحيوية الموجودة في ماء زمزم، هي بالضبط نفس النسب الموجودة في المحاليل الطبية، التي تستخدم في معالجة هبوط الدورة الدموية، بسبب الإنهاك الحراري، نتيجة ارتفاع درجة حرارة الطقس، والرطوبة العالية، الذي يسبب فقدان السوائل والأملاح الحيوية من الجسم. وكذلك تستخدم هذه المحاليل الطبية في معالجة الجفاف، الناتج عن الإسهال الشديد، والقيء المستمر، فتعيد للإنسان حيويته وتعوّضه عما فقده الجسم[٢].

وقد ثبت بالتحاليل العديدة أن كلاً من ماء زمزم، والصخور والتربة المحيطة بها، خالية تماماً من أية ميكروبات حتى من تلك

---

(١) أما المقادير فهي كما جاءت بالتحاليل الطبية الكيميائية الحيوية بالملليغرامات في اللتر كما يلي:
قلويات: ٢٦٣، كلوريدات: ٧٨٦، ماغنسيوم: ١٢٠,٧، صوديوم: ٥٠١,٦، بوتاسيوم: ٣١، نشادر: ١٠، نشادر عضوي: ٠,٦٦، حديد: ٠,١٥، كربونات: ٣٦٥، كبريتات: ١٩٠، كمية الأملاح الذائبة: ١٦٢٠، ألومنيوم: لا يوجد، رصاص: لا يوجد.

(٢) www.forum.stop55.com/278006.html.

التي توجد عادة في كل تربة[١].

وكأن الله ﷻ خلق هذه المياه المباركة، لتكون وقاية للحجاج من الإصابة بالجفاف، وهبوط الدورة الدموية، والإنهاك الحراري، والإسهال، والقيء. لقد أراد المولى ﷻ أن يكون ماء زمزم علاجاً ربانياً مجانياً، وخالياً من الجراثيم والسموم والكيماويات الضارة.

ثامناً: حِكمة الحج في تحقيق مكارم الأخلاق

إن الحج ميدان فسيح لمن أراد تحقيق مكارم الأخلاق، فالحاج يتدرب عملياً على الحِلْمِ، والصبر، والمداراة، وكظم الغيظ؛ من جراء ما يلقى من الزحام، والتعب، والنَّصَبِ، سواء في الطريق إلى الحج، أو في الطواف، أو في السعي أو في رمي الجمار، أو في غيرها من المناسك، فيحتمل الحاج ما يلقاه من ذلك، لعلمه بأن الحج أيام معدودة، ولخوفه من فساد حجه إذا هو أطلق لنفسه نوازع الشر، ولإدراكه بأن الحجاج ضيوف الرحمٰن، فإكرامهم والصبر على ما يصدر من بعضهم، دليل على إجلال الله ﷻ ثم إن الحاج يتعلَّم الكرم، والبذل، والإيثار، والبر، والرحمة، وذلك من خلال ما يراه من المواقف النبيلة الرائعة التي تجسِّد هذه المعاني، فهذا سخي يجود بالإنفاق على المساكين ويتلطَّف بهم، وذاك حليم يصبر على ما يلقاه من أذى، وذاك بَرٌّ بوالده يحمله على عاتقه، وذاك يحوط أُمَّهُ العجوز بلطفه ورعايته، بل ويكتسب

(١) عبد الحكيم، منصور «التداوي والشفاء بماء زمزم»: (ص٧١ ـ ٧٣).

الأخلاق الجميلة إذا رأى من لا يدركون معنى الحج، ممن يغضبون لأدنى الأسباب، وتطيش أحلامهم عند أتفه الأمور، فإذا رأى العاقل البصير سوء فعال هؤلاء انبعث إلى ترك الغضب، وتجافى عن مرذول الأخلاق[١].

تاسعاً: حِكمة الحج في تهذيب الأخلاق

والحج أكبر مهذِّب للأخلاق الإنسانية، وإذا كانت تربية الوالدين للأولاد في بيوتهم، والمعلمين في معاهدهم ومدارسهم تفيد البنين، فهي أقل فائدة بكثير من الدرس الذي يأخذه الحاج في زمن الحج.

فمن يقصد الحج نراه قد انتقل من حالة إلى حالة، وصار من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأخلاق الفاضلة، الطاهرة الخالصة من كل الشوائب والرِّيب.

فالحج يصقل النفوس، ويهذِّب الأخلاق، ويلِّين القلوب، فإذا عزم الحاج على السفر لبيت الله الحرام نراه قبل خروجه من بلده يتوب إلى الله ﷻ وينوب، وينوي أن لا يعود إلى ارتكاب الذنوب وجريمة الفسوق.

كما أنه يذهب إلى جيرانه وأقاربه يستسمحهم ويعتذر إليهم، ويصل أرحامه، وَيَرُدُّ الحقوق، ويكتب الوصية، ثم ينطلق راشداً.

---

(١) الحمد، محمد «الحج آداب وأسرار ودروس»: (ص٢٢ ـ ٣٢)، نقلاً عن: «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٤١).

فلا يؤدي المناسك في الحج إلا وهو على اعتقاد جازم بأن الله ﷻ يغفر له ذنوبه، ويمحوها من صحيفة أعماله. وإذا سوَّلت له نفسه بارتكاب ذنب يوماً ما، جرَّد من نفسه وازعاً يردع هذه النفس الأمارة بالسوء ويكبح جماحها. وفي هذا أكبر دَالَّةٍ على فائدة الحج في تهذيب الأخلاق، فلا يوجد مهذِّب حقيقي أكثر فائدة للإنسان مثل الدرس الذي يأخذه في زمن الحج. على أنه لو سوَّلت نفس الحاج له ارتكاب ذنب أو وقوعاً في جريمة، لا يعدم من الناس الذين حوله من يقوم بتأديبه وتأنيبه، وتقبيح هذا الذنب له في عينه. يقول صاحب كتاب حِكمة التشريع وفلسفته: «وحسبك هذا وحده فضيلة من فضائل الحج، وهي لا تماثلها فضيلة»[1].

عاشراً: حِكمة الحج في تحقيق القوة الرحيمة

الحج فريضة لا يفي بأداء مشاعرها إلا القوي الأمين، ولا يزاول مناسكها في تمامها إلا من آتاه الله بسطة في العلم والجسم، ولا يستشعر آفاقها العليا إلا من كمل إيمانه وقوي بدنه، وكان ذا قلب كبير ونفس مطمئنة. إن الحج سفر، وفي هذا السفر تدريب على ركوب المشقَّات، فالسفر قطعة من العذاب، يترك الحاج فيها وطنه، ويفارق أهله، ويهجر أولاده، ويبذل أمواله، يضحِّي بالراحة والدَّعة في الحياة الرتيبة بين الآل والصحاب، وذلك يحتاج إلى يقين صادق بالله ﷻ، وتَحَمُّلٍ نفسي كبير، وتَجَلُّدٍ شديد،

(١) الجرجاوي، علي، «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٦٥).

فالمال شقيق الروح، والولد مجبنة، وحب الأوطان في سويداء القلوب.

وليس من اليسير أداء المناسك مع الضعف والخور، وقلة البأس وهزال البدن، فالطواف حول الكعبة سبعاً، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً وسط الزحام واختلاط الناس، يحتاج إلى قوة رحيمة تتكافأ مع هذه المشقة، وتترفَّق بالناس في طوافهم وسعيهم، حتى لا يقع شخص أو ينكفئ إنسان، أو يزاحم امرأة، أو يقسو على صغير.

«وحياة الحاج أشبه بحياة الكشَّاف في بساطتها وخشونتها، حياة تنقُّلٍ وارتحالٍ، واعتمادٍ على النفس، وبُعدٍ عن الترف والتكلُّف والتعقيد، الذي يناسب حياة الخيام في منى وعرفات»[1]، فالإقامة في عرفات الله وفي أرض منى مع اختلاف ظروف الحياة في طقسها ومناخها، وفي مأكلها ومشربها، وفي نومها ويقظتها... كل ذلك يتطلب جسداً سليماً، يضم روحاً طاهرة، ليكون الإنسان قوياً جلداً، رحيماً بالضعفاء، حانياً على البائسين، شفوقاً بذوي الحاجات.

وقد كان رسول الله ﷺ في حجة الوداع يمسك بزمام ناقته ويشدها بقوة حتى لا تسرع في زحام الناس، وينادي ويشير بيده اليمنى الشريفة: «**أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ**»[2].

---

(١) القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٢٨٨).

(٢) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: (ح٢٩٥٠).

ومن هنا تتأكد أهمية الحج في تربية المسلم تربية تقوم على القوة الرحيمة، التي تعني: التواضع، وكظم الغيظ، والحلم، والأناة، والرفق، والتواضع، وحسن الخلق.

قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]. فهذه الصفات وإن كانت شعار المسلمين في كل وقت ومكان، إلا أنها في الحج آكد وألزم. إن القوة الرحيمة، أو قوة الرحماء، هي أسمى ما يتخلق به المرء، وأعلى ما يهدف إليه المصلحون، وأعظم ما يفكر فيه العقلاء، وأبهى ما تراه العيون.

إن الإسلام يدعو إلى القوة بجميع ألوانها، قوة العقل والفكر، قوة البدن والجسم، قوة النفس والقلب، قوة العدة والعتاد، لكنها قوة الرحماء التي تحمي الدين وتصون الحق، وتذود عن الحرمات، وتدافع عن المقدسات، وتنتصر للمظلومين، وتحقق الأمن والأمان للناس أجمعين[1]. والحج تدريب عملي للمسلم على اكتساب هذه الصفات، وتحقيق هذه الأهداف. ولذا شاءت حِكمة الله أن يكون الحج بواد غير ذي زرع، لا يصلح مصطافاً ولا متربَّعاً، وذلك تربية للمسلم على احتمال الشدائد، والصبر على المكاره، ومواجهة الحياة كما فطرها الله بحلوها ومرِّها، وبحرِّها وقرِّها.

ومن حِكمة الله أن جعل الحج دائراً مع السنة القمرية، فأشهر

---

(١) المسير، محمد «العبادات في الإسلام»: (ص٢٥٧، ٢٥٨).

الحج المعلومات تبدأ بشهر شوال، وتنتهي بذي الحجة، وهي أشهر تأتي أحياناً في وَقْدَةِ الصيف، وأحياناً في زمهرير الشتاء ليكون المسلم على استعداد لتحمل كل الأجواء. والاصطبار على كل ألوان الصعوبات[١]. فتقوى عزيمته ويشتد عوده.

حادي عشر: حِكمة الحج في تحقيق النظام والدقة والعناية بالوقت

التعود على النظام والدقة والمحافظة على الوقت ومعرفة قيمة الزمن، كل هذه الأمور يتعلمها الحاج. فلا بد من ترتيب أعمال الحج، ولا يصح القيام بها بفوضوية وارتجال، «فلا يسعى مثلاً، قبل الطواف، ولا يرمي قبل الوقوف بعرفة...، وكذلك الزَّمَنُ له أهميته فلا يجوز الانصراف من عرفة قبل غروب الشمس، ولا حتى بخمس دقائق، وكذلك لا يرمي الجمرات قبل الزوال، إلى غير ذلك مما يُبَيِّنُ أهمية الوقت وقيمة الزمن، وإقامة الحياة على النظام»[٢].

ثاني عشر: حِكمة الحج في تحقيق المساواة

والحج تدريب عملي للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التي جاء بها الإسلام، فقد أراد الإسلام ألا تكون مبادئه وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعباداته وشعائره

---

(١) القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٢٨٨).
(٢) الزهراني، ناصر «إبهاج الحاج»، ط٣، بدون اسم: (ص٧٥).

ربطاً وثيقاً، حتى تَخُطَّ مجراها في عقل المسلم وقلبه فهماً وشعوراً، ثم تَخُطَّ مجراها في حياته سلوكاً وتطبيقاً. يقول الحق تبارك وتعالى مؤكداً هذا المنهج السامي في الإسلام: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد سبق في الفصول السابقة أن بيَّنّا حرص الإسلام على تنمية معاني الأخوة، والمساواة، والحرية، من خلال تشريعه الصلاة، والصيام، والزكاة، وهنا في مشاعر الحج تتجلى المساواة بأسمى صورها الواقعية في الحج وأتمها.

فالجميع قد اطرحوا الملابس والأزياء المزخرفة التي تختلف باختلاف الأقطار، واختلاف الطبقات، واختلاف القدرات، واختلاف الأذواق، ولبسوا جميعاً ذلك اللباس البسيط ـ الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى ـ يلبسه الملك والأمير، كما يلبسه المسكين والفقير، وإنهم ليطوفون بالبيت جميعاً، فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه، ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ...﴾ [الحج: ٢٥]، ويقفون في عرفات ألوفاً ألوفاً، فلا تحس بفقر فقير، ولا غنى غني، ولا تحس حين تراهم في ثيابهم البيض، وفي موقفهم المزدحم العظيم، إلا أنهم أشبه بالناس في ساحة العرض الأكبر[1].

وبهذا تظهر حِكمة تشريع الحج في تحقيق المساواة بين المسلمين، وتقوية الروابط والصلات بينهم.

---

(١) القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٢٨٩، ٢٩٠).

ثالث عشر: حِكمة الحج في تحقيق الوحدة الإسلامية وتوحيد كلمة المسلمين

وفي الحج تتحقق الوحدة الإسلامية ويظهر «معناها في الحج واضحاً جلياً كالشمس، وحدة في المشاعر، وحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، وحدة في العمل، وحدة في القول، لا إقليمية ولا عنصرية، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة، إنها مرفوضة في الإسلام»[١]. وقد جمعتهم عدة أمور: «فالقبلة واحدة، والرب واحد، والمشاعر واحدة، واللباس واحد، والمناسك واحدة، والزمان واحد، فكل هذه الأمور تجتمع في الحج، وهي مدعاة للإحساس بوحدة الشعور، وموجبة للتآخي، والتعارف، والتعاون على مصالح الدين والدنيا»[٢].

كذلك تتجلى في الحج صورة التوحيد لدى المسلمين، فهم أولاء يتوافدون على الديار المقدسة، ويجتمعون في أماكن محددة، ويناجون رباً واحداً، ملبين النداء، مذعنين للأمر، منضوين تحت اللواء، يرفعون كلمة التوحيد، ويعتصمون بالحبل المتين، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

---

(١) القرضاوي، يوسف «العبادة في الإسلام»: (ص٢٩٠)، الزهراني، ناصر «إبهاج الحاج»: (ص٧١).

(٢) الحمد، محمد «الحج آداب وأسرار ودروس»: (ص٢٢ ـ ٣٢)، نقلاً عن: الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٤٠، ٣٤١).

ومن آثار الحج في حياة أمة الإسلام: توحيد كلمة المسلمين، وجمع شملهم تحت راية التوحيد، شعارهم المعلن هو التلبية ـ لبيك اللَّهُمَّ لبيك ـ، وما ذاقت الأمة ما ذاقت من ويلات وحروب واستعمار وتخلف، إلا بسبب تفرُّقها وتمزُّقها، والحج فرصة لتحقيق الوحدة الإسلامية، وتوحيد كلمة المسلمين ولمِّ الشمل وتوحيد الصف والوقوف بوجه العدو، تحقيقاً لأمر الله ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران، الآية ١٠٣][(١)].

رابع عشر: حِكمة الحج في ربط حاضر الأمة بماضيها

ومن حِكمة تشريع الحج ربط حاضر الأمة بماضيها، فإن من آثار الحج الظاهرة أنه يصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها، ويربط الجيل الحاضر بالجيل الأول، وتاريخ البيت العتيق ضارب في أعماق الزمن منذ أن دعا أبونا إبراهيم عليه السلام، وأرسل نداءه الخالد على مر الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧][(٢)].

---

(١) الطيار، عبد الله «الحج وصف لرحلة الحج من البداية إلى النهاية»: (ص٢٤ ـ ٢٧)، نقلاً عن: الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٤٦).

(٢) الطيار، عبد الله، م ـ ن: (ص٢٤)، الزهراني، ناصر «إبهاج الحاج»: (ص٦٩، ٧٠).

وهذا البيت العتيق بما له من ذكريات، وهذا البلد الأمين بما فيه من إيحاءات يجعل المؤمن يتذكر تاريخه الطويل، ويتذكر أسلافه الذين ساروا على هذا الطريق، يتذكر مسيرة الدعوة الخالدة، ويتذكر أولئك الرجال الذين رعوا راية التوحيد قبله. ابتداء من نوح عليه السلام وانتهاء بمحمد ﷺ، ثم الدعاة الصادقين بعده، الذين حملوا هذه الراية، فيرتبط هذا الموحد بذلك الموكب الإيماني الطويل الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، فرحلة التوحيد والدعوة إليه قديمة قدم البشرية فكأن الإنسان بمجيئه هذا يؤكد تلك المسيرة الطويلة، العميقة، العريقة، الوثيقة، المباركة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

خامس عشر: حِكمة الحج في تحقيق القدوة

ومن أهداف الحج ومقاصده تحقيق القدوة بأنبياء الله ورسله، فقد أمر الله أبانا إبراهيم عليه السلام أن يؤذِّن في الناس بالحج، وكتب الله لمن شاء من عباده أن يلبوا هذا النداء رجالاً وركباناً. ففي الحج اقتداء بالصالحين وتأسٍّ بمن أمرنا الله أن نتأسى بهم ونجعلهم قدوة حسنة لنا، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الممتحنة: ٤ ـ ٦][1].

سادس عشر: حِكمة الحج في تنمية الوعي

من الركائز المهمة لبقاء الأمة واستمرار مسيرة الحياة الفضلى: يقظة الوعي بالمقدَّسات والقيم، وتنمية الذاكرة بأصول الدين وأخلاقه، وإحياء القلب والعقل بأيام الله المجيدة.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

فالتذكير بأيام الله هو التذكير بنعمه وآلائه، وفي قمَّةِ النِّعمِ: الدين، والشرع، والقيم.

والحج فريضة إلٰهية تحيي ذاكرة الأمة، وتجدد آمال الشعوب الإسلامية، وتشحذ همم المسلمين، وتتعالى بنفس المؤمن وعقله إلى آفاق السمو الروحي والملأ الأعلى.

إن زيارة المسلم لبيت الله الحرام في مكة المكرمة، ولمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، ولمنازل الوحي وأماكن البطولات الإسلامية؛ تمد المسلم بطاقة روحية عظيمة، وتجعلها دائماً في بؤرة

---

(١) الطيار، عبد الله «الحج وصف لرحلة الحج من البداية إلى النهاية»: (ص٢٤ ـ ٢٧)، نقلاً عن: الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٤٥).

الشعور الإسلامي. فالحج يغرس الوعي ويحيي الذاكرة، ويربِّي المسلم نفساً وبدناً، ويمنحه سلوكاً اجتماعياً رفيعاً.

كما يجدد الحج في المسلم الولاء لله ولرسوله، والوفاء بعهد الله، فيقف الحاج طويلاً أمام آيات القرآن الكريم، يستشعر معناها ويتلمَّس أماكن نزولها، ويتذكر أحداث تاريخها، ويعيد تأملاته في مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. وهذا ما يجعله دائم الذكريات، يتطلع نحو المستقبل بهمة عالية، وعزيمة صادقة، وأمل متجدد. وهنا ندرك أهمية تشريع الحج في تنمية الوعي، وتنشيط الذاكرة[١].

سابع عشر: حِكمة الحج في التذكير باليوم الآخر

الحج هو الرحلة الأولى في هذه الحياة قبل الرحيل إلى الدار الآخرة، «فالإنسان منذ أن يخلع ملابسه ويلبس ملابس الإحرام البيضاء، فإن ذلك يذكِّره باليوم الذي يُجَرَّدُ فيه من ملابسه بعد موته، ويُكَفَّنُ في قطعة من القماش الأبيض، وقبل ذلك سفره عن الأوطان، ووداعه لأهله وأبنائه وأقاربه، راحلاً إلى الحج، ينبغي أن يذكره بسفره الأخير إلى الدار الآخرة، وعلى المسلم أن يتذكر

(١) المسير، محمد «العبادات في الإسلام»: (ص٢٥٥ ـ ٢٥٧)، بتصرف.

بزحمة الطواف والسعي والرمي ذلك الزحام الرَّهيب، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، وأن يتذكر بحرارة الشمس في مكة يوم تدنو الشمس فيه من العباد على قدر ميل، وأن يتذكر بالتعب والضنك والعرق المتصبب من جسده وأجساد الناس من حوله ذلك اليوم الرَّهيب والموقف المهول، يوم يبلغ الناس في العرق مبلغاً عظيماً، فمنهم من يصل إلى حقويه، ومنهم من يُلْجِمُهُ العرق إلجاماً»[1].

ويتذكر الحاج بوقوفه يوم عرفة وقوفه بين يدي ربه ﷻ؛ حيث يجتمع في عرفات عشرات الألوف ومئاتها، في تلك العَرْصَةِ الكبيرة من الأرض الشبيهة بأرض المحشر، في منطقة من الأرض لا حياة بها ـ إلا ما يحوَّل إليها من ماء ـ، لا شجر ولا نبات ـ إلا ما يكاد يذكر ـ والثياب على أخفها وأيسرها وأرقها، لا تكاد تدفع برداً أو تقي حراً.

فيتذكر المسلمون الحجاج يوم القيامة، يوم يحشر الله ﷻ

---

(١) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الجنة، باب في صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهواله: (ح٧٢٠٦)، عن سليم بن عامر حدثني المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله يقول: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين؟ ـ قال: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ من يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ من يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ من يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً**»، قال: وأشار رسول الله بيده إلى فيه.

جميع خلقه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩][(١)]. لو قطع عنهم جلب الماء فلا ماء، أو حيل بينهم وبين استقدام الطعام فلا طعام. ما ثَمَّةَ مظهر يظهر للقلب والحس، كما يظهر هناك من الذلة والمسكنة والفقر والحاجة إلى الله. فالأبصار خاشعة، والأعين دامعة، والقلوب واجفة، والأجسام ضاوية، والاستغاثات والنداءات والدعوات إلى الله ﷻ مرتفعة.

ما أشبه الوقوف بعرفات بموقف الحشر بعد الممات[(٢)]!

ثامن عشر: حِكمة الحج السياسية

تعتبر مناسك الحج هي مناسك الحياة، حيث ينظِّمُ الحجُّ ويشكِّل الحياة التوحيدية، ومرآة يقاس فيها نسبة الاستعدادات والقابليات المادية، والمعنوية للمسلمين بين بعضهم البعض.

فالحج عبادته الحقيقية في كونه: مؤتمراً سياسياً عالمياً، وملتقًى اجتماعياً عاماً، يوفر للمسلمين القادمين من شتى أنحاء العالم فرصة التعارف والتآلف واللقاء، والانتفاع بعضهم ببعض، ومداولة أمورهم، وحلِّ مشاكلهم في جوٍّ من الأمن والصفاء والمحبة، وذلك للوصول إلى مستوى رفيع بين الشعوب وأمم الأرض.

يقول فيليب حِتِّي: «ولا يزال الحج على كر العصور نظاماً

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨).
(٢) غاوجي، وهبي «أركان الإسلام، فقه العبادات»: (ص٧٩٠).

لا يبارى في تشديد عرى التفاهم الإسلامي، والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر وغيرهم؛ أغنياء كانوا أم فقراء، عظماء أم صعاليك، أن يتآلفوا لغة وإيماناً وعقيدة، وقد أدرك الإسلام نجاحاً لم يتفق لدين آخر من أديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية، خاصة بين أبنائه. فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشر إلا الذي يقوم بين المؤمنين، ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدى خدمة كبرى في هذا السبيل»[1].

والحج عامل مهم في تقوية السياسة الداخلية والدولية للمسلمين، من خلال تأثيره في:

- وحدة صفوف المسلمين.

- مكافحة التعصب القومي والعنصري.

- كشف مخططات الاستعمار من خلال مداولة المسلمين مشاكلهم، والوقوف على منبع هذا الداء الفتَّاك.

- إظهار قوة المسلمين المعنوية، حيث يشترك في الحج الشاب والشيخ، والقوي والضعيف، والرجل والمرأة، ممَّا يُبْرِزُ في هذه المشاركة الفعلية، أثر الحج في رفع المعنويات.

- مخاطبة الكافة ممَّن يحضرون الحج، وممن لا يحضرونه بما ينقل لهم عن طريق الأشخاص، ليعلموه ويبلِّغوا من وراءهم،

---

(١) حِتِّي، فيليب «تاريخ العرب»: (ص١٩٢، ١٩٣).

«فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[١]، أو بما يستجد من وسائل كما في عصرنا الحاضر، من النقل المباشر وغير المباشر للحج، وما يُعلن فيه من بيان للقضايا التي تهم الأمة كلها، وهو ما يتضح في خُطْبَةِ عرفة، تلك الخُطْبَةُ التي كانت السياسة من أهم موضوعاتها في خُطْبَةُ رسول الله ﷺ، تلك الخُطْبَةُ التي شملت الحديث عن جُملٍ من السياسة الداخلية والخارجية، وبيانٍ للحقوق والواجبات للفرد في الإسلام.

ـ تحديد حرمة المكان وبيان عمقه الاستراتيجي، الذي يُشَرِّعُ لمن يدين بالدين أن تطأ قدمه المدينة المحرمة المقدسة، فيأتي الحاج المسلم مبتهجاً مسروراً، يأوي إلى البيت الحرام بشعور الانتماء العظيم للأمة، كما لو كان البيت بيته. بينما تتمنَّع قداستها وحرمتها عن قبول من لا يدين بدين أهلها، ولا ينتمي لولائها الديني زماناً ومكاناً وأمَّةً؛ أن يطأها بقدمه ولمَّا يؤمن بقدسيتها وحرمتها واجباً من واجبات إسلامه، لا وسيلة لتحقيق أغراضه[٢].

ـ إثبات صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، فكم من زائر للبيت الحرام قد شُوِّهَتْ عنده صورة بلاد الإسلام ومنطلق العقيدة والشريعة قبل وصوله، فلما دخل بلاد الحرمين، وزار البيت الحرام رأى عدم تعارض الشريعة مع الأخذ بالوسائل العصرية، والتفوق في

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى: (ح١٧٤١).

(٢) ومنها تتجلى خطورة أهمية بقاء هذه الولاية في أيادي سُنيّة أمينة، كما تتجلى خطورة أي دعوة تسعى إلى تدويل الحرمين. مهما كانت حججها.

الأمور الدنيوية، وتوظيف الدنيا للدين، وقد رأينا وسمعنا شهادات كثيرة وتعبيرات عن المشاعر تغيرت فيها النظرة التي أوجدها التشويه الإعلامي للإسلام وأهله، حتى ظن بعض الناس من أبناء المسلمين البعيدين أن الدين لا يتوافق مع العلم.

«فالحج وإن كان جوهره العبادة إلا أنه ليس المراد من هذه العبادة ما تضيق معها دائرة التعامل؛ لأن العبادة في هذا الدين شاملة للحياة كلها، ولا غرو حينئذٍ أن يكون الحج مركزاً للمعارف الإلٰهية التي تنبثق منها مضامين السياسة الإسلامية؛ التي يجب البحث والتفتيش عنها في جميع زوايا الحياة»[1].

وندرك هنا أن أهمية الحج في التقدم نحو تحقيق الأهداف السياسية الإسلامية، فحقيقة العبادة التوجه إلى الله، وحقيقة السياسة التوجه إلى خلق الله، وهاتان حقيقتان انصهرتا في الحج بدرجة جعلتهما نسيجاً واحداً.

وبهذا يتبين أن منافع الحج السياسية باب واسع من أبواب حِكَمِهِ، يمكن العمل لتحقيق أكبر قدر منها بتوظيف هذه الشعيرة توظيفاً شرعياً يتفق مع أهداف الحج، ويحقق منافعه، من خلال ضبط إداري وسياسي، وتراتيب دعوية راقية، تعمل من أجل وحدة الأمة على منهاج النبوة، فيعود منها المسلم وقد ارتوى من معين العبادة، وتشبّع بروح الوحدة، وآب مستشعراً وظيفته الدعوية في كل فج أتى منه.

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٢٥).

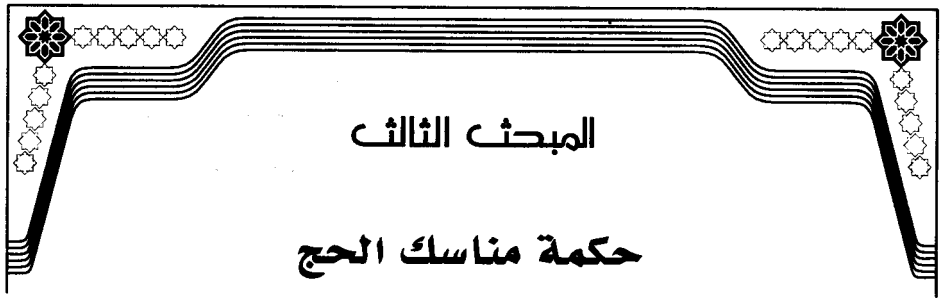

المبحث الثالث

حكمة مناسك الحج

حِكمة المواقيت، والإحرام، والتلبية، ومحظورات الإحرام، والطواف، والسعي، والتوجه إلى منى يوم التروية، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار، وذبح الهدي، والحلق، والمبيت بمنى، وطواف الوداع، والتفريق بين المناس.

وبعد أن تجلت لنا بعض حِكم الحج الرائعة، وتكشَّفت بعض مزاياه الفائقة، وعبره النافعة، على سبيل العموم والإجمال. أستعرض فيما يلي بعض الحِكم والفوائد، التي ينطوي عليها كل نُسُكٍ من أنساك الحج، وأجتهد في بيان ثمرته وغاياته؛ من الإحرام إلى التحلل وذلك حسب التفصيل التالي:

حِكمة الميقات[١]

للمواقيت حكم جليلة، وغايات حميدة، ومنافع عظيمة، تتجلى في النقاط التالية:

١ ـ إن المواقيت بوابات لحرم الله الأقدس، ولا يمكن للإنسان أن يتجاوز هذه البوابات إلا بشروط معينة، فيقف الإنسان أمام هذا الباب الشامخ، فيتمثل موقفه موقف العبد الذي جاء إلى رحمات الله وأَنِسَ بقربه ومناجاته.

---

(١) **التوقيت والتأقيت**: أن يجعل للشيء وقت يختص به، وهو بيان مقدار المدة. يقال: وقَّتَ الشيء يوقِّته. ووَقَتَهُ يقِتُهُ، إذا بيَّن حدَّه. ثم اتُسِعَ فيه فأطلق على المكان، فقيل للموضع: ميقات، وهو مفعال منه. ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (١/١٨٤).

وللحج ميقاتان: ميقات زمان، وهو: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. فمن أراد الحج نواه في هذا الميقات الزماني والتزم بمحظورات الإحرام، ولا تصح نية الحج والإحرام به في غير هذا الميقات الزماني.

وميقات مكان وهو: ذو الحليفة لأهل المدينة، والجحفة لأهل الشام ومصر والمغرب، وأهل اليمن من يلملم، وأهل الطائف ونجد من قرن، وأهل المشرق من ذات عرق. فعن ابن عباس ﷺ قال: «**وَقَّتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ، وَلأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلأَهْلِ الْيَمَنِ يَلَمْلَمَ، فَهُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمُهَلُّهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَكَذَاكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِنْهَا**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب مهل أهل مكة: (ح١٥٢٤)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب مواقيت الحج: (ح٢٨٠٣).

فهو يخرج من علائق الدنيا ليلجأ إلى طريق من طرق الآخرة؛ طالما سلكه الأنبياء والمرسلون والصالحون بعنوان التذلل والخضوع.

٢ ـ ويعدُّ التزام المسلم بالمواقيت الزمانية والمكانية من علامات الطاعة التامة لله ﷻ، والاستسلام له في شرعه وأمره، حيث يدخل في الإحرام في الزمن المعين، والمحدد من الله، وفي المكان المعين، والمحدد من الله. فالميقات الزماني والمكاني قد شرعه الله؛ فهو وحده صاحب الحق في التشريع والأمر والنهي والتحليل والتحريم، وفي تطبيق هذا تحقيق للإيمان. ولهذا نادى الله عباده بصفة الإيمان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]. فكما أنهم لا يحرِّمون طيبات ما أحل الله لهم باعتبارهم مؤمنين، كذلك يستجيبون لأمر الله بتحريم أشياء معينة فترة من الزمن.

فتلبُّس المسلم بالإحرام في تلك الأماكن المخصوصة، والأزمنة المخصوصة، يؤكد له قضية التحليل والتحريم، وأنها حق لله ﷻ وليست لأهواء الناس ومشتهاياتهم[(١)].

٣ ـ وإن جيئة الحاج مكة أشعث أغبر تاركاً غلواء نفسه وملاذِّها مطلوب شرعاً. إعلاءً لكلمة الله، وقهراً للنفس، وإشعاراً لها بعزة الله وعظمته. ولو كُلِّفَ بذلك من بيته لشقَّ عليه. ولو تُرِكَ

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص١١٤).

له الخيار لحارت نفسه ولم تطمئن لمكان، ولكان في ذلك إخلال بنظام الإحرام. ولهذا أبان الشارع مواقيت للحجيج كلهم. واضحةً لا خفاء فيها على أحد.

٤ ـ فالمواقيت منزل من منازل اليقظة والشعور، حيث يستشعر الإنسان عظمة الوفود على الله تبارك وتعالى، فيمنع نفسه عن العبث والمشتهيات لتسمو نفسه وتصفو، فيكون أهلاً لأن يرتدي بهاء العاشقين المخلصين؛ لأنه وضع قدمه في منزل من منازل اليقظة والشعور، فيكون الإنسان حينئذ واقعاً بين الخوف والرجاء، فلا يجعل مع الله أحداً. فإن القلب خلص لله وحده دون سواه.

٥ ـ والمواقيت موطن للتأمل في باطن الإنسان وظاهره، ولِيَعْلَمَ أن التأمل في باطنه يخلِّصه من الغفلة عن ظاهره، فيبتعد عن النِّفاق الظاهري والباطني، ويصل إلى بصيرة دائمة تخرجه عن دائرة من وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٦ ـ يُمَثِّلُ الميقات مصفاة لتصفية الإنسان من الأنا والذات، اللذان هما شرطان يتجاوز بهما المحرم إلى الحج. حيث لقاء الله ﷻ.

فالإنسان قبل أن يدخل عالم الميقات يعيش سائر الناس من الأنا تمييزاً وتشخيصاً، فإذا دخل عالم الميقات تضاءل الأنا وفقد لونه وصبغته، إنه انقلاب يرمز إليه بـ (لباس الإحرام)[1].

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٤٩، ٤٥٠)، بتصرف يسير.

حِكمة الإحرام[١]

يمثل الإحرام في أساسه هجرة وفراراً من الظلمات الباطنية إلى النور الظاهر، ومن الخطأ والعصيان إلى الطاعة والإيمان. ففي الإحرام ضبط عزيمة الحاج بفعلٍ بيِّنٍ واضحٍ؛ (فهو كالتكبيرة للصلاة). فينطلق إلى الله ﷻ بلباس العبودية المطلقة لله. وأروع ما في هذه الهجرة أن يَجِدَّ الحاج إلى لقاء ربه ومولاه، حاله حال محب مفارق وصل إلى مبتغاه[٢]. لسان حاله: يا رب إني لا أملك لنفسي من الأمر شيئاً وكل ما في هذا الوجود لا أملك منه فتيلاً، وإنك أنت المالك لكل كائن ويكون[٣].

ويتجلى في الإحرام: سمو الروح، وإظهار الخضوع لله ﷻ، فالتجرد من الملابس المعتادة، ولبس ملابس الكفن يقمع في الإنسان شهوات النفس والأهواء، ويبعده عن التفكر في الدنيا ويوجهه إلى الخالق، فيستحضر المحرم أثناء نزعه المخيط عن بدنه، تلكم الساعة التي يُجرَّدُ فيها من ملابسه دون اختيار منه، فيرق قلبه ويبتعد عن شوائب الكبرياء والاستعلاء، ويخلص العمل لله.

---

(١) **الإحرام**: مصدر أحرم الرجل يُحْرِمُ إحراماً إذا أهلَّ بالحج أو بالعمرة، وباشر أسبابهما وشروطهما، من خَلْعِ المخيط، واجتناب الأشياء التي منعه الشرع منها كالطيب، والنكاح، والصيد، وغير ذلك. والأصل فيه المنع. فكأن المحرم ممتنع من هذه الأشياء. ابن الأثير، المبارك «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (١/ ٣٥٩).

(٢) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٥١)، بتصرف يسير.

(٣) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٨٩).

والمحرم لا يَحْلِقُ رأسه كما لا يُحْلَقُ رأس الميت، ولا يقلم أظفاره، ولا يقطع شاربه، ولا يتطيب بطيب، ولا يقضي شهوته ولا يصطاد صيد البر[١]. يشير بذلك كله إلى أنه مات في سبيل الله فينال الموعود من الثواب، ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

فالتَّقريب أن من رجع من حجه إلى وطنه؛ فكأنه استجيب دعاؤه في القيامة بقوله ﷻ: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]. وأعيد إلى الدنيا، فلا يعود إلى ما كان يأتيه من قبل كيلا يقال له: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨][٢]. وفي هذا من المحاسن ما فيه.

كذلك فإن لبس ملابس الإحرام[٣] معناه: الرجوع إلى الذات،

---

(١) وفي الحلق، وتقليم الأظافر، والتطيب تجمل يباين التذلل والخضوع والشعث والتغير لله ﷻ. وإن تغطية الرأس ولبس المخيط عادة مألوفة، وتَزَيُّنٌ لا يبدو معهما خشوع ولا تذلل. أما لبس غير المخيط فإنما يُقْصَدُ به ستر العورة، وفيه تنبيه النفس لما يجب عليها من الخنوع والمسكنة: لأن تغيير العادة على هذه الصورة يشعرها بذلك. والصيد استرسال مع هوى النفس. وهذا يناقض ما قُصِدَ الحج لأجله. أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٤٧).

(٢) البخاري، محمد «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»: (ص٣١).

(٣) **لون لباس المحرم أبيض**: والحكمة في ذلك عظيمة جليلة. وهو أن البياض شعار الطهارة والنظافة. وهما يظهران جلياً حين يكون اللباس أبيض. الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٨٩). ثم إن من يحرص على بياض الظاهر، يكون حرصه على بياض قلبه وصفاء نفسه أشد.

واستكشاف الإنسان لنفسه بعدما تجرد عن كل قيم الأرض، ومواضعات أهلها، فسوف يكتشف المحرم أرصدته المعنوية الخبيئة، من الصفات الإنسانية أو الغرائز الحيوانية، فيسمو في التطلع نحو عالم المُثل العليا، ويبتعد عن الارتكاس في حمأة الطين والتراب، فإن كل هذه الأحاسيس تجعل للمحرم أرضية خصبة للشعور بالفقر والحاجة، وتدفعه إلى الله تبارك وتعالى.

فمع أن جميع الموجودات في الكون كانت كلها ذات يومٍ عدماً ثم اكتست لباس الوجود، ولكن الله ﷻ خصَّ الإنسان بالفقر في قوله المحكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. ليتعلم الإنسان كيف يكبح جماح غروره، وليتذكر الحاجة الدائمة إلى رحمة الله في كل شؤون حياته ومعاده[١].

◻ حِكمة أن لباس المحرم فيه فائدة طبية:

كما أن لبس المحرم هذا اللباس المخصوص، فيه منفعة كبرى طبية تعود على الإنسان بالمنفعة العظمى في عموم جسمه وبدنه. ولقد قال بعض الأطباء: إن الإنسان يلزمه أن يعرِّض جسمه للهواء الطلق ومؤثِّرات الجوِّ مدة من الزمن، لكي يستريح فيها الجسم ويسترجع قوته، ويستعيد نشاطه بملاصقة (أوكسجين) الهواء لجميع مسام الجسم». وبذلك يكتسب الصحة والعافية.

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٥٣).

يقول صاحب كتاب «حكمة التشريع وفلسفته»: «من أجل ذلك ترى أهل أوروبا الشمالية يقصدون في بعض الأيام الجبال، وشواطئ البحار، ويخلعون ثيابهم إلا ما يستر عورتهم، ويقيمون على هذه الحالة أياماً كثيرة يستعيدون فيها ما فقده الجسم من القوة الطبيعية. ولا غرابة في ذلك فإن الدين الإسلامي الحنيف لا يأمر بأمر إلا إذا كان فيه مصلحة للإنسان تعود عليه من كل الوجوه»[(١)].

حِكمة التلبية[(٢)]

التلبية هي شعار الحج وشعار التوحيد، وفيها معنى التعظيم والمحبة، وهي تتضمن حِكَماً جليلةً، وتشتمل على فوائد عظيمة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ إن التلبية شعار لتوحيد ملة إبراهيم الذي هو روح الحجِّ ومقصده، بل روح العبادات كلها والمقصود منها، ولهذا كانت التلبية

---

(١) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٩٠).

(٢) وردت عن النبي ﷺ بعدة صيغ: فعن نافع عن ابن عمر أن تلبية رسول الله ﷺ: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب التلبية: (ح١٥٤٩)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها: (ح٢٨١١). وعن عائشة قالت: إني لأعلم كيف كان النبي ﷺ يلبي: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ**». البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب التلبية: (ح١٥٥٠).

مفتاح هذه العبادة التي يدخل فيها بها[١].

٢ ـ إن قول الحاج: «**لبيك**» إشارة إلى الاستجابة لدعوة الله، والإصغاء لنداء الحق، فكأنه يقول: يا رب «إني أعددت نفسي لإقامة عبادتك، وأهنت بدني لتوجه خطابك، فلك الأمر كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، لا شريك لك، منك النعمة لا نعمة إلا منك.

فَيُظْهِرُ العبد بالتلبية النشاط من نفسه، إني أقبلت إلى بيت مولاي فلا أبالي من فراق الأهل والولد، فإن مقصودي معبودي لا والدي ومولودي، ويرفع الصوت بالتلبية لما فيه من إظهار الفرح بقدومه على ربه»[٢].

٣ ـ إن كلمة «**لبيك**» ينضوي تحتها الإذن بالدخول إلى حرم الله الآمن بقلب مطمئن، حيث نزع الإنسان لباس المعصية والرياء، ويتوجه إلى باطنه ببصيرة نافذة، ويلبس ثوب الطاعة والعبودية والانقياد.

وكأن الحاج لما استأذن في الميقات بالغسل ولبْسِ ثوبي الإحرام، واستعدَّ للوفِادَةِ إلى البيت الحرام أذن الله له بالنداء، فينبغي له الإجابة بالتلبية، ثم الشكر على النعمة.

---

(١) ابن القيم، محمد «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود»: (٥/١٧٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) البخاري، محمد «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»: (ص٣٤).

٤ ـ إن في كلمة «**لبيك**» عدة تجليات، ومنها:

أ ـ نفي صفات الشرك بجميع مراتبها عن الله تبارك وتعالى.

ب ـ هجرة النفس من الأنا والهوى إلى الباري ﷻ. وبعد أن يلبِّي الإنسان لربه بنداء التوحيد الإبراهيمي، ويبعد نفسه عن أوهام الشرك والمعصية والنفاق، يهبط إلى محل رحمة الله وأمنه، ويسير في درب مناجاته، فيقطع عنه العلائق الزخرفية إلا من التلبية[1].

حِكمة محظورات الإحرام

إن الذي يتأمل في محظورات الإحرام ويقف على معانيها؛ يلاحظ أنها جاءت لتحقيق العبودية لله، ومكافحة الأنا وحب الذات وإضعافها وتحجيمها، وتحويل الإنسان من محور الأنا إلى محور حاكمية الله ﷻ وسلطانه في حياته، ويدعو الإنسان إلى التحلل من هذا المحور والارتباط بالمحور الرباني والانصهار فيه، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ولذا نلاحظ توافقاً معنوياً في جملة من المحظورات التي يجب على المحرم أن ينصهر معها:

١ ـ فنلاحظ حرمة الجدال والفسوق على المحرم، بما يشمل أسباب المفاخرة والكذب؛ لأنهما يعارضان هدف الحج. فتحريم الجدال والفسوق ما هو إلا وسيلة وقائية تهدف إلى الحيلولة دون

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٥٨، ٤٥٩).

حصول عوامل التفرق بين المسلمين، بينما يراد من الحج غرس المحبة والألفة، والتمسك بوحدة المسلمين[١].

٢ ـ ويحرم على المحرم الطيب: وهو أحد الأوجه التي تظهر فيها حِكمة التشريع، إذ به تحقيق الإيمان وتقديم محبوب الله على محبوب النفس، وترك التَّرَفُّهِ من أجل تحقيق التقوى[٢]. والطيب أحد مظاهر الدنيا، وهو أداة يتبلور من خلالها إحساس الشخص بالاهتمام بذاته.

٣ ـ ويحرم على المحرم تغطية الرأس أو إزالة الشعر، أو قلْم الأظافر، ففي كشف الرأس والمنع من وضع شيء عليه مخالفة لما تشتهيه النفس، وفي هذا من العبودية وتقديم محبوب الله على محبوب النفس ما فيه. مع ملاحظة تعريض ذات الإنسان المادي إلى حرارة الشمس وبرودة الجوِّ، وفي ذلك تدريب على التنازل عن الذات، وتحمل الشدائد النفسية والجسمية[٣].

وفي منع المحرم من إزالة الشعر تحقيقاً لرهبانيته وثقته وعبوديته لله.

وأما منع المحرم من قلْم الأظافر ففيه ترك التَّرَفُّهِ، وترك الزينة، تحقيقاً للتذلل، وتنويهاً لاستشعار خوف الله وتعظيمه، ولينمو في الإنسان الشعور والإحساس بالقضايا الجزئية التي يتجاهلها

---

(١) مقتبس من: المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٦١).
(٢) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص١٧٩).
(٣) المصطفى، حسين، م ـ س: (ص٤٦٢).

الإنسان عادة، وقد تكون في حقيقتها لغة من لغات الكمال، لا يفهمها إلا من خاض تجربتها بدقة ووعي[١].

٤ ـ ويحرم على المحرم النكاح ودواعيه، والحِكمة في ذلك: أن الجماع ودواعيه إنهماك في الشهوة البهيمية وانصراف قوىً عن المَلَكِيَّة، والعبادات في الإسلام جاءت لتزكية المسلم، وتحقيق العبودية لله ﷻ، وهي لا تتحقق إلا بترك شهوة الإنسان طاعة للديان. خصوصاً حال التلبس بالعبادة.

ولذا جاء الأمر بالحظر والمنع من الجماع حال التلبس بالعبادة، كما في الصوم، والاعتكاف والحج؛ لأن الجماع يبسط إرادة النفس للشهوات ويضعف إرادتها عن العبادات، فإذا تَرَكَ المحرم ما تشتهيه نفسه من محظورات الإحرام من أجل الله، ومن جهة قصده ورضاه وأجره ومحبته كان هذا مظهر من مظاهر الإيمان، وبه تتحقق العبودية التامة لله[٢].

٥ ـ ومن محظورات الإحرام قتل هوامِّ الجسد من قمل وبرغوث وغيرها، ولعل الحِكمة في ذلك أن يدرك الإنسان مبدأ تقريب أصل الحياة، وأن يتعامل مع الأشياء بصورة صحيحة بعيداً عن السلوك الخاطئ، واحترام الطرف الآخر دون تنافر وعدم انسجام[٣].

---

(١) مقتبس من: الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج مشاعره»: (ص١٧٧، ١٧٨)، المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٦٢).
(٢) الفوزان، محمد، م ـ س: (ص١٧٥، ١٧٦).
(٣) المصطفى، حسين، م ـ س.

٦ ـ أما الحِكمة في منع المحرم من لبس المخيط، فالقصد في ذلك أن يُظهر شعار الإحرام بقوله كما في التلبية، وأن يُظهِرَه بفعله كما في لباس الإحرام، فيترك المحرم الزينة والتجمل من أجل إبراز مظاهر الإيمان لله، وتحقيق العبودية له[١].

٧ ـ والحج طريقة فذَّة لتدريب المسلم على السلام، وإشرابه روح السلام، فهو رحلة سلام إلى أرض سلام، في زمن سلام، ولذا يحرم على المحرم الصيد، من أجل تحقيق المسالمة لخلق الله حتى الحيوانات والطيور، وأن المسلم ما جاء لهذه الأماكن إلا لتعظيم الله، وتعظيم شعائره، فهو قد سالم الخلق كلهم وأبرز دليل على ذلك مسالمته للصيد. قال الله ﷻ: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

بل إن التعدي على شيء منها يوجب الوبال على المعتدي، ويلزم بالجزاء المقابل له من النَّعَم، وأن هذا الأمر يحتاج إلى حَكَمَين عَدْلين، وأن المنتهك لحرمة الإحرام، والواقع في محظورات الإحرام بقتل الصيد، قد عرَّض نفسه لعقوبة الله وانتقامه منه، وكل هذا تحقيق لعبودية الله، ومسالمة خلق الله، وترك محظورات الإحرام. قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ . . .﴾ [المائدة: ٩٥][٢].

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص١٧٩).

(٢) الفوزان، محمد، م ـ ن: (ص١٧٩، ١٨٠).

فالحاج حين يحرم بالحج فترة إحرامه في سلام حقيقي، مع من حوله وما حوله، حتى النبات فإنه لا يجوز له أن يقطع نباتاً أو يعضد شجرة... إنه التطبيق العملي للسلام والتدريب عليه، إنها رحلة السلام إلى أرض السلام، في زمن السلام[١].

٨ ـ بسبب هذه التروك يتعرض الإنسان في الميقات لامتصاص سلطتين: الأنا، والهوى. ويُسْمَحُ له بالدخول في رحاب ضيافة الله، بعد أن يجرِّده من هذه النَّزعة الحيوانية، التي تطغى على تصرفاته وتحكم إرادته وفعله. فالهوى عندما يتحكم يتحول إلى مصدر للشر في علاقاته وحياته الاجتماعية، ويَسْلُبَ الأمن والسلام في حياة الناس[٢].

حِكمة الطواف

الطواف هو أحد مظاهر الإيمان في الحج، وله منافع عديدة، ومقاصد جليلة، تتجلى في النقاط التالية:

١ ـ إقامة ذكر الله، فالطواف أحد المواضع التي يظهر فيها إقامة ذكر الله، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ**»[٣].

---

(١) القرضاوي، يوسف «العبادات في الإسلام»: (ص٢٩١، ٢٩٢).

(٢) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٦٢، ٤٦٣).

(٣) ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، حديث عائشة رضي الله عنها: (ح٢٤٣٩٦)، السجستاني، سليمان «سنن أبي داود»، كتاب المناسك، باب في =

٢ ـ الطواف حول الكعبة يستحضر لنا تاريخ الأنبياء من عهد إبراهيم وإسماعيل إلى خاتمهم محمد الأمين صلى الله عليهم جميعاً، ذلك التاريخ الذي يقوم على الجهاد والدعوة في سبيل الله.

٣ ـ إن في طواف المسلم حول الكعبة ما يُحَفِّزُهُ إلى طواف العقل والقلب في ملكوت السماوات والأرض، واستكشاف آيات الأنفس في الآفاق.

فإن الأمة الإسلامية هي أمة القراءة والعلم والحضارة. وإن المسلمين يوم عقلوا طواف العقل والقلب في الكون، حكموا العالم من أقصاه إلى أقصاه، وحققوا الفردوس الأرضي[1].

٤ ـ يقوم المسلم بأداء عبادته فردية أو جماعية، في المنطقة التي يعيش فيها لا يتجاوزها، وأما عبادة الطواف فهي مشاركة عالمية للمسلمين الوافدين من سائر أقطار العالم، ليعبدوا الله ﷻ كأمة يتمثل فيها جميع الأعراف المختلفة، لينطلق الجميع في عبادة عامة. فيتذوقوا روحاً جديدة من العبادة.

٥ ـ يُكْسِب الطواف المسلمَ لوناً جديداً من الحياة لم يألفها

= الرمل: (ح١٨٨٥)، الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، أبواب الحج، باب ما جاء كيف ترمى الجمار: (ح٩٠٢)، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص١٩١).

(١) وكانت مراكز الحضارة الإسلامية في بغداد، ودمشق، والقاهرة، وصقلية، وقرطبة، وغيرها، مشاعل النور والهداية للعالمين. المسير، محمد «العبادات في الإسلام»: (ص٢٦١).

من قبل بهذه القوة والفاعلية. إنه ينتقل إلى طور جديد من الحياة، أهم خصائصه غياب الفردية، وحضور الجماعة، بحيث لا يرى في المطاف أفراداً يتحركون، وإنما كتلة بشرية واحدة من الناس تطوف حول البيت العتيق.

كل هذا ليتعمق عند الحاج الإحساس بالجماعة المسلمة، وبأنه عضو من جسم واحد، وليس فرداً من مجموعة إنسانية، وبأن هذه الأمة كيان واحد ومصير واحد، وما يصيبها من خير وشر يصيب الجميع.

٦ ـ يتسامى المسلمون في الطواف كما يتسامى الملائكة المحيطون بعرش الله ﷻ. ومن هذا التسامي والحضور يتولَّد عنصر التعلق بعالم الغيب من خلال: الشهود الملائكي، والصلاة التي هي قربان كل تقي، فيتم الإشباع المتوازن للحس والمعنى في هذا الحضور، وبهذا تتحقق إحدى مقومات الشخصية المسلمة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

٧ ـ إن الغاية من الطواف حول الكعبة، هو الانتقال إلى المحور الإلـٰهي، فإذا ما تخلَّص المحرم من محور الأنانية في حياته، فإن المحور الإلـٰهي يجذبه جذباً قوياً، والطواف بعد الإحرام رمز له.

فإن الإحرام من الميقات يرمز إلى التحرر من الأنا، والطواف حول البيت يرمز إلى الانجذاب إلى الله ﷻ والحركة حول المحور الإلـٰهي في الحياة. فحركة الطواف تعبير عن توحيد العبودية لله، وتوحيد الحب والولاء، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

﴿وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

يقول صاحب كتاب «فلسفة العبادات»: **ومن خلال ما تقدم في حركة الطواف، نخلص إلى ثلاث ركائز:**

١ ـ **المنطلق**: وهو تجاوز الإنسان لمرحلة الأنا والذات، ويتعمَّق ذلك في صورة الإحرام في الميقات.

٢ ـ **الغاية**: وهي الحركة إلى الله وتوحيده ﷻ، ويتعمَّق ذلك في صورة الطواف حول البيت العتيق.

٣ ـ **الوسيلة**: بحيث لا يصل الإنسان إلى الغاية إلا بها، ويتعمَّق ذلك عبر الانصهار في الجماعة المسلمة[١].

وبهذا يتبين أن الحاج يعود من حجه بأكبر ربح وأعظم غنيمة، ألا وهي مغفرة ربه لذنبه، «وهي ثمرة أتعابه وأسفاره ودعواته لخالقه، وتعظيمه شعائره، وإفراده بالألوهية والربوبية، هو المغفرة التامة من الذنوب والخطايا، والطهور الكامل مما كان عالقاً به من الأوزار والمعاصي، وهو الغاية التي كانت من أجلها رحلته وزيارته لأداء هذا النسك العظيم»[٢].

ثم إن كل ما سبق عن الطواف كان من خلال النظر إليه

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٨٥ ـ ٤٨٩).

(٢) الطيار، عبد الله «الحج وصف لرحلة الحج من البداية إلى النهاية»: (ص٢٤ ـ ٢٧)، نقلاً عن: الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٤٥).

من زاوية كونه حركة اختيارية يمارسها المكلف انقياداً لأمر المولى ﷻ بغض النظر عن الحركة التكوينية العامة التي تسود الكون المادي كله وتسيطر عليه عبر نظام تكويني أودعه الله ﷻ فيه لِيُسَيِّرَهُ بانتظام دقيق مستمر ومستقر لا يختلف ولا يتخلف.

يقول صاحب كتاب «فلسفة الحج»: «. . . وأما إذا نظرنا إليه من خلال هذا النظام التكويني الشامل، المسيطر على كل أجزاء هذا الكون؛ من أكبر كائن إلى أصغره، الذي لا يُرَى بالعين المجردة كالذرة.

فإنا نرى أن حركة الطواف الاختيارية؛ التي يمارسها المكلف بإرادته حول بيت الله ﷻ، منسجمة تمام الانسجام مع الطواف التكويني الحاصل في داخل كل كائنٍ مهما كان حجمه، ويعرف ذلك على ضوء العلم الحديث؛ الذي كشف هذه الحقيقة التكوينية؛ وهي: أن كل جزء من أجزاء الكائن في هذا العالم، مؤلَّف من ثلاثة أجزاء أولية، وهي: البروتون، والإلكترون، والنيترون، وهذه الأجزاء في منتهى الدقة والضآلة، والبروتون: هو نواة الذرَّة ومحورها الذي تطوف حوله وتدور في فلكه، كما يدور القمر حول الأرض، والأرض حول الشمس، وكذلك سائر المجموعة الشمسية. والإلكترون: يدور حول البروتون ـ أي: النواة والمحور ـ دورتين في آن واحد، الأولى: يدور بها حول نفسه، دوران الأرض حول نفسها. والثانية: يدور بها حول النواة، دوران الأرض حول الشمس ويقطع بدورته هذه أقصى سرعة عرفها الإنسان.

وحيث إن الإنسان جزء من هذا الكون، وجسمه مؤلَّف من ذرات مادية متحركة بحركة طواف تكويني قهري؛ يطوف به الإلكترون حول محوره ـ البروتون ـ يمكن على ضوء هذه الملاحظة العلمية الدقيقة، استلهام الحكمة الإلٰهية الداعية إلى تشريع وجوب الطواف حول الكعبة المشرفة ـ وهي: أن تكون حركة الإنسان الاختيارية حول الكعبة، منسجمة مع حركة ذرة الإلكترون حول محورها، ومع حركة الملائكة حول البيت المعمور الذي بناه الله ﷻ لها في السماء الرابعة، ليكون مطافاً لها بعد أن كانت تطوف أول الأمر حول العرش.

وبذلك ندرك أن الكون كله مع جميع ما فيه من كائنات على اختلاف أنواعها، متحرك بحركة طواف تكوينية حول المحور المحدد له، وتأتي حركة الطواف التشريعية الاختيارية التي يمارسها المكلف بإرادته واختياره، منسجمة مع حركة الكون التكوينية[1].

وبقدر ما يحصل من التناغم والانسجام، بين الحركة التكوينية القهرية الخاضعة للنظام التكويني، وبين الحركة الاختيارية الصادرة من الإنسان المكلف وفق النظام التشريعي، تحصل له الراحة

---

(١) ونتيجة ذلك أن الإنسان المؤمن عندما يقوم بوظيفته الشرعية، خاضعاً وعابداً لله ﷻ بكل كيانه المادي والمعنوي، ومنطلقاً بذلك مع الكون كله في اتجاه واحد، نحو هدف واحد، وهو هدف العبودية والخضوع للإرادة الإلٰهية؛ تكويناً وقسراً، كما هو الحاصل من الجانب المادي من الإنسان مع الكائنات المسيرة بحركتها التكوينية. وتشريعاً واختياراً، وهو الحاصل من الجانب الإرادي والاختياري من كيان الإنسان.

والاستقرار والسعادة الروحية والمادية. وذلك لأن الكون بكل ما فيه، خُلِقَ وسُخِّرَ لخدمة الإنسان. والنِّظام التشريعي وُضِعَ من أجل كماله وسعادته. فإذا انسجم الثاني مع الأول في حياة الإنسان، تحقق له ما أراد الله ﷻ له من السعادة والكمال في مختلف المجالات، ومن جميع الجهات»[(١)].

◻ حِكمة الرمل والاضطباع في الطواف:

ومن أسرار الطواف اللطيفة إظهار الجلد والقوة في العبادة. ويتحقق ذلك: بالرمل[(٢)] والاضطباع[(٣)]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا طَافَ الطَّوَافَ الأَوَّلَ خَبَّ ثَلَاثاً وَمَشَى أَرْبَعاً**»[(٤)].

---

(١) طراد، حسين «فلسفة الحج»: (ص١٢١ ـ ١٢٣)، وانظر: يوسف، محمد «الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية»: (ص٢٠٩ ـ ٢١١).

(٢) **الرَّمَلُ**: هو أن يمشي في الطواف سريعاً، ويهز في مشيته الكتفين كالمبارزين بين الصفين. الجرجاني، علي «التعريفات»: (ص١٥٠)، النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص٦٨).

(٣) **الاضطباع في الطواف**: هو إخراج الرداء من تحت إبطه الأيمن وإلقاؤه على المنكب الأيسر وإبداء المنكب الأيمن وتغطية الأيسر، يسمىَّ اضطباعاً لأنه يبدي ضبعه؛ أي: عضده. النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة»: (ص٦٩).

(٤) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة: (ح١٦٤٤)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف: (ح٣٠٤٨).

وعن ابن عباس ﷺ قال: «**اضْطَبَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَرَمَلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ وَمَشَوْا أَرْبَعًا**»(١).

ولعل الحِكمة من الاضطباع الاستعانة على الرمل، والمقصود من الرمل إظهار القوة أمام الكفار والمشركين، فعن ابن عباس ﷺ، قال: «**قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ. قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَداً قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّى وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً. فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا؟! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ**»(٢). فقريش تصف أصحاب النبي بالضعف، وبأنهم قد أوهنتم حمى يثرب فلا يستطيعون القيام

---

(١) البيهقي، أحمد، «السنن الكبرى»، كتاب الحج، باب الاضطباع للطواف: (ح٩٥٢٢)، (٥/ ٧٩).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء: (ح٤٢٥٦)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب استحباب استلام الركنين اليمانيين في الطواف دون الركنين الآخرين: (ح٣٠٥٩). وعن ابن عباس ﷺ: «**إِنَّمَا سَعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ**». البخاري، محمد، م ـ س: (ح١٦٤٩)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب استحباب استلام الركنين اليمانيين في الطواف دون الركنين الآخرين: (ح٣٠٦٠).

والحركة لشدة ما أصابهم. فلمَّا دخل رسول الله ﷺ المسجد، اضطبع ورمل وأمر أصحابه بالاجتهاد في ذلك، فظهر كذب دعوى قريش، وتحقق ما رمى إليه النبي ﷺ وقصد.

واليوم لا تزال حِكمة مشروعية الرمل والاضطباع جلية واضحة في هذه العبادة، ناطقة بقوة المسلمين، معبرةً عن جلال دينهم. فالمسلمون إذا هرولوا وساروا رملاً واضطبعوا، وهم في حال اجتماعهم يكونون كالبحر الزاخر المتلاطم الأمواج، والجيش العرمرم الذي تموج به الفجاج.

وهذه الحالة فيها إظهار لشوكة المسلمين وعظمتهم وجلال دينهم، وفيها إرهاب للمشركين والكفار في ذلك الوقت. وربما كان في هذا الزمن إذا نُقِلَتِ الأخبار إلى الأمم والشعوب الأخرى؛ ليتسرب نور الإيمان وجلال الدين الحنيف في قلوب الكفار، فيعتنقون الإسلام عن رغبة ومحبة وإجلال وإكبار. وبهذا تتضح حِكمة الرمل والاضطباع ويظهر حسن سياسته وكياسته ﷺ.

❐ حِكمة صلاة الركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام:

بعد الفراغ من الطواف ينتقل الحاج إلى صلاة ركعتين بعد الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام. والذي يتأمل حِكمة تشريع صلاة الركعتين يلوح له فوائد، أبرزها ما يلي:

١ ـ التحديد المكاني لإقامة هذه الصلاة. فتحديد الصلاة بعد الطواف شيء طبيعي فهي خير موضوع، ومعراج المؤمن وقربان كل تقي. ولكن ما يلفت النظر ويسترعي الانتباه هو التحديد المكاني

لإقامة هذه الصلاة. قال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وهذا يدل على المكانة العظيمة التي يحتلها مقام إبراهيم عليه السلام. ولعل الحِكمة من ربط هذه الصلاة ـ أي: صلاة الطواف بمقام إبراهيم ـ، هي لفت نظر الأجيال الصاعدة الوافدة إلى هذا المقام، وإلى الدور البارز الذي نهض به بالنسبة إلى فريضة الحج، بالتعاون مع ولده إسماعيل عليه السلام.

٢ ـ إن أعلى مصاديق التوحيد الإبراهيمي أن تم على يديه المباركتين بناء الصرح الإلـٰهي في حرم الله الآمن، ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. لقد كان إبراهيم خليل الله أمثولة الثناء الإلـٰهي. وقد جسَّدت شخصيته العظيمة في مطاوي الزمن؛ روح التوحيد الإلـٰهي بأبعادها العميقة، فغدت ملة يهتدي المهتدي في ربوعها، ويسمر المتجلِّي في عرفانها. فحرَّر العقول الجامدة من الصنمية إلى التوجه إلى الحقائق العظيمة، عبر سيرة التوحيد الخالص لله الواحد الأحد عز اسمه وتقدست صفاته، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

٣ ـ هذا الوفاء الإبراهيمي لله ﷻ جعل من إبراهيم عليه السلام رمزاً خالداً لا يضيع في هباء الزمن، فركز الله في قلوب الموحدين صرحاً حسِّياً، يدل على وفاء هذا الشيخ الجليل الخليل إبراهيم، ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

ولا شك أن عمق توحيدنا؛ يتجلى في صلاتنا ذات العلاقة

الروحية العميقة بين العبد ومعبوده، ولكي يحفظ الله ﷻ لإبراهيم عناءه في إرساء تعاليم التوحيد الخالصة؛ جعل المقام الخالد محلاً لمعراجنا إليه ﷻ[١].

حِكمة السعي

يؤدي الحاج ركعتي الطواف، ثم ينتقل بعدها إلى السعي بين الصفا والمروة، والسعي هو أحد مناسك الحج وشعائره. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وهو أحد المواضع التي يظهر فيها إقامة ذكر الله ﷻ. ولذا فإن تدبر الحِكمة والمعنى من مشروعية السعي عظيمة، وفائدتها جليلة، نتعرض لأهمها من خلال الآتي:

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قصة ترك إبراهيم هاجر وإسماعيل في مكة، وأنه وضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء... «**جَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، ـ أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ ـ فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَداً فَلَمْ تَرَ أَحَداً فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ**

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٤٩١، ٤٩٤، ٤٩٥)، بتصرف يسير.

الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَداً فَلَمْ تَرَ أَحَداً فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ». قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: **«فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»**[(١)].

فقول النبي ﷺ في هذا الحديث: **«فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»** فيه الإشارة الكافية إلى حِكمة السعي بين الصفا والمروة؛ لأنَّ هاجر سعت بينهما السعي المذكور وهي في أشد حاجة وأعظم فاقة إلى ربها؛ لأن ثمرة كبدها وهو ولدها إسماعيل تنظره يتلوى من العطش، في بلد لا ماء فيه ولا أنيس وهي أيضاً في جوع وعطش في غاية الاضطرار إلى خالقها جلَّ وعلا، وهي من شدة الكرب تصعد على هذا الجبل فإذا لم تر شيئاً جرت إلى الثاني فصعدت عليه لترى أحداً، **فأمر الناس** بالسعي بين الصفا والمروة ليشعروا بأن حاجتهم وفقرهم إلى خالقهم ورازقهم؛ كحاجة وفقر تلك المرأة في ذلك الوقت الضيق، والكرب العظيم إلى خالقها ورازقها، وليتذكروا أن من كان يطيع الله كإبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لا يضيِّعه ولا يخيِّب دعاءه.

ولا شك أن هذه حِكمة بالغة ظاهرة دلَّ عليها حديث صحيح[(٢)].

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]: (ح٣٣٦٤).

(٢) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٢٣٩، ٢٤٠).

٢ ـ إن في السعي شكر لنعمة المنعم على أبينا إسماعيل عليه السلام ببئر زمزم؛ عند اشتداد الصدى بأمِّهِ السيدة سارة وسعيها بين الصفا والمروة.

٣ ـ وفي السعي نتعلم الثقة بالله والتوكل عليه، إذ إن الصفا والمروة من شعائر الله، والشعيرة هي العلامة أو التذكار، ذلك أن الصفا والمروة يذكِّران بأصلٍ عظيمٍ هو الثقة بالله والتوكل عليه، فقد أسكن إبراهيم زوجه وابنه في منطقة جرداء، امتثالاً لأمر الله ويقيناً فيه مع انقطاع الأسباب.

٤ ـ وفي السعي تعلم الإصرار وطرد اليأس: فقد كانت هاجر تسعى هنا وهناك دون أن تهدأ، حتى حصلت على بغيتها عن طريق تكرير سعيها سبع مرات! بتصميم وثبات وعدم يأس من تحقيق هدفها. في رحلة أصدق ما توصف به أنها رحلة الألم والأمل. ولقد كان بإمكانها أن تُعذِر إلى الله بأن تسعى مرة أو مرتين. إنه درس عظيم في حقيقة الإيمان الراسخ. وفي إثبات أن رحمة الله فوق اليأس، وأن الإيمان واليأس لا يجتمعان في نفس المؤمن، وأن نفس المؤمن فوق قوى الطبيعة.

٥ ـ تذكير النفس بهذه الآية الجليلة التي بدت عند وجود تلك السيدة؛ في حال تشبه حالهم حين دخولهم مكة، وكانت سبباً في عمار مكة وحياة من فيها؛ لأن هذا التذكير يحملهم على التشبه بها في طلب الرحمة، ويفتح لهم باب الرجاء. وشُرِعَتِ الهرولة لإظهار النَّشاط والرَّغبة في الطاعة، ولتكون كالتَّصريح بأن ما حصل

من النَّصَبِ والسَّفَرِ المضني؛ لم يثن الرَّغبة في الطاعة والقيام بواجب التعظيم[١].

٦ ـ إن السعي وما يحتويه من طول المسافة يذِّكر الإنسان بفقره إلى الله ﷻ، وأنه سائر في طريق الاستشعار بحاجته وفقره للمولى ﷻ. فالفقر يستنزل رحمة الله ﷻ حتى من غير أن يعي صاحب الفقر فقره إلى الله؛ لأن بين الفقر إلى الله وبين الله علاقة حميمة، كل منهما يطلب الآخر.

٧ ـ السعي هو تردد في معالم الرحمة الإلٰهية، والتماس المغفرة والرضا الإلٰهي، وهذا ما نلاحظه في كثرة الأدعية وطولها في هذه العبادة المباركة.

٨ ـ السعي والحركة مفتاحان لرزق الإنسان، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]. فإن عامل السعي يُكْسِبُهُ عزماً وقوَّةً وإرادةً، وقد جعلهما الله ﷻ مفتاحاً لرزقه ورحمته.

فالسعي يعلمنا أن نعيش دائماً أمل النجاح والانتصار، حتى لو كنَّا في أشد لحظات الكرب والشدِّةِ، وهذا ما عَلَّمَتْهُ أم إسماعيل هاجر عليها السلام للإنسان عندما نفد الماء، وغلب الظمأ على وليدها إسماعيل عليه السلام.

٩ ـ ينبغي للحاج في سعيه أن يسعى سعي من يريد الوصول إلى المحبوب، حتى إذا ما أدركه هانت عليه كل الأمور، وانتهت

---

(١) أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٤٨).

كل الشكوك والترددات، وتزول كل المخاوف والحبائل الشيطانية والارتباطات المادية.

١٠ ـ هذا السعي الطويل يذكِّرنا بطريق المعاد، حيث ينادي المنادي: أن هلموا إلى يوم الحساب، وفي هذا السعي الطويل فرصة ثمينة للإنسان أن يراجع مسيرة حياته السابقة، ليقيمها على ضوء خط الأنبياء والمرسلين، وبعد هذه المسيرة التَّقييمِيَّةِ الصادقة، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

حِكمة التوجه إلى منى يوم التروية[١]

يتوجه الحجَّاج إلى منى يوم التَّرْوِيَةِ، اقتداء بالنبي ﷺ، ففي حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي: «... **فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ...**»[٢].

وفي تَوَجُّهِهِ إلى منى هذا اليوم حِكم وأسرار يحصل عليها الحاجُّ، نفصلها حسب الآتي:

---

(١) **يوم التروية**: هو يوم الثامن من ذي الحجة، سمِّي بذلك لأن الحجَّاج يروون إبلهم فيه تَرْوِيَةً. النسفي، نجم الدين، «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص٧٠).

(٢) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: (ح٢٩٥٠).

١ ـ ليكون أرفق به وبمن معه، فإن الناس مجتمعون في ذلك اليوم اجتماعاً عظيماً، وفيهم الضعيف والسقيم، فاستحب الرفق بهم، ولم يدخل عرفة قبل وقتها لئلا يتخذها الناس سُنَّة، ويعتقدوا أن دخولها في غير وقتها قربة[١].

٢ ـ وفيه استحضار معنى التزود للآخرة: فيوم التروية سمِّي بذلك لأن العرب كانوا يملؤون قربهم في ذلك اليوم ويرتوون ليوم عرفات، إذ لم يكن فيها يومئذٍ ماء، **فيستحضر الحاج بمبيته في منى هذا اليوم** معنى التزود للآخرة، ويعترف بعطشه الشديد لزاد التقوى والإيمان. ويستشعر الحاج أنه ساع في سفر طويل بزاد قليل، فيجدّ لنيل التقوى، وإحراز مرضاة الله ﷻ.

٣ ـ في الذهاب إلى منى إعداد نفسي قبل الوقوف بعرفة، حيث الانقطاع في الصحراء للعبادة فقط فلا مخالطة للناس ولا تشتيت لهم[٢].

٤ ـ يعيش الحاج هذا اليوم مشاعر الأمل والرجاء، فغداً يوم عرفة؛ وهو أهم يوم في الحج بل أهم يوم في حياة الإنسان، يرجع فيه الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ويبدأ بداية جديدة مع الله مع الفوز والانتصار على الشيطان ومكائده.

٥ ـ استشعار الخوف والقلق في منى من عدم قبول الحج

---

(١) الدهلوي، أحمد «حجة الله البالغة»: (٢/ ١٦٧).

(٢) أبو شادي، خالد «رحلة المشتاق الحج والعمرة»: (ص٦٨، ٦٩)، دار الراية، جدة ـ المملكة العربية السعودية، د.ت.

ورده، وهل سيكون ممن اطلع الله على قلوبهم فرضي عنهم، أم علم خبثهم فسخط عليهم. والقلق من عدم توفيق الله، فلعلَّهُ لا يصل غداً إلى عرفة فتضيع حجته ويحرم الخير كله، ولعل الموت يدركه قبل أن يُدْرِكَ هو عرفة[١].

وهكذا نجد أن التوجه إلى منى في يوم الثامن من ذي الحجة والمبيت فيها له أهداف وغايات، وحِكم وأسرار، يهيئ الحاج لاستقبال يوم عرفة، بجد ونشاط وتشوق ورغبة...

حِكمة الوقوف بعرفة

لعل أبرز شعار وأروع منسك من مناسك الحج هو الوقوف في عرفات الله، فيوم عرفة يوم عظيم، يكون فيه من الأحوال ما يبهج القلوب المؤمنة، ويزعج النفوس المنتنة.

تتجلى في يوم عرفة روح التعبد لربطه بهذا المكان الخاص، وتحديده بزمانه المعلوم المحدد من طرف البداية بأول الزوال من يوم عرفة، وهو التاسع من ذي الحجة، ومن طرف النهاية بالغروب منه، مع حصره بهذا اليوم الخاص دون غيره من أيام ذي الحجة.

ومع هذا ـ أي: التعبد ـ فهناك حِكم وأهداف عظيمة، وغايات وأسرار جليلة، وفوائد دنيوية، ومنافع أخروية، نفصلها حسب الآتي:

---

(١) أبو شادي، خالد، م ـ ن: (ص٦٩).

١ ـ استدرار البركات الآلهية، واستنزال الرحمات الصمدانية:

لأن اجتماع المسلمين في مكان واحد وزمان واحد بصفة واحدة، راغبين راهبين مهللين مبتهلين له تأثير قوي في انتشار الروحانية ونزول البركات والرحمات[١].

٢ ـ تذكر الحشر الأكبر:

واستشعار المثول بين يدي الله ﷻ في ميدان الحشر من خلال ملاحظة ذلك الجمع الغفير، والأمواج المتلاطمة من البشر في بحر الحج العميق، مع ملاحظة ارتداء ثوب الإحرام المجرد من الخياطة ـ بالنسبة إلى الرجال ـ، وذلك يذكرنا بالكفن ويرسم لنا صورة المستقبل المذهل في ذلك اليوم الذي تحدث الله عنه بقوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ...﴾ [الحج: ٢].

والثمرة الطبيعية لهذا التذكر والاستشعار، هي حصول الخوف الشديد من هول ذلك اليوم، وهذا يؤدي بطبعه إلى الاستمساك بعروة التقوى والعودة إلى الله من باب التوبة؛ لأن الله ﷻ: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢][٢]. وهذه فائدة عظيمة، وغاية جليلة، لا تُقَدَّرُ بقيمة.

---

(١) وإنما خص عرفات بهذا الاجتماع وهذا اليوم؛ لأن الأنبياء عليهم السلام توارثوا ذلك. والجري على سُنَّة السلف الصالح أصل أصيل في باب التوقيت. أفندي، إبراهيم «أسرار الشريعة الإسلامية»: (ص١٤٨).

(٢) هذا إذا كان منحرفاً عن خط الاستقامة، وأما إذا كان مستقيماً عليه، =

٣ ـ حصول الانفتاح العفوي من قبل المسلمين بعضهم على بعض:

ليتعارفوا ويتعانوا على البر والتقوى بالسعي في سبيل تحقيق المصالح المشتركة بين أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبها وانتماءاتها، **وتتمثل تلك المصالح بالمنافع التالية، وهي**[(١)]:

أ ـ المنافع المادية والاقتصادية:

بسبب تعارف التجار وتفاهمهم على القيام بالتبادل التجاري؛ بأن يرسل كل بلد ما يوجد لديه من بضائع ومصنوعات ومنتوجات غير موجودة في البلد الآخر.

ب ـ المنافع السياسية:

وذلك من خلال تلاقي رموز الشعوب الروحية والسياسية، واجتماعها على مائدة المذاكرة، ومعرفة ما يعود على الشعوب الإسلامية ودولها بالنفع والقوة المعنوية السياسية، مضافاً إلى ما يعود عليها بالقوة العسكرية التي تمكنها من الصمود أمام التحديات والاعتداءات، التي تتعرض لها بين الحين والآخر من قبل الأعداء.

= فهو يستمر على استقامته بقوة وثبات أكثر؛ وأقوى مما كان عليه قبل وقوفه على صعيد عرفات الحج.

(١) ما سيأتي: سبق لنا تفصيله عند الحديث عن حِكَم الحج العامة: (ص٦٢١، ٦٢٨، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٧).

ج ـ المنافع الثقافية:

من خلال التقاء رجال الفكر والثقافة العالمية، وتذاكرهم حول أهم المواد العلمية الدراسية والأدبية ونحوها مما ينفع الطلاب أكثر، مع محاولة التعرف على أحدث الأساليب وأنفع الطرق التي تساعد على تعليم الطلاب وإفادتهم في الحقل التعليمي، بالأسلوب الواضح الراجح.

د ـ فائدة الوحدة والاتحاد بين أبناء الأمة الإسلامية، ونظمها الحاكمة:

لتعود إلى سابق عهدها ومجدها يوم كانت أمة معتصمة بحبل الوحدة الإسلامية.

ففي عرفة «يلتقي الحجيج آلافاً مؤلَّفةً بزي الإحرام الموحَّد، في زمان ومكان واحد، لا فرق بين غني وفقير ورئيس ومرؤوس[1]،

---

(١) قد ألَّف الله بين قلوبهم وجمعهم على هذا الدين، قال الله ﷻ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]. وقد خاطبهم النبي بهذه الوحدة، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِي عَلَى أَعْجَمِي ولا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِي، ولا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، ولا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى**». ابن حنبل، أحمد «مسند أحمد»، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ: (ح٢٣٥٤٨). وهو تأكيد لقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ [الحجرات: ١٣]، الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٢٦١).

يحاولون استشراف الحياة في أصلها، مجردين من الزخرف والشهوات، متعالين على الأعراق والأنساب، متجاوزين الألقاب والمراتب، يجأرون إلى الله بالولاء الخالص والدعاء الضارع»[١].

٤ ـ العتق والمباهاة ومغفرة الذنوب واستجابة الدعاء:

يقول رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**»[٢]. وهذا يدل على أنه مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران[٣].

إن يوم عرفة يعد من مفاخر الإسلام العظيمة، ومآثره الجميلة، يؤكِّد قيماً عليا تقوم عليها الحياة، ويتعايش بها الناس كي يحققوا سعادة الدنيا وكرامة الآخرة... فصلاح أمتنا الإسلامية مرهون بالتوحيد والوحدة، التوحيد في العقيدة، والوحدة في المجتمع.

فنحن إزاء ما نعانيه من الزحف الإلحادي، والانحراف الخلقي، والفساد الاجتماعي، والتيارات الآثمة، لن تكون هناك وسيلة للخلاص إلا أن نعيد الأمة إلى كلمة التوحيد الخالص لله رب العالمين.

---

(١) المسير، محمد «العبادات في الإسلام»: (ص٢٦٤).

(٢) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب فضل يوم عرفة: (ح٣٢٨٨).

(٣) ابن عبد البر، يوسف «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: (١/ ١٢٠).

ونحن في مواجهة الاحتكارات العالمية، والكتل الدولية، لن تستقيم للمسلمين حياتهم إلا بالوحدة والتكامل الاقتصادي والبشري.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وهكذا نجد أن حِكمة الوقوف بعرفة ذاخرة بالغايات النبيلة، والمعاني العظيمة، مفعمة، بالأهداف السامية؛ التي يقصد الإسلام تحقيقها من خلال هذا النسك. لذا يُطْلَب ممن يؤدي مناسك الحج أن يلتفت إلى هذه الحِكم العظيمة، والغايات السامية المنشودة من وراء تشريع هذا المنسك[1].

حِكمة المبيت بالمزدلفة

بعد انتهاء الوقوف في عرفات بغروب الشمس من اليوم التاسع من ذي الحجة، يبدأ الحجاج بالتوجه إلى المزدلفة والمبيت فيها، والحِكمة التي يمكن استفادتها من هذا المبيت عظيمة وجليلة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ الرأفة بالحجاج:

لأنهم ظلوا يومهم في تعب ونصب، ولأن انصرافهم من عرفات بعد الغروب ووصولهم إليها في زلف من الليل. فلو كلفوا إتيان منى ليلاً لشق عليهم ذلك. فاقتضت الحِكمة الأمر «بالمبيت بالمزدلفة

(١) طراد، حسين «فلسفة الحج»: (ص٢١٣ ـ ٢١٧).

رحمة وشفقة عليهم، ودين الله يسر لا عسر، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها»[١]. والسر في انصرافهم بعد الغروب لا قبله لأنه مضبوط، ولا يؤمر بغير المضبوط في مثل هذا.

وأما الوقوف بالمشعر الحرام: فسره أنه استعاضة لما كان به أهل الجاهلية من ذكر المفاخر والمآثر بما هو أحق بالحاج وأولى، وهو ذكر الله وتعظيمه، وأنه كمنافسة المسلمين للمشركين في الإكثار من تعظيم الله، فإن المشركين كانوا يكثرون فيه من التكاثر والتفاخر[٢].

٢ ـ استشعار وحدة المسلمين:

فمنظر الحجاج الذي كسا أرض مزدلفة الفسيحة، وشعابها الطويلة، مبتداهم عرفات ومنتهاهم مزدلفة، منهم الراكب ومنهم الماشي على قدميه، يرفعون الصوت بالتلبية، وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف والغاية، ووحدة في العمل، ووحدة في القول، إنه مظهر يعمِّق في النفس الوحدة العالمية. وحدة التعدد والتنوع تحت عقيدة التوحيد، ويبعث في النفس المضطربة الطمأنينة والسكينة، والشعور بالعزّة والقوّة.

٣ ـ حِكمة التقاط الحصى من المزدلفة:

وبعد الوقوف على صعيد عرفات، والمبيت في المزدلفة،

---

(١) الجرجاني، علي«حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٩٤).
(٢) أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٤٩).

أصبح الحجاج وكأنهم يمثلون جيشاً واحداً متماسكاً قوياً وقادراً على التصدي للعدو، من أجل إزالة عدوانه أو منعه من القيام به، ويطلب منهم أن يتحركوا نحوه ويستعدوا لخوض المعركة معه، والجهاد ضده، وحيث إن تحصيل الأسلحة المناسبة لذلك، وجمعها من مصادرها من أوضح مصاديق أخذ الأهبة والاستعداد؛ يأتي جمع الحصى من المشعر الحرام ليلة المبيت فيه، ليكون رمزاً وتمريناً على جمع السلاح المادي المعهود، وإعداده للوقت المناسب عملاً بقوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠][1].

حِكمة رمي الجمار

رمي الجمار هو أحد دلائل الإيمان في الحج، وهو أحد المواضع التي فيها ذكر الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ**»[2]. وهو موقف رمزي له دلالته العميقة في حياة المسلم، ويشتمل على حِكم عظيمة، وفوائد جليلة، وله غايات حميدة، وأهداف نبيلة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ إنه سلوك لسُنَّة أبينا إبراهيم عليه السلام فإنه رمى الشيطان في هذا المكان، طرداً له وقطعاً لأمله في إغوائه. فعن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) طراد، حسين «فلسفة الحج»: (ص٢٢٢)، بتصرف يسير.

(٢) سبق تخريجه: (ص٦٦٤)، هامش (٣).

قال: «لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ عليه السلام الْمَنَاسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فِي الْجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الأَرْضِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: الشَّيْطَانَ تَرْجُمُونَ وَمِلَّةَ أَبِيكُمْ تَتَّبِعُونَ»[(١)].

وهذا السلوك يذكر الإنسان بحال الرجيم، ويدعو إلى التَّحَرُّزِ من إفساده. فإن تكرار الحاج الرمي ثلاث مرات «تمثيل صادق لجهاد الخليل إبراهيم عليه السلام ضد وساوس الشيطان الذي ظهر له ثلاث مرات في طريقه إلى الله، وهو مصمم على أن يثني إبراهيم عن عزمه في ساحة الجهاد الأكبر، وكلما ظهر له رماه بالحجر، مما يجعل محتوى هذه الشعيرة يتوضح ويتجلى.

فالمؤمن يعيش فترة عمره في ساحة جهاد ضد وساوس الشيطان، فعليه أن يرمي هذا الشيطان ويبعده عنه المرة تلو الأخرى لينتصر، ولا يزال الشيطان يتربص بالمؤمن ما لم يكرر رجمه باطناً وظاهراً»[(٢)].

---

(١) البيهقي، أحمد «السنن الكبرى»، كتاب الحج، باب ما جاء في بدء الرمي: (ح٩٦٩٣)، (٥/ ٢٥٠)، الحاكم، محمد «المستدرك»، باب لما أتى إبراهيم خليل الرحمٰن المناسك عرض له: (٤/ ٢٥٨)، (ح١٦٦٦). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) المصطفى، حسين، «فلسفة العبادات»: (ص٥١٣)، بتصرف.

٢ ـ إنه إعلان لذكر الله ﷻ وتسهيل لضبطه: فإن ذكره نوعان:

أ ـ نوع يقصد به التطلع للجبروت. وهذا يلزم له الإكثار ولا يحتاج فيه إلى الإظهار.

ب ـ ونوع يراد به الانقياد لدين الله وإعلاء كلمته. وهذا يلزم أن يؤقت بزمان ومكان، وأن يقرن بشيء من الأشياء الواضحة ليضبط به عدده ويتحقق وجوده. وأن يختار له مجامع الناس، ليتم وضوحه من غير أن ينظر فيه إلى كثرة عدد ولا استدامة وقت[١].

٣ ـ إنه انقياد لأمر الله ﷻ، إظهاراً للرِّقِّ والعبوديةِ، وإصراراً على رمي الهوى والشهوة والغفلة والزلة بجمرات العزم والتوبة النصوح، فهو رجم حسي يراد به الرجم المعنوي.

٤ ـ إنه إصرار على عداوة الشيطان الرجيم، وإظهار لهذه العداوة بدلاً من أن تكون باطنة فحسب، فيرغم أنفه، ويقطع الأمل من خضوع هذا الرامي له[٢].

٥ ـ إن رمي الجمار هو تجسيد معنى الاستعداد والتأهب نحو

---

(١) وقد وقت الرمي في اليوم الأول بالبُكْرَةِ، وفي باقي الأيام بالعشي: لأن الإفاضة والحلق والنحر في الأول. فالتبكير بالرمي تسهيل على الحجيج. أما باقي الأيام: فللتجارة وإقامة الأسواق ـ والناس لا يفرغون من ذلك على آخر النهار ـ فالتأخير بالرمي فيها على الحجاج أسهل. وجعلت الجمار كالسعي وتراً لأن الوتر عدد محبوب، وفي السبعة كفاية. أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٤٩، ١٥٠).

(٢) أبو شادي، خالد «رحلة المشتاق الحج والعمرة»: (ص٨٣، ٨٤).

مواجهة العدو الحقيقي للإنسان، مما يصعِّد روح المقاومة والجهاد في نفوس المسلمين؛ لمواجهة أرباب الفساد في العالم الذين هم رموز الشيطان.

٦ ـ إن الرمي في منى وما يحتويه من رفع شعار الرفض والصمود أمام مزالق ودروب الشيطان؛ يجعل لمنى مكاناً خاصاً للبراءة من الطاغوت[١].

حِكمة ذبح الهدي

من شعائر الله وتقوى القلوب وحرمات الله التي تعظم: الهدي في الحج، والتقرب إلى الله بسَوْقِهِ، وإشعاره، وذبحه، والحِكمة منه عظيمة، والفائدة جليلة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ التقرب إلى الله: فالعبد وهو يقدِّم نفسه قربة لله في الحج، ويبذل ماله قربة لله في النفقة على نفسه، أو على مستحقِّه، يقدِّم شيئاً آخر يختص بتلك البقاع دون غيرها ألا وهو الهدي الذي يسوقه متقرِّباً به إلى الله، ويذبحه معلناً إخلاصه لله وحده، ويرجو أن يعتق الله بكل جزء من هديه عضواً منه من النار. فكأنه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلباً لمرضاة الله، واعترافاً بأن تقصيره يستحق مهجته[٢].

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٥١٣، ٥١٤).

(٢) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٠٨) أبو شادي، خالد «رحلة المشتاق الحج والعمرة»: (ص٨٤، ٨٥).

٢ ـ الاقتداء بإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام فيما قصد من تقريب ولده في ذلك المكان، امتثالاً لأمر خالقه جل وعلا[١]. فإن هذا الاقتداء ينبه النفس للطاعة تنبيهاً عظيماً.

٣ ـ التذكير بنعمة الله: ففي الهدي تذكر نعمة المتفضل على الذبيح إسماعيل عليه السلام بالفداء، والقيام بواجب شكره على هذه النعمة الجليلة[٢].

٤ ـ في تقديم الهدي وإراقة الدم مبالغة الخضوع والعبادة لله سبحانه وتعالى، فكأن الحاج بذبحه يشير إلى اجتياز كل شيء في سبيل التوجه إلى الله، وهو مظهر لإخلاء القلب من كل شيء عدا ذكر الله، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧]. حيث حددت الهدف منها، وهو أن يجتاز المسلمون مراحل التقوى؛ ليبلغوا الكمال ويتقربوا إلى الله.

٥ ـ كذلك فإن الحيوانية بطبيعتها تمثل الغرائز بشهواتها البهيمية، ففي الذبح رمز إلى فصل الحيوانية عن الإنسانية، من خلال الانقياد التام لهذه العبادة التي يستصغرها الحاج، إلا أنها تمثل عبادة

---

(١) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ورؤيا الأنبياء وحي.

(٢) وإنما وجبت على المتمتع والقارن؛ لأن التمتع والقران كانا ممنوعين بسبب تحريف الجاهلية، فهو شكر لله على النعمة الحاصلة برفع هذا الإصر. وسَنَّ الأكل منه اعتناء بالهدي وتبرُّكاً بما هو لله سبحانه وتعالى. أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٥٠).

محضة تضمحل أمامها كل مفردات الهوى والأنا[١].

٦ ـ كما إن في الهدي توسعة على الناس خاصة الفقراء. فالحاج يأكل من هديه، ويطعم الفقراء، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦][٢].

حِكمة الحلق أو التقصير

الحلق والتقصير هو أحد دلائل الإيمان في الحج، وله حِكم عظيمة، وأسرار جليلة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ خضوع النواصي لله ﷻ: فالأخذ بالناصية يدل على عموم قدرته على خلقه، والمؤمنون الذين آمنوا بالله وصدَّقوا به قد وضعوا نواصيهم طوعاً ورغبة لله، مع علمهم وإيمانهم أن نواصيهم بيد الله، لكنهم لما آمنوا بالله تذللوا بين يديه بتقديم نواصيهم في عدة صور، منها: ركوعهم في صلاتهم تعظيماً لله، ومنها: سجودهم في صلاتهم تعظيماً لله، ومنها: كشفهم لرؤوسهم حال إحرامهم، ومنها: حلقهم رؤوسهم في حجتهم وعمرتهم، تقرباً إلى الله وتعبداً له، وتذللاً بين

---

(١) المصطفى، حسين «فلسفة العبادات»: (ص٥١٥، ٥١٦).

(٢) واليوم تقوم المملكة العربية السعودية بتوضيب الهدي، وإرساله إلى دول العالم الإسلامي فيوزَّع على الفقراء والمساكين، إلى جانب الدعاية والإشهار لهذه الشعيرة.

يديه ﷻ[١].

٢ ـ إن بكليهما خروجاً من الإحرام بما لا ينافي وقاراً ولا يجلب حَيْرَةً. فالحلق أو التقصير في الإحرام بمنزلة السلام في الصلاة[٢].

٣ ـ إن في الحلق إذهاباً للشعث وتحقيقاً إلى أنه إنما كان للإحرام، لا اتفاقاً. والحِكمة في تقديمه على طواف الوداع الذي هو آخر أعمال الحج، ليكون كإزالة الشعث وإزاحة الغبار عمن يريد الدخول على سيده ومليكه لتوديعه والإذن منه بالرحيل[٣].

حِكمة المبيت بمنى

بعد التحلل من الإحرام يعود الحجاج إلى منى مرة أخرى، فيستقروا فيها ثلاثة أيام يذكرون الله فيها، ويأكلون ويشربون.

قال رسول الله ﷺ: «**أَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ**»[٤].

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣١٩).

(٢) البخاري، محمد «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»: (ص٣٣)، أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٥٠، ١٥١).

(٣) أفندي، إبراهيم، م ـ ن: (ص١٥١).

(٤) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، وبيان أنها أيام أكل وشرب وذكر لله ﷻ: (ح٢٦٧٧). وفي رواية: «**وَذِكْرٍ لِلَّهِ**»، م ـ ن: (ح٢٦٧٨).

وإذا دققنا النظر في حِكمة الحلول بمنى هذه الأيام، والهدف الأوسع من تشريع هذا المبيت، يلوح لنا فوائد عديدة، ومنافع كثيرة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ من أبرز الفوائد التي يحصِّلُها الحاج بمبيته بمنى: إقامة ذكر الله ﷻ، فهو أحد دلائل الإيمان، وهو عنوان الخضوع والإذعان، وقد بوَّبَ البخاري في صحيحه فقال: «**باب التَّكْبِيرِ أَيَّامَ مِنًى، وَإِذَا غَدَا إِلَى عَرَفَةَ**»(١).

وكان عمر رضي الله عنه يكبِّر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً، وكان ابن عمر يكبِّر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيام جميعاً(٢).

وإنما كان بمنى: لأن العرب كانوا في الجاهلية قد اتخذوها في زمن الحج متسوَّقاً؛ تُروَّج فيه بضاعتهم لحاجتهم الشديدة لذلك. ولم يجعلوا ذلك بمكة لأنهم علموا أنها تضيق بمن في ذلك الموسم، ولأن تخصيص بعض القبائل بمنى يوغر صدورهم. ثم استتبع ذلك ما هو دينهم من التفاخر والتكاثر بالأنساب. فكانت كل قبيلة تظهر به ما في طاقتها من القوة والمنعة، ليسير ذلك بسير الركبان إلى أقاصي الأقطار.

---

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب العيدين»: (ص٧٦)، كتاب (١٣)، باب (١٢).

(٢) البخاري، محمد، م ـ ن.

فلما جاء الإسلام ورأى الشارع الحاجة إلى مثل هذا الاجتماع، لم يكن بد من جعله في ذلك المكان، وتطهيره مما كان به في الجاهلية من التفاخر والتكاثر بالأهل والعشيرة؛ لما ينجم عن بقائهما من الشر والتفريق اللذين جاء الإسلام بخلافهما(١).

فأبدل التفاخر بالأحساب والأنساب بذكر الله ﷻ والتسبيح والتحميد وشكر الله ﷻ لما أنعم عليهم من فضله، حيث يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠](٢). وهذه من أعظم الفوائد وأجلِّ الحِكم.

٢ ـ إعلان شوكة الإسلام وإظهار عزِّهِ وعظمته: فإن اجتماع الحجاج في هذا المكان وإقامتهم شعائر الدين الحنيف، وتبادلهم المنافع المادية والأدبية أدعى لإظهار عظمة هذا الدين السمح، وشوكة المسلمين في عيون أعداء الدين(٣).

٣ ـ تقوية الصِّلات وتعميق الروابط الأخوية بين المسلمين: فاجتماع منى فرصة إضافية للتعارف والائتلاف والتوادد بين المسلمين المختلفي الأجناس.

---

(١) أفندي، إبراهيم «أسرار العبادات»: (ص١٤٩).

(٢) الجرجاوي، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٧٨).

(٣) وعلى الجملة فإن النزول بمنى على هذه الصورة وهذه الكيفية، هو أشبه بمعرض من أكبر المعارض التي تقام في العالم أجمع، يبهر عقول هؤلاء الذين يسيؤون إلى المسلمين في دينهم؛ لأنه جمع بين فائدتين عظيمتين، فائدة الدين والدنيا، وهذه من الحِكم البالغة التي يقف عندها الإنسان خاضعاً خاشعاً مهما أوتي من العلم والعرفان.

فيشارك الكثير منهم في حضور اجتماعات مصغَّرة أشبه ما تكون بِفِرَقِ العمل، أو اللجان المنبثقة عن مؤتمر عرفات السنوي الكبير، وذلك بهدف تقوية الصِّلات، وتعميق الروابط ومعرفة الأخبار وتَفَقُّدِ الأحوال، وأخيراً: الخروج بالتوصيات[١].

٤ ـ وأما الأكل والشرب في منى[٢] فحكمته ما يلي:

أ ـ إن الله ﷻ دعا عباده إلى زيارة بيته فأجابوه، وقد أهدى كل منهم إليه على قدر طاقته فذبحوا هديهم، وقبله منهم، بل وقدم لهم منه ضيافة وأطعمهم مما تقربوا به إليه، والضيافة ثلاثة أيام، فأكرم الله زواره بالطعام والشراب ثلاثة أيام، وعادة الملوك أنهم إذا أضافوا أطعموا من على الباب من الفقراء والمساكين، لذا قال ﷻ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

ب ـ الإشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله ﷻ وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات[٣].

ج ـ إنها أيام عيد يتحلل فيها من الإحرام، فيرتاح الحاج فيها بعد

---

(١) أبو شادي، خالد «رحلة المشتاق الحاج والعمرة»: (ص٨٧).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**أَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ**». سبق تخريجه: (ص٦٩٣)، هامش (٤).

(٣) ابن رجب، عبد الرحمٰن «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف»: (ص٥٠٤). دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

تعب ويتمتع بعد حرمان. يكتمل فيها ضوء القمر، تزيل بهوائها اللطيف ونسيمها العليل كل مشقة وعناء.

٥ ـ في قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]. إشارة مهمة وتنبيه واضح، بضرورة متابعة العمل والاستمرار في العبادة، والثبات على الطاعة، وتحذير إلهي مخيف من خطورة النكوص والانتكاس[١].

٦ ـ تربية المسلم على الطاعة والتقيد بالنظام:

إن مبيت الحاج بمنى وقراره فيها أيام التشريق مع التزامه الكامل بالتوجيهات النبوية، والتعليمات الشرعية، التي على المسلم مراعاتها هذه الأيام[٢]. تُعَزِّزُ في النفس الشعور بواجب الطاعة، وتعمِّق مبدأ التقيد بالضوابط والترتيبات المحددة، وهذه من أعظم الفوائد وأجل الحِكم والغايات.

---

(١) أبو شادي، خالد «رحلة المشتاق الحج والعمرة»: (ص٨٦، ٨٧).

(٢) ففي اليوم الأول يرمي جمرة العقبة بعد الفجر بسبع حصوات، وينحر الهدي ليتمكن من بلوغ مرحلة التحلل الأصغر، وعندما يطوف الحاج طواف الإفاضة ويسعى بين الصفا والمروة سعي الحاج يتحلل التحلل الأكبر، ثم يعود إلى منى ليبيت أيام التشريق ويرمي فيها الجمرات الثلاث بعد الزوال من كل يوم، يبدأ بالصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى، كل واحدة بسبع حصوات بالترتيب والعدد المحدد. د. كرزون، أحمد «الفضائل الإيمانية في الحج»: (ص١١٣)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

حِكمة طواف الوداع[١]

إذا فرغ الحاج من مناسكه ـ على الوجه الذي بيَّنّاه ـ وعزم على الرجوع إلى وطنه، يلزمه أن يودِّعَ البيت بطواف، قال رسول الله ﷺ: «لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»[٢].

وإذا أمعنا النظر في تلمس حِكمة مشروعية هذا الطواف، لاح لنا فوائد عديدة، ومقاصد جليلة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ تبجيل البيت وتفخيمه[٣]:

فكما أن الوفود تودِّع من وفدوا عليه عند رجوعهم إلى مواطنهم، فكذلك الحاج يودِّع البيت إعظاماً له وإجلالاً. كأنه يستأذن بالرجوع؛ على عادة الضيف إذا نزل يرتحل بأمر المضيف، وهذا باب الله العزيز الوهَّاب نزل العبد على بابه، وتعلَّق بحجابه بأمره، فلا يمكنه الرجوع إلا بإذنه فمن رجع من ضيافة السلطان يرجع بخلعة، فمن رجع من بيت الرحمٰن فأدناه أن يرجع بالمغفرة[٤].

---

(١) ويسمى طواف الصدر لوجوده عند صدور الحجاج ورجوعهم إلى وطنهم. الكاساني، أبو بكر «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»: (٤/ ٤٤٤).

(٢) النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض: (ح٣٢١٩).

(٣) السر فيه تعظيم البيت بأن يكون هو الأول وهو الآخر؛ تصويراً لكونه هو المقصود من السفر، وموافقة لعادتهم في توديع الوفود ملوكها عند النفر». الدهلوي، أحمد «حجة الله البالغة»: (٢/ ١٦١).

(٤) البخاري، محمد «محاسن الإسلام وشرائع الإسلام»: (ص٣٤)، =

٢ ـ إظهار المحبة للبيت وشدة التعلق به:

كأنهم بحالتهم هذه؛ يشيرون إلى أن هذا الطواف المحسوس عنوان على الطواف المعنوي.

أي: إن الجسم الذي هو في عالم الشهادة مثال لطواف القلب. وإن البيت الذي هو في عالم الوجود إشارة إلى ذي الملكوت. فالقلوب تطوف حول الكعبة المشرَّفة إعلاناً على تعلقها بها وحباً بها، والغاية كلها تتعلق تعلقها بحضرة رب هذا البيت[١].

٣ ـ ولعل من حكمته:

أن من لم يذق مرارة الفراق لم يدر ما حلاوة اللقاء، يستشعر الحاج لحظات الوداع المر فترتجف كل خلية في جسده، وتتفجر ينابيع العاطفة في كل قلب لا زال قاسياً، إنه كذلك إلقاء آخر نظرة على بيت الله الحرام لتبقى صورته ماثلة للعين، وذكراه خالدة في النفس[٢].

حِكمة التفريق بين المناسك

بعد أن وقفنا على كثير من الحِكم والمعاني المستفادة من تشريع فريضة الحج، واستلهمنا منها الفوائد الجليلة، والمنافع العديدة التي ترسِّخ العقيدة وتهذِّب النفس، وتعدِّل

= الجرجاني، علي «حِكمة التشريع وفلسفته»: (ص١٩٥).

(١) الجرجاني، علي، م ـ ن.

(٢) أبو شادي، خالد «رحلة المشتاق الحج والعمرة»: (ص٨٨).

السلوك، وتنهض بالإنسان إلى ذرى الملكوت، لا بد من أجل تتميم الفائدة أن نشير إلى حِكمة التفريق بين المناسك، والسر في ذلك فأقول:

إن المقصد الأسمى من العبادة هو الخضوع الكلي لله ﷻ، والانقياد المطلق لإرادته ﷻ بكل عمل اختياري يصدر من المكلف بإرادته واختياره.

ومناسك الحج المتنوعة: من إحرام، وطواف حول البيت، والسعي، والوقوف بعرفة، والمبيت في المزدلفة، ومنى، ورمي الجمرات، ونحر النسك، والتحلل من الإحرام. تعمِّق الإيمان في النفس وتقوِّيه في القلب، ليبقى صاحبه على صلة بالله ﷻ، ويجدد ثوابه مع كل منسك، ويشحذ همته مع كل انتقال، ويتخير من الأدعية ما يناسب المقام، فتوضع الذنوب والأوزار برحمة العزيز الغفار. يقول صاحب كتاب «أسرار العبادات في الإسلام»: «وقد رحم الله عباده إذ دعاهم جميعاً للحج وفرَّق ما بين المناسك، فربما ذهب الرين الذي يصيب النفوس ويخيِّم على القلوب آناً بعد آن، فمن لم يُقبَل منه عمل عند مَنْسَكٍ قُبِل منه عمل عند مَنْسَكٍ آخر. وهكذا تتوزع الرحمة في الأمكنة والأزمنة، فلعل أحداً لا يعود من الحج إلا وهو مشمول بالمغفرة أو بعضها»[1].

---

(١) وحسب أرباب القلوب والهمم إذا ارتفعت أيديهم، وامتدت أعناقهم، وشخصت إلى السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة للعباد؛ أن يتقبل الله تضرعهم ولا يضيع لهم سعياً ولا أملاً. سيد الأهل، عبد العزيز «أسرار العبادات في الإسلام»: (ص١٧٦).

المبحث الرابع

تعريف العمرة وفضلها وحِكمة تشريعها

تعريف العمرة

◻ أولاً: العمرة لغةً:

العمرة في اللغة الزِّيَارَةُ، وقد اعتَمَرَ؛ أي: زار[١].

قال الرَّاغب: العِمَارَةُ نَقِيضُ الخَرَابِ، والاعتمار والعمرة: الزيارة التي فيها عِمَارَةُ الوُدِّ[٢].

◻ ثانياً: العمرة شرعاً:

هي زيارة بيت الله الحرام لأداء أفعال مخصوصة[٣].

---

(١) النسفي، نجم الدين «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية»: (ص٦٩).

(٢) الأصفهاني، الحسين «معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم»: (ص٣٨٨).

(٣) هي: الطواف حول الكعبة المشرفة، والسعي بين الصفا والمروة. عبد الحميد، محمد «هبة الفتاح بتكملة نور الإيضاح»: (ص٢٣٨).
واختلف العلماء في حكم العمرة على مذهبين:
الأول: أنها واجبة على من يجب عليه الحج. وبه قال الشافعي، وأحمد، وأبو ثور، وأبو عبيدة، والنووي، والأوزاعي، وهو قول عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وابن عمر من الصحابة، وسعيد بن =

فضل العمرة

العمرة عبادة جليلة من أفضل العبادات، وقربة من أعظم القربات، ومما يدل على فضل العمرة وأهميتها أن الله ﷻ أمر بإتمامها ما لم يحل دون ذلك حائل، من عدوٍ أو مرض.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ...﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقال رسول الله ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**»(١).

وحثَّ على الإكثار من العُمَرِ فقال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، والذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَيْسَ للحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوابٌ إِلَّا الجَنَّةُ**»(٢).

= المسيب، وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وبآثار مروية.

الثاني: أنها سُنَّة، وبه قال الحنفية، ومالك، وابن مسعود من الصحابة. القاري، علي «فتح باب العناية بشرح النقاية»: (١/ ٦١٦)، القرطبي، محمد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»: (٣/ ٢٦٢)، ابن قدامة، عبد الله «المغني» مع «الشرح الكبير»: (٤/ ٣٢٨).

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها: (ح١٧٧٣)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة: (ح٣٢٨٩).

(٢) الترمذي، محمد «سنن الترمذي»، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة: (ح٨١٠). قال: أبو عيسى: حديث ابن مسعود حديثٌ =

حِكمة تشريع العمرة

إذا أمعنا النظر في حِكمة هذه العبادة ومعانيها، تجلَّت لنا حِكماً رائعة، وأسراراً يانعة، وأهدافاً كبرى، ومقاصد عظمى، وفوائد جليلة، ومنافع عديدة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ العمرة فيها ارتباط بمهبط الوحي:

فهي رحلة إلى الدِّيار المقدسة، مهبط الوحي، ومنزل التشريع، وكلما ارتبط المسلم بهذه البقاع الطاهرة، كان أقرب إلى الاقتداء بالرعيل الأول الذين جاهدوا في سبيل الله، وبلَّغوا شرعه إلى أنحاء المعمورة، وشتَّان ما بين مسلم يرتبط قلبه بمهابط الوحي ومنازل التشريع، ومسلم يتعلق قلبه هنا أو هناك خلف عَرَضٍ زائلٍ، أو شهوةٍ منقطعةٍ، فكما أن الفرق شاسع بين الوسيلتين فكذلك في النتيجة.

٢ ـ العمرة فيها تكفير الذنوب:

إن الحِكمة الجامعة في العبادات هي تزكية النفوس، وتمرينها على الفضائل، وتطهيرها من النقائص، وتصفيتها من الكدرات، وتحريرها من رِقِّ الشهوات، وتلطيف كثافتها الحيوانية، لتكون رِقّاً للإنسان بدلاً من أن تسترقَّه، وفي العمرة تكفير للذنوب ومحو

= حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من حديث عبد الله بن مسعودٍ. النسائي، أحمد «سنن النسائي»، كتاب المناسك، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة: (ح٢٦٣٢)، ابن ماجه، محمد «سنن ابن ماجه»، كتاب المناسك، باب فضل الحج والعمرة: (ح٢٨٨٧).

للخطايا، وتحرير من رق الشهوات، قال رسول الله ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**»[١].

قال ابن عبد البر[٢]: قوله: «**العمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما**»؛ مثل قوله: «**الْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ... مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»[٣]، وقد مضى القول في هذا المعنى[٤].

وقال العيني[٥]: قوله: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**»؛ أي: من الذنوب دون الكبائر، كما في قوله: «**إلى الجمعة كفارة لما بينهما**»[٦].

وهي حِكمة عظيمة، وفائدة جليلة ينالها مؤدِّيها.

---

(١) سبق تخريجه: (ص٧٠٢)، هامش (١).

(٢) سبق تعريفه: (ص١١١)، هامش (٢).

(٣) سبق تخريجه: (ص٥٢٩)، هامش (٢).

(٤) ابن عبد البر، يوسف «التمهيد»: (٢٢/ ٣٨).

(٥) العيني: أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى، العيني، الحلبي الأصل، ثم القاهري، الحنفي، يعرف بالعيني، ولد في عنتابة من أعمال حلب سنة (٧٦٢هـ)، أخذ عن أئمة منهم: جبريل بن صالح تلميذ التفتازاني، والبلقيني، والزين العراقي. له مصنفات منها: «شرح صحيح البخاري» سماه: «عمدة القاري»، و«شرح الهداية»، وغيرها. توفي في القاهرة سنة (٨٥٥هـ). السخاوي، محمد «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»: (١٠/ ١٢١ ـ ١٢٤)، اللكنوي، محمد «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»: (ص٢٠٧).

(٦) القاري، علي «عمدة القاري»: (١٠/ ١٠٨).

٣ ـ اعتياد مراغمة الشيطان:

فالشيطان عدو للإنسان مبين، ولقد حذرنا تبارك وتعالى من الشيطان، وأمرنا بأن نتخذه عدواً وألا نتبع خطواته، فمراغمة الشيطان مرضاة للرب جل وعلا، ومقصد عظيم يتحقق من خلال هذه الرحلة المباركة[١].

٤ ـ ارتباط المسلمين بقبلتهم:

كذلك فإن في العمرة ارتباطاً للمسلمين بقبلتهم التي يُولُّون وجوههم شطرها في صلواتهم المفروضة خمس مرات في اليوم، وفي هذا الارتباط سر بديع؛ إذ يصرف وجوههم عن التوجه إلى غرب كافر، أو شرق ضال، فتبقى عزتهم وكرامتهم، وفيها رؤية حسِّية لقبلة المسلمين. حيث إن المسلم في صلاته يتجه إلى الكعبة ولم يرها؛ فإذا ذهب إلى الحج فإنه يرى بأم عينه تلك القبلة التي جعلها الله ﷻ مثابة للناس وأمناً، ويطوف حولها ويمس الركن اليماني منها، ويُقَبِّلُ الحجر الأسود، ويضع صدره ويديه وخديه لائذاً إلى الله ﷻ في مكان اسمه ـ الملتزم ـ بين باب الكعبة والحجر الأسود»[٢].

٥ ـ العمرة فيها نوع من السياحة المحمودة:

العمرة سياحة شرعية ونوع من الضرب في الأرض، وقد

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٥٥).

(٢) الخطيب، محمد «ذكريات عن الحج والعج والثج»: (ص٣١ ـ ٣٦)، نقلاً عن: الفوزان، محمد، م ـ س.

أثنى الله على السائحين المتفكرين. فقال الله ﷻ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ...﴾ [التوبة: ١١٢]. وسياحة العمرة سياحة طاهرة مما قد يعلق بها من الشوائب.

٦ ـ في العمرة توثيق لمبدأ التعارف والتعاون:

التعارف أمر شرعي ذكره الله في كتابه عن الناس عموماً، فكيف بالمسلمين الذين أمر الله بالتعاون معهم على البر والتقوى، بقول الحق ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ...﴾ [المائدة: ٢].

ويتجلى هذا المبدأ السامي في العمرة حيث تتوثق الصلات، ويقوى التعارف، ويتم التشاور، ويحصل تبادل الآراء والتجارب والخبرات، للسعي قدماً في النهوض بالأمة، ورسم الطريق الأمثل لها؛ لتتبوأ مكانتها القيادية على مر العصور والأجيال[1].

٧ ـ في العمرة جمع للناس على مبدأ التوحيد:

في العمرة تتجلى صورة التوحيد لدى المسلمين، فهم أولاء يتوافدون على الدِّيار المقدسة، ويجتمعون في أماكن محددة، ويناجون رباً واحداً، ملبِّين النداء، مذعنين للأمر، منضوين تحت اللواء يرفعون كلمة التوحيد، ويعتصمون بالحبل المتين، محققين للتوحيد والوحدة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٥٢).

٨ ـ توحيد كلمة المسلمين:

ومن فوائد العمرة في حياة أمة الإسلام، توحيد كلمة المسلمين، وجمع شملهم تحت راية التوحيد شعارهم المعلن هو التلبية ـ لبيك اللَّهُمَّ لبيك ـ، وما ذاقت الأمة ما ذاقت من ويلات وحروب واستعمار وتخلف، إلا بسبب تفرقها وتمزقها، والعمرة فرصة أيما فرصة للمِّ الشمل، وتوحيد الصف، والوقوف بوجه العدو تحقيقاً لأمر الله، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٩ ـ تبادل المنافع التجارية والتجارب الاقتصادية:

من منافع العمرة في حياة الأمة الإسلامية، تبادل التجارب والخبرات في المجال الاقتصادي، وتنويع المنتوجات حسب العرض والطلب في السوق المالية في ديار الإسلام.

ولا شك أن هذا التجمع الكبير المستمر على مدار العام، فرصة لبحث أوجه النقص لدى بعض البلاد الإسلامية ليتم التكامل مع بعض البلاد الأخرى، وهذا من المنافع التي أمرنا الله أن نشهدها في الحج والعمرة.

١٠ ـ تجديد الحياة:

العمرة انطلاقة لحياة جديدة مليئة بأعمال الخير والصلاح والطاعات والعبادات، وانطلاقاً لهجر المعاصي والذنوب والرجوع إلى الله ﷻ بقلب صادق وعقل منير؛ لتكون الخطوات القادمة كلها لله، وتكون الحركات والأنفاس كلها في سبيل الله، قبل أن

يحل بالدار هادم اللذات ومفرق الجماعات، فيندم حينها العبد حيث لا ينفع الندم، ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا حيث لا رجعة إليها[١].

١١ ـ إدراك الصلاة في المسجد الحرام:

ومن المنافع التي يحصل عليها المعتمر الصلاة في المسجد الحرام التي تعدل مائة ألف صلاة، كما يشهد صلاة الجماعة والجمعة في المسجد الحرام، فصلاة الجمعة في المسجد الحرام لها معنى خاص يختلف عن تأديتها في مكان آخر، ولها أبلغ الأثر في نفس المسلم فها هي ذي عشرات الألوف تقف وراء الإمام صامتة خاشعة متجهة بكل قلوبها إلى الله، تستهديه الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم عليهم فلم يغضب عليهم ولم يضلوا.

١٢ ـ تطهير القلب وعدم العودة إلى المعاصي:

في العمرة رحلة بدنية ومالية يجهد فيها المسلم ويتعب، من حيث أسفاره من بلاده التي قد تبعد آلاف الأميال، وتنقلاته بين المشاعر المقدسة وسط ازدحام سكاني هائل، وكما أنه بذل المال الكثير في سبيل الوصول إلى هذه البقاع المباركة، بالرغم من هذا كله إلا أنها رحلة روحية تتطهر فيها النفس وتسير إلى أعلى مراتب النقاء.

---

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٥٣، ٣٥٥).

١٣ ـ الخلف عليه في رزقه:

إن أي عمل يبتغي فيه المسلم رضى الله ﷻ ويطمع بثوابه وجِنَانِهِ، فإنه يُعَدُّ تجارة مع الله عظيمة، وهذه التجارة لها مكسب دنيوي وأخروي؛ فالمال الذي يصرف في سبيل الله يعوِّضه الله أضعافاً في الدنيا، فضلاً عن الأجر يوم القيامة، حيث يزكِّيها له ربه أضعافاً مضاعفةً إن شاء الله[١].

❁ ❁ ❁

(١) الفوزان، محمد «مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره»: (ص٣٥٣، ٣٥٦).

المبحث الخامس

حِكمة زيارة المدينة

بعد قضاء الحجاج نسكهم في مكة المكرمة، وبعد هذه السياحة الروحية والفكرية بين الشعائر والمشاعر، يُيَمِّمون نحو المدينة المنورة زائرين.

والحِكمة في ذلك عظيمة، والفائدة جليلة، نفصلها حسب الآتي:

١ ـ الوفاء من الأمة لمبلِّغ الرسالة ومؤدي الأمانة:

فكما تتم الصلاة بالتشهد المختوم به الصلاة على أبي الأنبياء وخاتم الرسل؛ يحسن إتمام الحج بزيارة المدينة المنورة التماساً للرحمة، ووفاء من الأمة لمبلِّغ الرسالة ومؤدِّي الأمانة، الذي هجر موطنه الذي وُلِدَ ودَرَجَ فيه؛ ليبلِّغنا دعوةً ويؤسِّسَ لنا دولةً[١].

٢ ـ الصلاة في المسجد النبوي:

يقول رسول الله ﷺ: **«صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»**[٢].

---

(١) سيد الأهل، عبد العزيز «أسرار العبادات في الإسلام»: (ص١٧٧).

(٢) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة =

٣ ـ تجديد الإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(١).

فالمدينة بمثابة جُحْرِ الإيمان ومُسْتَقَرِّهِ ومستودعه، وكلما ضعف أو تعب سارع إليها، فيتجدد فيها كما يتجدد نشاط الحيَّةِ إذا دخلت جُحْرَها بعد عناء البحث والتفتيش خارجه.

٤ ـ التعرف على أماكن نزول الوحي:

فالمدينة هي دار الإيمان، وهي مهبط الوحي، ومهد الرسالة، ومنزل التشريع، ودار هجرة النبي ﷺ، فالوقوف على أماكن نزول الوحي، ومحل انطلاق الدعوة وتأسيس الدولة، واستشعار ضخامة التضحية التي بذلها رسول الله ﷺ في مغادرته وطنه إلى المدينة المنورة من أجل تبليغ الرسالة أمر يبعث على تعظيم حب الرسول ﷺ في القلوب المؤمنة، ويحمل النفس على تحرِّي الاتباع لما كان عليه الرَّعيلُ الأول الذين جاهدوا في سبيل الله وبلغوا شرعه إلى كافة الأرجاء.

= والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: (ح١١٩٠)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة: (ح٣٣٧٥).

(١) البخاري، محمد «صحيح البخاري»، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأزر إلى المدينة: (ح١٨٧٧)، النيسابوري، مسلم «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً: (ح٣٧٤).

المبحث السادس

شهادة غير المسلمين بالحج

إن الحج كنزٌ إسلاميٌ عظيم، يُشِّعُ كل عام نوراً جديداً... يبعث في الأمة الأمل، ويستنهض الهمم، ويُوَجِّهُ المسلمين إلى التوحيد، والوحدة، والتضامن، والإخاء، ويلغي المسافات، والفوارق بينهم.

يقول الدكتور فيليب حِتِّي عن الحج عند المسلمين:

«... ولا يزال الحج على كر العصور نظاماً لا يبارى في تشديد عرى التفاهم الإسلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحَّالة مرة على الأقل في حياته، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعاً أخوياً، ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من أطراف الأرض. وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر والصينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم أغنياء كانوا أم فقراء، عظماء أم صعاليك أن يتآلفوا لغةً وإيماناً وعقيدةً.

وقد أدرك الإسلام نجاحاً لم يتفق لدين آخر من أديان العالم؛ في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية؛ خاصة بين أبنائه. فهو لا يعترف بفاصل بين أفراد البشر إلا الذي يقوم بين المؤمنين

وبين غير المؤمنين. ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدى خدمة كبرى في هذا السبيل»[١].

ويقول صاحب كتاب: «قصة الحضارة» في سياق حديثه عن الحج...:

«ولهذه الفريضة العظيمة أغراض وفوائد كثيرة فهي تقوِّي إيمان المسلمين واستمساكهم بدينهم، وتمكِّن الصِّلة بهذا العمل العاطفي الجماعي بين المسلم ودينه، وبينه وبين إخوانه المؤمنين...

فالحج وما ينطوي عليه من مناسك التُّقَى والورع يجمع بين بدو الصحراء والفقراء وتجار المدن الأثرياء، وزنوج إفريقية، والشوام، والفرس، والأتراك، والتتار، والهنود المسلمين، والصينيين والمصريين، وغيرهم من الشعوب الإسلامية ـ يرتدون كلهم ثياباً بسيطةً واحدة، ويَتْلُونَ كلهم أدعية واحدة، بلغة واحدة وهي اللغة العربية، ولعل هذا هو السبب في ضعف حِدَّةِ الفوارق العنصرية في الإسلام»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) حِتِّي، فيليب «تاريخ العرب»: (ص١٩٢، ١٩٣).

(٢) ديُورانت، ول «قصة الحضارة، عصر الإيمان»: (١٣/ ١٢٧، ١٢٨)، ترجمة: بدران، محمد، دار الجيل ـ بيروت، د.ت.

الخاتمة

وفيها:

أهم نتائج البحث

أهم النتائج

إن دراسة الحكمة والفائدة من التشريعات الإسلامية أمرٌ هام، ليزداد الذين آمنوا إيماناً[١]. وفي طياته مجال لدعوة الآخرين إلى هذه التعاليم السمحة، التي تفيد الإنسان في دينه ودنياه، وفي أولاه وأخراه، وفي حياته: الروحية، والنفسية، والجسدية.

فهذه الأحكام، إنما سَنَّها وشرعها الذي خلق الإنسان الخبير بما يصلحه وما يفسده، وما يؤذيه وينفعه، وقد قال في حقه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقد وقفت خلال بحثي ـ «**الحكمة في التشريع الإسلامي**» ـ على قيمة التشريع الإسلامي وعظمته، ومدى تحقيقه لمصالح الناس، ومراعاته لجلب المنفعة لهم ودرء المفسدة عنهم.

ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي ما يلي:

١ ـ إن شريعتنا الإسلامية السمحاء العلياء، مبنية على مصالح العباد في المعاش والمعاد، إما تجلب لهم نفعاً، وإما تدرأ عنهم مفسدة.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

٢ ـ راعى الإسلام في تكاليفه وتشريعاته، متطلبات النفس، والروح، وحاجة الجسد، ولذا وقفنا في بحثنا هذا على ما يرتقي بالروح، ويُطَمْئِنُ النفسَ، ويشرحُ الصَّدرَ، ويحقِّقُ عافية الجسد وسلامته.

٣ ـ إن الطهارة موافقة للفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وأن الإسلام دين النظافة والجمال، وأن النظافة والطهارة تحصِّن صاحبها من أمراضٍ كثيرةٍ.

٤ ـ إن لعملية الاستنجاء فائدة طبية وقائية عظيمة؛ تقي الجهاز البولي من الالتهابات الناتجة عن تراكم الجراثيم، وتقي الشَّرْجَ من الاحتقان ومن حدوث الالتهابات والدمامل.

٥ ـ إن الأعضاء التي أوجب الشرع غسلها في الوضوء، تشغل أكثر من ٦٥٪ من الساحة الحسية الدماغية (الممثلة لسائر الحس الجسدي)، فغسلها يسبب تنبيه القشر الدماغي الحسِّي، فيؤدِّي ذلك إلى تنشيط الجهاز العصبي.

٦ ـ إن الوضوء يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات، ويخلِّص الجسم من ارتفاع ضغط الدم، والآلام العضلية وحالات القلق والأرق، وينشِّط الدوران الدموي، فيزداد نتاج القلب وتزداد تروية سائر الأعضاء في الجسد.

٧ ـ إن غسل أعضاء الوضوء بالماء البارد يسبب تبريد الجلد ثم عروق الدم تحته، مما يؤدِّي إلى تلطيف درجة حرارة الجسم الداخلية، ومن ثمَّ تخفِّف كثيراً من احتقان الدِّماغ عند المنشغلين بالأعمال الفكرية والذهنية.

٨ ـ إن المضمضة في الوضوء تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات، وتحفظ اللثة من التقيُّح، وتقي الأسنان من التخثر بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقى بعد الطعام في ثناياها.

٩ ـ إن الاستنشاق والاستنثار يقي أو يحد من الإصابة بعدد كبير من الأمراض؛ التي تنتقل من خلال عملية التنفس عبر الأنف.

١٠ ـ إن لعملية غسل الوجه في الوضوء فوائد كبيرة.

١١ ـ إن عملية غسل اليدين إلى المرفقين تفيد في إزالة الغبار وما يحتوي عليه من الجراثيم، بالإضافة إلى إزالة العرق عن سطح الجلد، وهو غالباً موطنٌ ملائمٌ جداً لمعيشة وتكاثر الجراثيم.

١٢ ـ إن مسح الرأس بالوضوء يقلل من إمكانية إصابته بالالتهابات الجلدية المختلفة، ويقلل من حالات الصداع والتعب.

١٣ ـ إن لغسل القدمين مع تدليكهما جيداً وقاية للجلد في هذه المنطقة من الإصابة بفطور القدمين والعديد من أمراض الجلد في هذا المكان، ويُنَشِّطُ جريان الدم في الأوعية التي تحت الجلد، ويحافظ عليها من الأمراض.

١٤ ـ إن الاغتسال من الجنابة ينبِّهُ الشبكات العصبية الحسية لتوقظ الجهاز العصبي، ويسترجع حيويته ونشاطه، ويُنَشِّطُ الدوران الدموي ويعيد إليه توازنه.

١٥ ـ إن الاغتسال بعد فترة الحيض والنفاس، يتوافق تماماً مع القواعد الصحية.

١٦ ـ إن الصلاة لها تأثير إيجابي على الروح والنفس، فيشعر المسلم أثناء تأديته الصلاة بارتقاء روحي متواصل، واطمئنان في القلب، وانشراح في الصدر، وسكينة في النفس، وهي من أنجح الوسائل في تنمية ملكة حصر الذهن، وتقوِّي جهاز المناعة لدى الإنسان، وتحافظ على نشاط الدماغ وسلامة أدائه.

١٧ ـ إن الصلاة تحسِّن عمل القلب، وتوسِّع الشرايين والأوردة، وتنعش الخلايا، وتنشِّط الجهاز الهضمي، وتزيل العصبية والأرق، وتكافح الإمساك، وتقوِّي العضلات والأوتار والأربطة وتزيد مرونتها، ومرونة المفاصل.

١٨ ـ إن الصلاة تقي الغضروف من إمكانية الإصابة بالضمور العظمي الناتج عن التقدم في السن، أو عن الخمول، وفيها وقاية من مرض دوالي الساقين.

١٩ ـ إن الزكاة تحصِّن العقيدة، وتحمي الأخلاق، وتقوِّم السلوك؛ وتحرِّر الفكر الإنساني، وتحافظ على الأسرة وترعاها، وتحفظ على المجتمع أمنه واستقراره، وتحفظ على الأمَّة حرِّيتها واستقلالها، وهي أعظم وسيلة في تحقيق التكافل الاجتماعي بين الأفراد وبين المناطق الإسلامية.

٢٠ ـ إن الزكاة تؤمِّن الاستقرار الاقتصادي، وتكبح جماح التضخم المالي، وتعالج مشكلة البطالة، وتعمل على تمويل التنمية بشكل منتظم.

٢١ ـ إن في الصوم تقوية وتنشيطاً لعضلة القلب والدورة

الدموية، ووقاية من الجلطات والنوبات القلبية، ومعالجة لمرضى السكري، والكلى والمسالك البولية.

٢٢ ـ إن في الصوم راحة للجهاز الهضمي، وفائدة لمرضى الربو، وعلاجاً للأمراض الجلدية، وزيادة في القوة والنشاط، وتجديداً للشباب.

٢٣ ـ إن الصوم يقي من التسمم الغذائي والدوائي، ويساعد على إزالة الأورام، ويمنح الجهاز العصبي راحة كبيرة. ويقلل من حدة الشعور بالألم، ويزيل الإحباط النفسي.

٢٤ ـ إن في الصوم تنمية للتفكير عند الإنسان، وتقوية لجهاز المناعة، وعلاجاً للسمنة وللضعف الجنسي.

٢٥ ـ إن في الحج زيادة الإيمان، ورفعة الدرجات، وغفران الذنوب، والتزود بزاد روحي كبير، يملأ الحاج به جوانحه خشيةً لله وتقًى لله، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، ويكسب الحجاج ثقافة علمية، تاريخية، واقتصادية، وسياسية.

٢٦ ـ إن الحج يتيح للمسلم أن يشهد أعظم مؤتمر سنوي؛ إسلامي تظهر فيه الوحدة الكبرى للمسلمين.

٢٧ ـ إن الحج وسيلة للتمتع بحالة صحية جيدة، وحالة نفسية وجسدية راقية في الحياة الدنيا.

٢٨ ـ إن الحج يُعَوِّدُ النظام والدقة والمحافظة على الوقت، وفي المواقيت والإحرام ضبطٌ لعزيمة الحاج بفعل واضحٍ بَيِّن، فينطلق إلى الله بلباس العبودية المطلقة.

٢٩ ـ إن في العمرة ارتباطاً بمهبط الوحي، وتكفيراً للذنوب، ونوعاً من السياحة المحمودة، وتوثيقاً لمبدأ التعارف والتعاون، وتبادلاً للمنافع التجارية والتجارب الاقتصادية، وتجديداً للحياة، وإدراكاً للصلاة في المسجد الحرام.

٣٠ ـ إن في زيارة المدينة المنورة بعد قضاء الحجاج نسكهم في مكة المكرمة، إظهار الوفاء من الأمة لمبلِّغ الرسالة ومؤدي الأمانة.

وأخيراً: ليس لي ما أنهي به هذا البحث المتواضع، سوى **أمنية خالصة**: أن يعود المسلمون إلى دينهم، وأن يتعرفوا على حِكَمِهِ البالغة، وفوائده الباهرة، وأن يفخروا بانتمائهم لهذا الدين العظيم، الذي يحقِّقُ لهم السعادة والهناءة في الدارين.

فصلاح أحوال الناس، وأبدانهم، وسعادتهم؛ يكمن في تطبيقهم التكاليف الشرعية، والأخذ بأحكامها وعدم الاستغناء عنها.

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

٢ ـ ابن الأثير، المبارك، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٣ ـ أبو الأجفان، محمد، **فتاوى الإمام الشاطبي**، مطبعة الكواكب، تونس، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٤ ـ ابن أحمد، الخليل، **العين**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.

٥ ـ أمامة، عدنان، **الإحكام والتقرير لقاعدة المشقة تجلب التيسير**، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦ ـ الأرموي، محمود، **التحصيل من المحصول**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٧ ـ الأزهري، محمد، **تهذيب اللغة**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

٨ ـ الأشقر، عمر، **خصائص الشريعة الإسلامية**، دار النفائس، الأردن، د.ت.

٩ ـ الأصفهاني، الحسين، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٠ ـ أفندي، إبراهيم، **أسرار الشريعة الإسلامية وآدابها الباطنية**، مطبعة الواعظ، مصر، ط١، ١٣٢٨هـ.

١١ ـ الآمدي، علي، **الإحكام في أصول الأحكام**، دار ابن حزم، ط٢٤، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٢ ـ الباجي، سليمان، **المنتقى شرح موطأ مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣ ـ البار، محمد، **الصوم وأمراض السمنة**، دار القارئ العربي، مصر، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤ ـ البخاري، محمد، **محاسن الإسلام وشرائع الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، د.ت.

١٥ - ابن بدران، عبد القادر، **نزهة الخاطر العاطر**، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٦ - البزدوي، علي، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٧ - البناني، عبد الرحمٰن، **حاشية البناني**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

١٨ - البهوتي، منصور، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، دار عالم الكتب، ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٩ - البيهقي، أحمد، **السنن الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٠ - بُو سعادي، يمينة، **مقاصد الشريعة وأثرها في الجمع والترجيح بين النصوص**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢١ - بودرو، نيكول، **الصيام متعة روحية وجسدية**، دار البيروني، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٢ - بوسرويل، د. هبري، **معجزة صوم رمضان من وجهة نظر طبية**، ترجمة: محمد هاني الشعال، دار أفنان، د.ت.

٢٣ - الترمذي، محمد، **سنن الترمذي**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٤ - التفتازاني، مسعود، **التلويح إلى كشف حقائق التنقيح**، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٥ - التهانوي، محمد، **كشاف اصطلاحات الفنون**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٦ - ابن تيمية، أحمد، **مجموع الفتاوى**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٧ - الجندي، سميح **أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم**، دار الإيمان، الإسكندرية - مصر، د.ت.

٢٨ - ابن جرير، محمد، **تفسير الطبري**، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٩ - ابن جزي، محمد، **القوانين الفقهية**، دار الفكر. د.ت.

٣٠ - ابن الجوزي، عبد الرحمٰن، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣١ ـ الجوهري، إسماعيل، **معجم الصحاح**، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٣٢ ـ الجيزاني، محمد، **معالم أصول الفقه عند أهل السُّنَّة والجماعة**، دار ابن الجوزي، الدمام ـ المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٣ ـ ابن الحاجب، عثمان، **مختصر ابن الحاجب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ (مطبوع مع حاشية التفتازاني).

٣٤ ـ الحاج أحمد، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة المطهرة**، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٥ ـ الحاكم، محمد، **المستدرك**، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٦ ـ حامد، أحمد، **رحلة الإيمان في جسم الإنسان**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٧ ـ ابن حجر، أحمد:

أ ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

ب ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٨ ـ الحجوي، محمد، **الفكر السامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٩ ـ الحطاب، محمد، **مواهب الجليل بشرح مختصر خليل**، دار عالم الكتاب، المملكة العربية السعودية، ط، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م (طبعة خاصة).

٤٠ ـ ابن حنبل، أحمد، **مسند أحمد**، دار الفكر، ط ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤١ ـ حوى، سعيد، **الإسلام**، دار السلام، القاهرة ـ مصر، ط٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٢ ـ الخادمي، نور الدين، **الاجتهاد المقاصدي**، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٣ ـ ابن خزيمة، محمد، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: الأعظمي، محمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٤ ـ الخضري، محمد، **تاريخ التشريع الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٥ ـ الخطيب البغدادي، أحمد:

أ ـ الفقيه والمتفقه، دار ابن الجوزي، الدمام ـ المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢٦هـ.

ب ـ تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤٦ ـ الخطيب، محمد، **ذكريات عن الحج والعج والثج**، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٧ ـ الخفاجي، أحمد، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٨ ـ ابن خلدون، عبد الرحمٰن، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

٤٩ ـ ابن خلكان، أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٥٠ ـ الدارمي، عبد الله، **سنن الدارمي**، دار إحياء السُّنَّة النبوية، د.ت.

٥١ ـ الداوودي، محمد، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٥٢ ـ الدسوقي، محمد، **حاشية الدسوقي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٣ ـ الدقر، محمد، **دار المعاجم**، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٤ ـ الدهلوي، أحمد، **حجة الله البالغة**، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٥ ـ الدوسري، عبد الرحمٰن، **الحج: أحكامه، أسراره، منافعه**، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٦ ـ ديُورانت، ول، **قصة الحضارة، عصر الإيمان**، ترجمة: بدران، محمد، دار الجيل ـ بيروت، د.ت.

٥٧ ـ الذهبي، محمد:

أ ـ العبر في أخبار من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.

ب ـ سير أعلام النبلاء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٨ ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥٩ ـ الرازي، محمد بن عمر، **المحصول في علم أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٠ ـ ربيعة، عبد العزيز، **السبب عند الأصوليين**، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٠م.

٦١ ـ ابن رجب، عبد الرحمٰن، **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٢ ـ ابن رشد، محمد، **بداية المجتهد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٦٣ ـ رضا، محمد رشيد:

أ ـ تفسير المنار، دار الفكر، بيروت، ط٢، د.ت.

ب ـ مختصر المنار، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٦٤ ـ الريسوني، أحمد، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٥ ـ الزبيدي، محمد، **تاج العروس**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٦ ـ الزحيلي، وهبة:

أ ـ أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

ب ـ الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٦٧ ـ الزركشي، محمد، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٨ ـ الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م.

٦٩ ـ الزمخشري، محمود، **تفسير الكشاف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٧٠ ـ الزيلعي، عبد الله، **نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية**، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٧١ ـ سالم، مختار، **الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع**، مؤسسة المعارف، بيروت ـ لبنان، ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٢ ـ السايس، محمد، **تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الفرفور، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧٣ ـ السباعي، مصطفى، **أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسُّنَّة**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.

٧٤ ـ السبكي، محمد، **تشنيف المسامع بجمع الجوامع**، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٥ ـ السجستاني، سليمان، **سنن أبي داود**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٧٦ ـ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط١، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ.

٧٧ ـ سيد الأهل، عبد العزيز، **أسرار العبادات في الإسلام**، دار النهضة الحديثة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٧٨ ـ ابن سيده، علي، **المحكم والمحيط الأعظم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٠م.

٧٩ ـ السيوطي، عبد الرحمٰن، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

٨٠ ـ أبو شادي، خالد، **رحلة المشتاق الحج والعمرة**، دار الراية، جدة ـ المملكة العربية السعودية، د.ت.

٨١ ـ الشاشي، محمد، **محاسن الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٨٢ ـ الشاطبي، إبراهيم، **الموافقات**، دار الكتب العلمية، بيروت، د ـ ت.

٨٣ ـ الشافعي، محمد، **الرسالة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٨٤ ـ الشربيني، عبد الرحمٰن، **حاشية الشربيني**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

٨٥ ـ الشرنباصي رمضان، **العقوبات الشرعية وأسبابها**، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٨٦ ـ الشرنبلالي، حسن، **سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح**، دار البيروتي، دمشق، د.ت.

٨٧ ـ شلبي، محمد، **تعليل الأحكام**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٨٨ ـ الشنقيطي، محمد، **مذكرة في أصول الفقه**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم بجدة، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٨٩ ـ الشوكاني، علي، **إرشاد الفحول**، دار الفضيلة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

٩٠ ـ ابن أبي شيبة، عبد الله، **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٩١ ـ الشيرازي، إبراهيم، **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، دار المعرفة، ط الأولى ٢٠٠٣م.

٩٢ ـ شيلتون هـ.م.، **التداوي بالصوم**، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٣ ـ الصاوي، أحمد، **بلغة السالك لأقرب المسالك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩٤ ـ الصاوي، عبد الجواد، **الصيام معجزة علمية**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٩٥ ـ الصنعاني، عبد الرزاق، **المصنف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٩٦ ـ طبارة، عفيف، **روح الدين الإسلامي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٧، ١٩٨٨م.

٩٧ ـ الطبراني، سليمان، **المعجم الأوسط**، باب من اسمه محمد، ط دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٩٨ ـ الطرشة، عدنان، **الصلاة والرياضة والبدن**، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٩٩ ـ الطوفي، سليمان، **شرح مختصر الروضة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٠٠ ـ الطيار، عبد الله، **الصلاة**، دار الوطن للنشر، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١١، ١٤٢٦هـ.

١٠١ ـ الطيار، محمد، **الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة**، مكتبة التوبة، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٠٢ ـ طهماز، عبد الحميد، **الفقه الحنفي في ثوبه الجديد**، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

١٠٣ ـ ابن عابدين، محمد أمين **حاشية ابن عابدين، رد المحتار على در المختار**، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، دار الثقافة والتراث، دمشق.

١٠٤ ـ ابن عاشور، محمد:

أ ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الناشر الشركة التونسية للتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب، ط٢، ١٩٨٥م.

ب ـ التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٠٥ ـ العالم، يوسف، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** (ص١٩)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٠٦ ـ العبَّادي، عبد الله، **العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟**، دار الثقافة، قطر، د.ت.

١٠٧ ـ ابن عبد البر، يوسف:

أ ـ الإجماع، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

ب ـ الكافي في فقه أهل المدينة، المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

ج ـ جامع بيان العلم وفضله، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، توزيع مكتبة ابن تيمية، د.ت.

١٠٨ ـ عبد الحليم سمير، **الموسوعة الصحية، الصحة والحياة**، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، د.ط.

١٠٩ ـ عبد الرزاق، نوفل، **كيف ولماذا؟**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١١٠ ـ ابن عبد السلام، عبد العزيز:

أ ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

ب ـ مقاصد الصوم، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١١١ ـ عبد الصمد، محمد، **الإعجاز العلمي في الإسلام والسُّنَّة النبوية**، مجلة الإصلاح، عدد ٢٩٦، عام ١٩٩٤م.

١١٢ ـ عبد العال، محمد، **نظرات إسلامية على الأمراض الجنسية والتناسلية**، دار السلام، مصر، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٣ ـ عبد القادر، خالد، **فقه الأقليات المسلمة**، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، طرابلس ـ لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١١٤ ـ عثمان، محمد، **صوموا تصحوا**، دار النمير، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١١٥ ـ ابن عطية، جرير، **ديوان جرير**، دار الأرقم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٦ ـ العظيم آبادي، محمد، **شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١٧ ـ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١١٨ ـ ابن عمر، عمر، **مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام**، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١٩ ـ عياض، القاضي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، ط مكتبة الحياة، بيروت.

١٢٠ ـ غاوجي، وهبي، **أركان الإسلام**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢١ ـ الغزالي، محمد:

أ ـ إحياء علوم الدين، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ب ـ المستصفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

ج ـ المنخول، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

د ـ شفاء الغليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٢ ـ الغنيمي، عبد الغني، **اللباب في شرح الكتاب**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٢٣ ـ ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، بيروت، ط ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٢٤ ـ ابن فرحون، إبراهيم:

أ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

ب ـ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، دار الكتب العلمية، د.ت.

١٢٥ ـ فرفور، ولي الدين، **المذهب في أصول المذهب على المنتخب**، دار الفرفور، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٦ ـ قاسم محمد، محمود، **الطب الوقائي النبوي**، دار النفائس، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢٧ ـ القاري، علي، **فتح باب العناية بشرح النقاية**، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٨ ـ قباني، مروان، **الزكاة أبحاث ومحاضرات في قضاياها المعاصرة**، ط ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، د.ط.

١٢٩ ـ ابن قدامة، عبد الله:

أ ـ المغني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

ب ـ روضة الناظر وجنة المناظر، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٣٠ ـ القرافي، أحمد:

أ ـ الذخيرة في فروع المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

ب ـ الفروق، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

ج ـ تنقيح الفصول، الطبعة المنيرية، ١٣٠٦هـ.

١٣١ ـ قرامي، زهير، **الاستشفاء بالصلاة**، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٢ ـ القرضاوي، يوسف:

أ ـ العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٤، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

ب ـ دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

ج ـ دراسة في فقه مقاصد الشريعة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

د ـ فتاوى معاصرة، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

هـ ـ فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣٣ ـ القرطبي، محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٣٤ ـ قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط٣٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٣٥ ـ ابن قطلوبغا، قاسم، **تاج التراجم**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ.
١٣٦ ـ القفطي، علي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٣٧ ـ القونوي، قاسم، **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
١٣٨ ـ ابن قيس، ميمون، **ديوان الأعشى الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٣٩ ـ القيسي، مروان، **معالم الهدى إلى فهم الإسلام**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٤٠ ـ ابن القيم، محمد:
أ ـ أسرار الصلاة، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
ب ـ إعلام الموقعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
ج ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
د ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
هـ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
و ـ الطب النبوي، دار المعرفة بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
ز ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الجيل، بيروت، د.ت.
١٤١ ـ الفوزان، محمد، **مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره وظواهر الانحراف**، دار نداء الإسلام للنشر والتوزيع، القصيم ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٤٢ ـ الفيروزآبادي، محمد، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٤٣ ـ الكاساني، أبو بكر، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط دار الفكر، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤٤ ـ ابن كثير، إسماعيل:
أ ـ **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
ب ـ **تفسير القرآن العظيم**، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٤٥ ـ ابن كرامة الله مخدوم، مصطفى، **قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية**، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٤٦ ـ د. كرزون، أحمد، **الفضائل الإيمانية في الحج**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
١٤٧ ـ ابن كندة، امرؤ القيس، **ديوان امرىء القيس**، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، بدون تاريخ.
١٤٨ ـ كوت، آلان، **الصوم الطبي والنظام الغذائي الأمثل**، دار الرشيد، دمشق، ط٣، د.ت.
١٤٩ ـ كيلاني، عبد الرزاق، **الحقائق الطبية في الإسلام**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
١٥٠ ـ لاكوست، صوفي، **أسرار العلاج بالصوم**، دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.
١٥١ ـ اللبان، فائزة، **مقاصد الصلاة التعبدية والصحية**، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
١٥٢ ـ ابن اللحام، علي، **المختصر في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٥٣ ـ ابن ماجه، محمد، **سنن ابن ماجه**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٥٤ ـ أبو مؤنس، رائد، **منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي**، المعهد العالمي، للفكر الإسلامي، هرندن ـ فيرجينيا، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
١٥٥ ـ متولي، أحمد، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسُّنَّة**، القاهرة، دار ابن الجوزي، ط ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٥٦ ـ مجموعة باحثين، **المعجم الوسيط**، ط٢، القاهرة، د.ت.
١٥٧ ـ محمد سيد، عبد الباسط:
أ ـ **آفاق الروح**، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع، مصر، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م.

ب ـ **الطب الوقائي للمحافظة على الصحة العامة**، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع، مصر، ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٥٨ ـ محمد، علي، **الحكم الشرعي عند الأصوليين**، ط دار السلام، القاهرة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٥٩ ـ مخلوف، محمد، **شجرة النور الزكية**، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٦٠ ـ مشهور، نعمت، **الزكاة الأسس الشرعية، والدور الإنمائي والتوزيعي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦١ ـ المحمد، محمد نجدات، **الخشوع في الصلاة**، دار الرؤية، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٦٢ ـ مهدي، نجف، **أحكام الزكاة في الشريعة الإسلامية**، بحث مقدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة الثامنة عشرة، كوالالمبور (ماليزيا).

١٦٣ ـ المسير، محمد، **العبادات في الإسلام**، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.

١٦٤ ـ المصطفى، حسين، **فلسفة العبادات**، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٦٥ ـ ابن المنذر، محمد، **الإجماع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م.

١٦٦ ـ ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٦٧ ـ المهدلي، محمد، **المحرمات الشرعية في ضوء الكشوف العلمية الحديثة**، الجمهورية اليمنية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٦٨ ـ الموصلي، عبد الله، **الاختيار لتعليل المختار**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦٩ ـ المويل، كمال، **الإعجاز الطبي في السُّنَّة النبوية**، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٧٠ ـ النابلسي، محمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسُّنَّة ـ آيات الله في الإنسان**، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٧١ ـ ابن النجار، محمد، **شرح الكوكب المنير**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٧٢ ـ النسفي، عبد الله، **مدارك التنزيل**، دار الفكر، بيروت، د.ت.
١٧٣ ـ النسفي، عمر، **طلبة الطَّلبة في الاصطلاحات الفقهية**، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٧٤ ـ النسيمي، محمود، **الطب النبوي والعلم الحديث**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
١٧٥ ـ النووي، يحيى:
أ ـ روضة الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
ب ـ المجموع شرح المهذب، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
ج ـ المنهاج شرح صحيح مسلم، الحجاج، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٧٦ ـ النيسابوري، مسلم، **صحيح مسلم**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٧٧ ـ ابن هشام، عبد الله، **شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، مطبعة التقدم، القاهرة، ط٥، سنة ١٣٩٨هـ.
١٧٨ ـ ابن الهمام، محمد:
أ ـ التحرير مع شرح التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م.
ب ـ شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت، د.ت.
١٧٩ ـ الهندي، علي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، كتاب الصحبة، قسم الأقوال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٨٠ ـ الهيثمي، علي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٨١ ـ أبو يعلى، أحمد، **مسند أبي يعلى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
١٨٢ ـ اليوبي، محمد، **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، دار ابن الجوزي، الدمام ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.

ثبت المواقع الإلكترونية

1 - http://ebaa.net/sehha-hiyat/018/018.html
2 - http://www.altibbi.com/definition
3 - http://healths.roro44.com/healths-48-829-0.html
4 - http://healths.roro44.com/healths-48-840-0.html
5 - http://isegs.com/forum/showthread.php?t=10
6 - http://islamfin.go-forum.net/t106-topic
7 - http://www.alganob.net/g/showdetails.asp?id=3862
8 - http://khatib.com/amebia.htm
9 - http://mcdialogue.org/vb/showthread.php?t=251
10 - http://mousou3a.educdz.com
11 - http://vb.arabseyes.com/t6665.html
12 - http://vb.islam2all.com/showthread.php?t=47900
13 - http://watein.com/ksaimg/displayimage-14-75.ht
14 - http://www.aliejaz.jeeran.com/ghosl.html
15 - http://www.alshia.org/html/ara/mostashrequn/index.php
16 - http://www.altibbi.com
17 - http://www.elwdad.com/vb/t23399
18 - http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/ShowFatwa.php
19 - http://www.kl28.com/forums/t6512.html
20 - http://www.ta4a.com/vb/archive/index.php/t-25648.html
21 - www.andrewneberg.com
22 - www.ar.wikipedia.org/wiki
23 - www.forum.stop55.com/278006.html
24 - www.marefa.org/index.php
25 - www.nouray.maktoobblog.com
26 - www.vb.alhilal.com/t115563.html

الفهارس العامة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ ـ فهرس المصطلحات الشرعية والكلمات الغريبة المشروحة.

٤ ـ فهرس المصطلحات الطبية.

٥ ـ فهرس الأبيات الشعرية.

٦ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

٧ ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ . . .﴾	١ ـ ٣	٤٣٨
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٣	٤٣٨، ٦٦٦
﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤٣	٤٢٦، ٤٣٤
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤٣	٤٨، ٢٩٧، ٤٣٤
﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾	٤٥	٢٩٣
﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾	١٢٥	٦٧٣
﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ . . .﴾	١٢٥	٦٧٣
﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾	١٢٦	٤٦٨
﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ﴾	١٢٩	١٢١، ١٥٢، ١٣٣
﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ . . .﴾	١٢٩	١٢٥
﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٣٢	٧٠، ٧١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ . . .﴾	١٤٣	١٠٦
﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾	١٥١	١٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ . . .﴾	١٥٣	٣٠٧
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ﴾	١٥٧	٢٩٥
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾	١٥٨	٦٧٤
﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٧٩	١٦٨

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾	١٨٣	١٥، ١٦٨، ١٨٦، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٤٧
﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	١٨٤	٥١٥
﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٨٤	٥٩٥
﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾	١٨٥	٥١٤
﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٨٥	١٨٦
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ...﴾	١٨٧	٥٩
﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ...﴾	١٩٦	٦٠٣، ٧٠٢
﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾	١٩٦	٦٠٩
﴿فَلَا رَفَثَ﴾	١٩٧	٦٠٨
﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩٧	٦١٣
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٩٨	٦٢٦
﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	٢٠٠	٦٩٥، ٦٩٧
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	٢٠٣	٦١٣
﴿...كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾	٢١٩، ٢٢٠	١٤٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٢٠٥، ٢١٣، ٦٨١
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ...﴾	٢٢٢	٢٧٣، ٢٨٦
﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾	٢٣١	١٢١
﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾	٢٥١	١٢١، ١٣١

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾	٢٥١	١٣٠
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٤٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾	٢٦٤	٦١٩
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ . . .﴾	٢٦٩	١٢١، ١٢٤، ١٣٠
﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	٢٦٩	١٢١، ١٢٤، ١٣٠
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٧٥
سورة آل عمران		
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ . . .﴾	١٤	٤٣٧
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	١٨	٤٩
﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٣٢	٩٩
﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾	٤٨	١٢١
﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ . . .﴾	٨١	١٢١
﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	٩٢	٦٢٠
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ . . .﴾	٩٦، ٩٧	٦٢٣
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	٩٧	٦٢، ٦٠٦، ٦٠٧
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٦٤٢، ٧٠٧
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ . . .﴾	١١٠	١٠٦
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ . . .﴾	١٣٣ ـ ١٣٤	٦٣٨
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ . . .﴾	١٦٤	١٢٢، ١٢٥
﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾	١٦٤	١٢٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم...﴾	١٨٠	٤٣١
سورة النساء		
﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟...﴾	٤٣	٢٧٢
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾	٥٤	١٢٢، ١٣١
﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	٥٩	١٠٠
﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	٥٩	١٠٠
﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	٧٨	١٤٨
﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ...﴾	١٠٠	٦٥٦
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾	١٠٣	٢٩٧، ٣٣٩
﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ...﴾	١١٣	١٢٢، ١٢٥
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾	١١٥	١٠٥
﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥	٦٧٥
﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾	١٢٨	٤٣٨
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾	١٥٦	١٦٨
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾	١٦٣	٢٧٦
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾	٢	٤٣٣، ٤٧٠، ٧٠٦
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ...﴾	٢	٧٠٦
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾	٣	٩١
﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟...﴾	٦	٢٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ...﴾	٦	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٩٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾	٦	٢٣٤
﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾	٦	٢٣٣
﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾	٦	٢٣٤
﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾	٦	٢٣٥
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	٣٧، ٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ...﴾	٨٧	٦٥٣
﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾	٨٩	٥٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا...﴾	٩٥	٦٦٣
﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾	٩٦	٦٦٣
﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾	١١٠	١٢٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١
سورة الأنعام		
﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٧	٦٥٦
﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾	٢٨	٦٥٦
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾	١٥١	٤٦٥
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ...﴾	١٦٢، ١٦٣	٦٦٠، ٦٦٦
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾	١١	٤٩
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	٢٩	٦٤٧
﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾	١٥٧	٧٥
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٧٨
﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾	١٦٣	٣٧
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ...﴾	١٧٩	٦٥٤

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾	١١	٢٠٥
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ...﴾	٦٠	٦٨٧
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ...﴾	٦٣	٦٨٣
سورة التوبة		
﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥	٤٣٠
﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾	١١	٤٣٠ ـ ٤٣١
﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ...﴾	٥٨	٥٠٢
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾	٦٠	٤٢٥، ٤٥٧، ٤٨٥، ٥٠٢
﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٣	٢٩٥
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾	١٠٣	١٦٨، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٥
﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ...﴾	١١٢	٧٠٦
سورة يونس		
﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾	٧١	١٠٣
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾	١	
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾	١١٤	٣٣٩

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	٤٠	٤٩
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٦٤٣
سورة إبراهيم		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾	٥	٦٤٤
﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ...﴾	٣٧	٦٢٣
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٩١
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	٨٥	١٤٢، ١٦٨
سورة النحل		
﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾	٧	٧٢
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾	٩	١٥٣
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	٢٥٨
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	٤٣٣
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً...﴾	٩٧	٣٣١
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ...﴾	١١٢	٤٦٨
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ...﴾	١٢٥	١٢٢، ١٢٤، ١٣٣
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ...﴾	٣١	٤٦٥

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ...﴾	٣٩	١٢٢
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	١٤٨
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾	٧٨	٣٣٩
سورة الكهف		
﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۞ ذَٰلِكَ...﴾	١، ٢	١٤٣
﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٤٦	٤٣٨
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾	٤٧	٤٩
﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾	٨١	٤٢٤
سورة مريم		
﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾	٢٦	٥١١
﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾	٢٦	٥١١، ٥١٣
سورة الأنبياء		
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	٦٨٥، ٧٠٦
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٣٥، ١٤٢
سورة الحج		
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ...﴾	٢	٦٨١
﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ...﴾	٢٥	٦٤٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾	٢٥	٦٤٥
﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ...﴾	٢٧ ـ ٢٨	١٦٩، ٦٤٢
﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾	٢٨	١٦٩، ٥٩٩
﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾	٢٨	٦٩٦
﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	٢٩	٥١٩، ٦٠٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	٢٩	٦٠٧
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	٣٢	٦١٢
﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾	٣٦	٥١
﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ...﴾	٣٦	٦٩٢
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾	٣٧	٦٩١
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ...﴾	٧٢	٢٥٨
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ...﴾	٧٧	٣٨٨
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ...﴾	٧٨	٧٥، ٦٧٣
سورة المؤمنون		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾	٤	٤٢٥
﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٦٤١
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥	١٦٨
سورة القصص		
﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾	٢٦	٣٢٣
سورة العنكبوت		
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	١٤، ١٦٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٨
سورة الروم		
﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ...﴾	٣٩	٤٢٣
سورة لقمان		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ...﴾	١٢	١٢٢، ١٢٨
﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾	١٩	١٥٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	٣٣	٤١
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾	٣٤	١٢٢، ١٢٥
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ...﴾	٣٦	١٠٠
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾	٣٧	٨١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾	٥٦	٢٩٦
سورة سبأ		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٢٨	٧٨
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ...﴾	٣٩	٤٢٥
سورة فاطر		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	١٥	٦٥٧
سورة الصافات		
﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾	١٠٢	٦٩١
سورة ص		
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾	٢٠	١٢٢، ١٣٠
سورة الزمر		
﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	٦٢	٤٩
سورة غافر		
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٦٤	٢٩٨
سورة فصلت		
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٩١
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	٣١٩، ٧١٧

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ . . .﴾	١٣	٣٦، ٨٣
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٢١	٣٧
﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	٤٠	٧٤
سورة الزخرف		
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	١٧	٢٥٨
﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾	٦٣	١٢٢، ١٣٠
سورة الدخان		
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾	٣٨	١٤٢
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	٣٨، ٣٩	١٦٨
سورة الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨	٣٧، ٣٩
سورة الأحقاف		
﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ . . .﴾	٢٩	٩٦
﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾	٣٠	٩٦
سورة محمد		
﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾	٣٣	٥١٩
سورة الفتح		
﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ . . .﴾	٢٩	٢٥٨
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾	٢٩	٤٧٠

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	٤٤٥، ٥٠٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ . . .﴾	١٣	٦٨٣
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	١٣	٦٤٠
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٤٢، ١٦٨، ٦١٢
سورة النجم		
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ . . .﴾	٣٢	٤٢٣
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	٣٩	٦٧٧
سورة القمر		
﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾	٥	١٢٢
سورة الواقعة		
﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩	٢٣٠
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾	٢٥	١٤٣
سورة الحشر		
﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾	٢	١١٣
﴿كَى لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾	٧	٤٩٤
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	٩	٤٩٤
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾	١٠	٦٢١
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ . . .﴾	٤ ـ ٦	٦٤٣

طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾	٢	١٢٢، ١٢٥
سورة الطلاق		
﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾	١	٦٠٦
سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٤	٥٠٩، ٧١٧
سورة المعارج		
﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾	٢٤، ٢٥	٤٢٤
سورة المدثر		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	١ ـ ٤	٢٠٦
سورة الانفطار		
﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٢	٤٩
سورة الشمس		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٩	٤٢٣
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٢٩٨
سورة العلق		
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾	٦، ٧	٤٤٠، ٤٤٣
سورة قريش		
﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ...﴾	١ ـ ٤	٤٦٨

❁ ❁ ❁

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	رقم الصفحة
- «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ»	٤٦٣
- «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ»	٢٤٩
- «إذا أراد السجود كبر وسجد، ووضع كفيه على الأرض»	٣٦٢
- «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فلا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثاً...»	٢٤٦
- «إِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلَاةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي»	٢٧٤
- «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَحَضَرَ الْعَشَاءُ فَابْدَؤُوا بِالْعَشَاءِ»	٤٦١
- «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فلا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ، ...»	٢٢٤
- «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لْيَنْتَثِرْ...»	٢٥٧
- «إِذَا تَوَضَّأَ الْعبد الْمُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيْهِ...»	٢٥١
- «إِذَا تَوَضَّأَ الْعبد الْمُسْلِمُ ـ أَوِ الْمُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ...»	٢٣٣
- «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلِ الْأَصَابِعَ»	٢٦٥
- «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ بَيْنَ أَصَابِعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ»	٢٦٥
- «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ»	٢٧٣
- «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»	٣٠٧
- «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَطْعَمْ»	٢٩٥
- «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ يَسْتَطِيبُ بِهِنَّ...»	٢٢١

طرف الحديث	رقم الصفحة
ـ «إِذَا سَجَدْتَ فَضَعْ كَفَّيْكَ وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ»	٣٨٠
ـ «إذا كان قائماً في الصلاة قبض بيمينه على شماله»	٣٦٠
ـ «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ...»	٣٤٠
ـ «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى...»	٢٣٩
ـ «اضْطَبَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَرَمَلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ وَمَشَوْا أَرْبَعاً»	٦٧١
ـ «اغْسِلْنَهَا ثَلَاثاً، أَوْ خَمْساً، أَوْ أَكْثَرَ مَنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ»	٢٧٤
ـ «أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ»	٥٠١
ـ «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»	٣٨٥
ـ «اقْضِيَا يَوْماً آخَرَ مَكَانَهُ»	٥١٩
ـ «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ...»	١٠١
ـ «... ألا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»	١٠١
ـ «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»	٦١٤
ـ «الْحَجُّ عَرَفَةُ»	٦٠٧
ـ «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»	٣٣٩
ـ «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ...»	٥٢٩، ٧٠٤
ـ «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»	٥٣٨
ـ «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»	٢٠٦
ـ «الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَحَلَّ فِيهِ الْمَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فلا يَنْطِقُ...»	٢٣٠
ـ «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»	٧٠٢
ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ»	٤٥٥

طرف الحديث	رقم الصفحة
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ»	٤٥٥
- «الْمَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إِلَّا لأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ...»	٤٧٥
- «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ...»	٤٧١
- «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الْجَبْهَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ -...»	٣٨٠
- «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ...»	٤٣٠
- «أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ...»	٣٥٦
- «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ...»	٣٠٦
- «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»	٧١٢
- «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ - استدان - حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»	٤٥٩
- «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّما تُطْفَأُ...»	٢٤١
- «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ...»	١٧٦
- «إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ»	١٠٧
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ...»	٣٠١
- «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»	٣٠١
- «إِنَّ تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةً فَاغْسِلُوا الشَّعْرَ وَأَنْقُوا الْبَشَرَ»	٢٧٥
- «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ...»	٦٠٨
- «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ، فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، ظَاهِرَهِما وَبَاطِنِهِمَا»	٢٦٤
- «انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثاً غُبْراً ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ...»	٦١٥
- «إِنَّكَ تَأْتِي قَوماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...)	٤٣١

طرف الحديث	رقم الصفحة
- «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»	٢٧٦، ٤٢٩
- «إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»	١٤٣
- «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ»	٦٦٤، ٦٨٧
- «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»	٣٢١
- «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ»	٢٧٣
- «إِنَّمَا سَعَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ»	٦٧١
- «إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا»	١٤٤، ١٧٠
- «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكمَة»	١١٨
- «إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ»	١٤٣
- «أَوَلَيسَ قَد ابتَعتُهُ مِنكَ؟»	٧٩
- «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»	٥٢٦
- «أَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»	٦٩٣
- «أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍ...»	٦٨٣
- «أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»	٦٣٧
- «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»	٦٠٣
- «بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ...»	٢٣٥
- «بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ»	٢٤٨
- «بَلْ أَنْتِ فَتَرِبَتْ يَمِينُكِ نَعَمْ فَلْتَغْتَسِلْ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِذَا رَأَتْ ذَاكِ»	٢٧٢
- «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...»	٢٩٨، ٣٠١، ٤٢٦، ٥١٤، ٥٢٩، ٦٠٣
- «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ...»	٧٠٢

طرف الحديث	رقم الصفحة
- «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»	٦٤٦
- «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ»	٤٦٢
- «تُعْرضُ الأعمالُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فأحبُّ أَنْ يُعرضَ عملي وأنا صائمٌ»	٥٢٠
- «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ»	٢٠٤
- «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْغَارِمِينَ: رَجُلٌ ذَهَبَ السَّيْلُ بِمَالِهِ، وَرَجُلٌ أَصَابَهُ حَرِيقٌ...»	٤٧٤
- «...ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»	٢٣٥
- «...ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...»	٢٣٤
- «الْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ... مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»	
- «جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ»	٦٠٩
- «خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»	٧٣
- «دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»	١٧٠
- «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ واخْتِلافِهِمْ...»	١٠١
- «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُه الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»	٣٠١
- «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»	٧١١
- «صُوْمُوا تَصِحُّوا»	٥٤٩، ٥٩٦
- «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ...»	٥٢٠
- «طَهِّرُوا هَذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ»	٢٠٦
- «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ...»	٢١١
- «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ»	٥٤٩
- «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً...»	٣٨٦
- «...فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى...»	٣٩٢

طرف الحديث	رقم الصفحة
- «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»	٤٦٢
- «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»	٤٢٦، ٤٥٧، ٤٧٨
- «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»	٦٧٥
- «فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»	٦٤٩
- «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ...»	٤٩٩
- «فرضَ رسولُ الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ...»	٤٩٩
- «... فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا...»	١٠٠
- «... فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ...»	٦٧٨
- «قال اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ،...»	٥٣٧
- «قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ...»	٤٥٩
- «قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ...»	٦٧١
- «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا طَافَ الطَّوَافَ الأَوَّلَ خَبَّ ثَلَاثاً وَمَشَى أَرْبَعاً»	٦٧٠
- «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ الْخَلَاءَ فَأَحْمِلُ أَنَا وَغُلَامٌ نَحْوِي إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ...»	٢٢٠
- «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ...»	٥٣٠
- «كُنْ عَبْدَ اللهِ الْمَقْتُولِ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللهِ الْقَاتِلِ»	٧٠
- «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»	١١٠
- «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئاً»	٥١٤
- «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»	٥٢٤
- «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»	٤٨٨
- «لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ...»	٥٢٣

طرف الحديث	رقم الصفحة
ـ «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»	٢٢٨، ٢٢٩
ـ «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»	٢٢٨، ٢٢٩
ـ «لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ»	٥٦٧
ـ «لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»	١٧٤
ـ «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ...»	١٢٣، ١٢٤
ـ «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ»	٥٢٦
ـ «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ»	٢٠٤
ـ «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى معانٍ ثلاثٍ»	١٦٢
ـ «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»	٥٢٧
ـ «لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ»	٢٢١
ـ «لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ»	٤٦١
ـ «لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ...»	٢٤٩
ـ «لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»	٦٩٨
ـ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ...»	٦٥٨
ـ «لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ ﷺ الْمَنَاسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ...»	٦٨٨
ـ «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، أَوْ عَلَى النَّاسِ ـ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٌ»	١٦٩
ـ «لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ...»	١٦٩
ـ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»	٣٢١
ـ «مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ»	٤٦٤

طرف الحديث	رقم الصفحة
ـ «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ...»	٦٨٤
ـ «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا...»	٢٤٤، ٢٦٨
ـ «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ، فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ...»	٦٣٢
ـ «مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا»	٢٦٣
ـ «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ»	٣٩٥
ـ «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً...»	٤٣١
ـ «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»	٦٠٨
ـ «مَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ»	١٠٧
ـ «مَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنَ، وَمَنْ لَا فلا حَرَجَ»	٢١٩
ـ «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُحْتَسِباً...»	٢٤٩
ـ «مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ»	٢٥٧
ـ «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»	٦٠٨، ٦١٥، ٦١٦
ـ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»	٥٢٢
ـ «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ»	٥١٩
ـ «نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ»	٢٨٣
ـ «نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ»	٥٢٤
ـ «... وإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ»	٢٤٩
ـ «... وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ...»	٣٧١
ـ «... وإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ...»	٥٥٥
ـ «وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ»	٢٧٣
ـ «... وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»	٥٢١

طرف الحديث	رقم الصفحة
- «. . . وَالإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»	١٢٨
- «وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»	٧٤، ١٥٣
- «وَقَّتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَلأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ. . .»	٦٥٢
- «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»	٧٨
- «وَلَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ»	٥٧
- «وَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ»	٢٣٠
- «وَلَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»	٨٠
- «يا أبا ذَرٍّ إذا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاث عَشْرَةَ وأَرْبَعَ عَشْرَةَ. . .»	٥٢٢
- «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ. . .»	١٦٩، ٥٨٨
- «يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده»	٣٩٦
- «يضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد»	٣٥٩
- «يضع يديه على ركبتيه كأنه قابض عليهما، وكان يأمر بوضع اليدين. . .»	٣٦١

فهرس المصطلحات الشرعية والكلمات الغريبة المشروحة

المصطلح أو الكلمة	رقم الصفحة
ـ الإجماع:	١٠٣
ـ الإحرام:	٦٥٥
ـ الاستجمار:	٢١٩
ـ الاستقراء:	١٤٥
ـ الاستئثار:	٢٥٣
ـ الاستنجاء:	٢١٧، ٢١٨
ـ الاستنشاق:	٢٥٣
ـ الاضطباع:	٦٧٠
ـ الإملاق:	٤٦٥
ـ الأنف:	٢٥٣
ـ البطالة الإجبارية:	٤٩١
ـ البطالة الاختيارية:	٤٨٨
ـ البطالة المقنعة:	٤٨٧
ـ التروية:	٦٧٨
ـ التشريع:	٣٥، ٣٦
ـ التنمية:	٤٨٣
ـ الجنابة:	٢٧٧
ـ الحج:	٦٠١، ٦٠٢
ـ الحرام:	٥٦

المصطلح أو الكلمة	رقم الصفحة
ـ الحكم التكليفي:	٥١
ـ الحكم الشرعي:	٤٨
ـ الحكم الوضعي:	٦٢
ـ الحكمة:	١١٧، ١٢٠
ـ الخرف	٣٣٠
ـ خطاب التكوين:	٥٠
ـ خطاب الوضع:	٦٢
ـ الدَّافة:	١٤٤
ـ الرمل:	٦٧٠
ـ الزكاة:	٤٢٣، ٤٢٤
ـ السبب:	٦٣
ـ السُّنَّة:	٩٨
ـ الشرط:	٦٤
ـ الشريعة:	٣٩، ٤٠، ٤١
ـ الصلاة:	٢٩٥، ٢٩٦
ـ الصوم:	٥١١، ٥١٢
ـ الضمار:	٥٤٣
ـ الطهارة:	٢٠٩، ٢١٠
ـ العلق:	٣٧

المصطلح أو الكلمة	رقم الصفحة	المصطلح أو الكلمة	رقم الصفحة
ـ العلة:	١٥٨، ١٦١	ـ المصلحة:	١٦٤
ـ العمرة:	٧٠١	ـ المضمضة:	٢٥٠
ـ العنانة:	٥٩٠	ـ المعتوه:	٣٣٠
ـ العَنَزة:	٢٢٠	ـ المقاصد:	١٥١، ١٥٤
ـ الغسل:	٢٧١	ـ المكروه:	٥٧
ـ الفقه:	٤٣	ـ المناسبة:	١٦٣
ـ القياس:	١٠٩	ـ المندوب:	٥٤
ـ الكتاب:	٩٦	ـ الموالاة:	٢٣٢
ـ الكعب:	٢٣٥	ـ الميقات:	٦٥٢
ـ المانع:	٦٥	ـ النية:	٢٧٦
ـ المباح:	٥٩	ـ الواجب:	٥١
ـ المرفق:	٢٣٤	ـ الوجه:	٢٣٣
ـ المشقة:	٧٢	ـ الوضوء:	٢٢٧
ـ المصدر الميمي:	١٥٢		

فهرس المصطلحات الطبية

المصطلح الطبي	الصفحة
ـ الأجزاء اللاإرادية:	٣٩٤
ـ الأدرينالين:	٢٨٢
ـ الالتهاب المعوي:	٢٤٧
ـ الأندروفين:	٣٤٥
ـ الإنكلستوما:	٢٠٤
ـ البروستاجلاندين:	٥٨٦
ـ البلهارسيا:	٢٠٤
ـ البنكرياس:	٥٥٧
ـ البيريميدين:	٥٧٣
ـ البيورين:	٥٧٣
ـ التستوستيرون:	٣٤٦
ـ الحمض الأميني:	٥٦٦
ـ الحمى التيفودية:	٢٤٧
ـ الدفتريا:	٢٥٤
ـ دوالي الساقين:	٤٠٥
ـ الزحار الأميبي:	٢٤٧
ـ الزحار العصوي:	٢٤٧

المصطلح الطبي	الصفحة
ـ السحايا:	٢٥٤
ـ السعال الديكي:	٢٥٤
ـ السل الرئوي	٢٥٤
ـ السيروتينين:	٣٥٤
ـ الشاهوق:	٢٥٤
ـ الشريان السباتي المشترك:	٣٩٨
ـ عضلة الحجاب الحاجز:	٣٥٧
ـ الغدة الصنوبرية:	٣٤٤
ـ الغدة النخامية:	٣٨٧
ـ الكورتيزول:	٣٤٥
ـ الكورتيزون:	٣٤٢
ـ الكوليرا:	٢٤٧
ـ المناعة:	٣١٩
ـ الميلاتونين:	٣٤٤
ـ النغمة العضلية:	٣٦٧
ـ هبوط عضلة القلب:	٥٥٢
ـ الهيدروكسي برولين:	٤٠٦
ـ الوريد الوداجي:	٣٩٨

فهرس الأبيات الشعرية

البيت		الصفحة
والمرء يلحقه بفتيان الندى	خُلُقُ الكريم وليس بالوُضَّاءِ	٢٢٧
بني حنيفة أحكموا سفهاءكم	إني أخاف عليكم أن أغضبا	٤٧، ١١٩
تحت الآلاءَةِ في نوعين من غُسُلٍ	بَاتَا عليه بتَسجَالٍ وتَقْطَارِ	٢٧١
وأشهد من عوف حلولاً كثيرة	يحجون سِبَّ الزبرقان المزعفرا	٦٠١
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي	نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً	٢٩٥
تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً	يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا	٢٩٥
خيل صيام وخيل غير صائمة	تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجُما	٥١١
ثياب بني عوف طهارى نقية	وأوجُهُهم عند المشاهد غرَّان	٢٠٩
ولقد أبحنا ما حميت	ولا مبيح لما حمينا	٥٩
فلا تجزعن من سيرةٍ أنت سرتها	فأول راضٍ سنةً من يسيرها	٩٨

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	اللقب	الصفحة
- إبراهيم بن موسى بن محمد	الشاطبي	٧٢
- إبراهيم بن يزيد	النخعي	١٧٣
- أحمد الريسوني	الريسوني	١٤٠
- أحمد بن إدريس البهنسي	القرافي	٦٠
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام	ابن تيمية	٤٤
- أحمد بن عبد الرحيم	الدهلوي	٤٣٩
- أحمد بن فارس بن زكريا	ابن فارس	١٥٢
- أحمد بن محمد بن حنبل	الشيباني	٢٢٠
- إرنست رينان	-	٤١٧
- إسماعيل بن عمر بن كثير	ابن كثير	٣٨
- ألكسيس كاريل	-	٢٩٣
- بدران أبو العينين	أبو العينين	١٥٧
- الحسين بن محمد بن المفضل	الأصفهاني	٣٥
- خوسيه فاريا	-	٤١٧
- ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن	-	١٧٥
- سعيد بن المسيب	ابن المسيب	١٧٥
- سليمان بن خلف	الباجي	١٧٦
- عبد العزيز بن عبد السلام	العز	١٣٦
- عبد العزيز ربيعة	-	١٣٩
- عبد الله بن أحمد	النسفي	١٢٧
- عبد الله بن أحمد بن محمد	ابن قدامة	١٨٧

الاسم	اللقب	الصفحة
- عبد الله بن عمر	البيضاوي	١٤٥
- عبد الله بن وهب القرشي المصري	ابن وهب	١٢٦
- عبد الملك بن عبد الله	الجويني	١٨٣
- عثمان بن عمر	ابن الحاجب	١٥٩
- علال الفاسي	الفاسي	١٩٥
- علي بن أبي علي بن محمد	الآمدي	١٥٩
- عمر بن عبد العزيز بن مروان	-	٤٦٤
- فارس عازوري	-	٤١٥
- فيليب حِتِّي	-	٤١٦
- قتادة بن دعامة السدوسي البصري	-	٤٠
- مالك بن أنس	الأصبحي	١٢٦
- المبارك بن محمد	ابن الأثير	٤٠
- محمد الطاهر بن عاشور	ابن عاشور	١٩٤
- محمد بن أبي بكر	ابن القيم	٨٢
- محمد بن أحمد	السمرقندي	١٨٦
- محمد بن أحمد بن أبي بكر	القرطبي	٣٦
- محمد بن إدريس	الشافعي	٩٤
- محمد بن جرير بن يزيد	ابن جرير	١٢٦
- محمد بن حسين	الجيزاني	١٠٨
- محمد بن عبد الواحد	ابن الهمام	٥٣٠
- محمد بن علي بن إسماعيل	الشاشي	١٨٢
- محمد بن علي بن الحسن	الحكيم الترمذي	١٨٠
- محمد بن علي بن محمد	التهانوي	٤٣
- محمد بن عمر	الرازي	٤٣٨
- محمد بن محمد بن أحمد	الغزالي	١٦٤
- محمد بن محمد بن محمود	الماتريدي	١٨٢
- محمد سعد بن أحمد	اليوبي	١٥٤

الاسم	اللقب	الصفحة
- محمود بن أحمد العيني	العيني	٧٠٤
- محمود بن عمر	الزمخشري	١٢٧
- مقاتل	البلخي	٤٠
- يحيى بن سعيد	-	١٧٥
- يحيى بن شرف	النووي	٢٧٥
- يوسف بن عبد الله	القرضاوي	٤٣
- يوسف بن عبد الله بن محمد	ابن عبد البر	١١١
- يونس بن عبد الأعلى بن موسى	-	١٢٦

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
شكر وتقدير	٧
المقدمة وفيها:	٩
الاستفتاحية	١١
الإشكالية	١٢
أهمية الموضوع	١٣
أسباب اختيار البحث	١٦
نقد الكتابات السابقة	١٨
المؤلفات القديمة	١٨
المؤلفات الحديثة	١٩
منهجية البحث	٢١
عمل الباحث	٢٢
أهم الصعوبات التي واجهت الباحث	٢٦
خطة البحث	٢٨

التمهيد

في تعريف التشريع والحكم الشرعي،

والخصائص العامة للشريعة، ومصادر الأحكام

المبحث الأول: تعريف التشريع، والحكم الشرعي، وبيان متعلقات الأحكام	٣٥
أولاً: التشريع لغة	٣٥
ثانياً: التشريع اصطلاحاً	٣٨
العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي	٤١

الموضوع — الصفحة

الفرق بين الشريعة والتشريع ٤٢
كلمة الشريعة في إطلاقنا اليوم ٤٣
الحكم الشرعي ٤٦
أولاً: الحكم لغةً ٤٦
ثانياً: الحكم اصطلاحاً ٤٧
أقسام الحكم ٤٨
١ ـ عقلي ٤٨
٢ ـ عادي ٤٨
٣ ـ شرعي ٤٨
الحكم التكليفي ٥١
أ ـ الحكم التكليفي لغةً ٥١
ب ـ الحكم التكليفي اصطلاحاً ٥١
أقسام الحكم التكليفي ٥١
١ ـ الواجب ٥١
أقسام الواجب ٥٢
٢ ـ المندوب ٥٤
أقسام المندوب ٥٤
٣ ـ الحرام ٥٦
أقسام الحرام ٥٦
٤ ـ المكروه ٥٧
أقسام المكروه ٥٧
٥ ـ المباح ٥٩
أقسام الإباحة ٥٩
الحكم الوضعي ٦٢
أ ـ الحكم الوضعي لغةً ٦٢
ب ـ الحكم الوضعي اصطلاحاً ٦٢
أقسام الحكم الوضعي ٦٣

الموضوع	الصفحة
١ ـ السبب	٦٣
أقسام السبب	٦٣
٢ ـ الشرط	٦٤
أقسام الشرط	٦٤
٣ ـ المانع	٦٥
أقسام المانع	٦٥
الفرق بين الحكم التكليفي والحكم الوضعي	٦٧
متعلقات الأحكام	٦٩
المسألة الأولى: لا تكليف شرعاً إلا بما يطاق	٦٩
المسألة الثانية: الشارع لم يقصد بالتكليف المشقة لذاتها	٧٢
معنى المشقة	٧٢
أولاً: المشقة لغةً	٧٢
ثانياً: المشقة اصطلاحاً	٧٢
الفرق بين المشقة المعتادة وغير المعتادة	٧٦
المبحث الثاني: الخصائص العامة للشريعة	٧٧
الخاصة الأولى: الشريعة بحسب المكلفين كلية عامة	٧٨
الخاصة الثانية: جمع الشريعة بين الثبات والمرونة في أحكامها	٨٢
بعض معالم خصيصة الثبات	٨٣
أ ـ باب العقيدة	٨٣
ب ـ باب العبادة	٨٤
ج ـ أحكام الحدود	٨٤
د ـ أحكام المقدرات	٨٥
بعض معالم خصيصة المرونة	٨٦
أ ـ تعليل الأحكام الشرعية	٨٦
ب ـ النص على قواعد كلية	٨٦
الخاصة الثالثة: شمول رعايتها لجميع المصالح	٨٨
الخاصة الرابعة: ربط أحكام السلوك والتعامل بوازع الدين	٩٠

الموضوع | الصفحة

الخاصة الخامسة: حفظ مصدري الشريعة من التحريف أو التبديل ٩١
المبحث الثالث: مصادر الشريعة ٩٣
المصدر الأول: الكتاب ٩٦
تعريف الكتاب ٩٦
المصدر الثاني: السُّنَّة ٩٨
أولاً: السُّنَّة لغةً ٩٨
ثانياً: السُّنَّة اصطلاحاً ٩٨
حجية السُّنَّة ٩٩
الأدلة على وجوب اتباع السُّنَّة ٩٩
المصدر الثالث: الإجماع ١٠٣
أ ـ الإجماع لغةً ١٠٣
ـ المعنى الأول ١٠٣
ـ المعنى الثاني ١٠٣
ب ـ الإجماع اصطلاحاً ١٠٣
أنواع الإجماع ١٠٤
١ ـ إجماع قولي ١٠٤
٢ ـ إجماع سكوتي ١٠٤
حجية الإجماع ١٠٥
الدليل على كون الإجماع حجة ١٠٥
المصدر الرابع: القياس ١٠٩
أ ـ القياس لغةً ١٠٩
ب ـ القياس اصطلاحاً ١٠٩
أركان القياس ١٠٩
الركن الأول ١٠٩
الركن الثاني ١١٠
الركن الثالث ١١٠
الركن الرابع ١١٠

الموضوع — الصفحة

حجية القياس ١١٠
أدلة حجية القياس ١١٠

الفصل الأول التأصيلي
إثبات الحكمة للشريعة، وبيان علاقة الحكمة بالأصول، ولمحة تاريخية عن التأليف في حكمة التشريع

المبحث الأول: تعريف الحكمة ١١٧
أولاً: الحكمة لغةً ١١٧
الحكمة في الكتاب والسُّنَّة والأثر ومعانيها ١٢١
معاني الحكمة ١٢٣
أولاً: القرآن الكريم والمعرفة بعلومه ١٢٣
ثانياً: السُّنَّة المطهرة والعلم بها ١٢٥
ثالثاً: الفقه بالدين والعلم بأحكامه ١٢٦
رابعاً: الإصابة في القول والعمل ١٢٨
خامساً: اجتماع العلم والعمل ١٢٩
سادساً: الكتب السماوية ١٣٠
سابعاً: النبوة ١٣٠
ثامناً: العلم والعقل والفهم والمعرفة بأسرار الحقيقة ١٣١
تاسعاً: الخشية والورع ١٣٢
عاشراً: المقالة المحكمة الصحيحة ١٣٣
حادي عشر: أسرار الأمور وفقه الأحكام ١٣٣
ثانياً: الحكمة اصطلاحاً ١٣٥
الحكمة عند الأصوليين ١٣٧
المبحث الثاني: أدلة ثبوت الحكمة للشريعة ١٤١
أولاً: من الكتاب ١٤٢
ثانياً: من السُّنَّة ١٤٣
ثالثاً: من الإجماع ١٤٥
رابعاً: من الاستقراء ١٤٥

الموضوع	الصفحة
خامساً: من المعقول	١٤٧
المبحث الثالث: المقارنة بين الحكمة وبين ما له صلة بها	١٥١
١ ـ المقاصد	١٥١
أولاً: المقاصد لغةً	١٥١
استعمالات المقاصد عند العرب	١٥٢
ثانياً: المقاصد اصطلاحاً	١٥٤
ثالثاً: العلاقة بين المقاصد والحكمة	١٥٧
٢ ـ العلة	١٥٨
أولاً: العلة لغة	١٥٨
استعمالات العلة عند العرب	١٥٨
ثانياً: العلة اصطلاحاً	١٥٨
العلاقة بين العلة والحِكمة	١٦١
٣ ـ المعنى	١٦٢
٤ ـ معنى المناسبة	١٦٣
أولاً: المناسبة لغةً	١٦٣
ثانياً: المناسبة اصطلاحاً	١٦٣
العلاقة بين المناسبة والحِكمة	١٦٤
٥ ـ معنى المصلحة	١٦٤
أولاً: المصلحة لغةً	١٦٤
ثانياً: المصلحة اصطلاحاً	١٦٤
العلاقة بين المصلحة والحِكمة	١٦٥
المبحث الرابع: حكمة التشريع في صدر الإسلام	١٦٧
فكرة عن السياق التاريخي الذي نشأ فيه مصطلح الحِكمة	١٦٧
إشارة النصوص إلى الحكمة	١٦٨
أولاً: في الكتاب	١٦٨
ثانياً: في السُّنَّة	١٦٩
ثالثاً: عند الصحابة	١٧٠

الموضوع — الصفحة

أمثلة تبين مراعاة الصحابة للحكمة ١٧١
المثال الأول: جمع القرآن ١٧١
المثال الثاني: قتل الجماعة بالواحد ١٧٢
رابعاً: عند التابعين ١٧٣
أمثلة تبين مراعاة التابعين للحكمة ١٧٤
المثال الأول: خروج النساء للمسجد ١٧٤
المثال الثاني: التسعير ١٧٥
المبحث الخامس: العلماء الذين صنفوا في حكمة التشريع وأهم المصنفات ... ١٧٩
أولاً: الحكيم الترمذي ١٨٠
ثانياً: أبو منصور الماتريدي ١٨٢
ثالثاً: أبو بكر القفال الشاشي ١٨٢
رابعاً: إمام الحرمين ١٨٣
خامساً: أبو حامد الغزالي ١٨٥
ساساً: أبو بكر السمرقندي ١٨٦
سابعاً: ابن قدامة ١٨٧
ثامناً: عبد العزيز بن عبد السلام ١٨٧
تاسعاً: القرافي ١٨٩
عاشراً: ابن تيمية ١٩٠
حادي عشر: ابن القيم ١٩١
ثاني عشر: الشاطبي ١٩٣
ثالث عشر: ابن عاشور ١٩٤
المبحث السادس: لمحة عما ألف في مقاصد أجزاء الشريعة ١٩٧

الفصل الثاني
حكمة تشريع الطهارة

تمهيد ٢٠٣
المبحث الأول: تعريف الطهارة، وحكمة تشريعها، وأقسامها ٢٠٩
تعريف الطهارة ٢٠٩

الموضوع | الصفحة

أولاً: الطهارة لغةً ٢٠٩
ثانياً: الطهارة اصطلاحاً ٢١٠
حكمة تشريع الطهارة ٢١١
أقسام الطهارة ٢١٤
القسم الأول: طهارة حكمية ٢١٤
القسم الثاني: طهارة حسية ٢١٥
المبحث الثاني: تعريف الاستنجاء، وحكمه، وحكمته ٢١٧
تعريف الاستنجاء ٢١٧
أولاً: الاستنجاء لغةً ٢١٧
ثانياً: الاستنجاء اصطلاحاً ٢١٨
حكم الاستنجاء ٢١٨
المذهب الأول ٢١٨
المذهب الثاني ٢٢٠
حكمة الاستنجاء ٢٢٢
المبحث الثالث: تعريف الوضوء، وما يجب له وفرائضه ٢٢٧
تعريف الوضوء ٢٢٧
أولاً: الوضوء لغةً ٢٢٧
ثانياً: الوضوء شرعاً ٢٢٧
دليل مشروعية الوضوء ٢٢٨
أولاً: الكتاب ٢٢٨
ثانياً: السُّنَّة ٢٢٨
ثالثاً: الإجماع ٢٢٨
ما يجب له الوضوء ٢٢٩
الأول: الصلاة مطلقاً ٢٢٩
الثاني: الطواف بالبيت ٢٣٠
الثالث: مس المصحف ٢٣٠
فرائض الوضوء ٢٣١

الموضوع	الصفحة
أولاً: غسل الوجه	٢٣٣
ثانياً: غسل اليدين إلى المرفقين	٢٣٤
ثالثاً: مسح الرأس	٢٣٤
رابعاً: غسل الرجلين	٢٣٥
المبحث الرابع: حكمة تشريع غسل أعضاء الوضوء	٢٣٧
أولاً: حكمة شرعية	٢٣٨
ثانياً: حكمة روحية	٢٣٨
ثالثاً: حكمة نفسية	٢٣٩
رابعاً: حكمة صحية	٢٤٠
فوائد غسل أعضاء الوضوء بصفة عامة	٢٤٠
١ ـ الفوائد العصبية النفسية	٢٤٠
أ ـ معاكسة الاكتئاب	٢٤١
ب ـ ضبط التصرفات	٢٤١
ج ـ تنشيط الفكر	٢٤٢
٢ ـ الفوائد القلبية الدورانية	٢٤٢
٣ ـ تنشيط الدورة الدموية	٢٤٢
٤ ـ خفض درجة حرارة الجسم	٢٤٣
٥ ـ يعيد توازن طاقة جسم الإنسان ويصلح خللها	٢٤٣
٦ ـ نظافة الأعضاء المكشوفة	٢٤٤
فوائد غسل أعضاء الوضوء بصفة خاصة	٢٤٦
١ ـ غسل اليدين إلى الرسغين قبل البدء في الوضوء	٢٤٦
٢ ـ المضمضة	٢٥٠
٣ ـ الاستنشاق والاستنثار	٢٥٣
٤ ـ غسل الوجه	٢٥٧
٥ ـ غسل اليدين إلى المرفقين	٢٦٠
٦ ـ مسح الرأس	٢٦٢
٧ ـ مسح الأذنين	٢٦٣

الموضوع | الصفحة

٨ ـ غسل الرجلين إلى الكعبين ٢٦٤
حكمة تخصيص الحالة الاعتبارية المسماة حدثاً أصغر بهذه الأعضاء ٢٦٧
المبحث الخامس: تعريف الغسل وما يجب له وفرائضه ٢٧١
تعريف االغسل ٢٧١
أولاً: الغسل لغةً ٢٧١
ثانياً: الغسل شرعاً ٢٧٢
ما يجب له الغسل ٢٧٢
أولاً: خروج المني ٢٧٢
ثانياً: التقاء الختانين ٢٧٣
ثالثاً: الحيض والنفاس ٢٧٣
رابعاً: الموت ٢٧٤
فرائض الغسل ٢٧٤
أولاً: تعميم البدن بالماء ٢٧٤
ثانياً: النية ٢٧٦
المبحث السادس: حكمة تشريع الاغتسال من الجنابة، والحيض، والنفاس، والموت ٢٧٧
أولاً: حكمة شرعية ٢٧٧
ثانياً: حكمة روحية ٢٧٩
ثالثاً: حكمة نفسية ٢٧٩
رابعاً: حكمة أخلاقية ٢٨٠
خامساً: حكمة صحية ٢٨١
فوائد الاغتسال من الجنابة ٢٨٢
١ ـ فائدة حسية ٢٨٢
٢ ـ فائدة شعورية ٢٨٢
٣ ـ فائدة بدنية ٢٨٣
حكمة تشريع الاغتسال من الحيض ٢٨٦
حكمة تشريع الاغتسال من النفاس ٢٨٨

الموضوع | الصفحة

حكمة تشريع غسل الميت ٢٨٩

الفصل الثالث
حكمة تشريع الصلاة

تمهيد ٢٩٣
المبحث الأول: تعريف الصلاة، وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام ٢٩٥
أولاً: الصلاة لغةً ٢٩٥
ثانياً: الصلاة اصطلاحاً ٢٩٦
المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ٢٩٦
أدلة فريضة الصلاة ٢٩٧
أولاً: من الكتاب ٢٩٧
ثانياً: من السُّنَّة ٢٩٨
ثالثاً: من الإجماع ٢٩٨
رابعاً: من المعقول ٢٩٨
شروط الصلاة ٢٩٩
أولاً: شروط وجوب الصلاة ٣٠٠
١ ـ الإسلام ٣٠٠
٢ ـ العقل ٣٠٠
٣ ـ البلوغ ٣٠٠
ثانياً: شروط صحة الصلاة ٣٠٠
١ ـ الطهارة ٣٠٠
أ ـ الطهارة الحقيقية ٣٠٠
ب ـ الطهارة الحكمية ٣٠٠
٢ ـ ستر العورة ٣٠٠
٣ ـ استقبال القبلة ٣٠٠
٤ ـ العلم بدخول الوقت ٣٠٠
مكانة الصلاة في الإسلام ٣٠١
المبحث الثاني: حكمة تشريع الصلاة ٣٠٣

الموضوع | الصفحة

أولاً: حكمة شرعية ٣٠٤
ثانياً: حكمة روحية ٣٠٥
ثالثاً: حكمة نفسية ٣٠٦
رابعاً: حكمة اجتماعية تربوية ٣١٠
خامساً: حكمة علمية ٣١٢
١ ـ تنمية ملكة حصر الذهن ٣١٢
٢ ـ إعادة برمجة الدماغ ٣١٣
الصلاة والتأمل ٣١٧
الصلاة الشرعية وأثرها على الدماغ ٣١٨
٣ ـ تقوية جهاز المناعة ٣١٩
تأثير الصلاة على جهاز المناعة ٣٢٠
سادساً: حكمة الصلاة الصحية ٣٢٣
فوائد الصلاة البدنية العامة لجميع فئات الناس ٣٢٥
فوائد الصلاة البدنية لبعض فئات الناس ٣٢٩
أولاً: فوائد الصلاة البدنية لكبار السن ٣٢٩
ثانياً: فوائد الصلاة البدنية للحامل ٣٣١
تمارين رياضية للحامل مشابهة لحركات الصلاة ٣٣٤
أهم فوائد الصلاة البدنية والنفسية للحامل ٣٣٦
فوائد الصلاة البدنية لفترة ما بعد الولادة ٣٣٦
المبحث الثالث: حكمة تخصيص أوقات الصلوات ٣٣٩
الخط الحيوي البيولوجي للإنسان ٣٤١
ـ الفترة الصباحية ٣٤١
ـ الفترة المسائية ٣٤١
فوائد أداء الصلوات الخمس في مواعيدها ٣٤١
أولاً: فوائد صلاة الفجر ٣٤٢
ثانياً: فوائد صلاة الظهر ٣٤٦
ثالثاً: فوائد صلاة العصر ٣٤٧

الموضوع	الصفحة
رابعاً: فوائد صلاة المغرب	٣٤٩
خامساً: فوائد صلاة العشاء	٣٤٩
المبحث الرابع: حركات الصلاة رؤية تحليلية	٣٥٣
أولاً: فائدة القيام في الصلاة	٣٥٤
ثانياً: فائدة حركة رفع اليدين في التكبير	٣٥٥
جدول عدد مرات تكرار رفع اليدين في اليوم	٣٥٦
مواقع العضلات العاملة في رفع اليدين	٣٥٨
ثالثاً: فائدة حركة الكف في الصلاة وتكرارها	٣٥٩
جدول عدد مرات تكرار حركة الكف في اليوم	٣٦٢
مواقع العضلات العاملة في حركة الكف	٣٦٣
رابعاً: الركوع	٣٦٤
جدول عدد مرات تكرار الركوع في الصلاة في اليوم	٣٦٥
فوائد حركة الركوع البدنية	٣٦٥
١ ـ فائدة تقوية العضلات والمفاصل	٣٦٦
أهم العضلات العاملة في الركوع	٣٦٦
٢ ـ فائدة زيادة مرونة العمود الفقري وتقويته	٣٦٧
٣ ـ فائدة تنشيط عمل الرئتين وزيادة مرونة الصدر	٣٦٨
٤ ـ فائدة تنشيط عمل الجهاز الهضمي	٣٦٩
٥ ـ فائدة تغذية الرأس والدماغ بالدم	٣٧٠
٦ ـ فائدة تنشيط دفع الدم نحو القلب	٣٧٠
خامساً: فائدة الاعتدال من الركوع	٣٧١
عضلات الظهر العاملة في حركة الرفع من الركوع	٣٧١
جدول عدد مرات تكرار الاعتدال من الركوع	٣٧٢
سادساً: فائدة النزول إلى السجود والقيام منه	٣٧٣
مواقع العضلات العاملة في حركة النزول والقيام	٣٧٤
جدول عدد مرات تكرار النزول والقيام في اليوم	٣٧٥
فوائد حركة النزول والقيام	٣٧٥

الموضوع — الصفحة

١ ـ فائدة تقوية العضلات والمفاصل العاملة ٣٧٥
٢ ـ فائدة تنشيط الدورة الدموية ٣٧٥
سابعاً: فائدة حركة القدم في الصلاة ٣٧٧
مواقع العضلات العاملة في حركة القدم ..... ٣٧٧، ٣٧٨
جدول عدد مرات تكرار حركة القدم في اليوم ٣٧٩
ثامناً: فائدة السجود الصحية ٣٧٩
أقسام حركة السجود ٣٨٠
أولاً: حركة اليدين في السجود ٣٨٠
جدول عدد تكرار حركة اليدين في السجود ٣٨١
ثانياً: حركة الجذع في السجود ٣٨٢
جدول عدد مرات تكرار حركة الجذع في السجود ٣٨٣
فوائد حركة الجذع في السجود ٣٨٣
ثالثاً: حركة الرجلين في السجود ٣٨٣
جدول عدد مرات تكرار حركة الرجلين في السجود ٣٨٤
فائدة حركة ثني ومد الرجلين في السجود ٣٨٤
رابعاً: هيئة السجود ٣٨٤
جدول عدد مرات تكرار هيئة السجود في الصلاة ٣٨٥
أهم الفوائد البدنية لهيئة السجود ٣٨٦
١ ـ تغذية الرأس والدماغ بالدم ٣٨٦
٢ ـ المحافظة على المفاصل وعلى مرونة العمود الفقري ٣٨٨
٣ ـ تنشيط عمل الرئتين وزيادة مرونة الصدر ٣٨٩
٤ ـ تقوية الجهاز الهضمي والكبد ٣٩٠
٥ ـ تقوية الدورة الدموية ٣٩١
٦ ـ تقوية مضخات الأوردة ٣٩١
تاسعاً: فائدة هيئة الجلوس بين السجدتين وفي التشهد والسلام ٣٩٢
جدول عدد مرات تكرار هيئة الجلوس في الصلاة ٣٩٣
فوائد تكرار هيئة الجلوس ٣٩٣

الموضوع — الصفحة

١ ـ تخفيف وإزالة التيبس في الركبتين وفي رسغي القدمين ٣٩٣
٢ ـ زيادة ومرونة عضلات الفخذ الأمامية وعضلات القدمين ٣٩٣
٣ ـ زيادة أربطة الركبتين والقدمين ٣٩٣
٤ ـ تخليص الأطراف السفلية من ركودة الدم ٣٩٤
٥ ـ استرخاء عضلات اليدين ٣٩٤
عاشراً: فائدة النهوض من السجود إلى الوقوف ٣٩٥
حادي عشر: فائدة التسليم ٣٩٥
مواقع العضلات العاملة في حركة التسليم ٣٩٧
جدول عدد مرات تكرار حركة التسليم في اليوم ٣٩٧
فوائد الصحية لحركة التسليم في الصلاة ٣٩٨
المبحث الخامس: حكمة الصلاة في علاج الأمراض ٤٠١
أولاً: حكمة الصلاة في علاج الضمور العظمي ٤٠١
حكمة أمر الأطفال الجدي بالصلاة ٤٠٤
ثانياً: حكمة الصلاة في الوقاية من دوالي الساقين ٤٠٥
سبب هذه العملية الصحية ٤٠٨
ثالثاً: حكمة الصلاة في إنقاص الوزن ٤٠٩
جدول الطاقة المبذولة حسب الجهد اليومي ٤٠٩
المبحث السادس: شهادة غير المسلمين بالصلاة ٤١٥
ـ فارس عازوي ٤١٥
ـ فيليب جِتّي ٤١٦
ـ رينان ٤١٧
ـ ميشيل بودير ٤١٧
ـ خوسيه فاريا ٤١٧
ـ سعيد بن الحسن ٤١٨

الفصل الرابع
حكمة تشريع الزكاة

تمهيد ٤٢١

الموضوع | الصفحة

المبحث الأول: تعريف الزكاة، وأدلتها، وشروطها، ومكانتها في الإسلام ٤٢٣
تعريف الزكاة ٤٢٣
أ ـ الزكاة لغةً ٤٢٣
ب ـ الزكاة اصطلاحاً ٤٢٤
ج ـ المناسبة بين المعنى اللغوي للزكاة والمعنى الشرعي ٤٢٥
ثانياً: أدلة وجوب الزكاة ٤٢٥
أ ـ من الكتاب ٤٢٦
ب ـ من السُّنَّة ٤٢٦
ج ـ من الإجماع ٤٢٦
د ـ من المعقول ٤٢٧
ثالثاً: شروط وجوب الزكاة ٤٢٧
أ ـ شروط وجوب الزكاة في المزكِّي ٤٢٧
ب ـ شروط وجوب الزكاة في المال ٤٢٨
ج ـ شروط صحة أداء الزكاة ٤٢٨
د ـ أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة ٤٢٩
رابعاً: مكانة الزكاة في الإسلام ٤٢٩
خامساً: أهمية الزكاة ٤٣٠
المبحث الثاني: حكمة تشريع الزكاة ٤٣٣
أولاً: حكمة الزكاة الإجمالية ٤٣٤
١ ـ حكمة شرعية ٤٣٤
٢ ـ حكمة روحية ٤٣٥
٣ ـ حكمة نفسية ٤٣٦
أ ـ حكمة الزكاة وأثرها في نفس المعطي ٤٣٧
ب ـ حكمة الزكاة وأثرها في نفس الآخذ ٤٤١
٤ ـ حكمة الزكاة التربوية والأخلاقية ٤٤٣
٥ ـ حكمة الزكاة الاجتماعية ٤٤٥
٦ ـ حكمة الزكاة الصحية ٤٥٠

الموضوع	الصفحة

ثانياً: حكمة الزكاة التفصيلية ٤٥٤
١ ـ حكمة تشريع الزكاة في حماية العقيدة ٤٥٤
٢ ـ حكمة تشريع الزكاة في حماية الأخلاق والسلوك ٤٥٨
٣ ـ حكمة تشريع الزكاة في حماية الفكر الإنساني ٤٦٠
٤ ـ حكمة تشريع الزكاة في المحافظة على الأسرة ٤٦٢
٥ ـ حكمة تشريع الزكاة في حفظ أمن المجتمع واستقراره ٤٦٦
٦ ـ حكمة تشريع الزكاة في حفظ سيادة الأمة وحريتها واستقلالها ٤٦٩
٧ ـ حكمة تشريع الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي ٤٧٠
أولاً: حكمة تشريع الزكاة في كفالة المنكوب بكارثة ٤٧٤
ثانياً: حكمة تشريع الزكاة في كفالة الغارم بدين ٤٧٥
٨ ـ حكمة تشريع الزكاة في تحقيق التكافل بين المناطق الإسلامية ٤٧٨
٩ ـ حكمة الزكاة في تأمين الاستقرار الاقتصادي من التقلبات ٤٧٩
أ ـ إعادة توزيع المدخول ٤٨٠
ب ـ تحويل الادخار إلى استثمار ٤٨١
ج ـ اكتمال الدورة النقدية في الاقتصاد ٤٨٢
١٠ ـ حكمة الزكاة في تمويل التنمية بشكل منتظم ٤٨٣
أهم نماذج وضعية مطبقة للتنمية (تعليق) ٤٨٣
١١ ـ حكمة الزكاة في معالجة البطالة وزيادة التشغيل ٤٨٥
ـ حكمة الزكاة في الرفع من مستوى التشغيل ٤٨٦
ـ جهاز إدارة الزكاة ٤٨٩
ـ إدارة تحصيل الزكاة واختصاصاتها (تعليق) ٤٩٠
ـ إدارة توزيع الزكاة واختصاصاتها (تعليق) ٤٩٠
١٢ ـ حكمة الزكاة في محاربة الاكتناز ٤٩١
١٣ ـ حكمة الزكاة في الحث على الاستثمار ٤٩٥
١٤ ـ حكمة الزكاة في معالجة التضخم والوقاية منه ٤٩٦
أ ـ توفير التدفقات النقدية ٤٩٦
ب ـ ضبط الطلب الكلي ٤٩٦

الموضوع — الصفحة

المبحث الثالث: حكمة تشريع زكاة الفطر ٤٩٩
حكمة توزيع الزكاة على الأصناف الثمانية ٥٠١
المبحث الرابع: سر عناية القرآن بمصارف الزكاة ٥٠٣
المبحث الخامس: شهادة غير المسلمين بالزكاة ٥٠٥
ـ ليو دوروش ٥٠٥

الفصل الخامس
حكمة تشريع الصوم

تمهيد ٥٠٩
المبحث الأول: تعريف الصوم، وأدلته، وشروطه ٥١١
أولاً: الصوم لغةً ٥١١
ثانياً: الصوم شرعاً ٥١٢
ثالثاً: المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للصوم ٥١٣
أدلة فرضية الصوم ٥١٣
أولاً: من الكتاب ٥١٤
ثانياً: من السُّنَّة ٥١٤
ثالثاً: من الإجماع ٥١٤
شروط الصوم ٥١٥
أ ـ شروط وجوب التكليف ٥١٥
ب ـ شروط وجوب أداء الصوم ٥١٥
ج ـ شروط صحة الصوم ٥١٦
د ـ ركن الصوم ٥١٦
هـ ـ سبب وجوب الصوم ٥١٦
و ـ أثر الصوم ٥١٦
المبحث الثاني: أنواع الصوم، وحكمته ٥١٧
أ ـ الفرض ٥١٧
١ ـ فرض معين ٥١٧
حكمة تخصيص شهر رمضان بالصوم ٥١٧

الموضوع	الصفحة
٢ ـ فرض غير معين	٥١٨
ب ـ الوجوب	٥١٩
١ ـ صوم النذر	٥١٩
٢ ـ صوم النفل في حق من أفسده بغير العذر المانع من الصوم	٥١٩
ج ـ صوم السُّنَّة	٥٢٠
١ ـ صوم الإثنين والخميس	٥٢٠
٢ ـ صوم يوم عرفة	٥٢٠
حكمة صيام يوم عرفة	٥٢٠
٣ ـ صوم يوم عاشوراء	٥٢١
حكمة صيام يوم عاشوراء	٥٢١
٤ ـ صوم ثلاثة أيام من كل شهر	٥٢٢
حكمة صيام ثلاثة أيام من كل شهر	٥٢٢
٥ ـ صوم ست من شوال	٥٢٢
حكمة صيام الست من شوال	٥٢٢
د ـ الصوم المكروه	٥٢٣
أولاً: المكروه تنزيهاً	٥٢٣
١ ـ صوم يوم الجمعة مستقلاً	٥٢٣
حكمة النهي عن إفراد صيام يوم الجمعة	٥٢٤
٢ ـ صوم يوم عاشوراء منفرداً عن التاسع	٥٢٤
حكمة النهي عن صيام يوم العاشر دون التاسع	٥٢٤
ثانياً: المكروه تحريماً	٥٢٥
١ ـ صوم اليوم الأول من عيد الفطر واليوم الأول من عيد الأضحى	٥٢٥
حكمة النهي عن صوم يومي العيدين	٥٢٥
٢ ـ صوم أيام التشريق الثلاثة مطلقاً	٥٢٦
حكمة النهي عن الصوم أيام التشريق	٥٢٦
٣ ـ صوم الدهر	٥٢٦
حكمة النهي عن صوم الدهر	٥٢٦

الموضوع | الصفحة

٤ ـ صوم المرأة النفل دون إذن زوجها ٥٢٧
حكمة نهي المرأة عن الصوم نفلاً دون إذن زوجها ٥٢٧
المبحث الثالث: مكانة الصوم وأهميته ٥٢٩
مكانة الصوم ٥٢٩
أهمية الصوم ٥٣٠
المبحث الرابع: حكمة تشريع الصوم ٥٣٣
أولاً: حكمة شرعية ٥٣٣
ثانياً: حكمة روحية ٥٣٥
ثالثاً: حكمة نفسية ٥٣٦
رابعاً: حكمة تربوية أخلاقية ٥٣٨
خامساً: حكمة اجتماعية ٥٤٠
١ ـ النظام ٥٤٠
٢ ـ المساواة ٥٤١
٣ ـ الرحمة ٥٤٢
٤ ـ الحرية ٥٤٢
٥ ـ الضمار ٥٤٣
٦ ـ اختبار سنوي ٥٤٣
سادساً: حكمة اقتصادية ٥٤٤
سابعاً: حكمة صحية ٥٤٥
أهم فوائد الصوم الصحية ٥٥٠
١ ـ فائدة الصوم في تقوية وتنشيط عضلة القلب والدورة الدموية ٥٥٠
٢ ـ فائدة الصوم في الوقاية من الجلطة ٥٥٣
٣ ـ فائدة الصوم في الوقاية من النوبات القلبية ٥٥٥
٤ ـ فائدة الصوم الصحية في معالجة مرضى السكري ٥٥٧
٥ ـ فائدة الصوم الصحية للجهاز الهضمي ٥٥٩
٦ ـ فائدة الصوم في علاج الكلى والمسالك البولية ٥٦٠
٧ ـ فائدة الصوم لمرضى التهاب الكلى ٥٦١

الموضوع — الصفحة

٨ ـ فائدة الصوم في تخفيف عمل الكلية ٥٦١
٩ ـ فائدة عدم شرب الماء في الصوم ٥٦٢
١٠ ـ فائدة الصوم الصحية لمرضى الربو ٥٦٧
١١ ـ فائدة الصوم الصحية في علاج الأمراض الجلدية ٥٦٨
١٢ ـ فائدة الصوم الصحية في تجديد الشباب ٥٧١
١٣ ـ فائدة الصوم الصحية في تجديد خلايا الجسم ٥٧٢
١٤ ـ فائدة الصوم في علاج التسمم الغذائي والدوائي ٥٧٦
١٥ ـ فائدة الصوم في إزالة الأورام ٥٧٧
١٦ ـ فائدة الصوم للجهاز العصبي ٥٧٩
١٧ ـ فائدة الصوم الصحية في إزالة الشعور بالألم ٥٨٠
١٨ ـ فائدة الصوم في إزالة الإحباط النفسي ٥٨١
١٩ ـ فائدة الصوم في تنمية التفكير عند الإنسان ٥٨١
ـ السبب في زيادة الصوم طاقات الذكاء ٥٨٣
٢٠ ـ فائدة الصوم في معالجة الأمراض العقلية ٥٨٤
٢١ ـ فائدة الصوم في علاج الضعف الجنسي ٥٨٦
٢٢ ـ فائدة الصوم الصحية في معالجة السمنة ٥٩٠
٢٣ ـ فائدة الصوم في تقوية جهاز المناعة ٥٩٢
المبحث الخامس: شهادة غير المسلمين بالصوم ٥٩٥

الفصل السادس
حكمة تشريع الحج والعمرة

تمهيد ٥٩٩
المبحث الأول: تعريف الحج، وأدلته، وشروطه، وأركانه، ومكانته، وأهميته في الإسلام ٦٠١
أولاً: الحج لغةً ٦٠١
ثانياً: الحج اصطلاحاً ٦٠٢
المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي ٦٠٢
أدلة فرضية الحج ٦٠٢

الموضوع	الصفحة
أولاً: من الكتاب	٦٠٢
ثانياً: من السُّنَّة	٦٠٣
ثالثاً: من الإجماع	٦٠٣
رابعاً: من المعقول	٦٠٤
شروط وجوب الحج	٦٠٥
أركان الحج	٦٠٦
مكانة الحج، وأهميته	٦٠٨
المبحث الثاني: حكمة تشريع الحج	٦١١
أولاً: حكمة شرعية	٦١١
١ ـ تحقيق العبودية لله	٦١١
٢ ـ تحقيق التقوى	٦١٢
٣ ـ زيادة الإيمان ورفعة الدرجات	٦١٤
٤ ـ غفران الذنوب	٦١٤
ثانياً: حكمة روحية	٦١٦
ثالثاً: حكمة نفسية	٦١٧
رابعاً: حكمة اجتماعية	٦٢١
خامساً: حكمة الحج الثقافية والتربوية	٦٢٤
سادساً: حكمة الحج الاقتصادية	٦٢٦
سابعاً: حكمة الحج الصحية	٦٢٨
١ ـ الحج ارتقاء باللياقة الجسدية	٦٢٩
٢ ـ الحج وقاية من أمراض العصر	٦٣٠
٣ ـ الحج وقاية وعلاج للأمراض النفسية	٦٣١
٤ ـ الاستشفاء بماء زمزم	٦٣٢
ثامناً: حكمة الحج في تحقيق مكارم الأخلاق	٦٣٤
تاسعاً: حكمة الحج في تهذيب الأخلاق	٦٣٥
عاشراً: حكمة الحج في تحقيق القوة الرحيمة	٦٣٦
حادي عشر: حكمة الحج في تحقيق النظام، والدقة، والعناية بالوقت	٦٣٩

الموضوع — الصفحة

ثاني عشر: حكمة الحج في تحقيق المساواة ٦٣٩
ثالث عشر: حكمة الحج في تحقيق الوحدة الإسلامية وتوحيد كلمة المسلمين ٦٤١
رابع عشر: حكمة الحج في ربط حاضر الأمة بماضيها ٦٤٢
خامس عشر: حكمة الحج في تحقيق القدوة ٦٤٣
سادس عشر: حكمة الحج في تنمية الوعي ٦٤٤
سابع عشر: حكمة الحج في التذكير باليوم الآخر ٦٤٥
ثامن عشر: حكمة الحج السياسية ٦٤٧
المبحث الثالث: حكمة المواقيت، والإحرام، والتلبية، ومحظورات الإحرام، والطواف، والسعي، والتوجه إلى منى يوم التروية، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، ورمي الجمار، وذبح الهدي، والحلق، والمبيت بمنى، وطواف الوداع، والتفريق بين المناسك ٦٥١
حكمة الميقات ٦٥٢
حكمة الإحرام ٦٥٥
ـ لباس المحرم فيه فائدة طبية ٦٥٧
حكمة التلبية ٦٥٨
حكمة محظورات الإحرام ٦٦٠
حكمة الطواف ٦٦٤
ـ حكمة الرمل والاضطباع في الطواف ٦٧٠
ـ حكمة صلاة الركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ٦٧٢
حكمة السعي ٦٧٤
حكمة التوجه إلى منى يوم التروية ٦٧٨
حكمة الوقوف بعرفة ٦٨٠
حكمة المبيت بالمزدلفة ٦٨٥
ـ حكمة التقاط الحصى من المزدلفة ٦٨٦
حكمة رمي الجمار ٦٨٧
حكمة ذبح الهدي ٦٩٠

الموضوع | الصفحة

حكمة الحلق أو التقصير ٦٩٢
حكمة المبيت بمنى ٦٩٣
حكمة طواف الوداع ٦٩٨
حكمة التفريق بين المناسك ٦٩٩
المبحث الرابع: تعريف العمرة، وفضلها، وحكمة تشريعها ٧٠١
أولاً: العمرة لغةً ٧٠١
ثانياً: العمرة شرعاً ٧٠١
فضل العمرة ٧٠٢
حكمة تشريع العمرة ٧٠٣
١ ـ ارتباط بمهبط الوحي ٧٠٣
٢ ـ تكفير الذنوب ٧٠٣
٣ ـ اعتياد مراغمة الشيطان ٧٠٥
٤ ـ ارتباط المسلمين بقبلتهم ٧٠٥
٥ ـ نوع من السياحة المحمودة ٧٠٥
٦ ـ توثيق لمبدأ التعارف والتعاون ٧٠٦
٧ ـ جمع الناس على مبدأ التوحيد ٧٠٦
٨ ـ توحيد كلمة المسلمين ٧٠٧
٩ ـ تبادل المنافع التجارية، والتجارب الاقتصادية ٧٠٧
١٠ ـ تجديد الحياة ٧٠٧
١١ ـ إدراك الصلاة في المسجد الحرام ٧٠٨
١٢ ـ تطهير القلب وعدم العودة إلى المعاصي ٧٠٨
١٣ ـ الخلف عليه في رزقه ٧٠٩
المبحث الخامس: حكمة زيارة المدينة ٧١١
١ ـ الوفاء من الأمة لمبلِّغ الرسالة ومؤدي الأمانة ٧١١
٢ ـ الصلاة في المسجد النبوي ٧١١
٣ ـ تجديد الإيمان ٧١٢
٤ ـ التعرف على أماكن نزول الوحي ٧١٢

الموضوع — الصفحة

المبحث السادس: شهادة غير المسلمين بالحج ٧١٣
- فيليب حِتِّي ٧١٣
- ديُورانت ٧١٤

الخاتمة

أهم النتائج ٧١٧
ثبت المصادر والمراجع ٧٢٣

الفهارس

الفهارس العامة ٧٣٩
١ ـ فهرس الآيات القرآنية ٧٤١
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٧٥٤
٣ ـ فهرس المصطلحات الشرعية والكلمات الغريبة المشروحة ٧٦٣
٤ ـ فهرس المصطلحات الطبية ٧٦٥
٥ ـ فهرس الأبيات الشعرية ٧٦٦
٦ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم ٧٦٧
٧ ـ فهرس الموضوعات ٧٧٠

السيرة الذاتية للمؤلف

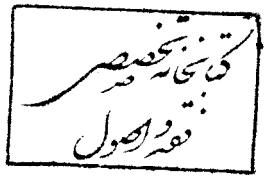

الاسم: يونس عبد الرزاق

اسم الأب: حسين

محل وتاريخ الولادة: مجدل عنجر ١/ ٢/ ١٩٧٤

هاتف: ٠٠٩٦١٨٦٢١٠٦٢ ـ ٠٠٩٦١٧٠٨٨٧١٢١

البريد الالكتروني: Imamyounes@hotmail.com

❖ المؤهلات العلمية:

- دكتوراه في الفقه المقارن ـ جامعة بيروت الإسلامية ٢٠١١.
- ماجستير في الفقه المقارن ـ جامعة بيروت الإسلامية ٢٠٠٧.
- الإجازة العالية ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٩٨.
- الثانوية الشرعية ـ أزهر البقاع ١٩٩٤.

❖ الخبرات:

- محاضر في جامعة بيروت الإسلامية ـ البقاع ـ منذ العام ٢٠٠٧.
- مدرس في أزهر البقاع منذ العام ١٩٩٩.
- إمام وخطيب مسجد **«تل النبي»** في عنجر ـ البقاع ـ منذ العام ٢٠٠٦.
- كاتب ومحاضر في المنتديات الفكرية والمجلات اللبنانية.
- مبعوث دار الفتوى في البقاع إلى دول الاغتراب للدعوة والإرشاد.
- مشارك في عدة دورات تربوية.